



# 24

صيف ٢٠١٩

والقرآن ذي الذكر  
ISSN: 2079-1232

مجلة فصلية - علمية مُحكمة - تصدر عن مؤسسة وارث الأنبياء الثقافية

\* بين الدين والدنيا

\* بناء أداة لقياس سلوك العزلة لدى طلبة المرحلة الإعدادية

\* فنية التشبيه والتشخيص الحركي في تعبير نهج البلاغة للإمام علي (ع)

\* بنية الجملة الاسمية دراسة تركيبية في آيات الأقوام والأمر البائدة

\* انعكاس الاستيطان الفرنسي على المجتمع الجزائري (١٨٣٠-١٩١٢)

\* الأحداث السياسية في بلاد فارس وانعكاساتها على الخليج العربي

العدد الرابع العشرون

الترقيم الدولي: ISSN:2079-1232

والقرآن ذي الذكر



مجلة فصلية علمية مُحكّمة

تصدر عن

مؤسسة وارث الأنبياء الثقافية

صيف ٢٠١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلة فصلية علمية مُحَكَّمة

تعنى بنشر الأبحاث والدراسات العلمية  
ذات الصفة الأكاديمية الأصيلة المكتوبة باللغة العربية والإنكليزية

تصدر عن مؤسسة وارث الأنبياء الثقافية



\* للمراسلة:

جمهورية العراق - البصرة

Mobile: 07805482211

\* وعلى العنوان الإلكتروني:

<http://wareithalanbea.com>

\* والبريد الإلكتروني:

Email: [w.anbeaa2000@gmail.com](mailto:w.anbeaa2000@gmail.com)

الترقيم الدولي: ISSN: 2079-1232

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق (الرقم الوطني)

ببغداد ١١٠٨ لسنة ٢٠٠٨م

جميع الحقوق محفوظة

## الشيخ علي الأسدي

رئيس مؤسسة وارث الأنبياء الثقافية

الأمين العام ورئيس مجلس الإدارة

## هيئة التحرير

رئيس التحرير الأستاذ الدكتور سعيد جاسم الأسدي

مدير التحرير الأستاذ الدكتور ساجد أحمد عبد الركابي

سكرتير التحرير الأستاذ الدكتور عياد إسماعيل صالح

عضواً الأستاذ الدكتور عبد الرضا فرج بدرأوي

عضواً الأستاذ الدكتور أنور جاسب شنته الطريف

عضواً الأستاذ الدكتور محمد جاسم الأسدي

عضواً الأستاذ الدكتور أسعد عباس هندي

عضواً الأستاذة الدكتورة عواطف المصطفى

عضواً المدرس المساعد علي حسين الحساني

## الهيئة الفنية

الأستاذ الدكتور: جبار عودة بدن: التدقيق اللغوي

علي عبد الله عريز: التصميم والإخراج الفني



## الهيئة الاستشارية

وكيل وزير التعليم العالي والبحث العلمي للشؤون العلمية والعلاقات الدولية، رئيس الهيئة الاستشارية	الأستاذ الدكتور : سلام حسن خوشناو
مستشار وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	الأستاذ الدكتور : محسن عبد علي الفريجي
رئيس الجامعة التقنية الجنوبية/البصرة	الأستاذ الدكتور : مظفر الزهيري
رئيس جامعة الكوت الأهلية	الأستاذ الدكتور : طالب الموسوي
رئيس جامعة ذي قار	الأستاذ الدكتور : رياض شنته جبر
رئيس جامعة واسط/ الأسبق	الأستاذ الدكتور : جعفر عبد الكاظم المياحي
مساعد رئيس جامعة البصرة للشؤون العلمية	الأستاذ الدكتور : شاكر عبد السالم نعمة
عميد كلية صدر العراق الجامعة	الأستاذ الدكتور : كاظم كريم رضا الجابري
كلية الفنون الجميلة – جامعة البصرة	الأستاذ الدكتور : ناصر هاشم بدن
رئيس اتحاد الأدباء والكتاب في البصرة	الأستاذ الدكتور : سلمان كاصد
جامعة البصرة – كلية الآداب – أستاذ النقد الأدبي	الأستاذ الدكتور : فهد محسن فرحان الصريفي
قسم العلم التربوية والنفسية/كلية التربية/ابن رشد – جامعة بغداد	الأستاذ الدكتور : سعد علي زاير
مدير عام مركز البحوث النفسية في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	الأستاذ الدكتور : علي الحلفي
عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة البصرة.	الأستاذ الدكتور : حسين عودة هاشم
عميد كلية القانون – جامعة البصرة	الأستاذ المساعد الدكتور : محمد علي عبد الرضا عفلوك
رئيس جامعة ميسان	الأستاذ المساعد الدكتور : علي عبد العزيز الشاوي
رئيس مركز البحوث والدراسات التربوية في وزارة التربية	الأستاذ المساعد الدكتور : حاتم علو الطائي
خلود جبار عبيد الشطري – مديرة معهد الفنون الجميلة للبنات	الدكتورة



## دعوة للنشر في المجلة

إن مؤسسة وارث الأنبياء الثقافية وانطلاقاً من مبادئها وقيمتها ونظرتها العلمية الناهضة لتؤكد دائماً على نشر الوعي المعرفي العلمي فيما يتعلق بشؤون المجتمع من جوانب سياسية واجتماعية واقتصادية وتربوية وعلمية صرفة ذات صلة بتطوير وتعميق التطوير المجتمعي عن طريق تبسيط المعرفة العلمية المخصصة ونشرها، ومما له مساس بعمل المجتمع والدولة وبرامجها وإسهاماً في تيسير أداء هذه الرسالة الإنسانية والوطنية ذات الأبعاد الثقافية والعلمية، كما أن حرص مجلة (ص) التي تصدر عن هذه المؤسسة التي تؤكد الحرص على الأصالة والابتكار والعمق فيما تطرح من مشكلات ودراسات وبحوث ولأجل ترجمة ما تقدم وتجسيده وتحقيقه أنموذجاً حياً رانداً يتجلى في صورة رائعة تتمثل في إصدار مجلة (ص) بمستوى رفيع يحظى بمكانة مرموقة أكاديمياً وعلمياً.

لذا تدعو هيئة تحرير المجلة التي تمثل نخبة من الأساتذة الأكاديميين ذوي الألقاب العلمية العالية ومن حملة الشهادات العليا وفي مختلف الاختصاصات، أساتذة الجامعات العلمية المختصين والباحثين للمساهمة في مجلة (ص) ورفدها ببحوثهم في الاتجاهات والأطر الآتية، التي تخدم أهداف المجلة وتنسجم وطبيعة دورها ومهامها:

- العلوم السياسية.
- العلوم القانونية.
- العلوم الاقتصادية.
- العلوم الاجتماعية.
- العلوم التربوية والنفسية.
- التعليم الجامعي والعالي.
- العلوم التاريخية.
- العلوم الصرفة.

إننا نأمل وبشكل كبير أن نجد استجابة واسعة من المعنيين، بعد أن تبوأ مجلة (ص) مكانتها اللاتقة بين المجالات العلمية.

ندعو الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير أمتنا ووطننا الغالي

**الأمانة العامة**

**لهيئة التحرير**

## قواعد النشر في المجلة

- تنشر المجلة الأبحاث والدراسات العلمية ذات الصلة الأكاديمية الأصيلة المكتوبة باللغة العربية والإنكليزية، ولا تنشر بحوثاً منشورة سابقاً، أو أنها مقدمة للنشر لدى جهات أخرى.
- لا تنشر البحوث في المجلة إلا بعد عرضها على محكمين (خبراء) من ذوي الاختصاص في موضوع البحث ومن أصحاب الألقاب العلمية العالية تختارهم المجلة على نحو سرّي.
- تقوم المجلة بإخطار أصحاب البحوث أما بإجازة بحوثهم للنشر إذا أمر الخبراء بذلك، أو بعد طلب إجراء تعديلات شكلية أو موضوعية سواء كانت جزئية أو شاملة على البحث قبل إجازته للنشر.
- ينبغي أن يطبع عنوان البحث متبوعاً باسم الباحث أو الباحثين واللقب العلمي وجهة العمل على ورقة منفصلة.
- لا يقل عدد صفحات البحث عن (١٥) صفحة ولا يزيد عن (٢٠) صفحة، ويرفق مع البحث خلاصة على ورقة منفصلة لا تزيد عن (٢٥٠) كلمة باللغة العربية أو الإنكليزية.
- تشترط المجلة أن تراعى الأصول العلمية المنهجية في كتابة البحوث (كل حسب تخصصها) مع مراعاة التقليل من الملاحظات الهامشية في صفحات البحث، ويجب وضعها في نهاية البحث ضمن تسلسل واحد، مع ذكر الخاصية بالمصادر والمراجع.
- تسلم نسختان من البحث إلى هيئة التحرير (سكرتارية التحرير) مطبوعتان على ورق قياس (A4) وقرص مدمج (CD) يتضمن البحث المقدم للنشر.
- أن يكون البحث مطبوعاً على وفق نظام (Word 2003) ويراعى استخدام الحواشي السفلية والتعليقات الختامية بالشكل التلقائي للبرنامج، على أن يكون الخط من نمط (Simplified Arabic) وبقياس (١٦).
- لا يعاد البحث إلى صاحبه سواء نشر أو لم ينشر.
- لا يجوز إعادة نشر ما سبق أن نشر في المجلة أو نشر ملخص عنه فيها أو في مجلة أخرى إلا بعد الحصول على موافقة خطية من أمين التحرير.
- تنشر المجلة مراجعات وعروض الكتب الحديثة الصدور، بحيث لا يزيد حجم المراجعة عن عشر صفحات، ويشترط في المراجعة أن تتناول إيجابيات وسلبيات الكتاب وتستهل المراجعة بالمعلومات الآتية:
- الاسم الكامل للمؤلف، العنوان الكامل للكاتب، مكان النشر، الاسم الكامل للناشر، تاريخ النشر، عدد الصفحات.
- ترحب المجلة بنشر التقارير العلمية عن مشاريع البحوث في طور التنفيذ أو عن المؤتمرات والمنتديات العلمية والنشاطات الأكاديمية الأخرى في مختلف المجالات العلمية.
- ترحب المجلة بنشر ما يصلها من ملخصات الرسائل الجامعية التي تمت مناقشتها وإجازتها على أن يكون الملخص من إعداد صاحب الرسالة نفسه.
- تكون المراسلات على العنوان الآتي:

Email: [w.anbeaa2000@gmail.com](mailto:w.anbeaa2000@gmail.com)

بسم الله الرحمن الرحيم



رئاسة  
جامعة البصرة  
لجنة الترقّيات العلمية المركزية

العدد ١٩٩/١١٥  
التاريخ ١٩/١٢/٠٩

(سري)

إلى الأستاذ الدكتور سعيد جاسر الأسدي المحترم

رئيس تحرير مجلة ص والقراءان ذي الذكر  
في مؤسسه وارن / البصرة / البصرة

م/ اعتماد مجلة لإغراض الترقية العلمية

تحية طيبة...

أشارة الى كتابكم المرقم (١٣ و ٢٦٢) في ٢٠٠٩/١٠/١٣ اطلعت اللجنة المركزية بجلستها الثانية والمنعقدة بتاريخ ٢٠٠٩/١١/١١ على مضمون كتابكم اعلاه وقد اوصت باعتماد المجلة لإغراض الترقية.

مع التقدير

د. كاظم جاسر حادي

رئيس لجنة الترقّيات المركزية

نسخه منه إلى

- لجنة الترقّيات المركزية.
- الترقّيات العلمية.
- الصادرة السرية.

نعم



## محتويات العدد

الصفحة	البحث
١	كلمة العدد
	رئيس التحرير
٣	بين الدين والدنيا
	السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر (قدس سره)
٩	بناء أداة لقياس سلوك العزلة لدى طلاب مرحلة الدراسة الإعدادية
	طالب الدكتوراه وحيد عقال ضمد الصبيحاي
٤٣	فنية التشبيه والتشخيص الحركي في تعبير نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام)
	م.د فاطمة عبد الزهرة
٦٥	دور قبيلة صنهاجة السياسي والعسكري بالأندلس في عهد الإمارة الأموية
	م.م أحمد فرج فليح
٩٩	بنية الجملة الاسمية - دراسة تركيبية في آيات الأقوام والأمر البائدة
	أ.د حسن جبار مجيتل العلياوي
	أ.د سالم يعقوب يوسف
١٢٣	انعكاس الاستيطان الفرنسي على المجتمع الجزائري (١٨٢٠ - ١٩١٢)
	شهيد عبد الرضا العتابي
١٦٣	محمد خضير ونشيد النص الثالث
	سجاد علي حسن
١٨٣	بلاغة التصوير صورة (الفتنة) في نهج البلاغة اختيارا
	م.د سعد عزيز شنو
٢١٩	الموروث الروائي أفقا تاويليا - دراسة في تاويل الحديث النبوي الشريف عند الأملي
	م.د موفق مجيد ليلو
٢٥٧	التشوه المعرفي لدى طلبة المرحلة الإعدادية
	م.م لمياء خطاب رحيم
٢٩٣	الأحداث السياسية في بلاد فارس وانعكاساتها على الخليج العربي (البحرين) نهاية القرن الثامن عشر
	م.د مرتضى عبد الحسين مفتن
٣٠٩	تحولات صيغة (فعيل) ودلالاتها اللغوية
	م.م مزهر حسن الكعبي
٣٣٣	أنساق بناء الحدث في اعمال محمود عبد الوهاب السردية
	م. ميعاد زعيم حنون العبادي



## كلمة العدد

عندما تتصفح مجلة (ص) يتولد لديك انطباعان مهمان عن هذه المجلة وأثرها العلمي والقيمي، الأول يتمثل في قوة الإخراج والتصميم ودقة اختيار الألوان والحرف المطبوع الذي يحكي جمالية إبداعية لا تتوفر في مجلات أخرى التي لا تضع أهمية لهذه المداليل.

أما الانطباع الداخلي وهو الثاني الذي يملك حيوية للتأثير النفسي الوجداني المسؤول عن القوة والجاذبية في توصيف الهيئات المشرفة على إعداد وإصدار هذه المجلة ومحتوياتها ذات الألق الأكاديمي المتمثل في هيئة التحرير والهيئة الاستشارية من ذوي الشهادات العليا والألقاب العلمية الأعلى والمواقع الأكاديمية التي تضبط حركة التعليم العالي وحركة البحث العلمي التي لا توافر في مجلات أخرى تصدرها بعض الكليات والجامعات وكذلك توافر الاشتراطات المطلوبة في المجلة العلمية الأكاديمية وهذا هو العمق الموثوق الذي يعلن ثقة الناشر وهو ينشر بحثه في مجلة (ص) والقرآن ذي الذكر وإذا كان الباحث يطالبنا بالنشر السريع، فهو اليوم أحوج ما يكون إليه لقراءة شروط النشر وأهداف المجلة وفلسفتها في قبول البحوث إلى ذلك وإلا سنعتذر عن النشر للبحوث الخارجة عن هذه السياقات... إننا هنا ندعو لذلك من أجل خلق أجواء الأخلاق الإنسانية الطيبة المبنية على التوازن والانسجام بين ما يرغب به الباحث وما تريده المجلة حتى يصدر العدد في تاريخه المحدد ووفق تواريخ مناقشة الباحثين لرسائلهم وأطاريحهم...

ونحن نتمنى لهم النجاح والتوفيق والسداد كما نجحت المجلة الموثقة  
امتيازاتهم على صفحاتها الأولى والتي منها إضافة إلى ما قلناه:

- اعتماد هيئات أكاديمية المجلة لأغراض الترقية.
- الرقم الوطني.
- الرقم الدولي.
- رقم الإيداع.
- البريد الإلكتروني.
- والموقع الإلكتروني.

مع خالص المحبة والتقدير والاحترام

أ.د. سعيد الأسدي

رئيس التحرير

## بين الدين والدينيا

السيد الشهيد

محمد محمد صادق الصدر (قدس سره)

(رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)<sup>٢</sup>

بعد أن تفضل الله سبحانه وتعالى على الإنسان بالوجود، ووهبه من الطاقات والغرائز ما يمكنه أن يدير بواسطتها دفة حياته، وأعطاه الإرادة والاختيار، بحيث أن يستعمل قواه الجسمية والعقلية في أي وجه أراد، وبعد أن علم الشارع بحكمته اللامتناهية (اللانهاية) من حيث أنه خالق البشر والواهب لهم هذه الطاقات وتلك الإمكانيات، وهو العارف - على وجه التحديد - درجة ما وهبه لهم، ومقدار ما سلبه عنهم منها: بأنَّ البشر إذا ظلوا مطلقين من أي قيد، فسيفسد أمرهم وتسودهم الفوضى، ويعتدي قويمهم على ضعيفهم، لأنه يعلم أنه خلق الغرائز والشهوات قوية فعالة تغلب العقل والأناة في أكثر الأحيان، وخاصة إذا كان البشر جاهلين بمصالحهم الحقيقية التي يريدتها الله تعالى لهم، أراد أن يوجههم إلى الحياة الأفضل ويعرفهم بالمجتمع السعيد الذي يمكنهم فيه فقط أن يعيشوا متحابين متآلفين ترفرف على رؤوسهم راية العدل والنظام، على شرط أن يحددوا - باختيارهم الذي وهبه لهم - من جماع أنفسهم ويقللوا من طموح شهواتهم بشكل بسيط لا يكلفهم العسير، ولا يبلغ بهم إلى درجة الضرر.

وبعد أن علم الباري - عز شأنه - أن البشر غير مدركين لمصالحهم على شكلها الحقيقي، حيث يتخيل الفرد منهم أن مصالحه منحصرة في إرضاء شهواته والركض

١. تاريخ كتابة البحث: الثلاثاء ١٧/٧/١٣٨١ - ٢٦/١٢/١٩٦١.

٢. سورة البقرة، الآية: ٢٠١.

وراء آماله والاعتداء على ما بين يديه من ضعفاء الناس، وبعد أن علم أيضاً أنهم لا يمكن أن يطيعوا أو امره ونواهيته إلا بجعل الوعد والوعيد وإلا كان أمره حبراً على ورق، تسمعه آذانهم ولا تفقهه قلوبهم، كان عليه أن يضمن إطاعة البشر له بوضع الثواب للمطيع، والعقاب للعاصي، ويبلغهم بذلك ليكون ذلك حافزاً على إطاعته، ومن ثم سيادة العدل والنظام في ربوع المجتمع الإنساني.

ومن هذه الزاوية برز لدينا معنى جديد غير المعنى الذي يفهمه محبو شهواتهم والساعون وراء آمالهم المادية، هذا المعنى الجديد يقوم كحد وسط بين الإفراط في تناول اللذائذ وبين الزهد والتقشف، فالإسلام لا يمنع من تنفيذ المآرب والأغراض، ولكنه يحدد هذه الأغراض أولاً، ويشترط أن تبلغ في حدود معينة من السلوك والظروف لا يمكن أن يتعداها ثانياً، وإلا كان مذنباً ظالماً متعدياً حدود الله، مستحقاً للعقاب (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٣.

ومن أطاع أوامر الله تعالى ونواهيته، ومشى ضمن الحدود التي رسمها له، فقد فاز بالسعادة والخلود (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ٤.

الدنيا - إذن - بالمعنى التشريعي للإسلام دار عمل وجد، يجب على الإنسان فيها أن يضبط نفسه، ويكبح جماح عواطفه، وأن يزن أعماله بميزان العقل والرؤية. ثم إنه إن فعل ذلك أو لم يفعل، جاء دور الآخرة حيث يذهب إليها بعد الموت أما عزيزاً كريماً وأما ذليلاً مهاناً.

وكما أن الآخرة دار ثواب وعقاب، فإن الدنيا أيضاً دار ثواب وعقاب، بالإضافة إلى كونها دار الأعمال، وأن المرء ليجد ثواب حسناته والعقاب على سيئاته في هذه الدنيا إذا شاء الله ذلك، قبل أن يصل إلى الآخرة.

٣. سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

٤. سورة النساء، الآية: ١٣.

غاية الأمر أن كلاً من الثواب والعقاب الدنيوي زائل، وله أمد ينتهي إليه في حين أن عقاب الآخرة أشق وأقسى من عقاب الدنيا (لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ)٥، وثوابها أكبر (لِنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلِآجِرِ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)٦.

ونستطيع أن نقسم العقاب الدنيوي إلى عقاب يمكن أن نصفه بأنه عقاب (تكويني) ينزله الله تعالى على من أراد من عباده، لأنه اقترف ما يستحق به ذلك العقاب، وعقاب (تشريعي) وهو عبارة عن العقوبات التي فرضها القانون الإسلامي لتطبق في بعض حالات العصيان كالدية والكفارة والقصاص. ولعل من أغرب وأبرع العقوبات الإسلامية ومن أعظمها حكمة وسداداً، هذه المقاطعة الاجتماعية التي فرضها نبينا (ص) على ثلاثة من الأنصار، وبذلك ضمن إظهار مدى تضامن الشعب المسلم مع نبيه الأكرم أولاً وسرعة رجوع هؤلاء الثلاثة عن غيهم إلى الهدى ثانياً، وذلك كما يروي التاريخ من أن النبي (ص) فرض هذا الحصار الاجتماعي على (الثلاثة الذين تخلفوا عن غزاة تبوك ولم يخرجوا مع النبي (ص) لا عن نفاق، لكن عن تهاون، فلما ورد النبي (ص) وتقدم إلى المسلمين بأن لا يكلمهم أحد منهم، فهجروهم الناس حتى الصبيان وأهاليهم، وجاءت نسأؤهم إلى رسول الله (ص) تعذر لهم، فقال: "لا" ولكن لا يقربونكم"، فضاقت عليهم المدينة، فخرجوا إلى رؤوس الجبال، فكان أهاليهم يجيئون لهم بالطعام ويتركونه لهم ولا يكلمونهم، فقال بعضهم لبعض: قد هجرنا الناس ولا يكلمنا أحد، فهلا نتهاجر نحن أيضاً، فتفرقوا ولم يجتمع منهم اثنان، وثبتوا على ذلك نيفاً وأربعين يوماً، وقيل سنة، يضرعون إلى الله ويتوبون إليه، فقبل الله تعالى حينئذ توبتهم وأنزل فيهم هذه الآية، وهي قوله تعالى: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ

٥. سورة الرعد، الآية: ٣٤.

٦. سورة النحل، الآية: ٤١.

مَنْ بَعْدَ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ \* وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتِ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ<sup>٧</sup>.

والثلاثة هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، وفرارة بن ربيعة<sup>٨</sup>.

وأن دلت هذه الواقعة التاريخية على شيء، فإنما تدل على مدى السيطرة الروحية التي كانت للنبي (ص) على قومه وأصحابه، ومدى إيمانهم به وإطاعتهم لأوامره، بحيث إنه (ص) حين حرم مكالمتهم لم يكن ليطمع أحدهم أن يكون هناك شخص في طول المدينة وعرضها يمكن أن يأنس به أو يلتجئ إليه، وهم بدورهم لم يحاولوا ذلك، لأن سيطرة النبي (ص) الروحية كانت أهم عندهم من أنفسهم فاضطروا أن يخرجوا إلى رؤوس الجبال.

أما لفظ (الدنيا) الذي يُقصد منه جمع المال والاستزادة من اللذة والتكالب على المتاع الزائل، فقد حكم الإسلام عليه حكمه العدل الذي نراه وسطاً بين التمسك والرهينة من ناحية، كما روي عن النبي (ص) أنه قال "لا رهبانية في الإسلام"<sup>٩</sup>، وبين الإفراط في تناول اللذة من ناحية أخرى، فهو لم يُحرّم التمتع بالطيبات (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)<sup>١٠</sup>، ولكن لذة الدنيا زائلة، وسعادة الآخرة هي الباقية الخالدة، فينبغي على

٧. سورة التوبة، الآيات: ١١٧ - ١١٨.

٨. التبيان لشيخ الطائفة الطوسي (قدس سره)، الجزء الخامس: ٣٦٤ [٥: ٣١٦، (ط، حديثه)]، (منه قدس سره) وراجع أيضاً بحار الأنوار: ٢١: ٢١٩، الحديث ٣.

٩. دعائم الإسلام ٢: ١٩٣، الحديث ٧٠١، والوافي: ٧: ٤٩٩، الباب ٦٤، باب فصل المساجد وتوقيرها وتوقير القبلة، الحديث ٦.

١٠. سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

الإنسان أن لا يجعل همّه طلب اللذة في دار الدنيا بل يطلبها في الآخرة (أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ)<sup>١١</sup>.

والتمتع في هذه الدنيا جائز، ولكن جوازه محدد بحدود لا يجوز تعديها وإلا كان إضراراً بحق الآخرين وعصياناً لأوامر الإسلام، وإسفافاً في أمور ليس من شأنها أن تكون شريفة ولا كريمة، فنحن نرى هذه الآية: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ) الآية، تُبيح الأخذ من الزينة والطيبات، ولكنها لا تحث عليها، بل بعكس ذلك، فالمطلوب استحباباً من البشر هو الاكتفاء بالقليل من المتاع والاستغناء عما في أيدي الناس. ثم أن الإسلام حرّم الانغماس في اللذة إلى أقصى حدودها، ووضع أمام ذلك العراقيل المتعددة، وكان من حقه أن يفعل ذلك.

فبين أيدينا النظام الرأسمالي، نلمس مساوئه وويلاته على البشرية<sup>١٢</sup>، فقد حرّم الإسلام الاحتكار وأجاز لولي الأمر والحاكم الإسلامي الأعلى، أن يجبره على بيع البضاعة المحتكرة بالثمن المناسب غير المضر بالآخرين، ووضع الضرائب على كل من رأس المال والربح بقدر معين، وهو ما يسمى باصطلاح الفقهاء بالزكاة والخمس، وحرّم أيضاً عديداً من الأمور التي تراها شهوة الإنسان جميلة ولطيفة، في حين أن العقل والمشرّع الإسلامي يراها أموراً وضيعة لا تؤدي بصاحبها إلا إلى الخسة والهوان، وحرّم بذل المال في سبيلها واستلام المال لقاء القيام بها.

وإلى جانب ذلك حث الإسلام على السعي في سبيل العيش وفي سبيل التوسعة على العائلة، وجعل على ذلك ثواباً، ولكنه توعد الذين كرسوا جهودهم في سبيل الاستزادة من اللذة الدنيوية فقط، فهم (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)<sup>١٣</sup>.

١١. سورة التوبة. الآية: ٣٨.

١٢. راجع، قسم (مع الرأسمالية) من كتاب (اقتصادنا): ٢٢٥، وما بعدها منه (قدس سره).

١٣. سورة البقرة، الآية: ٨٦.

وخلاصة القول: إن الآخرة هي التي يجب أن يسعى نحوها الإنسان ويجعلها محط أمله، وأن الدنيا - وإن جاز ينال الإنسان فيها بعض اللذة التي يبيحها الإسلام - زائلة لا يمكن الركون إليها ولا الاطمئنان بها.

ونختم مقالنا بهذه الآية الشريفة التي تحدد ذلك، فتقول: (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ \* قُلْ أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)١٤.

١٤. سورة آل عمران: الآيتان: ١٤ - ١٥.

## بناء أداة لقياس سلوك العزلة لدى طلاب

## مرحلة الدراسة الإعدادية

طالب الدكتوراه  
وحيد عقال ضمد الصبيحاي

الأستاذ الدكتور  
عباد إسماعيل صالح\*

## مشكلة البحث The research problem:

تعد مشكلة العزلة من المشاكل التي تؤثر سلبا في الجانب الاجتماعي، إذ تؤثر هذه المشكلة في حياة الإنسان وسلوكه وتصرفاته وصحته النفسية، وذلك لان انخفاض مستوى اتصال الفرد بالآخرين يؤدي إلى تكوين الشخصية غير السوية، وهذا الانخفاض لا شك يؤدي إلى العديد من الأفكار والمعتقدات والتصرفات السلبية التي ينتج عنها سلوكيات انفعالية غير مرغوب بأدائها، تكون بالتالي مسئولة عن تحول الأفراد من كائن اجتماعي فعال إلى كائن سلبي غير فعال مع أقرانه وتتعهد لديه السيطرة على تصرفاته ونشاطاته في الحياة الواقعية.

توصف العزلة عند طلاب الدراسة الإعدادية المنعزلين بأنهم أكثر قلقا وتوترا، وأقل ميلا نحو الثقة بالنفس بإمكاناتهم، وضبط الإحداث في حياتهم اليومية، وبالتالي هم أقل تحصيلا أكاديميا، كما أن لديهم بعض المخاوف الاجتماعية، وسلوكيات وسواسيه وقهرية ويقضون وقتا في الاستماع للموسيقى ومشاهدة التلفاز.

(مشاقبة، ٢٠١٥: ١٩٢)

\* أ. د. عباد إسماعيل صالح - كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة البصرة.

م.م / طالب الدكتوراه - وحيد عقال ضمد - مديرية تربية البصرة.

إن البحث مستل من أطروحة دكتوراه من إعداد الباحث الثاني تحت إشراف الباحث الأول في

الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي.

وتتجلى مشكلة البحث الحالي في الإجابة عن السؤال الآتي: ما مستوى سلوك العزلة لدى طلاب مرحلة الدراسة الإعدادية؟

### أهمية البحث

لقد ازداد اهتمام الباحثين خلال النصف الثاني من القرن العشرين بدراسة الشعور بالعزلة الاجتماعية كظاهرة انتشرت بين الأفراد في المجتمعات المختلفة، ويعزى ذلك إلى ما لهذه الظاهرة من دلالات تعبر عن أزمة الإنسان المعاصر ومعاناته وصراعاته الناتجة عن تلك الفجوة المتزايدة بين التقدم المادي الذي يسير بمعدل هائل السرعة وتقدم قيمي وأخلاقي واجتماعي ومعنوي، يسير بمعدل بطيء بل وكأنه يتقهقر إلى الوراء، الأمر الذي أدى بالإنسان إلى عدم الشعور بالأمن والطمأنينة حيال واقع الحياة، بل النظر إلى الحياة بعين الريبة وكأنها غريبة عنه، وشعوره بعدم الانتماء إليها، ويترتب على هذا أن حياة الإنسان أصبحت يسودها الكثير من ضروب التنافس والتوتر والقلق بعد أن استنفذ الإنسان كل قدراته في سعيه لبلوغ متطلباته غير المحددة، وعليه أصبح مهياً لمعاناة الكثير من صور الاضطراب النفسي، ولعل من أبرزها شعوره بالعزلة. (الخفاجي، ٢٠٠٩: ٢٠)

### هدف البحث

يستهدف البحث الحالي التعرف على مستوى سلوك العزلة لدى طلاب مرحلة الدراسة الإعدادية.

### حدود البحث

يتحدد البحث الحالي بطلاب الصف الخامس بفروعه لمرحلة الدراسة الإعدادية للدراسة الصباحية في المدارس الحكومية في مدينة حي الحسين والجمعيات التابعة لمركز المديرية العامة لتربية محافظة البصرة وللعام الدراسي (٢٠١٨ - ٢٠١٩م).

## تحديد المصطلحات

عرّفه كل من:

أبو أسعد و عريبات ( ٢٠١٥ )

هو انسحاب جسدي ونفسي إذ يفضل الشخص لعدم إقامة أي تفاعل مع الآخرين سلبياً أو إيجابياً ويضع مسافة بينه وبينهم، ويتكون لديه اتجاه البعد عن الناس وعدم مخالطتهم في العلاقات الاجتماعية والعاطفية، ولا يراعي القيم والمعايير الاجتماعية، ولا يقبل أي مساعدة من الآخرين ولا يظهر مشاكله لهم.

(أبو أسعد وعريبات، ٢٠١٥: ١٠٢)

**التعريف النظري:** الذي اشتقه الباحث من نظرية هورني وهو ابتعاد الفرد عن الآخرين مما يتسم سلوك الفرد بضعف أو عدم إقامة علاقات اجتماعية أو بناء صداقة مع الآخرين والتفاعل معهم، إلى حد كراهية الاتصال بالآخرين وعدم التوافق معهم، والابتعاد عن معايشة واقع البيئة المحيطة وعدم الاكتراث لما يحدث فيها.

**التعريف الإجرائي لسلوك العزلة:** ضعف قدرة الفرد ورغبته في أقامت علاقات اجتماعية سليمة وتفاعلية مع الآخرين كما ينعكس ذلك على الدرجة الكلية التي يحصل عليها الطالب من خلال استجابته على مقياس سلوك العزلة المعد لهذا الغرض.

## الإطار النظري:

قد أعد عدة باحثين ورقة تضمنت مفاهيم كثيرة ومتنوعة خاصة بسلوك العزلة وتم تعريف الجوانب المختلفة من الترابط الاجتماعي وتكوين الألفة وما تلك الجوانب وتأثيرها على الشخص وما هو المعيار لإدارة هذه العلاقات، تضمنت على مراجعة كل هذا وأيضا الرؤى الخاصة بالموضوع، ونشأت من هذا المنطلق ظواهر دراسية قواعد السلوك والكثير من المشاكل الاجتماعية بالكثير من الطرائق، بالإضافة إلى

ذلك تضمنت أيضا مناظرة لم توضح جيدا عن مقياس الترابط الاجتماعي وتكوين الألفة، لقد وضع الباحثين أساس قوي لتفسير المقاييس الدولية لعدة جوانب من العزلة الاجتماعية تؤثر الكثير من العوامل الاجتماعية السائدة في المجتمع على حالة الفرد بصورة خاصة ومن هذه العوامل العجز الاقتصادي، رأس المال، التماسك أو عدم التماسك الثقافي ويجب أخذ هذه العوامل بنظر الاعتبار عند قياس جوانب العزلة الاجتماعية لدى الأفراد (Filipe, et. al, 2017, p: 11).

ويأخذ موقف الفرد من العزلة اتجاهين مختلفين مع بعضهما فمن الطلاب من يشعر بالارتياح والسعادة عندما يكون منعزلا مع نفسه وبعيدا عن الآخرين تحقيقا لصورة الذات المرغوب فيها، بينما البعض الآخر منهم يشعر بإحراج وعدم الارتياح وقلق مستمر فقد يحقق قيمة لذاته في هذا الموقف أو العكس عندما يرى ردود فعل أقرانه تجاهه.

### نظرية كارين هورني

أكدت هورني (K. Horney)، على الخصائص المتعلمة لسلوك العزلة المكتسب من الأسرة والثقافة الاجتماعية للفرد وعلى العلاقات الأسرية داخل الأسرة، وتشير إلى أن السلوك الإنساني يتعد أكثر فأكثر في سن النضج نتيجة لعلاقات الفرد مع الآخرين.

واعترفت (هورني) بالفروق الفردية بين الناس ولكنها أولت ذلك اهتماماً قليلاً واعترفت أن السلوك الإنساني سلوك متعلم، وأن الإنسان في اتخاذه العزلة يحاول أن يحقق لنفسه الأمن والرضا كما أولت اهتماماً لأثر البيئة في السلوك، وأن السلوك غير السوي هو سلوك متعلم، وترى أن ذلك السلوك بأشكاله له النمط نفسه لكن الاختلاف يكون في أعراض الاضطراب، وفسرت العزلة على أنها دفاعات لاشعورية يتم تطويرها من أجل التعامل مع الحياة. (عبد الهادي، ١٩٩٩: ٣٩)

**منهجية البحث:**

تضمن وصفاً لمنهج البحث الذي اتبعه الباحث وكذلك وصف لمجتمع البحث وعينته وبناء أداة لقياس سلوك العزلة.

**إجراءات البحث****أولاً: مجتمع البحث**

تحدد مجتمع البحث الحالي من:

**١. مجتمع المدارس:**

يتكون مجتمع البحث في هذه الدراسة من جميع المدارس الإعدادية للبنين التابعة للمديرية العامة لتربية محافظة البصرة في مركز مدينة البصرة الدراسة الصباحية الحكومية/للعام الدراسي (٢٠١٨ - ٢٠١٩)م، والبالغ عددهم (٢٤) مدرسة حسب الكراس الإحصائي لمديرية تربية البصرة وجدول ( ١ ) يوضح ذلك.

**٢. مجتمع الطلاب:**

يشمل مجتمع الطلاب أعداد الطلاب في مركز مدينة البصرة للمدارس الإعدادية للبنين للدراسة الصباحية الحكومية والبالغ عددهم (١٠،٥٠٢)\* طالب موزعين على المدارس كما موضح في جدول(١).

## جدول ( ١ )

أسماء المدارس الإعدادية للبنين وإعداد الطلاب لمركز مدينة البصرة

ت	اسم المدرسة الإعدادية	عدد الطلاب
١	ع/ المركزية	٥٣٠
٢	ع/ المتنبى	٦٧٦
٣	ع/ الكفاح	٧٤٧
٤	ع/ الرسول	١٣٠
٥	ع/ الشهيد محمد رضا المظفر	٣١٩
٦	ع/ الشريف الرضي	٣٧٠
٧	ع/ البصرة للبنين	٤٠٣
٨	ع/ الأصمعي	٤٣٠
٩	ع/ الأركياء	٢٧١
١٠	ع/ الفرسان	٢٠٩
١١	ع/ الطلائع	٣٩٩
١٢	ع/ الأصفياء	٢٩١
١٣	ع/ الرسالة للبنين	٤٠٤
١٤	ع/ الأجيال	٥١٦
١٥	ع/ الجمهورية للبنين	٣٣٥
١٦	ع/ الحمد	٤٢٥
١٧	ع/ الإمام الحسين	٣٦٢
١٨	ع/ مطلق حنون	٧٦٥
١٩	ع/ المعقل للبنين	٥٨٤
٢٠	ع/ غانم سوادي	٢٩٣
٢١	ع/ العباس	٣٧٠
٢٢	ع/ السبطين	٤٧١
٢٣	ع/ الأكرمين	٤٣٧
٢٤	ع/ الشهداء	٧٦٥
	المجموع	١٠,٥٠٢

\* حصل الباحث على أعداد الطلاب من قسم التخطيط التربوي في المديرية العامة

لتربية البصرة.

## عينة البحث

إن اختيار عينة البحث تعد من خطوات البحث المهمة، في حالة عدم قدرة الباحث أن يتوصل إلى البيانات والمعلومات عن مجتمع كامل بصورة شاملة فإنه يقوم باختيار عينة تكون ممثلة للمجتمع كي يستطيع من جمع المعلومات والبيانات اللازمة. (الجابري وصبري، ٢٠١٣: ١٥١)

والجدول ( ٢ ) يوضح أعداد العينات المستعملة في هذا البحث.

## جدول ( ٢ )

العينات المستخدمة في البحث الحالي مع أعدادها

ت	هدف التطبيق	إعداد الطلاب
١-	عينة وضوح التعليمات	٣٠
٢-	عينة التحليل الإحصائي	٤٠٠
٣-	عينة التطبيق النهائي	٢٠٠
٤-	عينة الثبات	١٠٠
	المجموع	٧٣٠

## ١- عينة المدارس:

أعتمد الباحث عند اختيار العينة في هذا البحث أسلوب العينة العشوائية البسيطة، وقد تم سحب (٢) مدارس من المجتمع الأصلي لغرض التحليل الإحصائي للمقياس بعد أن وضع جميع المدارس المشمولة في كيس وتم سحب المدارس حسب ما موضح بالجدول ( ٣ ).

## جدول ( ٣ )

## عينة المدارس

ت	أسماء المدارس	الرابع الإعدادي	الخامس الأدبي	الخامس العلمي	السادس الأدبي	السادس العلمي	المجموع
١	إعدادية الرسالة للبنين	١٧٧	٣٦	٩٤	٤٩	١٣٧	٤٩٣
٢	إعدادية الأصفياء للبنين	١١٩	٧٠	٣٣	٤٥	٥٠	٣١٧
	المجموع	٢٩٦	١٠٦	١٢٧	٩٤	١٨٧	٨١٠

## ٢- عينة الطلاب:

أعتمد الباحث عند اختيار عينة الطلاب العينة العشوائية البسيطة، إذ قام الباحث بكتابة أرقام في قصاصات ورقية بحسب تسلسل عدد الطلاب الموجودين في كل صف ووضعها في كيس ثم سحب منها عشوائيا بحسب حجم العينة المطلوبة من كل صف وقد أستعمل الباحث عدة عينات للبحث الحالي وكما يأتي:-

## أ. عينة وضوح التعليمات وفهم العبارات.

لكي يتحقق الباحث من مدى وضوح فقرات المقياس ومدى فهم تعليماته ولتحديد الوقت المستغرق في الإجابة عليه، قام الباحث باختيار (إعدادية الرسالة للبنين) بالطريقة العشوائية البسيطة من مجتمع المدارس الأصلي، وبعد ذلك سحب منها (٣٠) طالبا اختيروا بالطريقة العشوائية البسيطة، بواقع (١٠) من كل صف وجدول (٤) يوضح ذلك.

## جدول ( ٤ )

## عينة وضوح التعليمات وفهم العبارات

المجموع		الخامس العلمي الإحيائي		الخامس العلمي تطبيقي		الخامس الأدبي		اسم المدرسة
مجموع العينة	مجموع العدد	العينة	العدد الكلي	العينة	العدد الكلي	العينة	العدد الكلي	
٣٠	١٣٠	١٠	٤٤	١٠	٥٠	١٠	٣٦	ع/الرسالة للبنين

## ب. عينة التحليل الإحصائي:

من الضروري الالتزام بالمعايير العلمية لعلم القياس والتقويم عند اختيار حجم عينة البحث وحاول الباحث جاهدا الالتزام بتلك الخطوات وقد أكد علماء القياس والتقويم على الخطوات الآتية:-

١. يبين أبيل (Ebel, 1972) إلى أن حجم العينة وكبرها هو الإطار المفضل في عملية الاختبار، ذلك أنه كلما زاد حجم العينة قل احتمال وجود الخطأ المعياري. (Ebel, 1972, p: 290)

٢. تشير أغلب مصادر القياس النفسي إلى أن عينة التحليل الإحصائي لبناء فقرات المقياس والاختبارات يفضل أن تكون حجمها نحو (٤٠٠) فردا.  
(السيد، ١٩٧٩: ٥٩٧)

٣. كما أشارت انستازي (Anastasi, 1997) بحسب ما توصل إليه (كلي) إحصائياً إلى أن الحجم المناسب لعينة التحليل الإحصائي للفقرات يعد حجماً مناسباً إذا أصبح في كل مجموعة من المجموعتين المتطرفتين في الدرجة الكلية (١٠٠) فرداً. (Anastasi, 1997, p: 187)

٤. قد أكد نانالي (Nunnaly, 1978) على أن نسبة عدد أفراد العينة إلى عدد فقرات القياس يجب أن تتراوح بين (٥ - ١٠) لكل فقرة لعلاقة ذلك بتقليل خطأ الصدفة في عملية التحليل الإحصائي. (Nunnaly, 1978, p: 262)

٥. استناداً إلى الشروط العلمية في اختيار عينة البحث فقد عمد الباحث إلى اختيار (٤٠٠) طالبا من طلاب الصف الخامس الأدبي والعلمي بفرعيه (الإحيائي - التطبيقي)، والسادس بفروعه (الأدبي، والإحيائي، والتطبيقي) ولمدرستين من المدارس الإعدادية اختيرت بطريقة قصديه وهما إعدادية الرسالة للبنين وإعدادية الأصفياء للبنين، وجدول (٥) يوضح ذلك.

## جدول ( ٥ )

## أعداد الطلاب لعينة بناء المقياس لمدرستين إعدادية

المجموع	السادس الإحيائي	السادس التطبيقي	السادس الأدبي	الخامس العلمي تطبيقي	الخامس العلمي إحيائي	الخامس الأدبي	أسم المدرسة
٢١٣	٢٧	٢٦	٣٤	٤٠	٥٠	٣٦	إعدادية الرسالة للبنين
١٨٧	٢٤	٢٦	٣٤	١٨	١٥	٧٠	إعدادية الأصفياء للبنين
٤٠٠	٥١	٥٢	٦٨	٥٨	٦٥	١٠٦	المجموع

## أداة البحث

لتحقيق هدف البحث الحالي، قام الباحث ببناء مقياس سلوك العزلة لدى طلاب مرحلة الدراسة الإعدادية في ضوء الضوابط والخطوات التي حددها (ألن وين - Allen & yen, 1979) وهي كالاتي:-

١. تخطيط وتحديد مجالات المقياس.
٢. كتابة الفقرات وصياغتها وتوزيعها على كل مجال من مجالات المقياس، يعد هذا مهما لصدق تمثيل الفقرات للمجال.
٣. اختيار عينة للمجتمع المدروس.
٤. إجراء تحليل الفقرات لانتقاء أفضلها. (Allen & yen, 1979, p: 119)

## ١. تخطيط وتحديد مفهوم ومجالات سلوك العزلة.

اعتمد الباحث على نظرية (هورني) وعرفت هورني العزلة: هي التوجه بعيدا عن الناس وتجنبهم وعدم التعامل معهم ويحاول الفرد الاكتفاء ذاتيا ويتذرع بأن مبادئه تمنعه من قبول مساعدة الآخرين، انه يسعى للبحث عن العزلة ويفضل أن يأكل وينام ويعمل لوحده ويخشى أن يعرف الآخرين أسرارهم الخاصة سواء كانت هذه الأسرار تسبب الخلل أم لا. (العزة وعبد الهادي، ١٩٩٩: ٤٤)

بعد ذلك استطاع الباحث أن يشتق ثلاث مجالات تمثل سلوك العزلة وهي: -

### المجال الأول: غياب الصداقة

هي التفكير بشكل عميق في الوسائل المختلفة في تقليل عوامل الخطر الكامنة في إقامة علاقات صداقة مع الآخرين (كوري، ٢٠١١: ٨٣)، وترى هورني بأنه يمثل (التحرك بعيدا عن الناس). (أبو أسعد وعريبات، ٢٠١٥: ١٠١)

### المجال الثاني: الاختلاط بالآخرين

هو الاندماج والتوحد مع الآخرين ويستطيع الطالب إن يتصرف بشجاعة لمواجهة ومعالجة مشاكله (كوري، ٢٠١١: ١٤٩)، وترى هورني بأنه يمثل (التحرك نحو الناس). (أبو أسعد وعريبات، ٢٠١٥: ١٠١)

### المجال الثالث: الشعور بالوحدة

هي معتقدات الشخص بأنه فاشل وأنه مرفوض هي السبب الرئيسي في حدوث الوحدة (كوري، ٢٠١١: ٣٥٨)، وترى هورني بأنه يمثل (التحرك ضد الناس). (أبو أسعد وعريبات، ٢٠١٥: ١٠١)

### ٢. صياغة فقرات المقياس:

يعد موضوع صياغة فقرات مقياس سلوك العزلة من الموضوعات المهمة جدا لأنه كلما نجح الباحث في صياغة فقرات مقياسه بشكل علمي ودقيق في قياس الظاهرة المراد قياسها كلما حقق المقياس الغرض المعد من أجله.

(الشمري، ٢٠١٠: ٧٨)

قد عمد الباحث إلى صياغة مجموعة من الفقرات وعددها (٤٥) فقرة موزعة على المجالات الثلاث ولكل مجال من المجالات الثلاث (١٥) فقرة.

وقد روعي في صياغة الفقرات ما يأتي:-

أ. أن تكون الفقرة بصيغة المتكلم وعدم استعمال صيغة نفي النفي لكي لا تتركب المستجيب. (سماره، ١٩٨٩: ٨١)

- ب. أن تكون الفقرة معبرة عن فكرة واحدة وقابلة لتفسير واحد  
(أبو علام، ١٩٩٠: ١٣٤)
- ج. أن لا تكون الفقرة موحية للاستجابة.
- د. أن يكون محتوى الفقرة واضحا وصريحا ومباشرا.  
(الزوبعي وآخرون، ١٩٨١: ٨٩)
- هـ. كلما كانت الفقرة دقيقة الصياغة اللغوية كلما قلت أخطاء الإجابة.  
(الجبوري، ١٩٩٠: ٩٦)
- و. أن تكون الفقرة معبرة عن سلوك العزلة.  
وعلى وفق تلك المعايير تم صياغة (٤٥) فقرة موزعه على ثلاث مجالات،  
جدول (٦) يوضح ذلك.

## جدول ( ٦ )

مجالات مقياس سلوك العزلة وعدد الفقرات لكل مجال

ت	اسم المجال	عدد الفقرات
١	غياب الصداقة	١٥
٢	الاختلاط بالآخرين	١٥
٣	الشعور بالوحدة	١٥
	المجموع	٤٥

وبعد إعداد المجالات الثلاث وتوزيع الفقرات عليها تم اعتماد طريقة ليكارت  
Lekart في تصميم المقياس، وذلك بوضع ميزان رباعي متدرج أمام كل فقرة  
أربعة بدائل للإجابة كما في جدول (٧).

## جدول (٧)

بدائل مقياس سلوك العزلة وأوزانه

تنطبق علي تماما	تنطبق علي أحيانا	تنطبق علي نادرا	لا تنطبق علي أبدا
٤	٣	٢	١

## ٣. التأكد من صلاحية الفقرات (التحليل المنطقي للفقرات)

ذكر أبيل (Ebel, 1972) أن أفضل وسيلة للتأكد من صلاحية المجالات والفقرات هي قيام عدد من الخبراء المختصين بتقرير صلاحيتها لقياس الصفة التي وضعت من أجلها. (Ebel, 1972, p: 552)

واستناداً إلى ذلك فقد عرضت المجالات الثلاث والفقرات بصيغتها الأولية والتي بلغ عددها (٤٥) فقرة لكل مجال (١٥) على مجموعة من المحكمين والمتخصصين في علم النفس والإرشاد النفسي والقياس والتقويم ملحق (٢)، متضمناً إيجازاً عاماً لمفهوم سلوك العزلة والمجالات والفقرات التي يتألف منها لإصدار حكمهم على مدى صلاحيتها في قياس سلوك العزلة وكذلك صلاحية بدائل الاستجابة وطريقة التصحيح وقد اعتمد الباحث نسبة اتفاق (٨٠%) فأكثر بين المحكمين للإبقاء على الفقرة أو حذفها، وفي ضوء استجابة الخبراء تم دمج الفقرات (٣، ١٠) و(٦، ٨)، لتوجيه الخبراء إنهما ذات معنى واحد، وتعديل الفقرات (٢، ٣، ٥، ٧، ١١، ١٤، ١٥) في المجال الأول، أما المجال الثاني فتم دمج الفقرات (٢، ٥، ١٤) في فقرة واحدة و(٣، ٦) في فقرة واحدة، وتم تعديل الفقرات (١، ٣، ٤، ٧، ٩، ١٣، ١٤).

أما المجال الثالث فتم تعديل الفقرات (٤، ٥، ٧، ١٢) المرتبطة بالاختبار، أصبح المجال الأول يحتوي على (١٣) فقرة، والمجال الثاني يحتوي على (١٢) فقرة، أما المجال الثالث فيحتوي على (١٥) فقرة، وبذلك أصبح عدد فقرات مقياس سلوك العزلة (٤٠) فقرة، جدول (٨) يوضح ذلك.

## جدول (٨)

آراء المحكمين في صلاحية مجالات و فقرات مقياس سلوك العزلة

المعارضون		الموافقون		المجالات وأرقام الفقرات
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
%٠	٠	%١٠٠	٢٥	المجال الأول: ١، ٢، ٤، ٥، ٧، ٩، ١١، ١٢، ١٤، ١٥
%٠	٥	%٨٠	٢٠	تم دمج (٣، ١٠) و (٦، ٨)
%٠	٠	%١٠٠	٢٥	المجال الثاني: ١، ٤، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١ و ١٢، ١٣، ١٥
%٠	٥	%٨٠	٢٠	تم دمج الفقرات (٢، ٥، ١٤) و (٣، ٦)
%٠	٠	%١٠٠	٢٥	المجال الثالث: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥

## ٤. التأكد من وضوح الفقرات والتعليمات (التجربة الاستطلاعية)

يشير فرج (١٩٨٠) إلى ضرورة التحقق من مدى فهم العينة المقصودة لتعليمات المقياس ومدى وضوح فقراته لديهم (فرج، ١٩٨٠: ١٦٠)، وللتعرف على مدى وضوح الفقرات وتعليمات المقياس، واحتساب الوقت المستغرق للإجابة لتطبيق المقياس على عينة مكونة من (٣٠) طالبا من طلبة إعدادية الرسالة للبنين والتابعة إلى مدارس مركز المديرية العامة لتربية محافظة البصرة وكما موضح في جدول (٩).

## جدول (٩)

عينة وضوح الفقرات وتعليمات مقياس سلوك العزلة

المجموع	الخامس العلمي الإحيائي	الخامس العلمي التطبيقي	الخامس الأدبي	اسم المدرسة
٣٠	١٠	١٠	١٠	إعدادية الرسالة للبنين

قد طلب الباحث من الطلاب قراءة التعليمات والفقرات والاستفسار عن أي غموض وذكر الصعوبات التي تواجههم أثناء الاستجابة، وقد تمت مناقشتهم حول وضوح التعليمات، وقد أكدوا أنها واضحة ومفهومة وأوضحت التجربة أن الوقت المستغرق إلى الإجابة على مقياس البحث الحالي سلوك العزلة ملحق (١) تتراوح بين (٢٥، ٣٥) دقيقة وبمتوسط (٣٠) دقيقة.

### ٥. تصحيح المقياس

لغرض تصحيح مقياس سلوك العزلة والمؤلف من (٤٠) فقرة ولكل فقرة أربعة بدائل، وقد وزعت درجات الإجابات على المقياس بأربع درجات فقد أعطيت درجة (١) للموقف الذي لا يقيس العزلة، والدرجة (٢) تقيس العزلة عندما تنطبق على الفرد بشكل نادر، والدرجة (٣) تقيس العزلة عندما تنطبق على الفرد أحيانا، والدرجة (٤) تقيس العزلة عندما تنطبق الفقرة على الفرد تماما، وبذلك تكون الدرجة العليا للمقياس (١٦٠) درجة، والدرجة الدنيا للمقياس (٤٠) درجة والوسط الفرضي\* (١٠٠) درجة.

### ٦. تجربة التحليل الإحصائي للفقرات: (Statistical analysis of scale)

عندما يختار الباحث الفقرات المناسبة ذات الخصائص الإحصائية الجيدة فإنه يتحكم بخصائص المقياس كله وقدرته على قياس ما أعد لغرض قياسه.

(السيد، ١٩٧٩: ٥٦٥)

إن التحليل المنطقي للفقرات قد لا يكشف أحيانا عن صلاحيتها أو صدقها بشكل دقيق، في حين التحليل الإحصائي للدرجات التجريبية يكشف عن دقة الفقرات في قياس ما وضعت من أجل قياسه (Ebel, 1972, p: 406)، وانفق علماء القياس

\* الوسط الفرضي للمقياس يساوي مجموع البدائل على عددها  $x$  عدد الفقرات

$$\text{الوسط الفرضي} = ١ + ٢ + ٣ + ٤ = ١٠ = ٤ / ٤٠ \times ٢,٥ = (١٠٠)$$

ومنهم (Nunnally) على أن يكون حجم عينة التحليل الإحصائي لا يقل عن (٥٠ - ١٠) أفراد مقابل كل فقرة من مجموع فقرات المقياس، ذلك لتقليل فرص المصادفة في عملية التحليل. (Nunnally, 1978, p: 262)

وعلى وفق هذا المعيار ارتأى الباحث أن يأخذ أعلى معيار فقد خصص (١٠) أفراد لكل فقرة، إذ اختار (٤٠٠) مستجيب لعينة التحليل الإحصائي توخيا للدقة، قد تم اختيارهم بالطريقة العشوائية الطبقيّة من طلاب مركز المديرية العامة لتربية البصرة من الدراسة الصباحية الحكومية من الصف الخامس الأدبي والخامس العلمي بفرعية (الإحيائي - والتطبيقي)، والسادس الأدبي والعلمي بفرعيه التطبيقي والإحيائي من إعدادية الرسالة والأصفياء للبنين، جدول (١٠) يوضح توزيع عينة التحليل الإحصائي.

## جدول (١٠)

## عينة التحليل الإحصائي لطلاب الدراسة الإعدادية

العينة	إعداد الطلاب	التخصص	اسم المدرسة
٣٦	٣٦	الخامس الأدبي	إعدادية الرسالة للبنين
٤٤	٤٤	الخامس العلمي أحيائي	
٤٦	٥٠	الخامس العلمي تطبيقي	
٣٤	٤٩	السادس الأدبي	
٢٧	٧٥	السادس العلمي الإحيائي	
٢٦	٦٢	السادس العلمي التطبيقي	
٧٠	٧٠	الخامس الأدبي	إعدادية الأصفياء للبنين
١٥	١٥	الخامس العلمي أحيائي	
١٨	١٨	الخامس العلمي تطبيقي	
٣٤	٤٥	السادس الأدبي	
٢٦	٢٦	السادس العلمي إحيائي	
٢٤	٢٤	السادس العلمي تطبيقي	
٤٠٠	٥١٤	المجموع	

## ٧. حساب القوة التمييزية: (Discrimination power)

إن قوة تمييز الفقرة تعني مدى قدرتها على التمييز بين الحاصلين على درجات مرتفعة وبين الأفراد الحاصلين على درجات منخفضة في السمة المقاسة والاعتماد عليها في تقويم الفقرة من حيث كفاءتها في قياس السمة المراد قياسها في المقياس.

(Anastasi, 1982, p: 2)

يمكن للباحث التحقق من فقرات المقياس بالاعتماد على أسلوبين هما: أسلوب المجموعتين المتطرفتين (طريقة المقارنة الطرفية)، وأسلوب علاقة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس للتعرف على مدى تجانس فقرات المقياس وكما يأتي:

## أ. أسلوب المجموعتين المتطرفتين: (Contrasted groups)

ولأجل تحقيق ذلك في البحث الحالي قام الباحث بما يأتي:

١. تصحيح الاستثمارات البالغ عددها (٤٠٠) استمارة.
٢. ترتيب الدرجات تنازلياً من أعلى درجة إلى أدنى درجة، وتراوحت بين (١٦٠-١١٢) درجة.

٣. اختيار نسبة (٢٧%) من الاستثمارات التي حصلت على أعلى الدرجات، وبلغ عددها (١٠٨) استمارة، تراوحت درجاتها بين (١٦٠-١٤٠) درجة، ومثلها من الاستثمارات التي حصلت على أوطأ الدرجات وتراوحت درجاتها بين (١٣٠-١١٢) درجة، أن نسبة (٢٧%) العليا والدنيا توفر مجموعتين بأكبر حجم وأقصى تمايز ممكن معاً. (Stanley & Hopins, 1972, p: 265)

وبعد أن تم استخراج الوسط الحسابي والانحراف المعياري للمجموعتين العليا والدنيا لكل فقرة من الفقرات، قام الباحث بتطبيق الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لاختبار دلالة الفروق بين درجات كل من المجموعتين، عدت القيمة التائية المحسوبة مؤشراً لتمييز كل فقرة من خلال مقارنتها بالقيمة الجدولية، وقد تبين أن جميع فقرات مقياس سلوك العزلة مميزة لأنها دالة إحصائياً عند مستوى دلالة

(٠،٠٥) ودرجة حرية (٢١٤)، الأمر الذي يتطلب الإبقاء على جميع الفقرات في المقياس، وجدول (١١) يوضح ذلك.

## جدول (١١)

معامل فقرات مقياس سلوك العزلة بأسلوب العينتين المتطرفتين

الرقم	المجموعة العليا (ن = ١٠٨)		المجموعة الدنيا (ن = ١٠٨)		القيمة التائية المحسوبة *
	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	
١	٣،٣٦١١	٠،٥٥٤٦٥	٣،٠٧٤١	٠،٤٨٧٢٩	٤،٠٤٠
٢	٣،٦٢٠٤	٠،٥٤٢٠٢	٣،٢١٣٠	٠،٥١٢٤٨	٥،٦٧٦
٣	٣،٦٢٩٦	٠،٥٠٤٠٥	٣،١٢٠٤	٠،٦٠٧٠٩	٦،٧٠٧
٤	٣،٦٨٥٢	٠،٥٠٥٠٨	٣،١٢٠٤	٠،٦٦٥٨٣	٧،٠٢٤
٥	٣،٦١١١	٠،٥٠٨٤٩	٣،٢١٣٠	٠،٥٩٦٧٣	٥،٢٧٨
٦	٣،٧٢٢٢	٠،٤٤٩٩٩	٣،٢٧٧٨	٠،٥٧٧٣٥	٦،٣١٠
٧	٣،٥٧٤١	٠،٥٦٧٠٧	٣،٢٥٠٠	٠،٥٦٥٧٧	٤،٢٠٤
٨	٣،٥٢٧٨	٠،٥٥٤٦٥	٣،١١١١	٠،٦١٦٤٩	٥،٢٢٢
٩	٣،٥٤٣٧	٠،٥٧٠٠٣	٣،١٥٧٤	٠،٥٩٨٤٧	٣،٧٢٦
١٠	٣،٤٣٥٢	٠،٦١٥٥٨	٣،١٧٥٩	٠،٥٧٧٢٨	٣،١٩٣
١١	٣،٥٢٧٨	٠،٥٥٤٦٥	٣،٠٢٧٨	٠،٦٤٧٩١	٦،٠٩٢
١٢	٣،٦٦٦٧	٠،٥٤٦٨٧	٣،١٦٦٧	٠،٦٣٣٩٣	٦،٢٠٦
١٣	٣،٦٠١٩	٠،٦٢٥٦٢	٣،١٢٩٦	٠،٦٧١٠٧	٥،٣٤٩
١٤	٣،٥٤٦٣	٠،٥٥٣٤٠	٣،٠٠٩٣	٠،٦١٨٩٤	٦،٧٢٢
١٥	٣،٧١٣٠	٠،٤٩٣٩١	٣،١١١١	٠،٥٥٢٥٤	٨،٤٤٠
١٦	٣،٧٤٠٧	٠،٤٦١٠١	٣،١٢٠٤	٠،٥٩١٤٩	٨،٥٩٧
١٧	٣،٦٧٥٩	٠،٥٢٦٤٧	٣،١٦٦٧	٠،٥٨٨٠٤	٦،٧٠٥
١٨	٣،٥٤٦٣	٠،٥٣٦٢٤	٣،٠٤٦٣	٠،٦٠١٩٣	٦،٤٤٦
١٩	٣،٥٨٣٣	٠،٥٤٩٠٠	٣،٠٩٢٦	٠،٥٣٨٩٠	٦،٦٢٩
٢٠	٣،٦٥٧٤	٠،٤٧٦٧٩	٣،٢٨٧٠	٠،٥١٢٤٨	٥،٤٩٩
٢١	٣،٧٨٧٠	٠،٤١١٣١	٣،٢٤٠٧	٠،٥٠٩١٨	٨،٦٧٤
٢٢	٣،٦٥٧٤	٠،٥٣٢٣٦	٣،٢٠٣٧	٠،٥٠٧١٣	٦،٤١٣
٢٣	٣،٧٥٩٣	٠،٤٢٩٥٣	٣،٣٩٨١	٠،٥١٠٤٥	٥،٦٢٥
٢٤	٣،٧١٣٠	٠،٤٥٤٤٩	٣،٤٠٧٤	٠،٥٣٠١٦	٤،٥٤٧
٢٥	٣،٨٢٤١	٠،٣٨٢٥٣	٣،٤٧٢٢	٠،٥٣٧٥٣	٥،٥٤٢

الرقم	المجموعة العليا (ن = ١٠٨)		المجموعة الدنيا (ن = ١٠٨)		القيمة الثانية المحسوبة *
	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	
٢٦	٣،٤٣٥٢	٠،٥٣٤٣٠	٢،٩٤٤٤	٠،٥٢٦٥٥	٦،٧٩٨
٢٧	٣،٥٧٤١	٠،٥٣٣٠٩	٣،٠٠٠٠	٠،٥٢٩٥٠	٧،٩٤٠
٢٨	٣،٥٥٥٦	٠،٥١٧٦٠	٢،٩٨١٥	٠،٦٩٦٨٨	٦،٨٧٣
٢٩	٣،٧٤٠٧	٠،٤٩٩٩١	٣،١٠١٩	٠،٥٢٨٤٤	٩،١٢٧
٣٠	٣،٦٦٦٧	٠،٥٢٩٥٠	٣،٠٣٧٠	٠،٦٤٠١٨	٧،٨٧٦
٣١	٣،٧٠٣٧	٠،٤٩٧٨٣	٢،٩٣٥٢	٠،٦٠٠٢٠	١٠،٢٤٢
٣٢	٣،٨٠٥٦	٠،٣٩٧٦٢	٣،٠٦٤٨	٠،٦١٥٥٨	١٠،٥٠٥
٣٣	٣،٧١٣٠	٠،٥٣٠٤٠	٣،٠٤٦٣	٠،٦٦١١٣	٨،١٧٤
٣٤	٣،٦٩٤٤	٠،٤٦٢٧٩	٣،٠٢٧٨	٠،٦٨٩٨٢	٨،٣٤٠
٣٥	٣،٧٥٩٣	٠،٤٧١٠٤	٣،٢٠٣٧	٠،٦٠٧٧٣	٧،٥٠٩
٣٦	٣،٤٦٣٠	٠،٥٣٦٩٧	٣،٠٠٩٣	٠،٦٣٣٨٦	٥،٦٧٦
٣٧	٣،٦٢٠٤	٠،٥٤٢٠٢	٢،٨٧٩٦	٠،٦٢٢٢٩	٩،٣٢٨
٣٨	٣،٠٢٧٨	٠،٧٤٢٠٤	٢،٥٢٧٨	٠،٩٠١٢٨	٤،٤٥١
٣٩	٣،٨١٤٨	٠،٤١٣٥١	٣،٣٠٥٦	٠،٥٨٧٣٨	٧،٣٦٨
٤٠	٣،٧٦٨٥	٠،٤٤٥٢٥	٣،٢٨٧٠	٠،٥٣٠٤٠	٧،٢٢٥

\* من الجدولية تبين أن جميع فقرات مقياس سلوك العزلة مميزة لأنها دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (٠،٠٥) القيمة الثانية الجدولية (١،٩٦) عند مستوى دلالة (٠،٠٥) وبدرجة حرية (٢١٤).

ب. علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس (الاتساق الداخلي)

### (Internal consistency methods)

يعد حساب ارتباط درجة كل فقرة بالدرجة الكلية للمقياس مؤشراً لصدق الفقرة ومؤشراً لاتساق الفقرات في قياس الظاهرة السلوكية، ويمكن التحقق من صدق الفقرات من خلال ارتباط فقراته بمحك خارجي أو داخلي، وأفضل محك داخلي هو الدرجة الكلية للمقياس نفسه. (Oppenheim, 1987, P: 211)

وبينت نتائج معامل ارتباط بيرسون (person correlation) بأن جميع الفقرات كان معامل ارتباطها بالدرجة الكلية للمقياس دالة إحصائياً بمقارنتها بالقيمة الجدولية

(٠,٠٩٨) عند مستوى دلالة (٠,٠٠٥) وبدرجة حرية (٣٩٨)، جدول (١٢) يوضح ذلك.

### جدول (١٢)

معاملات ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية لمقياس سلوك العزلة لدى طلاب الدراسة الإعدادية

معامل ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية	رقم الفقرة						
٠,٤٤٤	٣١	٠,٣٨٣	٢١	٠,٣١٢	١١	٠,٢١٦	١
٠,٤٠٤	٣٢	٠,٣٠٧	٢٢	٠,٣٤٥	١٢		٢
٠,٤٣٨	٣٣	٠,٢٧٧	٢٣	٠,٣٠٨	١٣	٠,٣٣٧	٣
٠,٤٤٣	٣٤	٠,٢٤١	٢٤	٠,٣١٨	١٤	٠,٣٤١	٤
٠,٣٤٢	٣٥	٠,٢٨٢	٢٥	٠,٣٧٩	١٥	٠,٢٨٨	٥
٠,٣٤٨	٣٦	٠,٣٨٠	٢٦	٠,٤٣٥	١٦	٠,٣٤٦	٦
٠,٣٤٦	٣٧	٠,٤٠٠	٢٧	٠,٣٨٤	١٧	٠,٢٣٨	٧
٠,٣٤٣	٣٨	٠,٣٩٥	٢٨	٠,٣٦١	١٨	٠,٢٨٣	٨
٠,٣٣٣	٣٩	٠,٤١٩	٢٩	٠,٣٦٢	١٩	٠,٢٢٩	٩
٠,٣٦٣	٤٠	٠,٤٤٥	٣٠	٠,٢٩٨	٢٠	٠,٢١٨	١٠

### ج. علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمجال

#### (Relation of the degree of the paragraph to the degree of the field)

ويقصد بذلك التحقق من طبيعة العلاقة الارتباطية بين درجة الفقرة والدرجة الكلية للمجال الذي تنتمي إليه، وقد استخدم الباحث هذا الأسلوب للتأكد من أن فقرات كل مجال تعبر عنه ولتحقيق ذلك، أعتمد الباحث (٤٠٠) استمارة وهي نفسها التي خضعت لتحليل الفقرات، إذ تم حساب الدرجة الكلية لدرجة الأفراد على وفق مجالات المقياس الثلاث، تم استخدام درجات هؤلاء الأفراد على كل فقرة والدرجة الكلية للمجال وباستخدام معامل ارتباط (بيرسون)، ظهر أن معاملات الارتباط أعلى

من القيمة الجدولية (٠,٠٩٨) عند مستوى دلالة (٠,٠٠٥) وبدرجة حرية (٣٩٨) لذا عدت جميعها دالة وصادقة، جدول (١٣) يوضح ذلك.

جدول (١٣)

معاملات ارتباط درجة الفقرة بدرجة المجال لمقياس سلوك العزلة لدى طلاب الدراسة الإعدادية

رقم المجال	مجال	عدد الفقرات	أرقام الفقرات	قيمة معامل ارتباط الفقرات بالدرجة الكلية للمجال
	غياب الصداقة	١٣	١	٠,٤٤٣
			٢	٠,٤٥٨
			٣	٠,٤٧٩
			٤	٠,٤٤٨
			٥	٠,٤٣١
			٦	٠,٤٦١
			٧	٠,٤٨٣
			٨	٠,٤٥٠
			٩	٠,٤٠٥
			١٠	٠,٤٦٢
			١١	٠,٤١٧
			١٢	٠,٤٥٨
			١٣	٠,٤٧٥
	الاختلاط بالآخرين	١٢	١٤	٠,٤١٧
			١٥	٠,٤٤٧
			١٦	٠,٤٤٥
			١٧	٠,٤٧٣
			١٨	٠,٤٧٢
			١٩	٠,٤٩٢
			٢٠	٠,٤١١
			٢١	٠,٤٩٥
			٢٢	٠,٤٢٦
			٢٣	٠,٤١٤

رقم المجال	مجال	عدد الفقرات	أرقام الفقرات	قيمة معامل ارتباط الفقرات بالدرجة الكلية للمجال
			٢٤	٠،٤٠١
			٢٥	٠،٤٤١
			٢٦	٠،٤٥٥
			٢٧	٠،٤٩٤
			٢٨	٠،٤٩٨
			٢٩	٠،٤٧٩
			٣٠	٠،٥٣٣
			٣١	٠،٤٩٧
			٣٢	٠،٥٢٥
		١٥	٣٣	٠،٤٩٩
			٣٤	٠،٥٠٦
			٣٥	٠،٤٥٤
			٣٦	٠،٤٩٩
			٣٧	٠،٥٠٠
			٣٨	٠،٤٨٧
			٣٩	٠،٤٨٨
			٤٠	٠،٤٥٧

د. مصفوفة الارتباط الداخلية. (مجالات سلوك العزلة)

### Internal link Matrix (Areas of isolation behavior)

ولأجل تحقيق الاتساق الداخلي لمجالات مقياس سلوك العزلة، وذلك من خلال قياس العلاقة الارتباطية بين مجال وآخر، وعدهما محكات داخلية للمقياس، وتم حساب معاملات الارتباط بين درجة كل مجال من المجالات الثلاث مع المجالات الأخرى للمقياس باستخدام معامل ارتباط بيرسون، وقد تبين أن معاملات الارتباط بين المجالات هي الأخرى مقبولة ومتسقة وموجبة ودالة إحصائياً بمقارنتها مع القيمة الجدولية لمعاملات الارتباط (٠،٠٩٨) عند مستوى دلالة (٠،٠٥) وبدرجة حرية (٣٩٨) وجدول (١٤) يوضح ذلك.

## جدول (١٤)

مصفوفة معاملات ارتباط المجال بالمجالات الأخرى لمقياس سلوك العزلة

المجالات	العزلة	غياب الصداقة	الاختلاط بالآخرين	الشعور بالوحدة
العزلة	١			
غياب الصداقة	١،٧١٢	١		
الاختلاط بالآخرين	٠،٧٧٢	٨١٠،٣	١	
الشعور بالوحدة	٠،٨٥٠	٠،٣٦٥	٠،٥٠٥	١

تبين من الجدول أعلاه أن جميع الارتباطات سواء المجالات بعضها مع البعض الآخر أو ارتباط المجالات بالدرجة الكلية للمقياس (سلوك العزلة) باستعمال معامل ارتباط بيرسون كانت جميع الفقرات (٤٠) دالة موجبة وهذا يشير إلى صدق البناء.

## ٨. مؤشرات صدق وثبات المقياس.

## (Indicators of honesty and stability of the scale)

## ١. الصدق الظاهري (Face Validity)

يعد الصدق الظاهري معلما من معالم الصدق المطلوبة في بناء المقاييس النفسية (Graham, 1984, P: 253)، إذ لا بد له أن يتوافر في وسيلة القياس حتى تكون أكثر فاعلية في مواقف القياس العلمية (أبو حطب، ١٩٧٣: ٩٠)، ويتحقق هذا النوع من الصدق بعرض فقرات المقياس قبل تطبيقه على مجموعة من الخبراء المتخصصين للحكم على مدى صلاحية هذه الفقرات في قياس الخاصية المراد قياسها بحيث يكون مصمم المقياس مطمئنا إلى آرائهم ويأخذ بالأحكام التي يتفق عليها معظمهم (Eble, 1972, P: 555)، والصدق الظاهري يعبر عن دقة تعليمات المقياس وموضوعيتها وملائمتها للغرض الذي وضعت من أجله.

(الإمام وآخرون، ١٩٩٠: ١٣٠)

وقد تحقق هذا النوع من الصدق في قياس سلوك العزلة عندما عرض الباحث فقرات المقياس على مجموعة من الخبراء المتخصصين في الإرشاد النفسي والعلوم النفسية والتربوية والقياس والتقويم الذين وافقوا على صلاحية المجالات الثلاث وفقرات المقياس ما وضعت لأجله وكما مر ذكره في صلاحية الفقرات وبدائل الإجابة.

### ٢. صدق البناء (Construct Validity)

لقد أطلق عدة أسماء على صدق البناء أحيانا يسمى بصدق المفهوم (Construct Validity)، وأحيانا آخر بصدق التكوين الفرضي (Hypothetical Construct)، ويقصد به المدى الذي يمكن أن نقرر بموجبه أن المقياس أو الاختبار يقيس بناء نظريا محدد أو سمة معينة. (Anstasi, 1988, P: 153)

ويعد صدق البناء بأنه أكثر أنواع الصدق تمثيلا لمفهوم الصدق، ويقصد به تحليل درجات المقياس استنادا إلى البناء النفسي للظاهرة المراد قياسها أو في ضوء مفهوم نفسي معين، أي فحص الفقرات لتقدير مدى تمثيلها للسمة التي أعد الاختبار لقياس. (Stanley & Hopkins, 1972, p: 111)

### ٣. مؤشرات ثبات المقياس (Reliability)

يعد مفهوم الثبات من المفاهيم الجوهرية في مجال القياس النفسي ويعني الاتساق في أداء الفرد والاستقرار في النتائج، (Marant, 1984, P: 9)، على الرغم من أن علماء القياس يعدون الصدق أهم من الثبات، لأن المقياس الصادق هو بالضرورة مقياس ثابت إلا أن الثبات خاصية لا يمكن الاستغناء عنها في المقاييس النفسية. (القمش، ٢٠٠٠: ١١٤)

ويعرف الثبات بأنه اتساق في النتائج واستقرارها، فالمقياس الثابت هو المقياس الذي يمكن الاعتماد عليه، ويمكن التحقق من ذلك، إذا كانت فقرات المقياس تقيس المفهوم نفسه فضلا عن استمرار المفحوصين في الإجابة (Kerlinger, 1973, P:

(425)، فالاختبار الثابت هو اختبار يعطي الثقة فيه عن طريق إظهار النتائج نفسها بعد تطبيقه في زمنين مختلفين على الأفراد أنفسهم (Weten, et al, 1991, P: 5)، لذلك تأتي أهمية الثبات بعد أهمية الصدق لان المقياس الصادق يعد ثابتاً.

(الإمام وآخرون، ١٩٩٠: ١٤٣)

ومن اجل تحقيق مؤشرات الثبات قام الباحث باستخراج الثبات بطريقتين هما:

### ١. طريقة الاختبار - إعادة الاختبار (Test - Retest Method)

لحساب معامل الثبات بطريقة الاختبار - إعادة الاختبار، طبق الباحث مقياس سلوك العزلة على عينة مكونة من (١٠٠) طالباً من إعدادية الرسالة للبنين كما موضحة في جدول (١٥)، وبعد مرور مدة (١٤) يوماً طبق المقياس على العينة نفسها وأشار آدمز (Adams) إلى أن المدة الملائمة لتطبيق الاختبارين تكون بين (٢ - ٣) أسابيع. (الزوبعي وآخرون، ١٩٨١: ١٠٣)، وتم حساب معامل الارتباط باستخدام معامل ارتباط بيرسون لإيجاد الارتباط بين التطبيقين الأول والثاني فظهر معامل ارتباط (٠,٨٦) وهذا يعبر عن معامل مرتفع وعلامة قوية ومؤشر جيد. (العيسوي، ١٩٨٥: ٥٨) وبهذا تحقق الاستقرار عبر الزمن.

#### جدول (١٥)

توزيع أفراد عينة الثبات بطريقة الاختبار وإعادة الاختبار وألفا كرونباخ

المجموع	الخامس العلمي التطبيقي	الخامس العلمي الإحيائي	الخامس الأدبي	المدرسة
١٠٠	٢٥	٢٥	٥٠	إعدادية الرسالة للبنين

### ٢. الثبات بطريقة معامل الاتساق الداخلي (ألفا كرونباخ)

لغرض الوقوف على مدى ثبات المقياس فقد استخدم الباحث مؤشراً آخر، وهو معادلة (ألفا) للاتساق الداخلي إذ تعد هذه الطريقة من الطرائق الشائعة في حساب معاملات ثبات المقاييس، وتقوم فكرة هذه الطريقة التي تمتاز بتناسقها وإمكانية

الوثوق بنتائجها على حساب الارتباط بين درجات فقرات المقياس جميعها لان الفقرة عبارة عن مقياس قائم بذاته، ويؤشر معامل الثبات، أداء الفرد، أي التجانس بين فقرات المقياس (أحمد، ١٩٨١: ٢٤٢)، ويمثل معامل ألفا - كرونباخ متوسط المعاملات الناتجة عن تجربة الاختبار إلى أجزاء بطرق مختلفة، وتعتمد هذه الطريقة على الاتساق في أداء الفرد بين فقرة إلى أخرى، كما تعطي الحد الأعلى الذي يمكن أن يصل إليه الثبات. (عودة والخيلي، ٢٠٠٠: ٣٥٤)

ولحساب الثبات بهذه الطريقة تم تحليل درجات عينه يتراوح عدد أفرادها (١٠٠) طالباً، وهي نفس العينة التي تم استخدامها في طريقة إعادة الاختبار، فكانت نتيجة معامل الثبات ألفا كرونباخ (٠,٨٤) ومن خلال تطبيق طريقتي إعادة الاختبار وألفا كرونباخ تبين من جدول (١٦) أن المعاملين يشيران قيمة ثبات المقياس بالطريقتين عالية وهذا ما يؤكد عليه (Cronbach) من أن المقياس الذي له معامل ثبات عال هو مقياس دقيق (Cronbach, 1984, P: 63) وهو مؤشر ثبات جيد على اتساق الفقرات وتجانسها. (Anatasi, 1988, P: 126)

#### جدول (١٦)

معاملات الثبات لمقياس سلوك العزلة لدى طلاب الدراسة الإعدادية  
بطريقتي إعادة الاختبار وألفا كرونباخ

ت	الطريقة المستعملة	معامل الثبات
١	إعادة الاختبار	٠,٨٦
٢	ألفا كرونباخ	٠,٨٤

#### الصورة النهائية لمقياس سلوك العزلة

بعد الإجراءات التي تحققت في الخطوات السابقة أصبح مقياس سلوك العزلة بصورته النهائية مكون من (٤٠) فقرة موزعة على ثلاث مجالات هي (المجال الأول غياب الصداقة: ١٣ فقرة) و(المجال الثاني الاختلاط بالآخرين: ١٢ فقرة)

و(المجال الثالث الشعور بالوحدة: ١٥ فقرة) وتم دمجها بالتسلسل المجال الأول والثاني فالثالث قبل تطبيقها على الطلاب، وقد وضع ميزان رباعي متدرج أمام كل فقرة، وذلك بوضع أربعة بدائل (تتطبق علي دائما، تتطبق علي أحيانا، تتطبق علي نادرا، لا تتطبق علي أبدا)، ولكل بديل درجة معينة وكانت درجات البدائل (٤، ٣، ٢، ١) على التوالي، وبذلك أصبحت أعلى درجة للمقياس (١٦٠) درجة وأقل درجة (٤٠) درجة وبمتوسط نظري مقداره (١٠٠)، ملحق (١) يوضح صورة مقياس سلوك العزلة النهائي.

### عرض النتائج وتفسيرها

توصل البحث الحالي على وفق هدف البحث إلى:

إن سلوك العزلة لدى طلاب مرحلة الدراسة الإعدادية، على عينة البحث البالغة (٢٠٠) طالباً، حيث تم حساب المتوسط الحسابي للعينة البالغ (١٣٧،٥٠٥٠) وبانحراف معياري بلغ (٥،٦٢٩٢٥) وبموازنته مع المتوسط الفرضي للمقياس (سلوك العزلة) البالغ (١٠٠)، باستعمال الاختبار التائي لعينة واحدة، تبين إن القيمة التائية المحسوبة البالغة (٩٤،٢٢٢) أكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (١،٩٦) عند مستوى (٠،٠٥) وبدرجة حرية (١٩٩) أي أنها دالة إحصائياً وهذا يشير إلى إن العينة لديها سلوك العزلة والجدول (١٧) يوضح ذلك.

### جدول (١٧)

الاختبار التائي لعينة واحدة للتعرف على سلوك العزلة

الدالة	القيمة التائية		الوسط الفرضي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	العدد	المتغير
	الجدولية	المحسوبة					
٠،٠٥	١،٩٦	٩٤،٢٢٢	١٠٠	٥،٦٢٩٢٥	١٣٧،٥٠٥٠	٢٠٠	سلوك العزلة

**الاستنتاجات**

- بعد الانتهاء من بناء أداة لقياس سلوك العزلة توصل الباحث إلى:
١. إن طلاب المدارس الإعدادية يتصفون بسلوك انعزالي وإنهم بحاجة إلى برامج إرشادية لخفض سلوك العزلة لديهم.
  ٢. يجب تفعيل دور الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي في جميع المدارس الإعدادية ومتابعة الطلبة المنعزلين من خلال استخدام مقياس سلوك العزلة وبالتالي تقديم الخدمات الإرشادية لهم.

**التوصيات**

١. إمكانية الاستفادة من مقياس سلوك العزلة، لمعرفة ذوي السلوك الانعزالي في المؤسسات التربوية وبالتالي تقديم الخدمات اللازمة لخفض هذا السلوك.
٢. عقد لقاءات مع أولياء الأمور والمدرسين لتفعيل الإرشاد الأسري وتعريفهم بسلوك العزلة الذي يواجهه بعض الطلاب، وتنمية الأساليب والفتيات الأنشطة والفعاليات المستخدمة في خفض ذلك السلوك، المتواجد في أفكارهم نتيجة الأفكار والمعتقدات الخاطئة والسلبية، والعمل عن طريق الإرشاد لوقايتهم من مخاطر الانزلاق في السلوكيات الخاطئة المسببة لسلوك العزلة.

**المقترحات**

١. إجراء دراسات تجريبية حول سلوك العزلة باستخدام فنيات أو أساليب إرشادية وفق نظريات أخرى.
٢. القيام بإجراء دراسات وصفية لعقد مقارنات وعلاقة ارتباطيه بين سلوك العزلة وعلاقته بمتغيرات أخرى كتقدير الذات والثقة بالنفس لدى طلبة مرحلة الدراسة الإعدادية.

## المصادر

١. أبو أسعد، أحمد عبد اللطيف وعريبات، أحمد عبد الحليم (٢٠١٢): نظريات الإرشاد النفسي والتربوي، ط٢، المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
٢. أبو حطب، فؤاد (١٩٧٣): القدرات العقلية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
٣. أبو علام، رجاء محمد وشريف، نادية محمد (١٩٩٠): الفروق الفردية وتطبيقاتها التربوية، دار العلم، الكويت.
٤. أحمد، محمد عبد السلام (١٩٨١): القياس النفسي والتربوي، مكتبة النهضة العربية، ط٤، القاهرة، مصر.
٥. الشمري، سلمان جوده مناع (٢٠١٠): أثر أسلوبيين إرشاديين (التقارب - التلامس) والتفاعل (التكاملي-التبادلي) في خفض العزلة الاجتماعية لدى طلاب الجامعة المستنصرية، أطروحة دكتوراه غير منشورة.
٦. الأمام، مصطفى محمود وآخرون (١٩٩٠): التقويم والقياس، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد.
٧. الجابري، كاظم كريم وصبري، داود عبد السلام (٢٠١٣): مناهج البحث العلمي، جامعة بغداد، كلية التربية بن الرشد.
٨. الجبوري، محمد محمود عبد الجبار (١٩٩٠): الشخصية في ضوء علم النفس، مطبعة دار الحكمة، بغداد، العراق.
٩. الزوبعي، عبد الجليل وآخرون (١٩٨١): الاختبارات والمقاييس النفسية، مطبعة جامعة الموصل، العراق.
١٠. سماره، عزيز (١٩٨٩): مبادئ القياس والتقويم في التربية، مطبعة دار الفكر، عمان، الأردن.
١١. السيد، فؤاد البهي (١٩٧٩): علم النفس الإحصائي ومقياس العقل البشري، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٢. عبد الهادي، جودة عزت (١٩٩٩): مبادئ التوجيه والإرشاد النفسي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
١٣. العزة، سعيد حسني وعبد الهادي، جودت عزت (١٩٩٩): نظريات الإرشاد والعلاج النفسي، ط١، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن.
١٤. عودة، أحمد سليمان و خليل، يوسف (٢٠٠٠): الإحصاء في التربية والعلوم الإنسانية، ط٢، دار الفك للنشر والتوزيع، عمان الأردن.
١٥. العيسوي، عبد الرحمن محمد (١٩٨٥): القياس والتجريب في علم النفس والتربية، دار المعرفة الجامعة الإسكندرية، مصر.
١٦. فرج، صفوت (١٩٨٠): علم النفس والقياس النفسي، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر.
١٧. القمش، مصطفى وآخرون (٢٠٠٠): القياس والتقويم في التربية الخاصة، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الأردن.
١٨. كوري، جيرالد (٢٠١١): النظرية والتطبيق في الإرشاد والعلاج النفسي، ترجمة سامح وديع الخفش، ط١، دار الفكر، عمان، الأردن.
١٩. مشاقبة، محمد أحمد (٢٠٠٨): مبادئ الإرشاد النفسي للمرشدين والإحصائيين الخفاجي، عبد المنعم جاسم محمد (٢٠٠٩): العزلة الاجتماعية لدى المكفوفين وعلاقتها بأساليب المعاملة أوالديه، رسالة ماجستير كلية التربية، الجامعة المستنصرية. النفسيين، ط١ دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

#### المصادر الأجنبية

1. Allen , M – J & yen, W, (1979): Introduction to Measurement theory , California book sicale , u . S . A , vol (45) , No ( 8 ) .
2. Anastasi , A & Urbana. s. (1997): psychological testing " 7ht ed, N.. J . prentice – Hill .
3. Anastasi, (1982): psychology testing 4th Ed New York, Macmillan pub. com.

4. \_\_\_\_\_, (1988): psychological (6thed), New York: Macmillan.
5. Annually, J. C. (1978): psychometric theory, New York, McGraw – Hill.
6. Cronbach, L. J. (1984): Essentials of psychological 2nd Lond, Harper & Row publisher, LTD.
7. Eble . R . L . ( 1972 ) : Essentials of education measurement, prinic Hall, New York.
8. Filipa, Landeior & Paige Barrows and Ellen, Nattall muss on, Alastair, MGray and José leae (2017): Reducing social isolation and loneliness in older people a systemic rivew .
9. Graham, L. W. & Lilly . K, (1984): Measurement and evaluation teaching . New York, Mc . Milan company . N . Y .
10. Kerlinger, F. (1973): foundation of behavioral research, holt, Rinehart & Winston , New York .
11. Marant, G. (1984): Hand book of psychological assessment : van Nasty and company.
12. Oppenheim, A, N. (1987): ovation aired design & active measure ment Heinemann press , London .
13. Stanly & Hopkins (1872): Educational psychological, me Grow – Hill, New York .

## ملحق (١)

## مقياس سلوك العزلة بصورته النهائية

جامعة البصرة

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي

الدراسات العليا / الدكتوراه

عزيزي الطالب.....

تحية طيبة

يضع الباحث بين يديك مجموعة من الفقرات التي تعبر عن ردود فعلك تجاه عدد من المواقف المختلفة، راجياً منك قراءة كل عبارة بدقة والإجابة عنها بوضع علامة (✓) تحت أحد البدائل الأربعة الموجودة أمام كل فقرة والذي ترى أنها تنطبق عليك، لاسيما أن الإجابة ستكون سرية ولن يطلع عليها أحد، ولن تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي.. ولا حاجة لذكر الاسم، وتقبلوا مني فائق التقدير والشكر .....

ت	الفقرات	تنطبق علي	تنطبق علي	تنطبق علي	لا تنطبق
١-	لا تدوم صداقتي بأحد فترة طويلة	تماما	أحيانا	نادرا	لا تنطبق علي أبدا

الباحث

طالب الدكتوراه

وحيد عقال ضمّد الصبيحاوي

٢٠١٨ - ٢٠١٩

ت	الفقرات	تنطبق علي تماما	تنطبق علي أحيانا	تنطبق علي نادرا	لا تنطبق علي أبدا
١	أشعر أن أصدقائي سيئون فهمي				
٢	أجد صعوبة في بناء علاقة صداقة مع الآخرين				
٣	ليس لي صديق محدد أتحدث معه				
٤	عدم وجود أصدقاء حقيقيين يفتقدوني				
٥	لا أرغب في إقامة علاقة صداقة مع الآخرين				
٦	كلما أنعدم التوافق والانسجام زادت عزلي				
٧	تلبتي لدعوة الأصدقاء ضعيفة لكثرة التفكير				
٨	آرائي في كثير من الأحيان تختلف عن آراء الطلاب الآخرين				
٩	التفاعل بيني وبين زملائي معدوم لغياب الألفة بيننا				
١٠	تخرجني الأفكار الجديدة الذي يطرحها الطلاب التي لا توافقني				
١١	يجد الآخرون غرابية عندما أعبر عن مشاعري وانفعالاتي				
١٢	علاقتي مع الأصدقاء لا تدوم فترة طويلة				
١٣	التفكير الدائم بمشاعر الخطر من إقامة صداقة يجعلني منعزل عن الآخرين				
١٤	أشعر بأن الآخرين لا يثقون بي				
١٥	أفضل البقاء وحيدا أثناء الفرض في المدرسة				
١٦	تسيطر علي رغبة الابتعاد عن الآخرين				
١٧	أجد صعوبة في التحدث مع زملائي في موضوعات تشغل بالي كثيرا				
١٨	أحاديث زملائي تافهة لا معنى لها				
١٩	يبدو لي أن الآخرين يتجنبون الاقتراب مني				
٢٠	لا أقتنع بكل ما يقوله ويفعله الآخرون ولكني أفضل السكوت				

ت	الفقرات	تنطبق علي تماما	تنطبق علي أحيانا	تنطبق علي نادرا	لا تنطبق علي أبدا
٢١	ثقتي بالآخرين ضعيفة				
٢٢	أشعر بأن الآخرين من حولي يتجاهلونني				
٢٣	أتحب الاختلاط بالطلاب الذي لا أعرفهم				
٢٤	يؤلني عدم اهتمام الآخرين بي				
٢٥	أفتقد نخبة الآخرين لي				
٢٦	ثقتي بنفسي ضعيفة				
٢٧	أشعر أنني مرفوض من قبل الآخرين				
٢٨	يراودني الإحساس بالفشل دائما				
٢٩	أجلس مع نفسي وأتضيق من الشعور بالوحدة				
٣٠	أشعر بالوحدة حتى لو كنت مع الآخرين				
٣١	إنني غير سعيد في حياتي				
٣٢	أميل إلى الانعزال في أغلب الأوقات				
٣٣	رغبتني في إلقاء التحية على الآخرين ضعيفة				
٣٤	أجد نفسي حزين وغريب في الصف الذي أتعلم فيه				
٣٥	أحب أن اقضي وقتي في الألعاب الالكترونية				
٣٦	ليس في حياتي شيء جدير بالاهتمام				
٣٧	أتوقع الفشل لجميع العلاقات التي أسعى لأقامتها				
٣٨	لم أشعر بالحب من والدي أو أنني واحد من العائلة				
٣٩	أفضل الابتعاد عن الأماكن المزدحمة بالآخرين				
٤٠	أرغب الانعزال عن الضيوف عند زيارتهم لنا في المنزل				

## فنية التشبيه والتشخيص الحركي في تعبير نهج البلاغة

للإمام علي (عليه السلام)

أ. د. فاخر الياسري

م. د. فاطمة عبد الزهرة

## المقدمة :

إنّ تعبير نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) زاخرٌ بالأساليب البلاغية، والجوانب الفنية حتى لا يكاد يخلو أي سطرٍ منها، فقائله إمام البلاغة وأبو عذرتها. ومن الملاحظ أنّ أساليبه لا تخلو من أفعال الحركة التي لها من المقومات الجماليّة والفنيّة ما جعلها تسمو بالنصوص لتُكون معها صوراً فنيّةً متحركة زاخرة بأصواتها حتى تحسّ وقع الحركات في أذنك، فهي أدواته المميزة في بلوغ غاياته، وإصابة هدفه التائييري، مما جعل نصوصه تخاطب العواطف البشريّة والوجدان الإنسانيّ، فكانت مشاعر المتلقين تتحرك معها؛ لأنّ الإنسان يستطيع أن يدرك عن طريق الكلام أفكاراً أرقى وأسمى مما يدركه بال نظر<sup>(١)</sup>، وإذا كانت العين ترى الجمال فتتأثر به، فلأذن أن تراه أيضاً وتتأثر به، فأوتار السّمع مزدوجة الوظيفة، فكما تنقل المسموع تفرز ما بين المسموعات من الفروقات الجمالية الدقيقة<sup>(٢)</sup>. وقد استطاع الإمام عن طريق أفعال الحركة المصحوبة بأصواتها أن يبرز المعنى ويؤكدّه متجاوزاً الإطار الصوتيّ بجرسه وإيحائه وإيقاعه؛ ليحقق عن طريقه مطابقة الحركة لمقتضى الحال، فاللفظ كلما كان أشبه بالمعنى وأكثر محاكاة له كان أدلّ عليه وإلى ذلك ذهب ابن جني<sup>(٣)</sup>.

وهذه المقومات الفنيّة التي انمازت بها الأفعال الحركيّة هي التي جعلتها قادرة على رسم الصور التشبيهية والمشخّصة المليئة بألوان الحركة؛ ليحقق الإمام (عليه السلام) عن طريقها المراد في توجيه المتلقين نحو المقاصد التي رسمها سواء أكان دينية أم سياسية أم دنيويّة فجاءت زاخرة بملامحها الحركيّة ودلالاتها الإيحائية والنفسيّة، والتي جاءت مجازيّة تارة وحقيقة أخرى، فجعلت من تعبيره نصاً مفتوحاً أمام

المتلقين ليتحرك مع حركات أفعاله ليصل إلى غرضه وهدفه التأثيري. وعليه جاءت مادة البحث مقسمة على مبحثين، تضمن المبحث الأول: الأداء التعبيري لأفعال الحركة في سياق التشبيه، وتضمن المبحث الثاني: الأداء التعبيري لأفعال الحركة في سياق التشخيص.

### المبحث الأول: الأداء التعبيري لأفعال الحركة في سياق التشبيه توطئة:

التشبيه: هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى<sup>(٤)</sup>، أو هو الجمع بين الشيئين أو الأشياء قد شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة التشبيه<sup>(٥)</sup>، فالأشياء تتشابه من وجوه وتتباين في وجوه، وإنما ينظر إلى التشبيه من حيث يقع<sup>(٦)</sup>، بحيث يمكن لأحد الموصوفين أن ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه<sup>(٧)</sup>.

وللتشبيه قيمة فنيّة كبرى بين أساليب البيان؛ لكونه يمثل أداة مهمة في تصوير الأفكار والخلجات التي تعتمل في نفس الإنسان، ويعمل على إخراجها من التجريد إلى الحسي<sup>(٨)</sup>، وهو أكثر الأساليب البيانية التصاقاً بالإنسان، ولا شك في أنّ التشبيه بكل آلياته وأشكاله، لا يدرك طبائع الأشياء في ذاتها، وإنما يستند في تفسيره إلى منطق الحس والتخيل معاً، لذا فهو ذو وظيفة نفسيّة وشعوريّة ووجدانية أوقع في النفس من مقصد التوضيح أو التفسير<sup>(٩)</sup>؛ لأنه يزيد المعاني رفعةً ووضوحاً، ويكسبها جمالاً وفضلاً بإخراجه الخفي إلى الجلي<sup>(١٠)</sup> لتمثيله المعاني وتعبيره عنها بصور رائعة<sup>(١١)</sup>.

وما يزيد التشبيه دقة وسحراً، مجيئوه في الهيئات التي تقع فيها الحركات<sup>(١٢)</sup>، وهنا تبرز فاعلية أفعال الحركة وفنيّتها في سياق التشبيه، لقد جاءت أغلب تشبيهات الإمام (عليه السلام) حركيّة، إذ أخذت أفعال الحركة الحيّز الأوسع فيها، ولما كان الإنسان العربيّ آنذاك مرتبطاً بالطبيعة الحيّة المتمثلة بالحيوان ارتباطاً واسعاً، اتخذ منها

الإمام مثلاً لتشبيهاته فجاءت مليئة بالحركة فساعدت على تقريب صورته من الأذهان، وحركت النفوس معها واستمالتها إلى المقصود بصورة مدهشة لما اشتملت عليه من المفاجأة والإدهاش التي تتم عن سعة عقل المنشئ، وقدرته على الخلق والابتكار.

ومن الأفعال الحركية التي وردت في سياق التشبيه الفعل (خَضِمَ) الذي وردَ في قوله (ﷺ)، وهو يصف القوم الذين يأكلون أموال المسلمين من غير وجه حق: ((وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضِمُونَ مَالَ اللَّهِ خَضْمَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ))<sup>(١٣)</sup>.

التشبيه وقع في فعل الحركة (خَضِمَ) الذي يدلُّ على أكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما<sup>(١٤)</sup>. حركة الفعل عند خضم الرطب تبدو شاملة للفم، فالفم يتحرك عند خضم الرطب بكامله لتلائم بذلك حركة الذين يأكلون أموال المسلمين لشمولها وامتدادها لتأكل جميع ما يقع عليه بصرهم، فهي حركة مصحوبة بصوتها الذي يتعالى مع صوت الخاء المفخم المنفشي<sup>(١٥)</sup>، وليتساق مع عظم فعلهم وتفشيته زيادة على الإيحاء بدناءة من يأكل لتقلده المناصب الرفيعة تسلطاً وظلماً فناسبت حركتهم وهم يخضمون، حركة الإبل وهي تخضم نبتة الربيع بشهوة صادقة وتملاً فيها أحناكها؛ لمجيئها عقيب يبس الأرض وطول مدة الشتاء<sup>(١٦)</sup>.

فحركة (الخضم) تبدو أكثر دلالة وإيحاء من حركة (القضم) لتدلّ على استهلاك أكبر قدر من الطعام؛ لتبدو حركة الفعل ذات ملامح دلالية برغبة أولئك الذين تقلدوا الأمر من بني أمية في الوصول والاستيلاء على أكبر قدر ممكن من الأموال، وتبدو ملامح السرعة في حركة الفعل واضحة وكأنهم يأكلون ما في أفواههم ويمضغونه بكامل الفم حتى يلتهموا غيره.

فالإنسان المتسلط يستولي على كل ما تقع عليه عينه حتى تبدو الشراهة واضحة من حركة أكلهم، فقد ذكر أبو عبيد بن سلام (ت ٢٢٤هـ): أن الخضمَّ أشد من المضغ، وأبلغ من القضم، فالقضم يكون بأدنى الأضراس، والخضم بأقصاها<sup>(١٧)</sup>.

وجاء التشبيه بالمصدر بعد الفعل الحركي ليُلْمَح في سياق هذا التشبيه البليغ<sup>(١٨)</sup> إلى المطابقة التامة بين أكل بني أمية لأموال المسلمين، وأكل الإبل نبتة الربيع، فكلتا الحركتين وقعت بعد طوال جذب وحاجة، وفي ذلك إشارة وملح إلى نزعاتهم الحيوانية المجردة من التفكير بعاقبة فعالهم. فجاء الأكل والخضم (لأموال المسلمين) وهي (مال الله) تفخيماً وتهويلاً لأفعالهم وجُرأتهم على حق الضعفاء، ولاسيما أنّ الشره قبيح ومذموم في الطعام الحلال فما بالك بمن يكون شره قد امتد إلى مال الله سبحانه.

وتبدو فنية التشبيه في حركة خضم بني أمية لأموال المسلمين مع حركة خضم الإبل في حين أنّ اللغويين يذكرون أن الخضم للإنسان، والقضم للداية<sup>(١٩)</sup>، وفي ذلك تنزيل للإبل للإبل بمنزلتهم في الشره والأكل؛ ليبدو ملح التقرير والتوبيخ لهم أشد وقعاً وإيلاً إذ جعلوا مال الله خزيمة<sup>(٢٠)</sup> مستطابة لهم يتناولونها متى شاؤوا<sup>(٢١)</sup>، فهو لقمة مستساعة لهم رطبة لينة كنبته الربيع الطيبة النضرة عقيب ضرهم وفقرهم<sup>(٢٢)</sup>.

فحركة الفعل (خضم) جعلت من السياق التشبيهي صورة حركية مشاهدة ألمحت إلى كل معاني الدناءة والخسة لهؤلاء الذين لا يراعون حقوق الناس، والسعي إلى ملّ أفواههم من الطعام بشدة لا تختلف عن رغبتهم في الأكل وعدم الشبع<sup>(٢٣)</sup>. فهي حركة فنية ألمحت إلى المراد بشكل أبلغ من الفعل التجريدي الخالي من الحركة، مما لو قال (يبيد) يسرقون أموال الناس، فركز الفعل بحركته على الدلالة والملح من خلالها إلى تلك المشاعر النفسية لهم، التي بدورها حركت مشاعر المتلقين ودللت على دناءة الموصوف، فالحركة المدركة بالبصر والمتصورة في الذهن أكثر وقعاً في النفوس مما جعل السياق أكثر فاعلية فعبر عن المعنى بأبلغ صورة بيانية.

ونجد الفعل (نتاقل) ذا بُعد حركي قد تعدى معناه المعجمي ليولد معاني جديدة في سياق النهج، فجعل النص ينبض بالحركة الموحية بنتاقل أصحاب الإمام لما دعاهم إلى قتال أهل الشام بقوله: ((... دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرَجَرْتُمْ جَرَجْرَةَ

الْجَمَلِ الْأَسْرَى، وَتَنَاقَلْتُمْ تَنَاقُلَ النَّضْوِ الْأَذْبَرِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ))<sup>(٢٤)</sup>.

دلالة الفعل (تنأقل) تكمن في حركته المتناقلة التي تدلّ على التباطؤ والتحامل في الوطء<sup>(٢٥)</sup>، فقد ألمح إلى ذلك التناقل المصحوب بالتردد وكراهيتهم للخروج ورسم الفعل بحركته وما يشتمل عليه من أصوات ثقيلة من (التاء والتاء، والقاف) حركة أولئك المتناقلين عن الجهاد وكأنهم يجرون بأقدامهم الأرض في سيرٍ ثقيل وطويل، شابه في ثقله وصعوبة حركتهم حركة البعير المنهك الذي أهزلته الأسفار<sup>(٢٦)</sup> وأدبرته فيكون ضعيفاً عن القيام والعودة مما في ظهره من القروح والجروح، فالبعير الأدبر: هو المصاب بالدبيرة وهي الجرح والعقر من عضّ القتب لغاربه<sup>(٢٧)</sup>، فهي حركة متناقلة مصحوبة بصوت يشبه صوت الجرجرة وهو صوت الجمل الذي في حنجرته قرحة، فهم متناقلون يتهايمسون بالخفاء فيما بينهم، فلا يُعلم ما يقولون فنتبى أصواتهم مختنقة؛ لعدم قدرتهم على البوح بما يجول في صدورهم، لتؤكد فكرة واحدة هي عدم النصر والجبين في مشهدٍ حركي مصحوب بالصوت ليحقق موازنة موسيقية ونفسية عند المتلقي في آن واحد<sup>(٢٨)</sup>.

فأصوات الفعل (جرجر) وتكرارها (الجيم، والراء) قد حاكت كثرة تملّهم، وقوة تضجّرهم من ثقل ما يدعوهم إليه وهو الجهاد في سبيل الله، وهذا ما ألمح إليه الفعل (يساقون) في الآية التي تمثل بها الإمام، فهذا الحشد الصوتي الثقيل للأصوات المصاحبة لحركة المتقاعسين جعلت المتلقي أمام صورة حركية سمعية مشاهدة، حتى يكاد المتلقي عبر هذا التوظيف الصوتي يسمع احتكاك هؤلاء بالأرض وهم يساقون كرهاً إلى ما لا يحبون<sup>(٢٩)</sup> فـ((لكل صوتٍ دلالة خاصة تحمل بين طياتها شيئاً من المعنى العام للفظ))<sup>(٣٠)</sup>. فقد ألمحت الراء المتكررة إلى تكرار فعلهم؛ لأنه يدلّ على التكرار وشيوع الوصف وديمومة الحدث<sup>(٣١)</sup>.

وتبدو حركة (تثاقلهم) حركة متصنعة، فهم يتظاهرون بالتثاقل وشدة التعب والإعياء حتى بدت أفعالهم مشابهة تماماً للتثقل والتضجر الذي يظهره البعير المهزول المريض، وجاء التمثيل بالآية المبتدئة بـ(حرف التشبيه كأنّ) الذي يستعمل إذا قوي الشبه بين المشبه والمشبه به حتى يبدو وكأنه هو؛ ليختصر ما يفعله أولئك من حركات بحركة المسوق كرهاً إلى الموت فهو يتمل ويتضجر ويتثاقل، فدلالة فعل الحركة (تثاقل) أدت دوراً هاماً في تسليط الضوء على حركة المتقاعسين وحملت في أثنائها دلالات نفسية وملاحح إيحائية شابته حركات البعير في أدق تفصيلاتها. فصوره (يبيح) تنماز بالدقة والواقعية، فأحياناً تظن أنّ الصورة الفنية سهلة قريبة المأخذ وعندما تطلها تجدها متمنعة عميقة<sup>(٣٢)</sup> ذات إحياءات واسعة؛ ((لأنّ ميزة الصورة الخصبه إنّها تستطيع أنّ تشع في كلّ اتجاه، وأن تسمح لك باستكناه المزيد من المعاني كلّما أوغلت معها بحسّك))<sup>(٣٣)</sup>.

فالحركة الجماعية للفعل شكلت بؤرة دلالية للنص والمحت إلى تضجر الإمام منهم وغضبه عليهم؛ لتقاعسهم عن نصرته، فالتشبيه الحركي كشف عن وجهين أحدهما حقيقي والآخر مجازي، فالأول يتعلق بالراعي وحيواناته المريضة عن أداء الفعل والقيام به، فلا يرى منها نفعاً فتترك أو تُقتل، والآخر هو طرفا الصورة وهما الإمام راعياً والمسلمون رعيّة، وان علاقة التشابه بين الإمام والراعي الحقيقي وبين المسلمين والحيوانات الحقيقية تستوجب الطاعة والامتثال لأوامره، وفي حالتهم يستوجب الترك والتخلي عنهم<sup>(٣٤)</sup>؛ لأنّ التشبيه ما هو إلا دعوة دخول المتلقي إلى ما ورائيات الأشياء ليحتضن في تعاطف مختلف الإحياءات التي تحوم على آفاق الصورة التشبيهية، ويحاول بعد ذلك أن يقتنص ما أمكنه منها<sup>(٣٥)</sup>.

وتبدو للحركة ملاحح واضحة في الفعل (ينثالون) الذي وصف به الإمام حركة ازدحام الناس وهم مقبلون على مبايعته بقوله: ((فَمَا رَاعِي إِلَّا وَالنَّاسُ إِلَيَّ كَعَرَفِ

الضَّبْعُ، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وُطِيَءَ الْحَسَنَانَ، وَشُقَّ عِطْفَائِي، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ))<sup>(٣٦)</sup>.

ألمح الفعل بحركته إلى حركة متابعة للناس، فهم ينصبون على مبايعته انصباناً متتابعاً، لأن معنى (انثال الناس من كلِّ وجهٍ): انصبوا<sup>(٣٧)</sup> وهذا ما أعطى الحركة ملمحاً يبدو عليه الاندفاع والسقوط لتكون الحركة شاملة لجميع الجوانب والجهات، فهي حركة متسعة، إذ لم يقتصر الإقبال إلى بيعته على جهة واحدة بل شملت كلَّ الجهات، فشابهت بذلك تموج عُرف الضبع عند حركة شعره الكثيف إذ تبدأ الحركة بمساحة صغيرة ثم تتسع متدرجة لتشمل جميع الجهات، فهي متموجة تموج الناس عندبيعة الإمام.

وتبدو فنية الحركة في مماثلتها لحركة شعر الضبع، فالإمام (عليه السلام) لم يذكر الضبع في تعبيره إلا في سياق الذم والتوبيخ<sup>(٣٨)</sup>، وحين نفى عن نفسه أن يكون كالضبع لما يمتاز به الضبع من الجبن والغدر بقوله: ((وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبْعِ: تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّذْمِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا، وَيَخْتَلِهَا رَاصِدُهَا))<sup>(٣٩)</sup>. فلاعمت تلك الحركة سياق الخطبة وهو التذكير بأحقيته بالخلافة، وما يشعر به من ألم؛ لإيمانه بغدرهم وتخليهم عنه في الشدائد شأنهم في ذلك شأن الضبع بخيانتته وغدره<sup>(٤٠)</sup>. فقد منح ذلك الفعل بعداً حركياً ممتداً بامتداد الصوت عند النطق بالثاء وبقاء الفم مفتوحاً مع صوت الألف، فهي حركة مفزعة لقوتها وشمولها لحركات الدفع والوطء، وأكد ذلك قوله (فما راعني) التي تدلُّ على الفزع<sup>(٤١)</sup> وعلى الرغم من نفيه عنه.

فهذا التشبيه بين الحركتين إقبال الناس وحركة عرف الضبع يبدو عليها التباعد، وهذا ما جعل التشبيه أعجب في النفوس وأكثر تمكناً فيها<sup>(٤٢)</sup>، فكلما كان الانتقال في التشبيه بعيداً وقليل الخطور بالبال وممتزجاً بشيء من الخيال كان التشبيه أروع للنفس وأدعى إلى إعجابها واهتزازها<sup>(٤٣)</sup>، فأراد الإمام على ما يبدو من تقديم المشبه به وأداة التشبيه أن يؤكد مماثلة حركتهم في اندفاعها وقوتها بحركة عرف الضبع

ذي الشعر الكثيف المزدهم الذي من صفاته الغدر لتكون تلك سجيّة لهم، فهي متجددة بتجدد أفعالهم، وهذا ما ألمحت إليه صيغة الفعل المضارعة، بدليل حذف متعلق الجملة (مقبولون)<sup>(٤٤)</sup>، وفي ذلك إشارة إلى وصف حركتهم من دون التأكيد على إقبالهم؛ لأنّ: (الوظيفة التأثيرية تحصل في النص نتيجة قدرة المتكلم أو الكاتب على صياغة كلامه بطريقة تحدث خرقاً في الأطر اللغوية المتعارفة، من خلال الانحراف عن الاستعمال الاعتيادي إلى الاستعمالات التي تتميز بالجدة والطفرة، والتي تجعل المتلقي مشدوداً إليها بالحد الذي يتجاوز التأثير حدود الزمان والمكان، فتصبح هذه السمة قوة جاذبة تجعل المتلقي يعيش حالة من النشوة المعنوية، تستمد طاقتها من قدرة المتكلم على التصرف بصياغة التراكيب، وعرضها بصورة تضيء عليها قيمة جمالية في بيان المعنى)<sup>(٤٥)</sup>.

فاختيار حركة الانثيال حققت في سياق التشبيه أبعاداً نفسية ودلالية جمعت بين دالتين متناقضتين، الأولى حركية وهي حركة الناس وإقبالهم شابته حركة شعر الضبع في تموجها وكثرتها وسعتها، فهي صورة جمالية حملت في أثنائها دلالة نفسية مناقضة لها وهي الغدر والخيانة لينتهي وصفهم بريضة الغنم لقلة فهمهم وغباوتهم<sup>(٤٦)</sup>.

ومن فنيات التشبيه بحركة الفعل قوله (يبيح) وهو يشبه حركة انكفاء الإسلام بحركة انكفاء الإناء في الزمن المستقبل ((يا أيها الناس، سيأتي عليكم زمانٌ يكفأ فيه الإسلام، كما يكفأ الإناء بما فيه))<sup>(٤٧)</sup>، فقد شابه بين حركتين متماثلين لما هو معنوي ولما هو حسي، فمعنى الإكفاء هو الانقلاب، وكفأت الإناء إذا كئبته، وأكفأ الشيء: أماله بغيّة، وكلّ شيء أمْلَتُهُ فقد كَفَّأته<sup>(٤٨)</sup>، فدلالة الحركة تكمن في تلك الحركة المائلة إلى الشيء التي تنتهي بسقوط ما يشتمل عليه، والإناء لفظ يطلق على ما خصص للأكل والشرب بما فيه<sup>(٤٩)</sup>.

وفي ذلك ملمح إلى اشتغال الإسلام على مبادئ الدين وأحكامه ومفاهيمه، فهي مما يُنتفع به، ويجب أن تبقى نظيفة لا تشوبها شائبة كالطعام المُعد للأكل، وقد ألمحت حركة الفعل لتضمنها معنى الميل إلى ضياع مفاهيم الدين وتلوّثها بفعل أصحاب الأهواء والملل والفتن الذين يعمدون إلى تزييف الإسلام وتلوّث محتواه عن طريق الميل به مع أهوائهم، فحركة قلب الإسلام تؤدي إلى ضياع ما فيه وتلوّثه، تماثل حركة انقلاب الإناء وانكبابه التي يؤدي إلى سقوط الطعام أو الماء فيضيع هدراً لتلوّثه بالأوساخ زيادة على تعرض ما فيه إلى الوطء بالأقدام<sup>(٥٠)</sup>. فحركة الانقلاب تنتهي في كلتا الحالتين بعدم الانتفاع مما أعطى الحركة بُعداً دلاليّاً أبلغ من حركة السقوط أو الوقوع على الأرض.

يُكفأ الإسلام ← حركة ← تنتهي ← ضياع تعاليمه وطمس لأحكامه ووطئ لأركانه.  
يُكفأ الإسلام ← حركة ← تنتهي ← ضياع تعاليمه وتلوّثه بالأوساخ والأتربة.  
فأيّ الأوساخ أفذر من الفتن، وأيّ الأتربة أكثر تلوّثاً من المطاعم والأهواء، فحركة كفأ الإسلام والإناء متماثلة، وفي بناء الأفعال للمجهول بُعد دلاليّ بتهويل الحدث والتركيز عليه، كما رسمت أصوات الفعل الكاف الشديد المهموس<sup>(٥١)</sup> مع صوت الهمزة الساكنة وهي صوت شديد أيضاً<sup>(٥٢)</sup>، ويحتاج جهداً عضلياً عند نطقه، شدة الحركة والمشقة التي سيتعرض لها الإسلام، ووقع الحركة في المستقبل أضفى عليها طابع الامتداد في صورة حسيّة ذات طابع حركي بياني ساهمت في الوصول إلى المراد الذي أكد عليه في موضع آخر: ((كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكَفِّتُوا الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ، أَنْتَهَاكَ لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضًا لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِهِ، وَأَمْنًا بَيْنَ خَلْقِهِ))<sup>(٥٣)</sup>.

فحركة قلب الإسلام تعني قلب الموازين السماوية التي جعلها الله أمناً لخلقه على الأرض، والإسلام بمثابة الوعاء الحافظ لها، فعند قلبه أو محاولة إمالته تنتهي تلك الأحكام والموازين إلى الضياع، وهذا يدلُّ على براعة الإمام في توظيف الفعل

الحركي (يُكفأ) في سياق التشبيه، ليوازن العقل بين الحركتين ليصل إلى نتيجة تثير الخوف مما يستحدث مستقبلاً للإسلام، ولاسيما أنه ربما سيحدث في المستقبل القريب فقد شبه وكثف المعاني بحركة الأفعال، بتعاقب أجزاء الصورة التشبيهية مع السياق العام الذي يولد علاقة رمزية تشير إلى المتلقي تجاه نقاط تفجر كل واحدة منها طاقات فنية لها تأثيراتها النفسية الخاصة<sup>(٥٤)</sup>.

### المبحث الثاني: الأداء التعبيري لأفعال الحركة في سياق التشخيص التشخيص:

هو إظهار الجمادات أو ما لا يَعْقِل من عناصر الطبيعة بمظهر الكائن الحيّ الذي له حواس ومشاعر بعد خلع الحياة عليها، وهي بذلك تشارك الأدميين فتتأثر بهم وتؤثر بهم<sup>(٥٥)</sup>. وبذلك يكون التشخيص فيهم خرقاً لقوانين اللغة الطبيعية في الخطاب العادي؛ لأنه يبث الحياة فيما يخلو منها من الأشكال والمظاهر، وتحويله من التشبيه والتجريد إلى أجساد حيّة، لذا فهو لا يحدث في إطار اللغة العادية بل في مجال أوسع يقع فوق مستوى اللغة المألوفة<sup>(٥٦)</sup>، وأن التشخيص ملازم للاستعارة المكنية التي يحذف فيها المشبه به ويرمز إليه بشيء من لوازمه، إذ تُضاف هذه اللوازم إلى المشبه ليكون هو من يحلّ محلّ المشبه به<sup>(٥٧)</sup>.

وفي التشخيص تُضفي صفة بشرية على اسم جامد وهذا ما يضيفي المبالغته التي تؤثر في المتلقي، وتكون سبباً في إقناعه، وبذلك تتوسع اللغة وفي الوقت نفسه تبتعد عن النمطية والقولبة<sup>(٥٨)</sup>. ففي التشخيص: ((فإنك لترى الجماد حياً ناطقاً، والأجسام الحرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جليّة))<sup>(٥٩)</sup>.

فكانت لأفعال الحركة تجليات فنية ودلالية أسهمت في خلق انطباعات وجدانية أثرت الدلالة وفي الوقت نفسه خاطبت المتلقي بهذا اللون من التصوير بعد أن أثرت في عقله وقلبه لما يحققه التشخيص من إمكانية التدخل في طبيعة الحدود بين

"الإنسان والجماد، فهو وسيلة تساعد على تنشيط الحواس وإلهابها"<sup>(٦٠)</sup>؛ لأنه يعطي للأشياء المجردة أنفاساً<sup>(٦١)</sup>، فيلغي بذلك المعالم الساكنة وينقلها إلى أجواء حركية تتجلى فيها لتخلق بذلك انطباعات وجدانية مؤثرة، تمنح المجال فيها للخيال لأن يأخذ دوره في تأمل تلك الإحياءات الدلالية لأفعال الطبيعة<sup>(٦٢)</sup>، لقد اتخذ الإمام من تشخيص الطبيعة الصامته في تعبيره أداة حيّة دلّ من خلالها على عظمة خالقها وجلال قدره والانقياد له، فقد تحولت السموات والأرض إلى كائن حيّ أظهر كامل الانصياع والانقياد له سبحانه في قوله (ﷺ): ((وَأَنقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ بِأَرْمَتِهَا، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُونَ مَقَالِيدَهَا))<sup>(٦٣)</sup>.

إنّ التشخيص الذي وقع في فعل الحركة (قذفت) برز جانب الطاعة والانصياع للسموات والأرضيين، لكونها حركة غالباً ما تحمل صفات الأشياء الثقيلة، التي يُرجم بها كالحجارة والشهاب الذي هو قذيفة الشيطان<sup>(٦٤)</sup>. فلاءمت ثقل السموات والأرض وهي تقذف مفاتيح التحكم إليه سبحانه، في حركة متحققة الوقوع لوقوعها بصيغة الماضي المتحقق، فأعطى الحركة طابع القوة والسرعة، فكلّ ما في الكون انقاد له سبحانه بحركات طوعية إرادية تجلّت فيها الدنيا والآخرة بصورة الإبل المقودة من أزمته على سبيل الاستعارة المرشحة<sup>(٦٥)</sup>، لتأتي السموات والأرضون بحركة مماثلة لها وهي تقذف مفاتيحها، وكان لإيثار الفعل (قذف) على مرادفه (ألقي) ملمح حركي إلى سرعة السموات والأرض في تسليم أمورهما إلى الله سبحانه، فهي لم تأخذ فسحة من التفكير قبل إظهار طاعتها في موقف يلمح منه الرهبة والخوف والخشوع لله، فصوت القاف وما يمتاز به من الانفجار<sup>(٦٦)</sup> شخص تلك الحركة التي يتعالى معها صوت وقوع تلك المقاليد بعد قذفها، فالسموات والأرض ترمي وتخضع لعظمة بارئها وهي تسلّم زمام الحاجة والإمكان إلى قدرته سبحانه مع جميع ما هي سبب في وجوده في هذا العالم مما هو رزق ورحمة للخلق<sup>(٦٧)</sup>، وقد ألمح تقديم الجار والمجرور (إليه) ومجيؤه بعد الفعل إلى تخصيص

تلك الحركة بالله سبحانه، فقد عمل التشخيص الحركي لعناصر الطبيعة على إيقاظ الإنسان من غفلته فحريُّ به أن يطيع وينقاد لخالقه، ويسلم زمام أموره له، ومن التجسيم للدنيا والآخرة إلى التشخيص للسموات والأرضين مشهد حركي يموج بالحركة الطيبة لعناصر الكون والوجود، ما بين منقاد وخاشع ومسلم لمقاليد التحكم فيه في صورة حركية مشاهدة يتعالى معها صوت قذف المقاليد لله، لتجعل حركة الكون كله بعد حركتها وقفَةً ساكنةً لله سبحانه<sup>(٦٨)</sup>.

ونرى الأرض مشخّصة مرة ثانية وحدها في قوله (يبي) وهو يتحدث عن إمام يخرج في آخر الزمان: ((أَلَا وَفِي غَدٍ - وَسَيَاتِي غَدًا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ - يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِيءِ أَعْمَالِهَا، وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيدَ كِبِيدِهَا، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْمًا مَقَالِيدَهَا))<sup>(٦٩)</sup>.

جاء التشخيص في فعلي الحركة (تخرج - وتلقي) اللذين برزا جانب الطاعة والامتثال والاستجابة المباشرة من الأرض، ولاسيما أن السياق يشير إلى إمام يخلف الأرض وهو الموعود في الأخبار والآثار<sup>(٧٠)</sup>، وفيه إشارة إلى ظهور القائم المنتظر عجل الله مخرجه<sup>(٧١)</sup>، وقد وردَ الفعلان بصيغة المضارع فهو الأقدر على تصوير الأحداث التي ستقع في المستقبل، فالأرض تقوم بحركتين متتاليتين الأولى (الإخراج) وهي حركة عمودية صاعدة تتضمن الدفع والرفع وإخراج الأرض ما في جوفها بكامل إرادتها. وفي استعمال لفظة (أفاليد) وهي جمع الجمع للفظة (فلذة) ملمح دلالي وحركي واسع وممتد لما تقوم به الأرض، فهي تخرج أفلاذاً كثيرة أو كل ما في جوفها، ولا يبعد أن يكون الإنسان يجهل بعضها حتى هذا الزمان<sup>(٧٢)</sup>، فهي أشياء ثمينة، فـ(الأفلاذ جمع الفلذة: وهي القطعة من اللحم تُقطع طُولاً)<sup>(٧٣)</sup>، وفي ذلك ملمحٌ على إخراج أعز ما في جوفها؛ لأن الكبد أعز الأعضاء وإخراج قطع منه تدلُّ على مكانة الشخص وعلو شأنه.

وبعد حركة الإخراج تأتي حركة (الإلقاء) لتكتمل صورة الأرض وهي مشخّصة واقفة بعد إخراج ما في جوفها لتلقيه بطواعية وهي مستسلمة ومنقادة وهذا ما ألمحت إليه لفظة (سَلماً) فهي تلقي مقاليد التحكم فيها، مسالمة طيعة فناسبت تلك الأفعال الحركية للأرض في إظهار كامل الانصياع والانقياد، وكأنّ الحدود الزمنية قد أُلغيت ما بين إخراج الأرض لأفاليذ كبتها وهي كنوزها الثمينة وبين إلقائها زمام التحكم فيها، وهي استجابة طيعة. فحري بمن ملك العقل والفكر أن يكون أسرع استجابة من الأرض له، وفي ذلك إشارة إلى وجوب الطاعة لله سبحانه.

وجاءت الشمس مشخّصة في مشهد يموج بالحياة المشعة ذهنياً بألوان مشرقة عند شروقها في قوله (سَلماً) في سياق وصف الخفاش: ((إِذَا أَلْقَتْ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضُّبَابِ فِي وَجَارِهَا))<sup>(٧٤)</sup>. فحركة الشمس، وهي تلقي قناعها جعلت منها امرأة جميلة ذات قناع أسود قريب من وجهها، فبحركة إلقاء قناعها يظهر جمالها المشع الجذاب في مشهد حركيّ وصورة استعارية تشع بالألوان، فالإلقاء: وهو طرح الشيء<sup>(٧٥)</sup>، ملمح دلالي إلى حركتها الإرادية في الكشف عن شعاعها في حركة تضمّنت الرفع والكشف والإلقاء حتى يبدي بياض صبحها<sup>(٧٦)</sup>، فالفعل يحمل معاني الانسراح والبشر، فجاءت حركة الشمس أكثر وقوعاً في النفس لاقتتران البيان القوليّ بالبيان الحركي<sup>(٧٧)</sup>، وبهذا التشخيص نُقلت الصورة الحسية إلى حسيّة فاعلة ومتحركة تتماشى مع سياق الخطبة وبيان عجب خلق الله، وبذلك استطاع الإمام أن يتغلغل من خلال أحاسيسه في الطبيعة ويقع على المشهد والحركة الخفية وأن يخضعها لتشكيله فجاءت صورة لفكرته هو، وليست صورة لذاتها<sup>(٧٨)</sup>.

### نتائج البحث:

\* بدت أفعال الحركة في سياق التشبيه ذات فنية واضحة، جعلت الصور التشبيهية تعج بالحركة وتنبض بالحياة.

- \* ساعدت حركة الأفعال في تقريب صور الإمام (عليه السلام)، وجعلها ماثلة أمام المتلقي، مما زاد المعاني وضوحاً وجعل التأثير ذا سمة نفسية لها آثارها العميقة في نفوس متلقيه.
- \* تبدو فنية التشبيه بأفعال الحركة أكثر فاعلية في سياقاتها المتحركة؛ لأنّ الإنسان يتأثر بما يشاهد ويحس أكثر مما يسمع.
- \* كان لأفعال الحركة الدور البارز في تشخيص الطبيعة حتى بدت في نهجه (عليه السلام)، وهي منقادة طيعة لله سبحانه؛ ليتخذها الإنسان مثلاً في طاعة خالقه والامتثال لأوامره.
- \* تتجلى فنية التشبيه والتشخيص في نهجه (عليه السلام)، وهي متساوقة مع الأغراض التي سيقت من أجلها، فجمعت بين الجانبين الفني والتأثيري معاً، ممّا جعل نصوصه (عليه السلام) حية خالدة على مرّ التاريخ.

### الهوامش:

- (١) ينظر: الأصوات اللغوية: ١٥ وما بعدها.
- (٢) ينظر: بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، د. إبراهيم سلامة: ٩١.
- (٣) ينظر: الخصائص: ج٢/١٥٤، وينظر: البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم شادي: ١١-١٥.
- (٤) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني: ١٢٢، وينظر: علم البيان، د. عبدالعزيز عتيق: ٦٢.
- (٥) ينظر: جواهر البلاغة: أحمد الهاشمي: ٢٦٤، وينظر: البلاغة الواضحة: علي الجارم ومصطفى أمين: ٢٣.
- (٦) ينظر: الكامل في اللغة والأدب: المبرد: ج ٢/٣٥٨. وينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. أحمد مطلوب: ج٢/١٦٨.
- (٧) ينظر: كتاب الصناعتين: أبي هلال العسكري: ٢١٣.
- (٨) ينظر: فنون التصوير البياني: ٧١.

- (٩) ينظر: البلاغة والتأويل: (الصورة التشبيهية في شعر المؤيد في الدين الشيرازي): عبدالرحمن حجازي: ٣٧.
- (١٠) ينظر: جواهر البلاغة: ٢٦٤.
- (١١) ينظر: علم البيان: ١١٤.
- (١٢) ينظر: أسرار البلاغة: ١٨٠.
- (١٣) ينظر: نهج البلاغة: قيس العطار: خ ٥٨/٣.
- (١٤) ينظر: الخصائص: ج ١٥٧/٢.
- (١٥) ينظر: الأصوات اللغوية: ٧٦.
- (١٦) ينظر: شرح نهج البلاغة: (البحراني): ١٦٠/١.
- (١٧) ينظر: غريب الحديث: أبو عبيد القاسم بن سلام : ١٨٧/٤. وينظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٢٧/١ جواهر البلاغة: ٢٦٤.
- (١٨) وهو التشبيه الذي حذفت منه أداة التشبيه، ووجه الشبه: ينظر: جواهر البلاغة: ٢٢٨، وينظر: علم البيان: ١٠٥.
- (١٩) ينظر: لسان العرب: ١١٩٠/٢ (خَضَم).
- (٢٠) الخزيمة: النبت إذا كان رطباً أخضر، ينظر: لسان العرب: ١١٩١/٢ (خضم).
- (٢١) ينظر: ألفاظ الحياة الاجتماعية في نهج البلاغة: ٦٦ (أطروحة دكتوراه).
- (٢٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: (البحراني): ١٦٠/١.
- (٢٣) ينظر: ألفاظ الحياة الاجتماعية في نهج البلاغة: ٦٦. (أطروحة دكتوراه).
- (٢٤) ينظر: نهج البلاغة: قيس العطار: خ ١٠١/٣٩.
- (٢٥) ينظر: العين: ١٣٧/٥ (تقل).
- (٢٦) النضو: الدابة التي هزلتها الأسفارُ وأذهبتُ لحمها، ينظر: لسان العرب: ٤٤٥٨/٦ (نضا).
- وينظر: الإفصاح في فقه اللغة: عبدالفتاح الصعيدي وحسين يوسف : ٧٣٣/٢.
- (٢٧) ينظر: لسان العرب: ١٣٢١/٢ (دُبُر)، وينظر: شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: ج ٤١٣/١، ونهج البلاغة (صبحي الصالح): ٩٢-٩٣.
- (٢٨) ينظر: أبعاد الصورة السمعية والإيقاعية في نهج البلاغة: ٤٣٢ (بحث).
- (٢٩) ينظر: الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: ٩٩ (أطروحة دكتوراه).
- (٣٠) الأضداد في اللغة: محمد حسين آل ياسين: ٧٥-٧٦.

- (٣١) ينظر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية: ١٥٠، وينظر: الانسجام الصوتي في خطب نهج البلاغة: ١٤٨ (أطروحة دكتوراه).
- (٣٢) ينظر: أسلوب الإمام علي بن أبي طالب في خطبة الحريّة: ١٧٤.
- (٣٣) التفسير النفسي للأدب: ١٠٠.
- (٣٤) ينظر: أسلوب علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خطبة الحريّة: ٢٧٥.
- (٣٥) ينظر: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: د. رجاء عيد: ٢٣٨-٢٥٤.
- (٣٦) نهج البلاغة: قيس العطار: خ ٥٨/٣.
- (٣٧) ينظر: لسان العرب: ١/٥٢٣ (ثول).
- (٣٨) نهج البلاغة: قيس العطار: خ ٦٨/١٢٤، ق ٤٤٣/٤٢٥.
- (٣٩) المصدر نفسه: خ ٦٣/٦.
- (٤٠) ينظر: حياة الحيوان الكبرى: ٧١٦/٢-٧١٩.
- (٤١) ينظر: لسان العرب: ٣/١٧٧٧ (روح).
- (٤٢) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: العلوي: ج ١/١٧٧.
- (٤٣) ينظر: جواهر البلاغة: ٢٨٨. وينظر: من بلاغة القرآن (المعاني، البيان، البديع): د. محمد شعبان علوان، د. نعمان شعبان علوان: ١٩٥.
- (٤٤) ينظر: شرح نهج البلاغة: (البحراني): ١/١٦١.
- (٤٥) الحكم والمواعظ في نهج البلاغة دراسة في التركيب: ميثاق علي عبدالزهرة (أطروحة دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٦م: ١٠٠.
- (٤٦) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١/١٢٩، وينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/١٦١. وينظر: من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة: عادل حسن الأسدي: ١٠٨.
- (٤٧) نهج البلاغة: قيس العطار: خ ١٠٢/١٩٧.
- (٤٨) ينظر: لسان العرب: ٥/٣٨٩٣ (كفاً).
- (٤٩) المصدر نفسه: ١/١٦١ (أنى).
- (٥٠) ينظر: ألفاظ الحياة الاجتماعية في نهج البلاغة: ٤٠٨ (أطروحة دكتوراه).
- (٥١) ينظر: الأصوات اللغوية: ٧٣، وينظر: علم الأصوات: كمال البشر: ٢٧٣.
- (٥٢) المصدر نفسه: ٧٨.
- (٥٣) نهج البلاغة: قيس العطار: خ ١٩٢/٣٩٩.

- (٥٤) ينظر: فلسفة البلاغة: ٣٠٥.
- (٥٥) ينظر: المعجم الأدبي: جتور عبدالنور: ٦٧، وينظر: الطبيعة في القرآن الكريم، كاصد الزيدي: ٤٦٠.
- (٥٦) ينظر: فنون التصوير البياني: د. توفيق الفيل: ٢٣٠.
- (٥٧) ينظر: جواهر البلاغة: ٣٣٤.
- (٥٨) ينظر: النقد التطبيقي التحليلي: ٣١.
- (٥٩) أسرار البلاغة: ٤٣.
- (٦٠) ينظر: التصوير المجازي أنماطه ودلالاته: ٦٧.
- (٦١) ينظر: التفسير النفسي للأدب: ٧٠.
- (٦٢) ينظر: الصورة الشعرية: دي لويس، ترجمة أحمد نصيف: ١٢٣؛ وينظر: التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام): ١٠٨.
- (٦٣) نهج البلاغة: قيس العطار: خ ١٣٣/٢٥٤.
- (٦٤) ينظر: أسرار البلاغة: ج ٦٢/٢، وينظر: القاموس المحيط: ٧٧٨ (قذف).
- (٦٥) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ١/١٢٣.
- (٦٦) ينظر: الأصوات اللغوية: ٧٥.
- (٦٧) ينظر: شرح نهج البلاغة: (البحراني): ج ٤٧٧/٣.
- (٦٨) ينظر: منهج البراعة في شرح نهج البلاغة: (الخوئي): ج ٢٧١/٨.
- (٦٩) نهج البلاغة: قيس العطار: خ ١٣٨/٢٦٠.
- (٧٠) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ج ٢٩/٩..
- (٧١) ينظر: منهج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج ٣٠٨/٨.
- (٧٢) ينظر: دلالات جموع التكسير في نهج البلاغة، أ. م. د.: فيصل مفتن اللامي، م. م. عباس إسماعيل سيلان، بحوث المؤتمر الدولي الأول: ج ٣/ط ١/٢٠١١: ١٠٤.
- (٧٣) لسان العرب: ج ٥/٣٤٦٠ (فلذ).
- (٧٤) نهج البلاغة: قيس العطار: خ ١٥٥/٢٨٩.
- (٧٥) ينظر: لسان العرب: ج ٥/٤٠٦٦ (لقا).
- (٧٦) لسان العرب: ج ٦/٤٨٥٥ (وَضَح).
- (٧٧) ينظر: فاعلية الحركة في المشاهد القرآنية: ١٢٧ (رسالة ماجستير).

(٧٨) ينظر : الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري : د.علي البطل: ٢١.

### المصادر:

- \* أسرار البلاغة : تأليف أبي بكر عبد القاهر الجرجاني النحوي (ت ٥٤٧١هـ) : قرأه وعلّق عليه أبو فهر/محمود محمد شاکر، الناشر دار المدني بجدة ، ط١، ١٢٤١٢-١٩٩١م.
- \* الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، الناشر مكتبة الانجلو المصرية، ط٤، ١٩٩٩م.
- \* الأضداد في اللغة، محمد حسين آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٩٧٤م.
- \* الإفصاح في فقه اللغة، تأليف عبدالفتاح الصعيدي، وحسين يوسف موسى، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط١، ١٣٤٨هـ-١٩٢٩م.
- \* الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبدیع) مختصر تلخيص المفتاح للإمام أبو المعالي جلال الدين الخطيب القزويني (٦٦١-٧٣٩هـ)، اعتنى به وراجع عماد بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط٣، (د. ت).
- \* بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، د. إبراهيم سلامة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د. ط)، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.
- \* البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم شادي، الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع والاعلان، جامعة البصرة، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- \* البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبدیع تأليف علي الجارم ومصطفى أمين، دار الغدير للطباعة والنشر، قم، ط١، ١٤٣٤هـ.
- \* البلاغة والتأويل، الصورة التشبيهية في شعر المؤيد في الدين الشيرازي، تأليف عبدالرحمن حجازي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠٨م.
- \* التصوير الفني أنماطه ودلالاته في مشاهد القيامة في القرآن الكريم، د. إياد عبدالودود عثمان الحمداني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٤م.
- \* التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام)، د. عباس الفحام، مؤسسة دار الصادق الثقافية، للطبع والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
- \* التفسير النفسي للأدب، تأليف دكتور عزالدين إسماعيل، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

- \* جواهر الألفاظ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر البغدادي، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠١١م.
- \* حياة الحيوان الكبرى، تأليف كمال الدين محمد بن موسى الهميري (٦٠٠-٨٠٨هـ)، عني بتحقيقه إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- \* الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٤، ١٩٩٩م.
- \* الدلالة الصوتية في اللغة العربية، صالح سليم عبدالقادر الفاخري، الناشر المكتب العربي الحديث، (د. ط)، (د. ت).
- \* شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، تحقيق محمد إبراهيم أبو الفضل، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- \* شرح نهج البلاغة لكمال الدين بن ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ)، دار الحبيب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، قم، ط ٢، ١٤٣٠هـ. ق.
- \* الصورة الشعرية، المؤلف سيسل دي لويس، ترجمة أحمد نصيف ومالك مير سلمان، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م.
- \* الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري (دراسة في أصولها وتطورها)، د. علي البطل، دار الأندلس، للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- \* الطبيعة في القرآن الكريم، د. كاسد ياسر الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.
- \* الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للإمام يحيى بن حمزة بن علي العلوي ابن إبراهيم العلوي اليمني، تحقيق د. عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- \* علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠٠م.
- \* علم البيان، د. عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د. ط)، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- \* غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق د. محمد عبد المجيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٣٩٦هـ.
- \* فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: د. رجاء عيد، منشأة المعارف الإسكندرية، ط ٢، (د. ت).

- \* فنون التصوير البياني، تأليف د. توفيق الفيل، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط ١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- \* القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، إعداد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- \* الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق عبدالحميد هنداوي، الناشر وزارة الأوقاف لسعودية، (د. ط)، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- \* كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تصنيف أبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، تحقيق علي محمد الجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦.
- \* كتاب العين: لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- \* لسان العرب: ابن منظور (ت ٧١١هـ)، تحقيق: عبدالله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- \* المعجم الأدبي، تأليف جبور عبد النور، دار العلم للملايين، ط ٢، ١٩٨٤م.
- \* معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- \* من بلاغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة دراسة وشرح لأهم الصور البلاغية، عادل حسن الأسدي، مؤسسة المحبين، قم، ط ١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- \* من بلاغة القرآن (المعاني، البيان، البديع): د. محمد شعبان علوان، د. نعمان شعبان علوان، الدار العربية للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩٨.
- \* منهج البراعة في شرح نهج البلاغة، تأليف العلامة الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، ضبط وتحقيق علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، مؤسسة المظفر الثقافية، النجف الاشرف، ط ١، ٢٠٠٨م.
- \* النقد التطبيقي التحليلي: د. عدنان خالد عبدالله، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٨٦م.

\* نهج البلاغة: حَقَّقَهُ وضبط نصه قيس بهجت العطار، مؤسسة الرافد للمطبوعات، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

#### الإطاريح والرسائل:

- \* الحكم والمواعظ في نهج البلاغة (دراسة في التركيب)، ميثاق علي عبدالزهرة، (أطروحة دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
- \* الاقتباس والتضمنين في نهج البلاغة (دراسة أسلوبية)، كاظم عبد فريح المولى الموسوي، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠٠٦م.
- \* ألفاظ الحياة الاجتماعية في نهج البلاغة، حسام عدنان رحيم الياسري، (أطروحة دكتوراه)، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ٢٠١٢م.
- \* فاعلية الحركة في المشاهد القرآنية، عمر رعد، رسالة ماجستير، جامعة ديالى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٣م.
- \* الانسجام الصوتي في خطب نهج البلاغة: ظافر عبيس عناد الجياشي، (أطروحة دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة البصرة: ٢٠١٤م.

#### البحوث:

- \* أبعاد الصورة السمعية والإيقاعية في نهج البلاغة، د. شروق محسن كاطع الطائي، بحوث المؤتمر الدولي الأول، ج ٣/ ٢٠١١م.
- \* دلالات جموع التكسير في نهج البلاغة: أ. م. د. فيصل مفتن اللامي، م. م. عباس إسماعيل سيلان، بحوث المؤتمر الدولي الأول، ج ٣/ ٢٠١١م.



## دور قبيلة صنهاجة السياسي والعسكري بالأندلس

في عهد الامارة الأموية (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م)

بحث مستل من اطروحة الدكتوراه

م.م. احمد فرج فليح

أ.د. حسين جبار مجيتل العلياوي

## ملخص البحث

تناولنا في هذا البحث دور قبيلة صنهاجة السياسي والعسكري في عهد الامارة الأموية وما امتازت به هذه القبيلة من دور فعال في الاحداث السياسية والعسكرية، لا سيما في عهد الامير عبد الرحمن الأول ودخول عناصر صنهاجية في طاعته، فضلاً عن الثورات التي قادها هؤلاء الصنهاجيون في الأندلس على مر الحقب التاريخية خلال عصر الامارة الأموية للحصول على الامتيازات والمكاسب السياسية والمناصب الإدارية في الأندلس فيما بعد.

المقدمة:-

ومما لا شك فيه أن قيام الأمانة الأموية في الأندلس على يد عبد الرحمن بن معاوية بمثابة عهد جديد، لا سيما بعد الانتصارات التي تحققت على والي الأندلس يوسف الفهري، إذ كان هناك دور مهم لتواجد عناصر صنهاجية ضمن قبائل البربر الموالين لعبد الرحمن الداخل الذي كان لا يألو جهداً في استمالتهم لصفه لما يمتازوا به من شجاعة وبأساً في المعارك، وكما قمع جميع الثورات التي حدثت ابان تأسيس الأمانة، بالمقابل كان هناك ادوار لأفراد من صنهاجة شاركوا بالثورات التي حدثت ضد الأمانة في الاندلس خلال حقبة الامير عبد الرحمن الداخل كثورة شقيا المكناسي وحبیب بن شجرة البرنسي، كما لعبت صنهاجة دوراً فعالاً بعد وفاة الامير الداخل وتسلم الامارة ابنه هشام الرضا، إذ مالوا إلى اخيه سليمان وحرصوه على اخذ الأمانة من اخيه وعندما فشل الاخير في الحصول على مراده لجأ إلى قبيلة

صنهاجة في المغرب لحمايته، كما شاركت عناصر صنهاجية في ثورة المولدين بقيادة عمر ابن حفصون التي كان لها اثر كبير في ضعف الأمانة إلى أن جاء الامير عبد الرحمن الثالث الذي استعمل في جيشه اعداد كبيرة من قبيلة زناته البربرية التي هربت من المغرب بسبب ضغوط الدولة الفاطمية عليهم، وعندما لجأوا إلى الأندلس استغل الأمير الثالث تواجدهم وضمهم إلى جيشه ليضع حداً لأطماع الدولة الفاطمية في توسيع نفوذهم في العدو الأندلسية مستخدمين قبيلة صنهاجة البربرية التي تنتمي إلى فرع البرانس بسبب ما عرف عنهم من ولاء عقائدي منقطع النظير للفاطميين من جهة وشدة بأسهم وشجاعتهم في المعارك من جهة أخرى، لذا نجد أن الناصر قد رد على الفاطميين بنفس وسيلتهم عندما استخدم قبيلة زناته الموالية للمروانيين، وهي أيضاً من القبائل المشهورة التي تنتمي إلى فرع البتر والتي لا نقل شهرة عن شهرة الصنهاجيين وبأسهم وشجاعتهم في المعارك من أجل مجابهة الصنهاجيين والحد من قوتهم التي استخدمها الفاطميين لتحقيق اطماعهم في العدو الأندلسية.

### دور قبيلة صنهاجة السياسي والعسكري بالأندلس

في عهد الأمانة الأموية (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م)

شارك البربر في تأسيس الإمارة الأموية بالأندلس بشكل كبير وفعال، إذ كان لهم دور في حماية عبد الرحمن الأول عندما وصل إلى بلاد المغرب وحيداً مطارداً من قبل العباسيين فأووه، بحكم صلة القرابة والدم التي تجمعهم بهم، من جهة امه التي كانت بربرية الأصل من نفزة<sup>(١)</sup>.

وعندما دخل الأندلس لتحقيق حلمه في تأسيس الدولة الأموية بالأندلس، إذ انضمت إليه بيوتات لها وفرة وثروة من بربر قرطبة وغيرهم<sup>(٢)</sup> ولا يستبعد أن يكون ضمنهم من أهالي صنهاجة التي كانت من أول النازلين في هذه المدينة.

إلا أن البربر لم يكونوا جلهم من الموالين لعبد الرحمن بن معاوية، بل كان ولاء معظمهم حسب المكاسب المادية التي تستحصل من خلال الغنائم، ومن ثم فلا غرابة أن نجدهم منضوين تحت لواء الثائرين على حكومة قرطبة، في سائر العهود التي مرت بها الأندلس، وما يؤيد ذلك ما حدث لعبد الرحمن الداخل، بعد دخوله قصر قرطبة وجلس على سرير الملك، فلم يكذب يتخلص من يوسف الفهري حتى ثار عليه عبد الغفار اليحصبي<sup>(٣)</sup> الذي كان على لبلبة<sup>(٤)</sup> سنة (١٥٦هـ/٧٧٢م)<sup>(٥)</sup>، إذ ذكر ابن القوطية بقوله: "ثم أن عبد الرحمن بن معاوية خرج بالعشي مع ثقات من مواليه ورجاله ونفر من العسكر، فسمع كلام البربر يتكلمون بالعسكر بالبربرية، فدعا بمواليه من البربر، مثل بني الخليع<sup>(٦)</sup>، وبني وانسوس<sup>(٧)</sup>، وغيرهم، فقال لهم: خاطبوا بني عمكم وعظوهم وأعلموهم أنه إن تغلب العرب وقطعوا دولتنا، فلا بقاء لهم معهم، فلما اظلم الليل دنوا من العسكر، وخاطبوهم بالبربرية، فأجابوهم إلى ما احبوه ووعدوهم، إلى أن انحرفوا عن عسكرهم، فلما اصبحوا قالوا للعرب: إنا لا نحسن الحرب إلا فرساناً، فأحملوا من بقي منا على الخيل، فأرجلوا العرب وحملوا البربر على خيلهم، ودخلوا رجالة فانحرفوا إلى عبد الرحمن، ووقعت الهزيمة وقتل عبد الغفار وجيشه المكون من ثلاثون ألفاً<sup>(٨)</sup>.

ربما أن التواجد الصنهاجي ضمن هؤلاء الموالين لعبد الرحمن الداخل، وربما المعادين له من خلال النصين السابقين الذين وردا في الروايتين، فقد وصفت الرواية الأولى بأنهم عبارة عن بيوتات لها وفرة وثروة في قرطبة، إذ لم يحدد النص من هؤلاء وإلى أي من هذه البيوت ولم يحدد انتمائهم لأي قبيلة، بينما نجد في الرواية الثانية اخرج فيها لفظ البربر من التعميم إلى التخصيص، إذ اورد لنا اسمين لقبيلتين كانتا في صف الجيش، الذي كان يقاتل مع عبد الرحمن الداخل، وعلى الرغم من ذلك ورد لفظ غيرهم، وهذا يعني دخول أكثر من قبيلة مع الاخير.

ولا نستبعد احتمالية تواجد عناصر صنهاجية في صفوف جيش عبد الرحمن بن معاوية، وربما في صفوف عدوه وارده، إذا ما اخذنا في الحسبان أن قبائل صنهاجة كانت تقطن في بر العدو المغربية قبائل العدو الأندلسية، على الساحل من بجاية إلى مصب نهر ملوية، مع غيرها من القبائل ومن بين فروعها تلكاته، كما عاشت على سهول البحر المتوسط ومعظم جبال الريف، ومناطق المضيق ما بين سبتة وطنجة قبائل مختلفة، كانت صنهاجة إحداها وكانت تسيطر على مرسى بالش<sup>(٩)</sup>.

وأضف إلى ذلك فقد شهدت الأندلس على مدى عشر سنوات (١٥١-١٦٠هـ/٧٦٨-٧٧٦م) ثورة سيطرت على منطقة الجوف بوسط وشمال شرق الأندلس، وقد تركزت أكثر حول شنتبرية (Santaver) في شرق الأندلس<sup>(١٠)</sup>، تزعمها رجل من بربر مكناسة يدعى سفيان أو شقنا أو شقيا بن عبد الواحد، الذي بدأ حياته فقيهاً معلماً للصبيان، ثم ما لبث أن ادعى أنه فاطمي النسب من ولد الحسين بن علي (عليه السلام)، لاسيما وأن اسم أمه كانت تدعى فاطمة، فاتخذ له اسماً عربياً هو عبد الله بن محمد، وسكن شنت برية واجتمع عليه خلق كثير من البربر وأخذ يدعو الناس لنفسه والثورة على حكومة قرطبة، ووصل امره إلى عبد الرحمن بن معاوية، فجمع له جيوشاً كثيرة لمحاربتة والقضاء على تمرده، إذ خرج له ابن معاوية بنفسه أكثر من مرة فلم يتمكن منه، لأن شقيا كان يستخدم خطة محكمة ضد جيوش الأمير، باستخدامه قمم الجبال والتحصن بها، متجنباً بذلك المناطق السهلية المنبسطة، فأكسبته هذه الخطة الانتصار على جيوش عبد الرحمن، وكلما شعر بخطورة الموقف يلجأ إلى الانسحاب دون الخوض في معركة خاسرة قد تكسر شوكته<sup>(١١)</sup>.

إذ نتج عن هذه الاستراتيجية المعتمدة بالأساس على الحيطة والحذر طيلت مدة ثورة شقيا، لذا استخدم عبد الرحمن الداخل اجراء قاسي بحق البربر المتعاونين مع الثائر شقيا بدليل ما ذكره ابن عذاري بقوله: "أنزل بكل من شايعه أو دخل في شيء

من أمره، النكال وهو يخرب ويحرق وينسف... فدوخ بلاد البربر وقتل منهم خلقاً كثيراً وأذلهم<sup>(١٢)</sup>، إلى أن كانت سنة (١٦٠هـ/٧٧٦م)، التي دبر له فيها أين معاوية مؤامرة قاما بتنفيذها اثنان من اتباعه وهما أبو معن داوود بن هلال، وكنانة بن سعيد الأسود، فقتلاه ومعهما رأسه وتوجهها به إلى عبد الرحمن<sup>(١٣)</sup>.

ولعل أن هذه الثورة أول ثورة بربرية شيعية في الأندلس، سعت لإقامة دولة شيعية في الغرب الإسلامي، وسبقت بذلك تكوين دولة الأدارسة العلوية في المغرب الأقصى بنحو عشرين سنة<sup>(١٤)</sup>.

ولا نستبعد أن يكون لصنهاجة دوراً فعالاً في هذه الثورة بسبب تشيعهم لآل البيت (عليهم السلام)، منذ القدم، إذ نجد أن هناك على أراضيها، مراكز علوية كحائط حمزة الذي ينسب إلى حمزة بن الحسن بن سليمان العلوي<sup>(١٥)</sup>.

ومن الثورات الأخرى التي كان لها وقع على الأندلس والتي كان يدور رحاها في شرق الأندلس، ثورة عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي، وذلك لظوله وزرقته وشقرته الذي دخل من إفريقية إلى الأندلس ونزل بساحل تدمير مرسية في شرق الأندلس والذي يكثر فيها عناصر صنهاجة سنة (١٦١هـ/٧٧٧م)، فدعا للخليفة العباسي محمد بن أبي جعفر المنصور بن محمد المهدي (١٤٧-١٦٩هـ/٧٦٤-٧٨٥م) متخذاً من الرايات السوداء شعاراً لدعوته فأجابته إلى ذلك الكثير من بربر البرانس ولا نستبعد أن يكون من بينهم صنهاجيين<sup>(١٦)</sup>.

وعندما علم عبد الرحمن الأموي سار نحوه بالعدد والعدة، وأحرق السفن تضيقاً على الصقلبي في الهرب، فتحصن الصقلبي في جبل منبج في بلنسية شرق الأندلس، وبذل الأموي ألف دينار لمن يأتيه برأسه، فنزع إلى الفهري رجل من البرانس، من أهل أوريط، يقال له سجعان أو مشكار البربري، فصار من أصحابه وأظهر له النصيحة، فأطمأن إليه وصار من ثقاته، إلا إنه قتله وأخذ خيله وحمل برأسه إلى الأمير عبد الرحمن الداخل في سنة (١٦٢هـ/٧٧٨م)<sup>(١٧)</sup>.

وفي سنة (١٦٢هـ/٧٧٨م) قامت ثورة بربرية على الأمير عبد الرحمن الداخل بقيادة ابراهيم بن شجرة البرنسي في حصن مورور والتي استقر بها العديد من العناصر البربرية، وينتمي معظمهم إلى البرانس من مصمودة وغمارة وعجيسة وكتامة وصنهاجة ومن فروعها لمطة وهسكورة وجزولة<sup>(١٨)</sup>، إذ سير عبد الرحمن الداخل جيشاً بقيادة مولاة بدر لقتال البرنسي، وكان قد عصى عليه فقتله<sup>(١٩)</sup>.

ويبدو أن بربر صنهاجة كان لهم دوراً كبيراً في الفتنة التي حدثت سنة (١٦٤هـ/٧٨٠م) بين بربر بلنسية التي تقع في شرق الأندلس وفيها حاضرة من قبيلتي مصمودة وصنهاجة وشنترية التي سكنتها قبيلتي مديونة وهوارة وجزرت بينهما حروب كثيرة قتل فيها خلق كثير من الطائفتين دامت اشهر<sup>(٢٠)</sup>، ولا نستبعد أن يكون من ضمن هؤلاء افراد من قبيلة صنهاجة.

وبعد وفاة الأمير عبد الرحمن الداخل سنة (١٧٢هـ/٧٨٨م)، خلفه ابنه هشام الملقب بالرضا ويكنى ابا الوليد (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م)، مما اثار غضب اخوته الطامعين في الأمانة، وتمثل ذلك الأمر في كل من ابي ايوب سليمان وعبد الله المعروف بالبلنسي، وكان سليمان اكبر ابناء عبد الرحمن الداخل، الذي كان يتولى طليطلة في حين كان هشام على الرغم من حداثة عمره يتولى مدينة ماردة، بينما كان عبد الله مقيماً في قرطبة، إذ كانت الأمانة محصورة بين سليمان وهشام، إذ اوصى ابنه عبد الله بأن يسلم مقاليد الأمور في البلاد لمن يصل اولاً منهما إلى قرطبة، فلما علم هشام بوفاة والده جاء مسرعاً بالمسير إلى قرطبة، فدخلها قبل اخيه سليمان ونفذ عبد الله وصية ابيه وسلم على هشام بالأمانة وأدخله قصر الأمانة<sup>(٢١)</sup>، فلما علم سليمان ما حدث اعلن العصيان ثم انضم إليه اخوه عبد الله عندما يأس من اشراك هشام له في حكم الأندلس في سنة (١٧٣هـ/٧٨٩م)، ولم يجد الأمير هشام ازاء موقف اخويه العدائي منه إلا محاربتهم، وقد انتهى الأمر بأن طلب عبد الله الأمان فأمنه هشام وأكرمه، وتم الاتفاق بينه وبين هشام على أن يرحل من الأندلس

إلى المغرب، أما سليمان فأخذ يتنقل بين المدن الأندلسية يأجج أهلها على الأمير هشام ويجمع الأنصار والمؤيدين حتى استقر بماردة التي كانت مستقراً لعدد غير قليل من الصنهاجيين، فأرسل إليه هشام جيشاً بقيادة ابنه معاوية سنة (١٧٤هـ/٧٩٠م)، إلى تدمير (مرسية) فتمكن من إيقاع الهزيمة بسليمان الذي هرب إلى بلنسية الحصينة لاجئاً إلى البرابر المستقرين بها ومحتماً بمسالكها الوعرة، فعاد على أثرها معاوية بن هشام إلى قرطبة ومن ثم استقر الحال بالمفاوضات بين الأخوين، بمنح سليمان الأمان وستين ألف دينار عن تركة أبيه عبد الرحمن مقابل الهجرة إلى المغرب بلد البرابر، إذ استقر بأهله وأمواله وأولاده في مدينة طنجة، إذ أقام عند قبيلة صنهاجة البربرية<sup>(٢٢)</sup>.

وفي سنة (١٧٨هـ/٧٩٤م)، حدثت ثورة بربرية في منطقة تاكرنا<sup>(٢٣)</sup> وخلعوا الطاعة، واطهروا الفساد، واغاروا على البلاد فقتلوا وسبوا وقطعوا الطريق على السكان وهددوا أمن منطقة تاكرنا، فسير إليهم الأمير هشام جيشاً كبيراً بقيادة عبد القادر بن ابان بن عبد الله مولى معاوية بن ابي سفيان، إذ عمل على انذارهم فلم يجد منهم إلا عزيمة واصراراً على الثورة جواباً له، فبادر الأخير بالهجوم وقتل رؤسائهم وخرب بلادهم وضياعهم وأخذ الثورة دون رحمة، ولاذت فلولهم بمدينة طليبرة الحصينة في الجنوب الغربي من الأندلس التي يتواجد فيها جموع من البربر<sup>(٢٤)</sup>، الذين ينتمون في اغليتهم إلى قبائل مختلفة من البرابر من اوربة وصنهاجة ومصمودة وغيرهم<sup>(٢٥)</sup>، إذ لجأوا إلى عصبية لهم من البربر، أما البعض الآخر فقد دخلوا في سائر القبائل، وأما منطقة تاكرنا فقد ظلت بلادها قفراء خالية من الناس لمدة سبع سنوات<sup>(٢٦)</sup>.

وعندما تولى الحكم بن هشام الربضي الخلافة في سنة (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-  
٨٢١م)، كانت اولى معاناته حرب شنها عمه عبد الله بعد وصوله من بلاد المغرب بأهله وولده فصار بريف الأندلس ونزل بكورة بلنسية عند البربر، فقاموا معه،

وتعصبوا له، وبعدها قدم عمه الثاني سليمان من كورة طنجة مساكن صنهاجة، في المغرب الأقصى بمن معه من بربر صنهاجة لمحاربة ابن اخيه، بعدما كاتبه عبد الله بالقدوم لينتزع سلطان ابن اخيهما الحكم، لا سيما عندما علم بموت اخيه هشام، عبر إلى الأندلس بجيشه البربري الصنهاجي، وحاول شق طريقه إلى العاصمة قرطبة فتصدى له الحكم بن هشام وحدثت مناوشات مع قوات سليمان التي كان معظمها من قبائل صنهاجة البربرية في موضع يدعى فنجيط في شهر شوال سنة (١٨٢هـ/٧٩٨م)، إلا أن الأخير انهزم امام قوات الخلافة وولى الأديبار<sup>(٢٧)</sup>، إلا أنه عاود الهجوم مرة ثانية لكن هذه المرة بالقرب من مدينة استجة في شهر صفر سنة (١٨٣هـ/٧٩٩م)، لكنه هزم سليمان للمرة الثانية بعد معارك دارت رحاها بين الطرفين، وهرب مع اصحابه من قبيلة صنهاجة متوجها إلى مدينة ماردة والتي تعد من أهم منازل صنهاجة ومصمودة وكتامة<sup>(٢٨)</sup> ثم زحف بهم من جديد نحو الجنوب الشرق ونجح في الاستيلاء على جيان والبيرة<sup>(٢٩)</sup>، وانضمت إليه من أهل هاتين المدينتين جموع كبيرة معظمها من بربر البرانس ولا سيما صنهاجة، فلما التقى جيشه مع جيش الأمير الحكم انهزم سليمان للمرة الثالثة وقتل على اثرها عدد كبير من انصاره، مما اضطره للفرار فطارده الأمير حتى قبض عليه، وجاؤا به إلى الحكم، فأمر بإعدامه، وأعدم معه عدة من زعماء البربر، وأرسلت رؤوسهم إلى قرطبة حيث طيف بها سنة (١٨٤هـ/٨٠٠م)<sup>(٣٠)</sup>.

وفي سنة (١٨٦هـ/٨٠٢م)، أخرج الأمير الحكم إلى عمه عبد الله البلنسي أماناً، وهو أول خروج كان إليه، وأول مكاتبة كانت بين الحكم وبينه بعد حلوله ببلنسية، إذ رغب عبد الله الإقامة فيها، لا سيما بعدما سمع بأخبار مقتل اخيه سليمان عظم عليه الأمر وخاف على نفسه ولزم بلنسية ولم يفارقها على أن يؤدي الطاعة للأمير الحكم في سنة (١٨٧هـ/٨٠٣م)، ودفع إليه الأرزاق والعطايا وبلغ ذلك الف دينار لكل شهر<sup>(٣١)</sup>، إلا أنه شق عصا الطاعة بعد وفاة الحكم في سنة (٢٠٦هـ/٨٢١م)،

وبعدها تولي ابنه عبد الرحمن الثاني (الأوسط) (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م)، إذ طالب عبد الله بضم كورة تدمير التي كانت تضم معظم البرانس من صنهاجة وكتامة وأوربة وهوارة ومصمودة، إليه إلا أنه انتهى به الأمر أن خضع لحفيد أخيه عبد الرحمن إلى أن توفي في سنة (٢٠٨هـ/٨٢٣م)<sup>(٣٢)</sup>.

وقامت ثورة بربرية أخرى في مدينة مورور الأندلسية سنة (٢٠٠هـ/٨١٥م)، التي استقر بها العديد من العناصر البربرية، وينتمي معظمهم إلى البرانس من مصمودة وغمارة وعجيسة وكتامة وصنهاجة ومن فروعها لمطة وهسكورة وجزولة<sup>(٣٣)</sup>، بزعامة رجلاً منهم لم تحدد المصادر التاريخية اسمه سوى أنه خارجي من البربر خرج بناحية مورور، من الأندلس، ومعه جماعة، ولا نستبعد أن تكون قبيلة صنهاجة ضمن صفوف جيشه البربري، فوصل كتاب العامل إلى الحكم بأخبار هذه الثورة، فأخفى الحكم خبره، واستدعى من ساعته قائداً من قواده، فأخبره بذلك سراً وقال له: سر من ساعتك إلى هذا الخارجي فأنتي برأسه، وإلا فرأسك عوضه، وأنا قاعد مكاني هذا إلى أن تعود، فسار القائد من فوره إلى مورور لإخماد ثورة الثائر الخارجي البربري، فلما سأل عنه، عرف أنه شديد الاحتياط والاحتراس الشديد، ولا يمكن الوصول إليه والتمكن منه، ولكنه تذكر قول الحكم: إن قتلته، وإلا فرأسك عوضه، فحمل نفسه على سبيل المخاطرة فأعمل الحيلة، حتى دخل عليه، وقتله، وأحضر رأسه عند الحكم بن هشام، فراه بمكانه ذلك لم يتغير منه، رغم غيبته التي طالت أربعة أيام، فلما رأى الأخير رأس الثائر البربري، أحسن إلى ذلك القائد، ووصله وأعلى محله<sup>(٣٤)</sup>.

عادت الثورة البربرية من جديد في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني سنة (٢١٣هـ/٨٢٨م)، وقد تزعم هذه الثورة في مدينة ماردة محمود بن عبد الجبار بن راحلة وهو من بني طريف من بربر مصمودة المستقرين مع اخوانهم من قبيلة صنهاجة، لا سيما بنو عبد الوهاب الذين ينتمون إلى صنهاجة، وهم من ذرية ميمون

بن ابي جميل ابن أخت طارق بن زياد، الذين برز منهم قواد وكتّاب بحصن اشونة من كورة استجة<sup>(٣٥)</sup>، إذ اقدموا على قتل مروان الجليقي عامل مدينة ماردة وعلى اثر ذلك سير الأمير عبد الرحمن بن الحكم جيشاً من قرطبة ومعه رهائن أهل ماردة سنة (٢١٤هـ/٨٢٩م)، فلما بارزها راسله اهلها، وافتكوا رهائنهم بالعمل الذي اسروه، إلا أنه حاصرهم لمدة قصيرة، أدى بالنتيجة إلى خراب بلادهم<sup>(٣٦)</sup>، وتوالت الحملات العسكرية التي سيرها الأمير عبد الرحمن الثاني، إذ استطاع الأخير من فتح مدينة ماردة سنة (٢١٨هـ/٨٣٣م) بنفسه، فهرب على اثرها زعيم الثورة محمود بن عبد الجبار مع جمع من اصحابه إلى حصن منت شلوط الواقع جنوب بطليوس فسير إليه الأمير جيشاً سنة (٢٢٠هـ/٨٣٥م)، إلا أنهم تمكنوا من الهرب فأرسل عبد الرحمن الثاني سرية في اثرهم إلا أن محمود الماردي تمكن من القضاء على تلك السرية وغنم ما معهم، فتمكن هذا النائر بالزحف بجموعه تساعده أخته جميلة، التي اشتهرت بالحسن البارع والشجاعة والنجدة والفروسية، لمهاجمة مدن الغرب المجاورة مثل باجة، التي تغلب عليها وبسط سلطانه فيها وعندما تمادى في عبثه وزاد خطره، قام الأمير عبد الرحمن بأرسال الحملات تباعاً إلى مناطق نفوذه، مما اضطره للهرب إلى جليقية، والالتجاء إلى ملكها ألفونسو الثاني (١٧٥-٢٢٧هـ/٧٩١-٨٤١م) سنة (٢٢٣هـ/٨٣٧م)، فرحب به الأخير وأكرم وفادته ومنحه حصناً على الحدود اقطاعاً له اتخذه قاعدة يشن من خلالها حملاته على الأراضي الإسلامية لمدة خمسة اعوام وثلاثة اشهر ولكنه اكتشف بعد حين أنه وضع في كمين من اجل خدمة المصالح السياسية لملك جليقية وعلى اثرها كاتب الامير طالباً من الأمان وبادر الأخير بقبوله اعتذاره، ولكن الملك الفونسو الثاني أدرك هذا الخطر وقام بمهاجمة حصن النائر محمود وقتله واسر أخته جميلة سنة (٢٢٥هـ/٨٣٩م)<sup>(٣٧)</sup>.

ولا يختلف أحد عن الثورات التي قادها البرانس في الأندلس، إذ لا نستبعد مشاركة عدد غير قليل من العناصر الصنهاجية، كونها تشكل إحدى القبائل الرئيسية، لا سيما ثورة حبيب البرنسي بالجزيرة الخضراء في سنة (٢٣٦هـ/٨٥٠م)، في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني، إذ أجمع إليه الكثير من بربر البرانس، سيما صنهاجة التي كان في الجزيرة اقليم تابع لهم<sup>(٣٨)</sup> فشن بهم الهجوم على قرى رية<sup>(٣٩)</sup> وغيرها، فأشاع الأذى، ونهب وقتل وسبى، فأخرج الأمير عبد الرحمن الثاني عند ذلك الخيل مع عباس بن مضا، فلما وصل إلى الجزيرة الخضراء لقتال حبيب البرنسي سبقته العناصر البربرية المناوئة له والتي كانت تستنكر افعاله المشينة بالعنف والقتل والنهب التي انتهجها في غاراته، ولم تتهاون هذه العناصر البربرية التي لم تذكر المصادر التاريخية عن انتماءاتهم القبلية في محاصرته فأوقعوا بهم وقصوهم، وقتلوا الكثير من رجاله، وتفرقت بقيتهم، ولكنهم لم يظفروا بحبيب البرنسي، مما دفع الأمير عبد الرحمن الثاني أن يكتب لعماله في مختلف كور الأندلس يأمرهم بالقبض عليه ولكنه لم يظفر به ايضاً<sup>(٤٠)</sup>.

فضلا عن ذلك ثار أهل طليطلة عندما تولى الأمانة محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) الذين كانوا يشكلون حجر عثرة في الأمانة بثوراتهم المتواصلة حتى عادوا تمردهم وعصيانهم بالثورة، إذ لم يكتف أهل طليطلة هذه المرة بالانفراد وحدهم بالثورة بل اشركوا معهم بربر البرانس من سكان طليطلة، كما وصف ابن حيان ذلك بقوله: "وأشترك من أهل طليطلة في هذه الثورة البرانس البربر، فكثرت جمعهم وسعروا البلاد حولهم"<sup>(٤١)</sup>، إذ كانت أخبار وفاة الأمير عبد الرحمن الثاني قد وصلت إلى طليطلة في اليوم الثالث من وفاته، وكان بها يومئذ ابنه سعيد بن عبد الرحمن، والعامر عليها حارث بن بزيع<sup>(٤٢)</sup>، ومن خلال ذلك انتهز أهل طليطلة هذه الفرصة وأعلنوا الثورة يوم السبت (١٤ خلت من ربيع الآخر سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م)، عندها عجز الجيش الأموي عن مقارعتهم وإخماد

ثورتهم، وعلى اثرها قاموا بفتح باب القنطرة لأميرهم سعيد، فخرج منها ونجا بمن معه، بينما وقع عاملها الحارث اسيراً بيد ثوار البربر الذين اشترطوا لإطلاق صراحه أن يطلق الأمير عبد الرحمن الثاني سراح رهائنهم في قرطبة، وفعلاً اطلق الأمير سراحهم، بالمقابل اطلق سراح الحارث<sup>(٤٣)</sup>.

كما اشتركت صنهاجة في ثورة اشبيلية سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م) على الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن التي كانت بقيادة جنيد بن وهب البرنسي القرموني<sup>(٤٤)</sup> مع جمع كبير من البرابر البرانس إلى جانب زعماء عرب شذونة ولبلة، ضمن التحالف الذي دعا إليه بنو خلدون بزعامة كريب بن عثمان وهذا ما ذكره ابن حيان بقوله: "واتسعت الفتن بكل ناحية واشتملت الفرقة على كل فرقة حتى واقعها أهل اشبيلية، وكان اول من اظهر الخلعان بها وأتى بأهل المعصية، وسعى في تفريق الكلمة كريب بن عثمان بن خلدون... وشاركه في هذه الثورة سلمين بن محمد بن عبد الملك الثائر بكورة شذونة وعثمان بن عمرو الثائر بكورة لبلة، وجنيد بن وهب البرنسي القرموني، بمن معه من البرابر البرانس"<sup>(٤٥)</sup>.

أن المتمعن في ثنايا مجريات ثورة اشبيلية وما نجم عنها يتبادر للذهن أن الدافع والمحرك الأساس لهذه الثورة مكاسب شخصية ومادية للمستفيدين من المشاركة في ثورة اشبيلية أو المنضوين في ركب الثائرين فيها وعلى رأسهم قبيلة صنهاجة البربرية ومن لف لفهم من البربر سيدرك يقيناً أن الصنهاجيين لم تكن تشترك في هذه الثورة أو تأييدها ما لم تتولد تلك القناعة لدى زعمائها وقاداتها بأن هناك مكاسب مادية باتت تلوح في الأفق وأن الحصول عليها بات سهلاً يسيراً بسبب تعدد المشاركين في الثورة من عرب وبربر وضعف المدافعين عن كورة اشبيلية، وخير ما يؤكد ذلك ما ذكره ابن حيان بقوله: "ودس كريب بن عثمان وخليفته جنيد بن وهب البرنسي رسلهما إلى بربر ماردة ومدلين يستدعيانهم للغارة على كورة اشبيلية، ويشهيانهم بكثرة غنائمها، وقلة المدافعين عنها"<sup>(٤٦)</sup>.

وفي أحداث سنة (٢٨٤هـ/٨٩٧م)، الكائنة في عهد الأمير عبد الله بن محمد، وما كان من أمر ابن حفصون، إذ صير إليه القائد احمد بن محمد بن ابي عبدة، وهي الغزوة المعروفة بالجزيرة وكان الفصول لها يوم السبت لاثني عشر بقيت من جمادى الآخرة منها، وذلك في شهر ابريل العجمي، إذ وقعت هذه المعركة في محلة ذكوان في يوم الأثنين الموافق أول يوم من شهر يونيه العجمي، إذ اشار ابن حيان بقوله: " انهزم الفاسق عمر وقتل من اصحابه اثنا عشر طنجياً ولاذوا بالوعر، فقتل له طنجي مذکور وأخذ له فرسان ونزع من اصحابه إلى العسكر ثلاث عشر طنجياً، ورحل العسكر إلى وادي بني عبد الرحمن، مقابل ببشتر"<sup>(٤٧)</sup>، وعندما تجددت الحرب بين الطرفين "يوم الخميس بعد المناظرة في شروط السلم، فأعترض خلاف انتقضوا عنه فعادت الحرب فأشدت وقتل منهم ثلاثة رجال، ومن أهل العسكر طنجي واحد"<sup>(٤٨)</sup>.

كما شهد حصن كركي (Caracuel)<sup>(٤٩)</sup> وجبل البرانس سنة (٢٨٥هـ/٨٩٨م)، ثورة ابن يامين وابن موجول، فأرسل الأمير عبد الله بن محمد إليهما قائده الأموي عباس بن عبد العزيز وقضى عليهما واخذ حصونهما<sup>(٥٠)</sup>.

وفي الحقيقة أن الخبر ليس فيه تصريح بأن ابن يامين وابن موجول ينتسبان إلى البربر، بيد أن ثمة دلائل تشير إلى هذين الثائرين بالانتساب إلى البربر، فقد أشار ابن حيان في حوادث سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م)، إلى أحد المتمردين على الأمانة الأموية يدعى ابن يامين البربري، وأنه امتنع بجبل البرانس، لكن الأمير عبد الله تمكن من القبض عليه، وصلبه على سور مدينة طليطلة<sup>(٥١)</sup>.

وربما يكون ابن يامين هذا الذي لم يذكر ابن حيان اسمه الكامل ابن لذلك المصلوب أو أحد اقربائه على اقل تقدير، الذي صلب على سور طليطلة في سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م)، لا سيما وأننا نجد توافقاً في المكان الذي قامت به ثورتها ألا وهو جبل البرانس، فضلاً عن توافق الأسمين<sup>(٥٢)</sup>، والملاحظ أن ابن موجول الذي

ثار في حصن كركي، فالمعروف أن هذا الحصن والجبل المذكورين يعدان من المواطن التي كانت تعج بالبربر في ذلك العصر، إلى درجة أن لفظ البربر كثيراً ما يخلق بهما فيقال: "برابر كركي وجبل البرانس"<sup>(٥٣)</sup>.

فإذا كان سكان هذين الموضوعين بربراً، فمن المنطقي أن لا يتمرد على الحكومة المركزية فيهما إلا زعيم من السكان المحليين ليحصل على العصية اللازمة لإنجاح تمرده<sup>(٥٤)</sup>، وإذا ما علمنا أن جبل البرانس يقع شمال قرطبة بينها وبين طليطلة ممتداً من الشرق إلى الغرب، وأن البرانس كانوا يشكلون غالبية سكان هذه المنطقة، وما سمي الجبل بأسمهم إلا دليل على تواجدهم في المكان نفسه، ولا يوجد شك أن الصنهاجيين كانوا يشكلون جزءاً ونسبة من نسيج القبائل البرنسية في هذا الحيز الجغرافي إلى جانب القبائل البرنسية الأخرى ككتامة ومصمودة وأوربة وأزداجة وأوريغ<sup>(٥٥)</sup>.

وعند العودة إلى المناطق التي استقر بها بربر البرانس، وعلى رأسهم صنهاجة، نجد أن هذه القبيلة نزلت في شرق الأندلس، وسكنت في جهات مختلفة، لا سيما في قسطليون (Castellon) ولقنت (Alicante) ومرسية في مواقع ما تزال تسمى إلى قبيلتهم مثل: (Soneja) في محافظة قسطليون<sup>(٥٦)</sup>، كما استقروا في الشمال الذي كان تعد احدى اوسع اماكن الاستقرار للبربر في الأندلس، وكانت صنهاجة من بين القبائل البربرية المتواجدة في هذه المنطقة حتى في سرقسطة نفسها اقامت بعض المجموعات من البربر الذين ينتمون إلى مختلف العشائر مثل زواغة وهوارة وصنهاجة، وعلى الرغم من أن هذه المنطقة كانت غالبية ساكنتها من القبائل العربية<sup>(٥٧)</sup>، ولعل استقرار الصنهاجيين في وادي الحجارا بانتشار واسع مما دفع أن يتولى حكم هذه المدينة رجلاً منهم<sup>(٥٨)</sup>.

كما قامت ثورة بقيادة عمر بن مضم الهترولي سنة (٢٩٠هـ/٩٠٢م) الذي ينتسب إلى بربر قرية الملاحه من كورة جيان، ولذا عرف بالملاحي، الذي كان

جندياً عند عامل المدينة فغدر به وضبط القصبه، فبعث إليه الأمير عبد الله بن محمد جيشاً بقيادة أحمد بن محمد بن أبي عبدة، الذي حاصره في قصبه جيان، فلما اجهده الحصار طلب الأمان فأمنه ابن أبي عبدة وأتى به إلى قرطبة<sup>(٥٩)</sup>.

وعلى الرغم من أن ابن حيان زودنا باسم زعيم هذه الثورة، وأنه من بربر قرية الملاحه بكورة جيان، إلا أنه اهمل كعادته اصل هذا الثائر من أي قبائل البربر، ولكن عندما نعود لأبن حزم نجده عاش في بلكونه التي تكون قريبة من جيان التي يتواجد فيها الفارس الصنهاجي المشهور يحيى بن ضريس، من بني جعفر، الذي صدم عمر بن حفصون، فأبطل يده بالضربة المشهورة، فلم يأكل ابن حفصون بيمينه بعدها، وعاش بعد الضربة نحو ثلاثين عاماً<sup>(٦٠)</sup>، إلا أن هذه المعلومة المهمة التي اوردها لنا ابن حزم لم نعثر عليها عند ابن حيان، رغم أنه يؤرخ لحدث مهم في تاريخ هذه الدولة بالأندلس، وإذا حسبنا تاريخ وفاة ابن حفصون، كما نقله ابن حيان عن الرازي بقوله: "فيها اهلك الله الخبيث عمر بن حفصون جرثومة النفاق وإمام الضلالة وكهف الخلاف وموقد نار الفتنة وملجأ أهل المعصية، بمدينة ببشتر قاعدته، حتف انفه من علة طاولته قضى منها ليلة الاثنتين لأربع عشرة بقيت من شعبان سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م)، عن اثنين وسبعين سنة، وكان من أول قيامه بالفتنة وصدعه عصا الجماعة وإمتناعه بقلعة ببشتر منبر المعصية ثلاثون سنة..."<sup>(٦١)</sup>.

وإذا عدنا ادراجنا ثلاثين سنة إلى الوراء فأن هذه الضربة التي تحدث عنها ابن حزم، يقيناً أن تكون في حوالي سنة (٢٧٥هـ/٨٨٨م)، أي انها حدثت في اواخر عهد الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن الذي حكم من سنة (٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨م) أو في بداية عهد الأمير عبد الله بن محمد الذي تولى الحكم في السنة نفسها.

فضلاً عن ذلك تكرر ذكر اسم الطنجيين في احداث سنة (٢٩٩هـ/٩١١م)، إذ اورد لنا ابن حيان رواية تتعلق بحرب عمر بن حفصون في عقر داره في قلعة

ببشتر، إلى جانب سعيد بن هذيل الذي انشق عن الأمير عبد الله بن محمد بالمنتلون، فقال: "وأففق أن تهافت الطنجيون الذين في العسكر على النزوع إلى الخبيثين ابن حفصون وابن هذيل، فدارة الدائرة على هؤلاء واستوصلوا بالبلدين، ببشتر والمنتلون" (٦٢).

ولعل السبب الذي دفع ابن حيان على تسميت بربر صنهاجة بالطنجيين بدلاً من ذكر اسمهم دلالة على كثرتهم وكونهم يمثلون السواد الأعظم في مدينة طنجة المغربية وذلك حسب ما ذكره البكري بقوله: " وأما كورة طنجة فكانت مساكن صنهاجة في المغرب الأقصى" (٦٣)، وهذا يقودنا إلى الجزم أن أغلب الشخصيات العسكرية والسياسية التي تبوئة مناصب إدارية في الأندلس أبان مرحلة الفتح وما أعقبها من مراحل لقبوا بالطنجيين، إذ لا نستبعد أن يكونوا من قبيلة صنهاجة حسب ما ذهب إليه البكري.

كما ارود ابن حيان في موطن آخر عن سياسة الخليفة عبد الرحمن الناصر الرامية لاستجلاب البربر بهدف استعمالهم في جيشه، إذ ذكر أنه كان "لا يستخدم من البربر إلا أراذلهم وعبدانهم من اشابتهم وأساودهم، موقعاً عليهم اسم الطنجيين، مقتصرأً بهم على ادنى الملاحق ، قاصراً لهم على أقل الرواتب، مصرفاً لهم في اشق خدمة" (٦٤).

ويبدو أن جنوب الأندلس وغربها كان مستقراً للبربر عامة وللصنهاجيين بصورة خاصة، فإذا كانت جيان وبلكونة وأشونة وهي من استجة وقسطلة دراج وهي قرية في غرب الأندلس من أعمال جيان، وما يدور حولها من مناطق استقرارهم (٦٥)، فإن هذا يعني بلا شك أن مواطن استقرارهم كانت تنتشر بالأساس في المناطق الغربية والجنوبية، لكون هذه المناطق لا تخضع لتبعية قوية لسلطات قرطبة المركزية (٦٦).

لقد عانت الأمانة الأموية بالأندلس اوضاعاً مأساوية، جعلتها تعجز عن مواصلة القضاء على الفتن والحركات والثورات الانفصالية عن جسد الدولة المتعددة، التي قامت بها عناصر متعددة طموحة، اتخذت من العصبية القبيلة غطاء لها، بالإضافة إلى اصحاب الأهواء والمصالح الشخصية، للوقوف بوجه حكومة قرطبة، معلنةً تحديها للسلطة الداخلية، أما على الصعيد الخارجي فقد فتح باب الاطماع الخارجية للتوغل في اراضيها لمحاولة التوسع على حساب أراضي الأندلس الإسلامية المتاخمة لحدود اراضي الممالك النصرانية الإسبانية، لا سيما مملكة اشتوريس التي كانت بقيادة الفونسو الثالث (٢٥٢-٢٩٧هـ/٨٦٦-٩٠٩م)، الذي شرع في توطيد حدوده الجنوبية الملاصقة لأراضي الأندلس، مستغلاً بذلك تضعع الأحوال الداخلية في الأمانة الأندلسية، اضافة إلى غاراته التي كان يشنها على المناطق الغربية للأندلس، ومساعدته للثائرين فيها<sup>(٦٧)</sup>.

فبعد وفاة الأمير عبد الله تولى حفيده عبد الرحمن الثالث الإمارة سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م)، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، على الرغم من وجود العديد من اعمامه وأعمام ابيه ممن هم أحق منه بالعرش من حيث السن، إلا أنه بايعه كل اصحاب المكانة ولم ينافسه أحد لخطورة المهمة التي كانت ستواجهه من يتولى الحكم في الأندلس في ذلك الحين، وكان من الضروري أن يتولاها شخص ذو همة عالية حازماً وذكياً وعادلاً وعاقلاً شجاعاً وسياساً حكيماً محباً للإصلاح وحريصاً عليه، لمواجهة تلك الأوضاع المضطربة، من أجل استتباب الأمن في البلاد وتوفير الاستقرار لأهلها، إذ نجد الأمير عبد الرحمن الثالث جعل أولى اهتماماته عند توليه زمام الحكم مواجهة اعدائه المستقلين في النواحي بالسيف تارة أو بالسياسة الرشيدة التي اتبعها بالعفو عن طلب الأمان وعاد إلى الطاعة تارة اخرى، كما أدب المتمردين من حكام نصارى الشمال الإسباني وجعلهم يدركون قوة الأندلس، حتى

انقلب تحرشهم إلى خضوع تام لشروطه واعترفوا بقوته التي جعلت حكام اسبانيا الشمالية أن يطلبوا منه أحياناً التدخل في حل مشاكلهم الداخلية<sup>(٦٨)</sup>.

استمر الأمير عبد الرحمن الثالث في اتباع السياسة التي بدأها أجداده، والمتمثلة في اقطاع حكام الكور المتاخمة للثغور الشمالية، لا سيما اعدائه واعداء المسلمين من نصارى الشمال لمواجهة مقابل اعترافه بما تحت ايديهم من كور لقاء الخدمة العسكرية لصالح الدولة، إذ أكد هذا الامر ابن حيان بقوله: "فقسم بلادهم بينهم حصصاً، وجدد لهم ولأعقابهم بعدهم على اقسامهم منها كل عام سجلاتهم تضميناً وترفيهاً، ثم لا يغبهم بالصلاة إذا وفدوا، وبالهدايا إذا بعدوا، فلا يألون في طاعة مع حفظ انفسهم منها جهداً، ولا يألون عدوهم وعدو المسلمين دفاعاً ووقماً، ثم لا يأتي هو مع سدهم لثغرهم، ووقمهم لعدوهم، وصلتهم مغاورته اكثر اوقاتهم، عن ارسال صوائفه الثقال، الجالبة من كل دار مملكته بصيف كل عام من طبقات اجناده"<sup>(٦٩)</sup>، كما ذكر ابن حيان ايضاً مجموعة من البيوتات البربرية التي شملها هذا الاعتراف وصار حقاً متوارثاً في ابنائها بقوله: "ويقتصر تقليد مدن الثغور على أكابر ساكنيها ووراثها عن الأجداد والآباء، منهم آل تجيب، وآل ذنون، وآل زروال، وآل غزوان، وآل الطويل، وآل رزين وغيرهم"<sup>(٧٠)</sup>، ولا يستبعد أن يكون من ضمنهم افراد من صنهاجة الذين استقر البعض منهم في المناطق الشمالية، رغم ابن حيان لم يذكرهم واكتفى بقول وغيرهم<sup>(٧١)</sup>.

ونتيجة لتلك الحاجة إلى الاستعانة بأكبر عدد ممكن من عناصر المجتمع الأندلسي، تغيرت معاملة البربر عما كانت عليه في الوقت السابق، إذ فسح المجال لهم في المشاركة في العمل العسكري، لا سيما البربر البلديين في الجيش الأندلسي، الذي اصبح يتمتع بنفس الامتيازات التي تقدم للجند الشاميين الذين كانوا يقطعون على اراضيهم، ويعفون من دفع العشر، ويرتزقون مائة دينار بعد كل غزوة، ويسجلون في الديوان، لذلك قام عبد الرحمن الثالث بتعميم ظاهرة التسجيل في

الديوان، مقابل الخدمة العسكرية لتشمل البربر أيضاً المقيمة منها في الثغور المتاخمة للنصارى<sup>(٧٢)</sup>.

كما اعتمد الأمير عبد الرحمن الثالث على جند البربر منذ سنوات حكمه الأولى، إذ غزا في سنة (٣٠١هـ/٩١٣م)، مدينة شنونة للقضاء على اهل الخلاف بها "وبنى حصن اشبره على حصن اقوط، وادخل فيه جميل بن عقبة البلوي، وصير معه عدة كثيفة من الفرسان والبرابر الطنجيين والرجالة الملحقين والعدة التامة من الاطعمة والاسلحة"<sup>(٧٣)</sup>، وإذا كان عبد الرحمن الثالث قد ساوى بين العرب والبربر البلديين، فإنه لم يكن يعامل البربر الطنجيين بنفس المعيار، إذ فرق بين عامتهم وخاصتهم وحرص على استجلاب الفرسان الأشداء، ليستفيد من خدماتهم العسكرية، لكن الجزاء الذي خصهم به، لم يكن من جنس العمل الذي اختاره لهم، فقد سلك سياسة الحذر الشديد في معاملته معهم، إذ نجده "لا يستخدم من البربر إلا ارادهم وعبدانهم من اشابتهم وأساودهم، موقعاً عليهم اسم الطنجيين، مقتصراً بهم على ادنى الملاحق، قاصراً لهم على أقل الرواتب، مصرفاً لهم في اشق خدمة"<sup>(٧٤)</sup>.

ويعزى احد الباحثين السبب في جنوح عبد الرحمن الثالث إلى هذه المعاملة، بالرغم من الخدمة الكبيرة التي كانوا يقدمونها الجند ذوي الأصول المغربية لحكومة قرطبة، مع ذلك يمكن تفسيرها بعدم الثقة التامة من طرف عبد الرحمن الثالث في هؤلاء البربر الذين كان غالبيتهم من صنهاجة كثيراً ما شقوا عصا الطاعة، ووقفوا إلى جانب الثائرين على السلطة الأموية<sup>(٧٥)</sup>.

وربما كانت لهذه المعاملة التي انتهجها الأمير الثالث آثار كبيرة على نفوس جميع البربر فأفسدت ودهم وجعلتهم يثرون على السلطة بسبب عدم معاملتهم بالمثل مع غيرهم من عرب وبربر، كلما وجدوا لذلك سبيلاً، إذ نجد ذلك جلياً في استمرار تمرد ابن حفصون الذي استغل سوء معاملة الأمير الثالث للبرابرة الطنجيين من صنهاجة وحثهم بالثورة على حكومة قرطبة، كما أن ابن حفصون لديه

اتصالات خارجية مع الدولة الفاطمية التي ظهرت على ساحة الأحداث في المغرب، إذ كانت تمده بالمؤن والإمدادات العسكرية، ويؤكد ذلك ابن حيان بقوله: "ودخل الناصر لدين الله إلى مدينة الجزيرة الخضراء، وكان في ساحلها المارد ابن حفصون ولدى أصحابه عدة من المراكب البحرية يُسفرونها إلى أرض العدو في المير والتجارات ويقضون بها الحاجات فيتسعون بها اعظم التوسعة... فأمر الناصر بحرقها جميعاً بين يديه"<sup>(٧٦)</sup>، وهذا ما اكده أيضاً ابن عذاري بقوله: "وألقيت للمشارك عمر بن حفصون مراكب في البحر كانت تميره من العدو فأحرقت جميعها"<sup>(٧٧)</sup>، وبذلك قطعت جميع الامدادات اللوجستية والعسكرية التي كانت تأتيه من الدولة الفاطمية لمدته بالعدة والجنود، ولا سيما قبيلة صنهاجة على حد قول ابن عذاري "وكانت صنهاجة تتقلد مذهب الشيعة العبيدية وكانت زناته بنو مغراوه ضداً لهم في انحيازهم إلى أمراء الأندلس بني مروان، لتحقيق مجد أمرائهم خزر وذريته بولاية أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، فكانت زناته توالي بني مروان لقرابتهم من عثمان وقدم عليهم أمرائهم إلى الأندلس فيجهزونهم بالأموال والكسي ويعودون إلى مواطنهم بالغرب... فلما دخلت صنهاجة في الدعوة العبيدية وتقلدتها وأبت من ذلك زناته فصارت صنهاجة حرباً لزناته"<sup>(٧٨)</sup>، وهذا ما أكدته أيضاً ابن الخطيب بقوله: "وكانت قبائل صنهاجة متقلدة آراء الشيعة، مخالفة لقبائل زناته في انحيازهم إلى الطائفة الأموية لتحقيق جل أمرائهم يومئذ من آل خزر بولاء عثمان بن عفان (رض)<sup>(٧٩)</sup>، وهذا ما اكده أيضاً ابن خلدون في معرض حديثه عن صنهاجة بقوله: "عندما استوسق الملك للشيعة بأفريقية تحيز الصنهاجيون إليهم بعدما تحيزت مغراوة وسائر بطون زناته التي كانت لهم ولاية للخليفة عثمان بن عفان إلى المروانيين أمراء العدو بالأندلس"<sup>(٨٠)</sup>، إذ نجد الأمير عبد الرحمن الثالث بدأ يستقطب البربر الذين هربوا من قبضة الدولة الفاطمية في المغرب، لا سيما قبيلة زناته البربرية وهذا ما اكده مؤلف مجهول بقوله: "وتخطاهم عبد الرحمن إلى من

خلفهم من زعماء قبائل البربر يستألفهم ويحمل أهل الطاعة على أهل المعصية منهم، مسداً لمن عجز برجاله، مقوياً لمن ضعف بماله، متقدماً لهم في سائر الحالات بألطفه، متعهداً بوجوه رسله وخواصه إلى أن تميز أكثر بوادي زناته في حزبه وارتسموا بطاعته، ولا سيما عند امتياز اضدادهم صنهاجة في حزب اعدائه بني عبيد الله الفاطمي"<sup>(٨١)</sup>.

من الواضح أن الأمير عبد الرحمن الثالث أراد أن يضع حداً لأطماع الدولة الفاطمية في توسيع نفوذهم في العدو الأندلسية مستخدمين قبيلة صنهاجة البربرية التي تنتمي إلى فرع البرانس بسبب ما عرف عنهم من ولاء عقائدي منقطع النظير للفاطميين من جهة وشدة بأسهم وشجاعتهم في المعارك من جهة أخرى، لذا نجد أن الناصر قد رد على الفاطميين بنفس وسيلتهم عندما استخدم قبيلة زناتة الموالية للمروانيين، وهي أيضاً من القبائل المشهورة التي تنتمي إلى فرع البتر والتي لا تقل شهرة عن شهرة الصنهاجيين وبأسهم وشجاعتهم في المعارك من أجل مجابهة الصنهاجيين والحد من قوتهم التي استخدمها الفاطميين لتحقيق اطماعهم في العدو الأندلسية.

### هوامش البحث

- (١) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة في فتح الاندلس، ص ٥٥-٥٧؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوباية، ص ١٦١-١٦٢.
- (٢) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة في فتح الاندلس، ص ٨٤.
- (٣) وهو ابو مالك عبد الغفار بن حميد اليحصبي الذي ترأس لبله. ينظر: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٢-٥٣؛ مؤلف مجهول، اخبار مجموعة في فتح الاندلس، ص ٩٦-٩٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٥/٢؛ المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤٨/٣.
- (٤) مدينة في غرب الأندلس قديمة بقرب اشبيلية، تعرف بالحمراء كبيرة يتصل عملها بعمل اكشونية بالشرق منها وغرب قرطبة، برية بحرية غزيرة الفضائل والثمر والزرع والشجر.

- ينظر: الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص ٣٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٠/٥؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٥٥؛ ابن شمائل القطيعي، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ٣/١١٩٧؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٥٠٧.
- (٥) ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٢-٥٣؛ مؤلف مجهول، اخبار مجموعة في فتح الاندلس، ص ٩٦-٩٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٥/٢.
- (٦) وبنو الخليع ينتمون إلى ولهاصة وهي فرع من قبيلة نفزة البربرية التي تنتمي إليها والدة عبد الرحمن الأموي، وكان زعيمهم عبد الأعلى بن عوسجة بن الخليع من موالي بني أمية في تاكرنا، إذ وافق الاخير على تأييد عبد الرحمن وأرسل إليه اربعمائة فارس من موالي الامويين من بني الخليع، وانظموا تحت لواء الداخل في سنة (١٣٨هـ/٧٥٥م). ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص ٤٨، و ٥٣؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٥٠٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٤٤-٤٥، و ٤٧، و ١٣٩، و ١٤٢؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص ١٨٨؛ مؤلف مجهول، فتح الأندلس، تحقيق: مولينا، ص ٨٥-٨٦.
- (٧) وانسوس الجد الاعلى لهذه الاسرة الذي يلقب بأبي قرّة المغيلي وقيل يرجع نسب هذه الأسرة إلى قبيلة مكناسة، ويبدو يعود هذا الاختلاف إلى أن القبيلتين ترجعان إلى نسب واحد وهو ضيري بن زحيك بن ماغدس، وكان وانسوس من رؤساء البربر، إذ سكن طنجة مع زوجته حينما دخلها عبد الرحمن بن معاوية بعد هروبه من الشام، إذ كان يحكم افريقية في ذلك الوقت عبد الرحمن بن حبيب الفهري (١٢٧-١٣٩هـ/٧٤٤-٧٥٦م)، وكانوا بني وانسوس من موالي عبد العزيز بن مروان بن عبد الحكم ببلاد البربر. ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٦-٤٧، و ٥٣؛ مؤلف مجهول، اخبار مجموعة في فتح الاندلس، ص ٥٦-٥٧؛ الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص ١٣٣-١٣٤؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٤٩٦-٤٩٩؛ الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، ص ٢٢٦؛ الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الأندلس، ص ٣٠١؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٣٤٤-٣٤١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٧٢؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص ١٨٧؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٦١-١٦٢؛ المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١/٣٣٣-٣٣٤.
- (٨) تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٢-٥٣؛ مؤلف مجهول، اخبار مجموعة في فتح الاندلس، ص ٩٨-١٠٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٥٠-٥١.

- (٩) البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص ٩٠؛ الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ٥٥٨/٢.
- (١٠) الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص ٧٩؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص ١٣٣. ينظر: السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ١١٦.
- (١١) مجهول، اخبار مجموعة في فتح الاندلس، ص ٩٧-٩٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٧٣/٥-٢٠٨، ١٨٧، ١٧٤، ٢٢١، ٢١٤؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣٤٣/٢٣-٣٤٦؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٦٦؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ١١٦؛ عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ١٦٤/١.
- (١٢) البيان المغرب، ٥٥/٢، مؤلف مجهول، اخبار مجموعة في فتح الاندلس، ص ١٠٧.
- (١٣) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص ١٠١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٢١/٥؛ ابن خلدون، العبر، ١٥٨/٤.
- (١٤) العبادي، احمد مختار، في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة العربية-بيروت، ١٩٧١م، ص ٣١٥؛ مكي، محمود علي، التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية-الظاهر-القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٠.
- (١٥) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٥٥؛ البكري، المسالك والممالك، ٧٣٠-٧٣١؛ ابن حماد، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص ٦٩؛ ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، ٢٣٨/١.
- (١٦) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة في فتح الاندلس، ص ١٠٠-١٠١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٢٥/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٥/٢-٥٦؛ ابن خلدون، العبر، ٢٦٤/٣، ١٥٨/٤؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٥٣.
- (١٧) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة في فتح الاندلس، ص ١٠٠-١٠١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٢٥/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٦/٢؛ ابن خلدون، العبر، ٢٦٤/٣، ١٥٨/٤؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٥٣.
- (١٨) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص ١٥٨.
- (١٩) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٣١/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٦/٢-٤٧؛ النويري، نهاية الأرب في معرفة فنون الادب، ٣٤٧/٢٣؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٦٣. ولمزيد من التفاصيل ينظر: سلامة، ابو العلا ابراهيم عبد المنعم، التاريخ السياسي

- والحضاري لكورة مورور الأندلسية من الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الدولة الأموية (٩٢-٤٢٢هـ/٧١١-١٠٣١م)، الاسكندرية، مصر، ٢٠١٢م، ص ٥٠-٥١؛ عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ١/١٨٦-١٨٧؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم، ص ١١٧.
- (٢٠) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ٤٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/٢٣٦؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢/٤٧؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص ٥٣٩.
- (٢١) البكري، المسالك والممالك، ٢/٧٨١؛ ابن حيان، السفر الثاني المقتبس من أبناء أهل الأندلس (للحقة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، ص ٩٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/٢٧٧-٢٧٨؛ ابن الابار، الحلة السبراء، ١/٤٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٥٨، و ٦١؛ ابي الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢/١٢؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ٢/١٢.
- (٢٢) البكري، المسالك والممالك، ٢/٧٨١؛ ابن حيان، السفر الثاني المقتبس من انباء اهل الأندلس (للحقة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، ص ٩٣-٩٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/٢٨٢-٢٨٣؛ ابن الابار، الحلة السبراء، ٢/٣٦٣-٣٦٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٦١-٦٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٣/٣٦٢-٣٦٣، ٣٧٤-٣٧٧؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ٢/١٢-١٣؛ طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والاندلس، ص ٢٧٥.
- (٢٣) كورة كبيرة بالأندلس بالقرب من استجة فيها معقل رندة قديمة ولها آثار كثيرة. ينظر: الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص ٨٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/٧٣؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٣٢؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ١٢٩.
- (٢٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/٣٠٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٦٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١/٢٢٧-٢٢٨.
- (٢٥) طه، الفتح والاستقرار العربي، ص ٢٧٠-٢٧٣.
- (٢٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/٣٠٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٦٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١/٢٢٧-٢٢٨.
- (٢٧) البكري، المسالك والممالك، ٢/٧٨١؛ ابن حيان، السفر الثاني المقتبس من أبناء أهل الأندلس (للحقة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، ص ٩٣-٩٥، ٩٧-٩٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/٣٢٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٦٩.

(٢٨) ابن حيان، السفر الثاني المقتبس من انباء أهل الأندلس (للحقة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، ص ٩٥، ٩٨-٩٩؛ مؤلف مجهول، اخبار مجموعة في فتح الاندلس، ص ٤٢-٤٤؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣٢٨/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠/١، ٣١، و ٧٠/٢؛ مؤلف مجهول تاريخ الأندلس، ص ١٥٧.

(٢٩) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا وهو جزء من كتاب المسالك والممالك للبكري، ص ١٢٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٩/٢؛ ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ٦٠/٢؛ ابن شمائل القطيعي، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ١٠٩١/٣؛ ابن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، نشره عن النسخة المخطوطة بالخرانة البديانة بإكسفورد الأب منتشر م. أنطونيا، بولس كتر الكتبي، ص ٢٥. نقلاً عن طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والأندلس، ص ٢٦٧.

(٣٠) ابن حيان، السفر الثاني المقتبس من انباء أهل الأندلس (للحقة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، ص ٩٥-٩٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٢٨/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٠/٢.

(٣١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٤٣/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٠/٢.

(٣٢) ابن حيان، السفر الثاني المقتبس من انباء أهل الأندلس (للحقة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، ص ٩٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٨٢-٢٨٣، ٥٢٧، ٥٣٦؛ ابن الابار، الحلة السراء، ٣٦٣-٣٦٤/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦١-٦٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣٦٢/٢٣-٣٦٣، و ٣٧٤-٣٧٧؛ طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والاندلس، ص ٢٧٥.

(٣٣) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص ١٥٨.

(٣٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٧٧-٤٧٨؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ٣٧٣/٢٣-٣٧٤.

(٣٥) الرشاطي، اقتباس الانوار، ص ٥؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٢؛ الأدرسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ٥٣٧/٢ و ٥٧٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٠٢/١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٥٨/٥؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص ١٨٦؛ ابن شمائل القطيعي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي (ت: ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)،

- مراسد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط ١، دار الجبل- بيروت، ١٩٩١م، ١/٨٥؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص ٦٠.
- (٣٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/٥٥٨.
- (٣٧) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٣؛ ابن حيان، المقتبس من انباء اهل الأندلس (للحقة ٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، تعليق رقم ٦٢٩، ص ٦٧٣-٦٧٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/٥٥٨-٥٥٩؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١/٤٨؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٣/٣٧٨؛ ابن خلدون، العبر، ٤/١٦٤؛ عنان دولة الإسلام في الأندلس، ١/٢٥٧-٣٠٥، السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ١١٧.
- (٣٨) اليعقوبي، البلدان، ص ١٩٣؛ المقتبس من انباء اهل الاندلس (للحقة ٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، ص ٧؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١٢٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/٢٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٨٩-٩٠.
- (٣٩) كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء في الجنوب الشرقي من قرطبة وهي كثيرة الخيرات، ولها مدن وحصون، تنسب كورة تدمير إلى الملك الذي كان يحكمها في أيام الفتح الإسلامي الذي يدعى تدمير بن عبدوس (أو غندريس على خلاف في اسمه) ويظن المؤرخون المسيحيون أنه كان يقابل اسم (Teodomiro بن Ergobado)، وهو الذي عقد مع عبد العزيز بن موسى بن نصير معاهدة صلح تناقلت نصها المراجع التاريخية الأندلسية. ينظر: ابن حيان، المقتبس من انباء أهل الأندلس (للحقة ٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، تعليق رقم ٤٥، ص ٤٢٨-٤٢٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/١١٦.
- (٤٠) المقتبس من انباء اهل الاندلس (للحقة ٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، ص ٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٨٩-٩٠.
- (٤١) المقتبس من انباء اهل الاندلس (للحقة ٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، ص ٢٩٣.
- (٤٢) من عمال الامير عبد الرحمن الثاني على طليطلة سنة (٢٢٧هـ/٨٤١م)، إلا انه فيما بعد قام الأمير بعزله سنة (٢٣٢هـ/٨٤٦م)، ولكنه عاد عاملاً عليها في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني سنة (٢٣٨هـ/٨٥٢م)، وبعدها جعله عاملاً على قلعة رباح طليطلة سنة (٢٤١هـ/٨٥٥م). ينظر: ابن حيان، المقتبس من انباء اهل الاندلس (للحقة ٢٣٢-

- ٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، ص ١، و٢٩٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦/٨٤-٨٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٩٥؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٣/٣٨٢.
- (٤٣) المقتبس من انباء اهل الاندلس (للحقة ٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، ص ٢٩٢-٢٩٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٩٤.
- (٤٤) كورة بالأندلس، يتصل عملها بأعمال إشبيلية غربي قرطبة وشرقي إشبيلية، قديمة البنيان ذات نعم كثيرة عامرة ذات هواء معتدل يدخلها تجار بلاد الروم والمغرب ومصر وأكثر ما يقول الناس قرمونة. ينظر: مؤلف مجهول، حدود العالم من المشرق إلى الغرب، ص ١٨٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/٣٣٠؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص ٤٦١.
- (٤٥) المقتبس في تاريخ الأندلس عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (للحقة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، تحقيق: اسماعيل العربي، ط ١، منشورات دار الآفاق الجديدة- المغرب، ١٩٩٠م، ص ٩١.
- (٤٦) المقتبس في تاريخ الأندلس (للحقة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، ص ٩٢.
- (٤٧) المقتبس في تاريخ الأندلس (للحقة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، ص ١٤٤-١٤٥.
- (٤٨) المقتبس في تاريخ الأندلس (للحقة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، ص ١٤٥.
- (٤٩) اسم حصن من أعمال أوريث بالأندلس له ولاية وقرى يقع إلى الشرق من ماردة بينها وبين قلعة رباح على مسافة تبلغ نحو عشرين كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من المدينة الملكية Ciudad Real، ابن حيان، السفر الثاني المقتبس من انباء اهل الأندلس (للحقة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، تعليق رقم ٥٤٥، ص ٦١٥. ينظر أيضاً: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/٤٥٤.
- (٥٠) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/١٥٩، ١٣٨.
- (٥١) ابن حيان، السفر الثاني المقتبس من انباء اهل الأندلس (للحقة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، تعليق رقم ٥٤٥، ص ٦١٥.
- (٥٢) ابن حيان، السفر الثاني المقتبس من انباء اهل الأندلس (للحقة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، تعليق رقم ٥٤٥، ص ٦١٥.
- (٥٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/١٥٩. ينظر أيضاً: أبا الخيل، محمد بن ابراهيم، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) دراسة في التاريخ

- السياسي، ط١، نشر وتوزيع مكتبة الملك عبد العزيز العامة-الرياض)، ١٩٩٥م، ص٢٩٣-٢٩٤.
- (٥٤) حسين، حمدي عبد المنعم محمد، ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٦-٩٢٨م)، مؤسسة شباب الجامعة-الاسكندرية، ١٩٩٣م، ص٨٦.
- (٥٥) ابن حيان، المقتبس من انباء اهل الأندلس (للحقة ٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، تعليق رقم ٥٤٦، ص٦١٥-٦١٦؛ طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والأندلس، ص٢٧٥.
- (٥٦) طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، ص٢٧٥.
- (٥٧) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٢٦؛ طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، ص٢٧٧.
- (٥٨) اليعقوبي، البلدان، ص١٩٤.
- (٥٩) ابن حيان، المقتبس في رجال الأندلس، تحقيق: ملتشور انطونيا، ص٢٥. نقلا عن حسين، ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٦-٩٢٨م)، ص٨٢، ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣٦/٢؛ ابا الخيل، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، ص١٦٦؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص١٢٧.
- (٦٠) جمهرة انساب العرب، ص٥٠٢؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٨٦.
- (٦١) ابن حيان، المقتبس (للحقة للحقة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م) الجزء الخامس، تحقيق: شالميتا وآخرون، المعهد الأسباني العربي للثقافة، كلية الآداب، الرباط، مدريد، ١٩٧٩م، ص١٣٨.
- (٦٢) المقتبس في تاريخ الأندلس (للحقة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، ص١٦٨-١٦٩.
- (٦٣) البكري، المسالك والممالك، ٧٨١/٢؛ ابن حيان، السفر الثاني المقتبس من انباء أهل الأندلس (للحقة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، ص٩٣-٩٥، ٩٧-٩٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٢٨/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٩/٢.
- (٦٤) ابن حيان، المقتبس من اخبار بلد الأندلس (للحقة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص١٤٨.

- (٦٥) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٥٠٢؛ الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص٥، ٨٥، ١١١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٤٧/٤؛ ابن شمائل القطيعي، مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ٣/١٠٩١؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٧٩-٤٨٠.
- (٦٦) حقي، البربر في الأندلس، ص١١٩.
- (٦٧) طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص٢٩٩.
- (٦٨) الحجى، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ص٢٩٧-٢٩٨.
- (٦٩) المقتبس الجزء الخامس (للقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م)، ص٤٣٨.
- (٧٠) المقتبس الجزء الخامس (للقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م)، ص٤٣٧-٤٣٨.
- (٧١) طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والاندلس، ص٢٧٣.
- (٧٢) بوباية، البربر في الأندلس، ص١٤٥-١٤٧.
- (٧٣) ابن حيان، المقتبس الجزء الخامس (للقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م)، ص٨٨.
- (٧٤) ابن حيان، المقتبس من اخبار بلد الأندلس (للقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص١٤٨.
- (٧٥) بوباية، البربر في الأندلس، ص١٤٧.
- (٧٦) ابن حيان، المقتبس (للقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م) الجزء الخامس، ص٨٧.
- (٧٧) البيان المغرب، ٢/١٦٥.
- (٧٨) البيان المغرب، ٣/٢٦٢.
- (٧٩) اعمال الاعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ص٢٢٨؛ ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، ١/٢٣٨.
- (٨٠) العبر، ٦/٢٠٢-٢٠٣.
- (٨١) مفاخر البربر، ص٩٤.

### قائمة المصادر الأولية والمراجع الحديثة

#### المصادر الاولية :

١. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ / ٢٥٩م): الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف - القاهرة، ١٩٨٥م.

٢. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي-بيروت- لبنان، ١٩٩٧م.
٣. الادريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحميري الحسني (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب- بيروت، ١٩٨٨م.
٤. الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت: ٣٤٦هـ / ٩٥٧م): المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.
٥. البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م): جغرافية الاندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجى، ط١، دار الارشاد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨م.
٦. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت: ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دار الكتب- مصر، ١٩٦٣م.
٧. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م): جمهرة أساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
٨. ابن حماد، ابو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى الصنهاجي القلعي (ت: ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م): اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: عبد الحليم عويس والتهامي نقرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع- القاهرة، ١٩٨١م.
٩. الحميدي، أبي عبد الله محمد بن أبي فتوح (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والادب وذوي النباهة والشعر، تحقيق: بشار عواد معروف و محمد بشار عواد، ط١، دار الغرب الاسلامي- تونس، ٢٠٠٨م.
١٠. الحميري، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت : حوالي ٧١٠هـ / ١٣١٠م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، ١٩٨٠م.

١١. ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م): المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للحقة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، تحقيق: محمود علي مكي، ط١، الرياض، ٢٠٠٣م.
- المقتبس (للحقة ٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، تحقيق: محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣م.
- المقتبس (للحقة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، تحقيق اسماعيل العربي، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م.
- المقتبس (للحقة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م)، تحقيق ب. شالميتا بالتعاون مع كور نيطي وم. صبح، منشورات المعهد العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م.
- المقتبس (للحقة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ط١، المكتبة العصرية-بيروت، ٢٠٠٦م، ص٧٨-٧٩.
- المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، نشره عن النسخة المخطوطة بالخرزانة البديانة بإكسفورد الأب منتشور م. أنطونيا، بولس كتنر الكتبي بباريس، ١٩٣٧م.
١٢. ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م): الأحاطة في اخبار غرناطة، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت، ٢٠٠٣م. أعمال الأعلام في من بويج قبل الأحتلام من ملوك الأسلام المسمى بتاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق وتعليق: إلفي بروفنسال، دار المكشوف-بيروت، ١٩٥٦م.
١٣. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر-بيروت، ١٩٨٨م.
١٤. الرشاطي، ابي محمد عبد الله بن علي بن عبد الله اللخمي الاتداسي (ت: ٤٦٦هـ/١٠٧٣م): اقتباس الانوار والتماس الازهار في انساب الصحابة ورواة الآثار، وضع حواشيه: محمد سالم هاشم، ط١، نشر محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
١٥. ابن سعيد، علي بن موسى (ت ٦٧٣هـ/١٢٧٤م أو ٦٨٥هـ/١٢٨٦م): المغرب في حلّى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف-القاهرة، ١٩٥٥م.

١٦. ابن شمائل القطيعي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي (ت: ٧٣٩هـ/١٣٣٨م): مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، دار الجيل- بيروت، ١٩٩١م
١٧. الضبي، أبي جعفر أحمد بن يحيى بن عميرة (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي - القاهرة، ١٩٦٧م.
١٨. ابن عذاري المراكشي، ابو العباس أحمد بن محمد (ت ٧١٢هـ/ ١٣١٢م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج.س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط٣، دار الثقافة-بيروت-لبنان، ١٩٨٣.
١٩. العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م): نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ١٩٦٥م، ص ١٢٠.
٢٠. ابي الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م): المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية المصرية- القاهرة.
٢١. ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: ابراهيم الابياري، ط٢، دار الكتاب المصري- القاهرة ودار الكتاب اللبناني- بيروت، ١٩٨٩م.
٢٢. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت: ٦٨٢هـ): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت. د.ت.
٢٣. مجهول، مؤلف (ت: بعد ٣٧٢هـ/٩٨٢م): حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق وترجمة عن الفارسية: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر- القاهرة، ٢٠٠٢م.
٢٤. مجهول، مؤلف (ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي): أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: ابراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م.
٢٥. مجهول، مؤلف (ت في حدود ٥٨٩٥/١٤٨٩م): تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت، ٢٠٠٧م.

٢٦. مجهول، مؤلف (ت: القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي): فتح الاندلس، تحقيق: لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية- الوكالة الأسبانية للتعاون العلمي.  
 ٢٧. مجهول، مؤلف (كان حياً ٧١٢هـ/١٣١٢م): مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط١، دار ابي رفرق للطباعة والنشر، الرباط، ٢٠٠٥م.

٢٨. المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت - لبنان، ١٩٠٠م.  
 ٢٩. النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م): نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٣٠. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م): معجم البلدان، ط٢، دار الصادر-بيروت، د.ن.  
 ٣١. اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب اسحاق بن جعفر بن واضح (ت بعد سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م): البلدان، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ٢٠٠١م.

### المراجع الحديثة :

٣٢. بوباية، عبد القادر: البربر في الأندلس وموقفهم من فترة القرن الخامس الهجري (٩٢-٤٢٢هـ/ ٧١٠-١٠٣٠م)، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت، ٢٠١١م.  
 ٣٣. الحجى، عبد الرحمن علي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ/ ٧١٠-١٤٩١م)، ط٢، دار القلم-بيروت لبنان، ١٩٨١م.

٣٤. حسين، حمدي عبد المنعم محمد: ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية (١٣٨-٣١٦هـ/ ٧٥٦-٩٢٨م)، مؤسسة شباب الجامعة- الاسكندرية، ١٩٩٣م.  
 ٣٥. حقي، محمد: البربر في الأندلس، دراسة لتاريخ مجموعة اثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية (٩٢-٤٢٢هـ/ ٧١١-١٠٣١م)، ط١، شركة النشر والتوزيع- المدارس، الدار البيضاء، ٢٠٠١م.

٣٦. أبا الخيل، محمد بن ابراهيم: الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م) دراسة في التاريخ السياسي، ط١، نشر وتوزيع مكتبة الملك عبد العزيز العامة-الرياض)، ١٩٩٥م.

٣٧. السامرائي، خليل ابراهيم وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.
٣٨. سلامة، ابو العلا ابراهيم عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري لكونة مورور الأندلسية من الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الدولة الأموية (٩٢-٤٢٢هـ/٧١١-١٠٣١م)، الاسكندرية-مصر، ٢٠١٢م.
٣٩. العبادي، احمد مختار: في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م.
٤٠. عنان، محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٤١. طقوش، محمد سهيل: تاريخ المسلمين في الأندلس (٩١-٨٩٧هـ/٧١٠-٤٩٢م)، ط٣، دار النفائس- بيروت، ٢٠١٠م.
٤٢. طه، عبد الواحد ذنون: الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والاندلس، ط١، دار المدار الاسلامي- ليبيا، ٢٠٠٤م.
٤٣. مكى، محمود علي: التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، ط١، مكتبة الثقافة الدينية- الظاهر-القاهرة، ٢٠٠٤م.

## بنية الجملة الاسمية دراسة تركيبية في آيات الأقوام والأمر البائدة

المشرف

الباحثة

أ.د. سالم يعقوب يوسف

إخلاق صلال هبول الاسدي

## المقدمة

يتناول البحث بنية الجملة الاسمية وأحوالها التركيبية من خلال التطبيق على آيات الأقوام والأمر البائدة والوقوف على علاقة الكلمات داخل الجملة ومن ثم علاقة الجملة داخل التركيب، فالبحث في البنية التركيبية هو بحث في المعنى ولا سيما في نصوص فاقت كل النصوص في حسن النظم وسمو البيان.

## البحث:

جاءت الجملة الاسمية في قوله تعالى: (ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكِ الْقُرَىٰ)<sup>(١)</sup> مختلف فيها، إذ اعربت بحسب المعنى الذي يؤديه الكلام، فتصدرها باسم الإشارة (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من بعثة الرسل وإنذارهم سوء العاقبة لتلك الأقوام، إذ وجه العلماء فيها القول على الرفع إما للابتداء أو الأخبار، فالفراء يذهب إلى أن الرفع فيها على الاستئناف أي الابتداء<sup>(٢)</sup>، ويذهب الزمخشري وآخرون إلى إن (ذلك) في محل رفع على الخبرية، والمبتدأ محذوف والتقدير والأمر ذلك<sup>(٣)</sup>، وجاء ما بعدها تعليلاً لها، أي مبيناً السبب وهو قوله (أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكِ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ)؛ لأنّ ذلك منافٍ لعدله وحكمته تبارك وتعالى أن يعذب قوماً من غير إنذار أو تنبيه لهم، قال الزمخشري: ((أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكِ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ...، فقيل أي الأمر ما قصصناه عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم))<sup>(٤)</sup>، فعلل ما ذكر بانتهاء التعذيب الدنيوي قبل الإنذار لتلك القرى<sup>(٥)</sup>، وهذا إنما يكون منه تعالى على وجه الاستظهار في الحجة، فلم يهلك المدن دون نذارة و دون أن يكون ذلك واجباً؛ لأن ما فعلوه من الظلم، قد استحقوا به العقاب<sup>(٦)</sup>، ومثله قوله في هود ((وما كان

ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون))<sup>(٧)</sup>، وعندما أراد الله بيان حالهم وتأكيده عطف بالجملة الاسمية أيضاً وهي (وهم غافلون) إشارة إلى إن ذلك ثابت لم لانقفاء كونه تعالى مُعذّباً لهم قبل إرسال الرسل وإنزال الكتب<sup>(٨)</sup>، وقد عدّ الدارسون أسماء الإشارة من المثيرات إلى ما قبلها من الكلام لعمل الربط والانسجام والاتساق النصي، لذا جاءت الجملة الاسمية المتصدرة باسم الإشارة (ذلك) والذي فسر عند العلماء مبتدأ وخبراً ليسهل الربط في تفسير الآية الشريفة، ومن ثم تسهم في اتساق النص<sup>(٩)</sup>، قال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرنٍ هم أحسن أثاثاً ورئياً)<sup>(١٠)</sup>، جاءت الآية الكريمة في معرض الحديث عن الأمم العاتية كعادٍ وثمود واضرابهم فسياق الآية فيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى، فالجملة الاسمية (هم أحسن) جملة اسمية مؤلفة من الضمير المنفصل (هم) في محل رفع مبتدأ وجيء بالضمير كناية عن الاسم الصريح<sup>(١١)</sup> و(أحسن) اسم تفضيل أخبر به للدلالة على تخصيص الوصف بهؤلاء الأمم المتقدمة في قوله تعالى (من قرنٍ) ف ((أهل كل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم، والجملة الاسمية في حيز النصب على أنه صفة لـ(لكم)))<sup>(١٢)</sup>، فالسياق العام للآية يتطلب التعبير بالجملة الاسمية (هم أحسن اثاثاً ورئياً) لتبين وتصف حالهم، إذ جاءت الجملة الاسمية ليتضح من خلالها قدرة الله المطلقة على شدة البطش النازل بتلك الاقوام ولتكشف عن مقدار الحسرة الكبيرة لما ينزل بهم لكونهم أهلكوا شرّ هلكة بعدما كانوا يعيشون عيشاً رغيداً، وهم يتمتعون بهذه الحياة.

وقيدت الجملة الاسمية بالتمييز والصفة في قوله (اثاثاً ورئياً) فنصب اثاثاً على التمييز ما بعد اسم التفضيل (أحسن) للدلالة على التفضيل المقارن فـ(أحسن) فاعل في المعنى فدلالة التمييز هو التغاير بمعنى التمييز مغاير للمفضل<sup>(١٣)</sup> فـ((كانوا أرفه من مشركي العرب متاعاً وأجمل منهم منظرًا))<sup>(١٤)</sup>، زيادة عن ما أفادته الصفة المشبهة من معنى الثبوت والاستمرار فهي صفة ثابتة لهم<sup>(١٥)</sup>، فسيقت الآيات باتساق

وترابط ليتم اقناع المخاطب بالنتيجة المُعطاة ((لم ينفعمهم أثاثهم ورياشهم وزينتهم ومظاهرهم، ولم يعصمهم شيء من الله حين كُتب عليهم الهلاك))<sup>(١٦)</sup>، وقد اختلفت تأويلات المفسرين في معنى (ورثياً) فضلاً عن اختلاف في قراءتها فقرياً (( ورثياً) وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت))<sup>(١٧)</sup> وقرئء بياء مشددة ، والمعنى ظهور النعيم عليهم ومنهم من قرأ ( زياً ) والمعنى هينتهم<sup>(١٨)</sup>، والبادي لنا كل ما تقدم له وجه من التأويل صحيح.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾<sup>(١٩)</sup>، جاءت الجملة الاسمية في قوله تعالى (وتلك القرى أهلكناهم) اشارة إلى قرى الأولين في القرون الماضية والأمم الخالية في سياق متصل عاطفاً على قوله (بل لهم مَّوْعِدًا)<sup>(٢٠)</sup> مُرَوِّعاً لهم بالإشارة إلى ديارهم المصورة لدمارهم<sup>(٢١)</sup> (فتلك) ابتداء و(القرى) صفته و(أهلكناهم) خبر<sup>(٢٢)</sup> والكلام على تقدير مضاف؛ أي: أهل القرى لقوله تعالى: (أهلكناهم) ((والإشارة لتتزيلهم منزلة المحسوس لعلم كفار مكة بهم))<sup>(٢٣)</sup>، وجيء بالخبر جملة فعلية فعلها ماضٍ وهي قوله تعالى (أهلكناهم) فالهلاك وقع وانقطع في قرون مضت قبل زمن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) فناسب سياق الآية أن يكون الخبر عنهم بالفعل الماضي إشارة إلى العبرة من هلاكهم، والضمير في (أهلكناهم) عائد على أهل تلك القرى فراعى المحذوف وأعاد عليه الضمير<sup>(٢٤)</sup>؛ لأنَّ القرية هي المسكن وهي لا تستحق الهلاك وإنما يستحق الهلاك أهلها<sup>(٢٥)</sup>، وجاء قوله (لمَّا ظلموا) لتوضيح جملة المبتدأ والخبر لما أفاده هذا التركيب من التعليل وبيان السبب في إهلاكهم إشعاراً بعلّة الإهلاك وهي الظلم، وهذا دليل على حرفية لَمَّا وأنها ليست بمعنى حين؛ لأنَّ الظرف لا دلالة فيه على العلية وفي قوله (لمَّا ظلموا) يحذف المفعول دلالة على تعميم الظلم وجعله منزلة اللازم<sup>(٢٦)</sup>.

فلما أما حرف واما ظرف استعمل للتعليل ومما استدل على حرفيتها هذه الآية حيث قال إنها تدل على أنَّ علة الإهلاك الظلم والظرف لا دلالة له على العلية<sup>(٢٧)</sup>،

بل زمان مستمد من ابتداء الظلم إلى آخره فتضافرت الجمل في التركيب تحذير من الظلم إذ نتيجته الإهلاك<sup>(٢٨)</sup> فقد ربطت الواو بين مهلك تلك القرى ووقت إهلاكهم بقوله تعالى وجعلنا لمهلكهم موعدا فجيء بصيغة مهلك وهو ظرف لوقت اهلاكهم مطابقة لأصول الفعل في أهلكتهم الذي أخبر به عن المبتدأ يزيد في تحقيق الاخبار وتوكيده واختلف في قراءة (لمهلكهم) فقرئت بضم الميم وفتح اللام فيكون معناه لإهلاكهم على توجيه إنه مصدر من أهلكتهم وإهلاكهم ومن قرأ (لمهلكهم) فالمراد وقت هلاكهم وهناك من قرأ بفتح الميم واللام فهو مصدر مثل الهلاك<sup>(٢٩)</sup>.

والبادي لنا قراءة الضم أولى بالصواب، لإجماع الحجة من القراء عليه واستدلالاً بقوله ((وتلك القرى)) وهو استشهاداً لقريش من يقين الموعد لينتبهوا لذلك ولا يفتروا بتأخر العذاب فقد هلكت من قبلهم قرى (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً)<sup>(٣٠)</sup>، وكأين مبنية في موضع رفع على الابتداء وهو مبني وجملة (عتت عن أمر ربها) في موضع الخبر (كأين) وهي اسم لعدد كثير منهم يفسره ما يميزه بعده من اسم مجرور بمن وهي بمعنى كم الخبرية والمقصود من إفادة التكرير هنا تحقيق أن العذاب الذي نال أهل تلك القرى شيء ملزم لجزائهم على عتوهم عن أمر ربهم ورسله فليس ذلك مصادفة بل ظاهرة مُطردة في جميعهم والمعنى الإخبار بكثرة ذلك<sup>(٣١)</sup> والعتو تجاوز الحد وضمت معنى الإعراض فعذب بحرف (عن) وجيء بـ(حاسبناها) و(عذبناها) بصيغة الماضي لاستعمال المحاسبة في الجزاء على الفعل تشبيهاً لتقدير الجزاء بإجراء الحساب بين المتعاملين<sup>(٣٢)</sup>، وأتى بها بصيغة الماضي لتحقيقها فلفظها ماضٍ ومعناها الاستقبال<sup>(٣٣)</sup> ووصف العذاب بـ(العذاب النكر) هو عذاب الاستئصال بالغرق والخسف والرجم وعطف العذاب على الحساب مؤذن بأنه غيره فالحساب فيما لا قوه قبل الاستئصال من المخوفات وأشراط الانذار مثل القحط والوباء والعذاب هو ما توعده به ((فيكون فعل العذاب الماضي مُستعملاً في معنى

المستقبل تشبيهاً للمستقبل بالماضي في تحقيق وقوعه<sup>(٣٤)</sup>، فجاءت الجملة في الكلام اللاحق للجملة الاسمية (وكأين من قرية عنتت) مبينة وموضحة النتيجة التي حصلت بسبب هذا العتو المتمثل بتجاوز الحدود والاعراض لأهل هذه القرية فعطفت هذه الجمل على ما تقدمها كما هو في قوله تعالى (فحاسبناها... وعذبناها) وقد جاء العطف على العتو بالفاء المعاقبة التي تفيد السرعة في تنفيذ الحساب، إذ المعت إلى عدم ترك مهلة لهم، ثم جاء العطف بالواو يجتمع الحساب مع العذاب الشديد. ((وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير))<sup>(٣٥)</sup>، جاءت الجملة الاسمية التي خبرها جملة فعلية للتذكير ((بانّ تأخير الوعيد لا يقتضي إبطاله ولذلك اقتصر فيها على ذكر الإمهال ثم الإخذ بعده المناسب للإملاء من حيث أنّه دخول في القبضة بعد بعده عنها))<sup>(٣٦)</sup>، وربطت الجملة الاسمية الثانية (وهي ظالمة) بالجملة الاسمية الأولى المتقدمة عليها (وكأين من قرية) بحرف العطف الواو لأنها مبينة للحال التي عليها القرية (وكأين من قرية) مفيدة لكمال حلمه تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين أي أمليت لها والحال أنها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء<sup>(٣٧)</sup> فالإخبار بالجملة الاسمية وهي ظالمة بصيغة اسم الفاعل المؤنث لإرادة معنى الفعل<sup>(٣٨)</sup>، والمقصود، فهي في حال الظلم متلبسة فيه فظالمة أبلغ من (ظالم) فحال هذه القرية إنها مشغلة بالظلم مستمرة فيه ولدقة ألفاظ القرآن في مواعمتها بين اللفظ والمعنى إنها اختارت بعد الجمل الاسمية الجملة الفعلية المعطوفة بحرف المهلة ليواكب الإملاء للقوى والظلم المستمرة فيه ليدل على التراخي في وقوع الأحداث وللانقطاع في الزمان<sup>(٣٩)</sup> ثم تشير إلى الحركة والتتابع بلا تقييد بزمن<sup>(٤٠)</sup>، فختمت الآية الشريفة بقوله تعالى (وإليّ المصير) تبين أن مصير الخلق يؤول إليه تبارك وتعالى وإن هذا الإمهال الدال على الحلم الواسع لا يعني الفرار من قبضته وفيه إشارة إلى الوعيد والتهديد والإنذار لهؤلاء الظلمة (فإليّ المصير) أي مصير الناس كلهم والمصير مصدر ميمي لـ(صار) بمعنى

رجع وهو رجوع مجازي بمعنى الحصول في المكنة وتقديم المجرور للحصر الحقيقي، أي لا يصير الناس إلا الله وهو يقتضي أن المصير إليه لا محالة وهو المقصود بالحصر لأن الحصر يقتضي حصول الفعل كناية عن عدم الإفلات<sup>(٤١)</sup> (وَكَايْنٌ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا تَنْصِرُ لَهُمْ)<sup>(٤٢)</sup>، أحوالت الجملة الاسمية (وكأين من قرية... أهلكتناهم) إلى ما سبقتها من آيات بأن الله ينصر من ينصره ويخذل من يعانده فجاءت الجملة الاسمية دليلاً قاطعاً على ذلك فعطف عليه (وكأين) وجملة هي أشد قوة فتكررت الجمل الاسمية في النص الشريف أخباراً عن الأمم البالية التي عصت الأنبياء فاهلكوا بسبب ذلك طمأنة للنبي الخاتم (صلى الله عليه وآله) الذي أخرجه قومه وآذوه<sup>(٤٣)</sup> فالجملة الاسمية (هي أشد قوة من قرينك) جاءت مبينة للقرى الهالكة، بكونها فائقة بأفعالها لفعل قرينك مستعملاً في ذلك الوصف باسم التفضيل (أشد) فالجملة هنا جاءت للتفاضل بين حالتين، حالة الاقوام السابقة مع انبيائهم وحال قوم النبي (صلى الله عليه وآله) وورود (من) في جملة التفضيل للإيدان بأولوية الثانية منها بالإهلاك لضعف قوتها كما إن وصفها بإخراجه عليه أفضل الصلاة والسلام للإيدان بأولويتها بالهلاك بقوة جنائيتها<sup>(٤٤)</sup> وتشريفاً للنبي (صلى الله عليه وآله) أضاف القرية إليه في قوله (قرينك) التي اخرجتك) ولا يخفى ما فيها من مذمة للقطيعة وتعليل للإهلاك بسبب اخراجهم للرسول (صلى الله عليه وآله) زيادة على ما أفاده الفعل (أخرج) وتعديه بضمير المخاطب (الكاف) العائد عليه (صلى الله عليه وآله) لاسناد اخراج الرسول (صلى الله عليه وآله) على جميع أهلها سواء منهم من تولى أسباب الخروج، ومن كان ينظر ولا ينهى ولا يخفى ما فيه من إطناب في الوعيد<sup>(٤٥)</sup> وختمت الآية مذبة بقوله تعالى (فلا ناصر لهم) بالجملة الاسمية المسبوقة بلام التبرئة فقيد توكيد نفي النصره عنهم على جهة العموم والشمول مرتبة بالفاء العاطفة ((وفي نفي العموم تأكيد للنفي،

فلا ناصر لهم يدفع عنهم إهلاكنا إياهم))<sup>(٤٦)</sup> وهي حكاية حال ماضية باسم الفاعل (ناصر) فانتفى جنس الناصر لهم.

فمن خلال هذه التراكيب تلمح ازدياء وتقليلاً من شأن القرية التي أخرجته، لأنه هو الناصح الأمين فمن يفعل معه هذا الفعل المشين يلحقه من أذى ومشقة. قال تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ \* وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ \* وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ)<sup>(٤٧)</sup> ذكر الله سبحانه وتعالى المكذبين للأنبياء من الأمم البائدة السابق لأمة محمد (صلى الله عليه وآله) وفي ذكرهم حالاً لا يخفى من تسلية النبي (صلى الله عليه وآله) وتنبيه بين حاله كحال من تقدمه من الرسل فأتى بجملة (كل كذب الرسل فحق وعيد) فهو وعد منه تعالى بإهلاك واستئصال المكذبين ووعد بنصرة أنبيائه<sup>(٤٨)</sup> فذُلت آية بالجملة الاسمية فأتى بلفظ (كل) مبتدأ وخبره جملة فعلية (كذب الرسل) لتدل على العموم والشمول فلفظ (كل) اسم نكرة يدل على شمول وعموم فعل الأقسام في تكذيب رسلهم، وقد عبر عن تكذيبهم بالفعل الماضي دلالة وقوع التكذيب فهو واقع لا شكّ فيه فأفعالهم في التكذيب جاء مبرراً ومبيناً حق الوعيد والإنذار في انزال العذاب بهم، وقد كرر الفعل فقد جاء صدر الآية (كذبت قبلهم) وختمت (كل كذب) الرسل والمراد بالكلية التكثير.

فجملة (كل كذب الرسل) مؤكدة بجملة (كذبت قبلهم قوم نوح) ليكون الأمر مؤكداً وقاطعاً فيكون تهديداً بأن يحق عليهم الوعيد كما حق على أولئك مرتباً بالفاء على تكذيبهم الرسل ((فكان دخول الفاء بين لفظتين متحدين معنى، يضيفي على الثاني زيادة في المعنى، بما يحقق لونا من التباين يصح به العطف))<sup>(٤٩)</sup>، ومجيء الضمير في الجملة الواقعة خبراً مفرداً باعتبار لفظ الكل أو كل واحد منهم كذب الرسل لاتفاقهم على الدعوة إلى التوحيد والإنذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل<sup>(٥٠)</sup> (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ

بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ<sup>(٥١)</sup> لما أخبر النص الشريف عن تجبر وطغيان تلك القرى والمراد أهلها، أشارت الجملة الاسمية (تلك مساكنهم لم تسكن) تعبيراً أو كناية عن حلول العذاب بأهل هذه القرية (فتلك) مبتدأ و(مساكنهم) خبر والإشارة بتلك إلى مساكنهم الذي يبين به اسم الإشارة؛ لأنه في قوة تلك المساكن وبذلك صارت الإشارة إلى حاضر الذهن منزل منزلة الحاضر بمرأى السامع<sup>(٥٢)</sup> وقد افتتح السورة (بكم أهلكتنا) فكم مفعول به مقدم للتكثير فأشار على تأكيد التكثير مع تمييز المبهم بقوله (من قرية) وأشار إلى سبب الهلاك بقوله (بطرت معيشتها) أي وقع منها البطر في زمان عيشتها الواسع الرخي فلما وقع البطر أهلكتناهم<sup>(٥٣)</sup> ودلّ على ذلك اسقاط حرف الجر (في) فنصب معيشتها مفعولاً به بعد إن كان قاصراً<sup>(٥٤)</sup> ولما تسبب عن هذه الاخبار تشوق النفس إلى اثاره هذه الديار، سبب عن الإشارة بأداة البعد إلى منازلهم تنبيهاً على كثرتها وسهولة الوصول إليها في كل مكان بحيث يشار إليها وعلى بعد رتبته في الهلاك فقال (تلك القرى) فعطف عليها جملة (وكنا نحن الوارثين) من كان واسمها وخبرها فأفاد واكد إنها لم تسكن من بعدهم فلا يحل فيها قوم آخرون فعبر عن تداول السكنى بالإرث على طريقة الاستعارة<sup>(٥٥)</sup> ويعضد هذه الدلالة ويقويها الاستثناء المتقدم بالنفي والمعنى أي لم تسكن إلا حلول المسافرين فقصد إرث تلك المساكن على الله سبحانه وتعالى حقيقي أي لا يرثها غيرنا وهو كناية عن حرمان تلك المساكن من الساكن وتلك الكناية رمز إلى شدة غضب الله تعالى على أهلها الأولين بحيث تجاوز غضبه الساكنين إلى نفس المساكن فعاقبها بالحرمان من بهجة الساكن لأن بهجة المساكن سكانها<sup>(٥٦)</sup> فيارهم التي لم تسكن بعد ما خلت من أهلها، فيه إشارة إلى النظر في أحوالهم وعاقبتهم، أي انظر إلى مساكنهم وهي علامة زوالهم، وهذا تعبير بليغ لم يذكر العذاب فيه بشكل مباشر، بل عبر عن ذلك بما يدل عليه، بعدما علل سبب ذلك وهو الكفران بنعمة الله، وهو ما يشير إليه بقوله (بطرت معيشتها) (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ

الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلِهَا ظَالِمُونَ<sup>(٥٧)</sup> اخبر الله سبحانه و تعالى عن إهلاك القرى بقوله (وما كنا مهلكي القرى)، علله وبين سببه بالجملة الاسمية بعد (إلا) في الاستثناء في قوله تعالى (إلا وأهلها ظالمون) فهي علة لما تقدم في أمر لأهلاك فاتسق الكلام وترابط من خلال الجمل المكونة للنص فجاء بالجملة الاسمية المنسوخة بكان في قوله تعالى (وما كان ربك مهلك القرى) أي كوناً ما في حكمه الماضي وقضائه السابق<sup>(٥٨)</sup> الذي افادته كان فلا يهلكهم إلا إذا استحقوا الهلاك بظلمهم مؤكداً ذلك بحرف النفي<sup>(٥٩)</sup> والجملة الاسمية تدل على استثناء من أعم الأحوال أي في حال من الأحوال إلا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولهم والكفر بآياتنا<sup>(٦٠)</sup> وهو حال مستثنى من أحوال محذوفة اقتضاها الاستثناء المفرغ أي ما كنا مهلكي القرى في حال إلا في حال ظلم أهلها<sup>(٦١)</sup> والجملة الاسمية تدل على عراقتهم في الظلم والعصيان وثباتهم وتركهم ثمرات الايمان<sup>(٦٢)</sup>، وجاء الاسناد الخبري على الله عز وجل بعنوان الربوبية إيماءً إلى أن المقصود بهذا الإنذار هم أمة محمد الذين كذبوا فالخطاب للنبي (صلى الله عليه وآله)<sup>(٦٣)</sup>، فتضافر التركيب بالجملة المنسوخة تارة وبالجملة المبينة أحوالهم تكراراً لنفي الإهلاك بغير عذر أو بغير حق، إنما هو عذاب مستحق لهؤلاء لأنهم ظالمون .

قال تعالى: (فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ)<sup>(٦٤)</sup> تعددت الجملة الاسمية في التركيب القرآني (فكأين من قرية) فبدأ التركيب بالجملة الاسمية (فكأين من قرية أهلكناها) بفاء التفریع والتعقيب في خطاب الأمم والقرى البائدة التي تم أخذها بعد الإنذار والإملاء ثم الإهلاك تسبب ذلك تهويل الإخبار عنهم وتكثيرها فأخبر الله سبحانه على طريق النشر<sup>(٦٥)</sup>، فقد ذكر التفسير بعدما تقدم هذه الآية قوله تعالى (فأمليت للكافرين) فأفاد المبتدأ (كأين) بما فيه من معنى الكثرة كثرة العدد شمولاً للأقوام الذين ذكروا من قبل<sup>(٦٦)</sup> ((فكأنه

تعالى لما بيّن حال قوم من المكذبين وإنه عجل إهلاكهم أتبعه بما دلّ على أنّ لذلك أمثالاً وإن لم يُذكر مُفصلاً<sup>(٦٧)</sup>، فجاء بالجملة الاسمية من المبتدأ أو الخبر والجملة الفعلية لإثبات الهلاك لتلك القرى فهو لا ينفك عنها مسنداً لتلك القرى فكان الفعل ((له دلالة على الحقيقة وزمانها))<sup>(٦٨)</sup> فأخبر بالجملة الفعلية للإشعار بزمان ذلك الثبوت<sup>(٦٩)</sup>، وهو زمن قد انقضى وأصبح عبرة لمن جاء واختلف في قراءة (أهلكناها) فقرأ الجمهور وابن كثير وأهل الكوفة والمدينة أهلكتناها بالنون<sup>(٧٠)</sup>، إظهاراً للعظمة وقرأت فرقة أخرى أهلكتها بالإفراد والمراد أهل القرية لقوله في الآية الأولى (فأمليت للكافرين ثم أخذتهم)) وهما واضحتان فتسمية الإهلاك إلى القرى مجازية والمراد إهلاك أهلها وقيل الإهلاك استعارة لعدم الانتفاع بها بإهلاك أهلها<sup>(٧١)</sup> وعلى هاتين القراءتين تكون جملة (كأين من قرية أهلكتناها) ((في محل رفع بالابتداء والخبر أهلكتناها))<sup>(٧٢)</sup> وجوز البعض أن تكون (كأين) منصوبة المحل على الاشتغال بفعل مقدر يفسره (أهلكناها)<sup>(٧٣)</sup>، وهو قليل<sup>(٧٤)</sup> ورفعها على الابتداء أحسن الأوجه لأنه يحقق الصدارة التي تستحقها (كأين) بدون حاجة إلى ذكر الاكتفاء بالصدارة السورية وأهل المدن الذين أهلكتناهم الله بظلمهم كثيرون منهم من ذكر في القرآن ومنهم لم يذكر، فنجد في التركيب تسلسل دلالي متوالي مترابط الأطراف ارتبط فيه صدر التركيب بدرجه بذيل الآية فتعددت الجمل الاسمية المترابطة لبيان حال تلك الامم فقال تعالى: (وهي ظالمة وهي خاوية على عروشها) فقد حرصت الجملة القرآنية على هذا التركيب للدلالة على مغزى وهدف، حتى تصبح الآية بنكويتها تابعة لمنهج نفسي يتقدم عندها ما تجد النفس تقديمه أفضل من التأخير<sup>(٧٥)</sup>، فهي خاوية جملة اسمية بدأت بالضمير يدل الاسم الصريح لتقدم ما يدل عليها وهي القرى البائدة سبقتها جملة وهي ظالمة فالظلم والخواء صفة ثابتة في هذه القرى فقد بينت الجمل الاسمية صورة مزرية بانسة لهذه القرية التي حلّ بها الهلاك والعذاب واختيار الأخبار بلفظ (خاوية) يدل على عمق الدمار والوهن والضعف

الذي أحلّ بها، قال الزمخشري الخاوي الساقط من خوي النجم إذا سقط فالمعنى أنها ساقطة على سقوفها، فتهدمت حيطانها فخرت السقوف<sup>(٧٦)</sup> فالآية دالة على أنها بقيت محلاً للاعتبار وقد تعلقت شبه الجملة من الجار والمجرور على عروشها بالجملة المتقدمة وإسناد السقوط على العروش لتتزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه<sup>(٧٧)</sup> ((فتكون (على) بمعنى "مع"))<sup>(٧٨)</sup>، وجوز أبو السعود أن تكون ((عروشها خبراً بعد خبر أي فهي خالية وهي على عروشها، فبقيت الحيطان مشرفة على السقوف الساقطة))<sup>(٧٩)</sup>، ولتكتمل صورة الدمار والخراب وتبيناً لحالة هذه القرية التي حلّ بها العذاب عطف عليها قوله (بئر معطلة) فقد أوحى هذا التركيب بالحسرة والألم بعد ما كانوا في عيش رغيد فاشتركت واو العطف بينها وبين القرية بالهلاك والدمار والخراب الواضح لمن عصى ربه (( وقُرِيء بالتخفيف من أعطّله بمعنى: عطّله))<sup>(٨٠)</sup> واكتمالاً لصورة الدمار والخراب عطف عليها قوله (وقصر مشيد) فالمشيد هو المرتفع أو المخصص فبني هنا من شاده، وفي النساء من شيدّه، لأنه هناك بعد جمع فناسب التكثير وهنا بعد مفرد فناسب التخفيف فوصف بمشيد ولم يُوصف بمشيد فبئر وقصر معطوفان على (من قرية) والمراد اجتماعها على الهلاك<sup>(٨١)</sup> (أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ)<sup>(٨٢)</sup> بدأ التركيب بالجملة الاسمية (أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) فجاء المبتدأ اسم إشارة فيجوز فيه المقصود واحد بعينه أو إشارة لجماعة من الناس أن يكون لواحد بعينه فجاءت الإشارة إليه بإشارة الجماعة بتأويل الفريق ويجوز أن يكون أولئك إشارة إلى الأولين واستحضر هذا الفريق بطريق اسم الإشارة لزيادة تمييز حالهم العجيبة<sup>(٨٣)</sup> ففيه ((لون من الأيجاز والشبه معاً عندما يشير إلى موصوف بصفات عدة فينبني الحكم على هذه الصفات))<sup>(٨٤)</sup> فأخبر عنهم بقوله (أُولَئِكَ) أي البُعداء من العقل والمروءة ومن كل خير، ولما كان هذا وعيداً ، دلّ عليه بأداة الاستعلاء فقال (حق عليهم القول) والمراد هؤلاء المشار إليهم بقوله ((وقد

خلت القرون من قبلي))<sup>(٨٥)</sup>، وجاء القول في التركيب معرّفاً بأل وهو تعريف العهد وهو قول معهود عند المسلمين<sup>(٨٦)</sup>، وعرف بكثرة من شاركهم بالكفر والعصيان بقوله كائنين في أمم أي خلانق كانوا بحيث يقصدهم الناس ويشبع بعضهم بعضاً ولما كان المحكوم عليه بعض السالفين ادخل الجار فقال (من قبلهم) فكانوا قدوتهم من الجن بدا لهم.

وذيلت الآية بقوله (إنهم كانوا خاسرين) بالجملة الاسمية المؤكدة دون أن يقال خاسرون للإشارة على طريقة التعليل إلى أنّ خسرانهم محقق، فكني عن ذلك بجعلهم كائنين فيه<sup>(٨٧)</sup> مؤكداً الكلام بحرف (إن) لأنهم يظنون أنّ ما حصل لهم في الدنيا من التمتع بالطيبات فوزاً ليس بعده نكد، فأورد فعل (لكون لأن كان تدلُّ على أن الخسارة متمكنة منهم<sup>(٨٨)</sup>) ((والجملة تعليلٌ للحكم بطريق الاستئناف التحقيقي))<sup>(٨٩)</sup> (قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)<sup>(٩٠)</sup> جاءت الجملة الاسمية من اسم الاستفهام المقترن بالواو لجعل كلامه عليه السلام في حكم المعطوف على كلام قومه تنبيهاً على اتصاله بكلامهم نافياً لعلمه بما قالوه في صورة استفهام إنكاري<sup>(٩١)</sup> فأتى بالمبتدأ بالمبتدأ أمم استفهام للأخبار عن نفي علمه وهو استفهام مستعملاً في قلة الاعتناء بالمستفهم عنه، وهو كناية عن قلة جدواه لأن الاستفهام عن الشيء يؤذن بالجهل به فقوله هذا ينبأ بأنه لا يهتم بما قبل إيمانهم<sup>(٩٢)</sup> وفي قوله تعالى (وما علمي) يجوز في ما وجهان: أظهرهما: أنها استفهامية في محل رفع بالابتداء وعلمي خبرها، والثاني: أنها نافية وفي اعتبارها نافية تحتاج إلى إضمار خبر ليصير الكلام به جملة<sup>(٩٣)</sup> فانتهى علمه عليه السلام بإخلاص أعمالهم لله واطلاعه على سر أمرهم وباطنه فيقول: ما علمي إلا اعتبار الظواهر ولم أكلف علم باطنهم، وإنما كلفت الظاهر وقصد بذلك رد اعتقادهم وإنكار أن يسمى المؤمن رذلاً<sup>(٩٤)</sup> ولتأكيد مدلول الجملة الاسمية (وما علمي) جيء بقوله (بما كانوا يعلمون) المتصدرة بما الموصولة وصلتها لزيادة تقرير لعلم الله بحالهم<sup>(٩٥)</sup> فأى شيء علمي بما يعلمون فجاءت الجملة

تأكيداً لعلمه (عليه السلام) فبنى جوابه على علمه واعتقاده غير ملتفت إلى اعتقادهم وما هو معنى الرذالة عندهم<sup>(٩٦)</sup>، قال تعالى: (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ)<sup>(٩٧)</sup>، جاءت الجملة الاسمية (وهي تجري) المثبتة في معرض الحديث عن قصة نبي الله نوح (عليه السلام) مع قومه فقد التقى ماء السماء والأرض فطبق بينهما، وجرت السفينة في ذلك الماء فهو إخبار من الله (سبحانه وتعالى) بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت فعلية الخبر للإشعار بزمان ذلك الثبوت<sup>(٩٨)</sup>، فقال (بهم) أي كون حالها ملتبسة والمعنى تجري وهم فيها<sup>(٩٩)</sup>، وهي جملة معترضة دعا إلى اعتراضها هنا قوله تعالى (مجراها)؛ إتماماً للفائدة ولتعظيم اليوم الذي ويسر أمورهم فعدل عن الفعل الماضي إلى الفعل المضارع لاستحضار الحالة<sup>(١٠٠)</sup>، ولما كان الماء مهيباً للإغراق، فكان السير على ظهره من الخوارق فأشار إلى ذلك بالظرف فقال (في موج كالجبال) فجعل الموج من شدة تراكمها وارتفاعها كالجبال<sup>(١٠١)</sup> وهو في موضع الصفة لموج أي موج مُرتفع متفاوت في الارتفاع مُتراكم فقوله (وهي تجري في موج كالجبال) دليل ثباتها فلم يقل السفينة بل استعاض عنها بالضمير لكونها مشهورة في ذلك الزمان فقال (تجري في موج) والجريان في الموج هو أن تجري السفينة داخل الموج، وذلك يوجب الغرق، فطوقان الماء عم جميع الأرض التي أراد الله إغراق أهلها وهلاك العاصين منهم فوصف ثبات السفينة في خضم ارتفاع الماء، وتمضي الجملة القرآنية داخل التركيب في سلك من النظام فعطفت جملة (ونادى نوح ابنه) على أكثر الآيات اتصالاً بها وهي قوله: ((وقال اركبوا فيها)) عطفاً من غير تراخ وهي إشارة إلى امتلاء الأرض من الماء وصورته فيها عقب ركوبهم السفينة، فالجملة الاسمية الذي بدأ بها النص القرآني الشريف بيّنت الحال والسبب الذي أقامه سبحانه لنجاتهم ونداء نوح لابنه بقوله (يا بني) فلم يكن بعيداً عنه وفيه إشارة إلى إن حرص الرُّسل وشفقتهم ليست سبباً للين القلوب وخضوع النفوس مالم

يأذن الله سبحانه وتعالى<sup>(١٠٢)</sup> وذيلت الآية بقوله (ولا تكن مع الكافرين) تأكيداً لما تقدم ((وهو نهي عن معايشة الكفرة والدخول في غمارهم وقطع بأنّ الدخول فيه يوجب الغرق على الطريق البرهاني))<sup>(١٠٣)</sup>

قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ)<sup>(١٠٤)</sup> أخبر الله سبحانه وتعالى بظلمهم ولو كانوا تركوه لما أهلكهم و فأتى بالضمير المنفصل (هم) وخبره الاسم ظالمون الدال على الثبوت، فالثبوت في الخبر الاسمي يدلُّ على الاصرار على الظلم<sup>(١٠٥)</sup>، فأثبتت الجملة الاسمية الثبوت القطعي المستمد من التعبير بالاسم فأتى بالجملة الاسمية مرتبطة بما تقدمها من تركيب لأنّ السياق للبلاء والامتحان والصبر والهوان وإثبات قدرة الله على إنجاء الطائع وتعذيب العاصي فذكر من الرُّسل الكرام من طال صبره على البلاء ولم يفتر عزمه وأكده بقوله (ولقد أرسلنا) فالرسالة الأولى كانت من القوم وهم يعرفونه و فأرسل مخصوصاً<sup>(١٠٦)</sup>، بتكليف من الله سبحانه وتعالى وهذا تكليف قد طال مدته فذكر بفاء التعقيب مدة عليه السلام رسولاً يدعو فجاء بالاستثناء في العدد على وجه لتحقيق والتأكيد من مدة فترك الاستثناء يوهم بأن العدد تقريبي بقوله (ألف سنة إلا خمسين) زال هذا التوهم ويفهم منه التحقيق حتى لا يفتر الكفار بتأخير العذاب عنهم فأنه يلحقهم، واختلاف المميز لما في التكرير من بشاعة<sup>(١٠٧)</sup> ((فقوله ألف سنة منصوب على الظرف (إلا خمسين عاماً) منصوب على الاستثناء))<sup>(١٠٨)</sup> واختلف المميز بين تميزي العددين فقال في الأول (سنة) وفي الثانية (عاماً) لئلا يتقل اللفظ فخصّ لفظ العام بالخمسين إيداناً بأنّ نبي الله (صلى الله عليه وآله) لما استراح منهم ومن ظلمهم بقي في دعةٍ وزمن حسن والعرب تعبر عن الخضب بالعام وعن الجذب بالسنة<sup>(١٠٩)</sup>، فعقب بعد طول اللبث بقوله (فأخذهم الطوفان وهم ظالمون) فأسفر عن الارسال وطول اللبث طغيانهم وتكذيبهم فعبر عنه بإسناد الفعل الماضي إليهم (فأخذهم) مما يقطع بوقوع الحدث وتحققه فوق عليهم

العذاب فصور لنا الفعل الماضي شمول قوم نوح بالعذاب فأخذهم كلهم ولماذا هذا الاخذ ؟ لأنهم ظالمون، فأسند وصف (الظالمون) إلى الضمير (هم) أي عريقون ثابتون على هذا الوصف<sup>(١١٠)</sup>، والجملة حال أي أخذهم وهم متلبسون بالظلم تلبساً ثابتاً لهم مُستقراً<sup>(١١١)</sup>، لم يتأثروا بما سمعوا من نوح (عليه السلام) من الآيات ولم يردوا يرددوا عمّاهم عليه من الكفر والمعاصي هذه المدّة<sup>(١١٢)</sup> فهذا الترابط بين أجزاء الآية فيه اتصال واضح بين المتأخر وهو ذيل الآية والمتقدم فنجد ما بينه من التناسق والترابط يشهد بقدرة المبدع حتى نجد الصرة كاملة لا تتضاءل تشع بروح التركيب التي لم تعرف كلم قط غير القرآن فيها تفرد نظمته<sup>(١١٣)</sup> فالتركيب في الآية يرمي إلى أن أي أمة فمعرضة للغرق وأي أمة لها سفينة نجاة.

قال تعالى: (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً)<sup>(١١٤)</sup> التركيب الاسمي (مالكم) الذي بدأت به الآية الكريمة وهي خطاب توجه من نبي الله نوح إلى قومه بدا التركيب بالاستفهام وهو ((مبتدأ صورته صورة السؤال عن أمر ثبت لهم في حال انتفاء رجائهم توقير الله))<sup>(١١٥)</sup> قد أفادته الجملة الاسمية والمعنى ((مالكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب فقال (الله) وهو بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار))<sup>(١١٦)</sup> فالتركيب جارٍ على السنة الانبياء للتوبيخ لإقامة الحجة وتديلاً على صحة ما يذكرون مقابل التهكم والسخرية في التراكيب الجارية على السنة المشركين، فأثبت لهم بالجملة الاسمية المسبوقة بالاستفهام أن الإنكار والتوبيخ متوجه إلى السبب فقط مع تحقق مضمون جملة (لا ترجون)، فهي حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم<sup>(١١٧)</sup>، وقد اختلف المفسرون في معنى (ترجون)، قال الزمخشري والمعنى مالكم لا تكونون على حال تأملن فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب))<sup>(١١٨)</sup> وقيل ((ما لكم لا تخافون الله عظماً وقيل الوقار بمعنى الخوف وهذا القول غير جائز؛ لأن الرجاء ضد الخوف))<sup>(١١٩)</sup>، وقالوا

(الوقار) العظمة والسُلطان فكان الكلام على هذا وعيد وتخويف وقال بعض العلماء (ترجوه) على بابها في الرجاء<sup>(١٢٠)</sup>، والمعنى ما ذكره الزمخشري.

قال تعالى: (فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)<sup>(١٢١)</sup> تتابعت قراءة القراء وعلماء الأمة على رفع (الحمد) دون نصبها<sup>(١٢٢)</sup> فجمهور الناس اجمع على رفع الدال من (الحمدُ لله)، بالرفع مبتدأ وخبر، وأخبر إن الحمدُ منه ومن جميع الخلق لله، وهو أمر بالشكر فظهر اسم الحمد مكملاً معرفاً بـ(أل) دلالة على انتهائه وكماله<sup>(١٢٣)</sup>، والألف واللام فيه لاستغراق الجنس من المحامد وهو أعم من الشكر لا يؤديه قول القائل حمداً بإسقاط الألف واللام، وارتفاعه بالابتداء وخبره الظرف وأصله النصب وإيثار الرفع على النصب الذي هو الأصل للإيذان بأن ثبوت الحمد له تعالى لذاته، لا لإثبات مثبت وأن ذلك أمر دائم مستمر لا حادث متجدد كما نفيده قراءة النصب<sup>(١٢٤)</sup>، فالجملة الاسمية ((أثبتت الحمد على الانجاء منهم مُتضمن للحمد على هلاكهم وإنما قيل ما ذكر ولم يقل فقل (الحمدُ لله) الذي هلك القوم الظالمين لأنَّ نعمة الإنجاء أتم فإذا خص بالنعمة الواصلة إلى الشاكر لا يصحُّ أن يتعلق المصيبة من حيث إنها مصيبة وفي أمره (ع) بالحمد على نجاة أتباعه إلى أنه نعمة عليه أيضاً<sup>(١٢٥)</sup> فخاطب سبحانه وتعالى نبيه نوح (عليه السلام) ولم يقل قولوا لأنه إمامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من إشعار بفضل النبوة وإظهار كبرياء الربوبية وأن رتبة تلك المخاطبة لا يترقى إليها إلا ملك أو نبي<sup>(١٢٦)</sup> وما تجدر الإشارة إليه إن مقدمة الآية ممهدة لقوله (فقل الحمد لله فأطلق الاستواء على الاستقرار في داخل السفينة وأتى بحرف الاستعلاء دون حرف الظرفية (في) إيذاناً بالتمكن والتجنية من القوم الظالمين، فالانجاء تضمن الانجاء من أذاهم والكون فيهم لأنَّ في الكون بينهم مُشاهدة كفرهم ومناكرهم وذلك مما يؤدي المؤمن فكان ذلك إنجاء لأنهم قد استقلوا بجماعتهم فسلموا من الاختلاط بأعدائهم،

وقد ألهمه الله بالوحي أن يحمده ربه<sup>(١٢٧)</sup> فرتبة تلك المخاطبة لا يترقى إليها إلا ملك أو نبي فكانت بالجملة الاسمية يسبقها فعل القول الأمرى (فقل)<sup>(١٢٨)</sup>. ١٢٩

### الخاتمة

البحث في البنية الاسمية لخطاب الأقسام والأمم ملاحظ فيه تنوع البنية الاسمية بين الاسم الصريح والضمير واسماء الاشارة والاسم الموصول، وتتداخل هذه البنية وتتشاكل مع الجملة الفعلية في تنوع تركيبى، فيطغى فيه البناء الاسمى؛ لأنه يناسب الغرض من الآيات وهو وعظ وارشاد الأمم اللاحقة ولإيصال أفكار ومفاهيم المراد منها تعميم الخطاب وتجاوز أطر الزمان والمكان لتكون صالحة على امتداد الزمن<sup>(١٣٠)</sup>.

### الهوامش

- (١) - الأنعام: ١٣١
- (٢) - ينظر: معاني القرآن واعرابه، الفراء: ٣٥٥/١
- (٣) - ينظر: الكشاف: ١٧٥/٢، وينظر البحر المحيط: ٦٢٠٠/٤
- (٤) - المصدر نفسه، والصفحة نفسها
- (٥) - ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٨٦/٣
- (٦) - ينظر: المحرر الوجيز: ٣٤٧/٢
- (٧) - هود: ١١٧
- (٨) - ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٨٦/٣
- (٩) - ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد الخطابي: ٢٤ وما بعدها
- (١٠) - مريم: ٧٤
- (١١) - ينظر: معاني النحو، السامرائى: ٣٩/١
- (١٢) - ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٧٧/٥
- (١٣) - ينظر: معاني النحو: ٢٨٦/٢
- (١٤) - التحرير والتنوير: ١٥٤/١٦

- (١٥) - ينظر : معاني الأبنية في العربية : ٧٤
- (١٦) - في ظلال القرآن : ٢٣١٩ / ٤
- (١٧) - الكشف : ٣٧ / ٣
- (١٨) ينظر : معاني القرآن واعرابه، الفراء: ١٧١/٢، وينظر: معاني القرآن واعرابه، للزجاج: ٣٤٢/٣
- (١٩) - الكهف: ٥٩
- (٢٠) - الكهف: ٥٨
- (٢١) - ينظر : نظم الدرر ، للبقاعي : ٩٤ / ١٢
- (٢٢) ينظر : المحرر الوجيز ، ابن عطية : ٥٢٦ / ٣
- (٢٣) - ينظر : روح المعاني : ٢٨٨ / ٨
- (٢٤) ينظر : مجمع البيان : ٣٥٩ / ٦ \_ ٣٦٠
- (٢٥) - ينظر : المصدر نفسه ، الصفحة نفسها
- (٢٦) - ينظر : البحر المحيط : ١٩٥ / ١٠
- (٢٧) - ينظر : البحر المحيط : ١٩٥ / ٧
- (٢٨) - ينظر : ارشاد العقل السليم : ٢٣١ / ٥
- (٢٩) - مجمع البيان : ٣٥٩ / ٦
- (٣٠) - الطلاق: ٨
- (٣١) - التحرير والتنوير : ٢٨ / ٣٣٣ \_ ٣٣٤
- (٣٢) - المصدر نفسه والصفحة نفسها ، وينظر : الدر المصون : ٣٥٨ / ١٠
- (٣٣) - ينظر : معالم التنزيل ، البغوي : ٩٥٩ / ٦
- (٣٤) - التحرير والتنوير : ٣٣٥ / ٢٨
- (٣٥) - الحج : ٤٨
- (٣٦) - التحرير والتنوير : ٢٩٢ / ١٧ \_ ٢٩٣
- (٣٧) - ينظر : ارشاد العقل السليم : ١١٢ / ٦
- (٣٨) - ينظر : معاني الأبنية في العربية : ٥٤
- (٣٩) - ينظر : من اسرار حروف العطف في الذكر الحكيم ( الفاء ، وثم ) : ١٥٧
- (٤٠) - المصدر نفسه : ١٦٣

- (٤١) - ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩٣ / ١٧
- (٤٢) - محمد: ١٣
- (٤٣) - ينظر : نظم الدرر للبقاعي : ٢١٦ / ١٨
- (٤٤) - ينظر : ارشاد العقل السليم : ٩٥ / ٨
- (٤٥) - مجمع البيان في تفسير القرآن : ٩ / ١٦٧ ، وينظر : التحرير والتنوير : ٩٠ / ٢٦
- (٤٦) - ينظر : التحرير والتنوير : ٩٢ / ٢٦ ، ونظم الدر : ٩٥ / ٨
- (٤٧) - ق : ١٢ \_ ١٤
- (٤٨) - ينظر : روح المعاني : ٣٢٧ / ١٣
- (٤٩) - من اسرار حروف العطف : ٤١
- (٥٠) - ينظر : ارشاد العقل السليم : ٨ / ١٢٨
- (٥١) - القصص: ٥٨
- (٥٢) - ينظر : التحرير والتنوير : ٢٠ / ١٥١ ، وينظر : ارشاد العقل السليم : ٢٠ / ٧
- (٥٣) - ينظر : نظم الدرر ، للبقاعي: ٣٢٧ / ١٤ ، وينظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٢٦٤ / ٤
- (٥٤) - معاني واعرابه، للزجاج: ٤ / ١٥٠ ، والتضمين النحوي في القرآن الكريم: ٢٣٨ / ١ ، وجامع البيان، القرطبي: ٣٠١ / ١٣
- (٥٥) - ينظر : نظم الدرر ، البقاعي : ٣٢٩ / ١٤
- (٥٦) - ينظر : التحرير والتنوير : ٢ / ١٥١ \_ ١٥٢
- (٥٧) - القصص: ٥٩
- (٥٨) - ينظر : روح المعاني : ٣٠٥ / ١٠
- (٥٩) - ينظر : الكشاف : ٤٢٤ / ٣
- (٦٠) - ارشاد العقل السليم : ٢٠ / ٧
- (٦١) - ينظر : روح المعاني : ٣٠٥ / ١٠
- (٦٢) - نظم الدرر ، البقاعي : ٣٣٠ / ١٤
- (٦٣) - التحرير والتنوير : ٣٠٨ / ١٤
- (٦٤) - الحج: ٤٥
- (٦٥) - ينظر : نظم الدرر: ٩٢ / ١٣

- (٦٦) - المصدر نفسه ، والصفحة نفسها
- (٦٧) - مفاتيح الغيب : ٢٣ / ٢٣٢
- (٦٨) - نهاية الإيجاز : ٧٩
- (٦٩) - المصدر نفسه : ٨٠
- (٧٠) - مفاتيح الغيب : ٢٣ / ٢٣٢
- (٧١) - ينظر : روح المعاني : ٩ / ١٥٨
- (٧٢) - الدر المصون : ٨ / ٢٨٦
- (٧٣) - ينظر : المصدر نفسه ، والصفحة نفسها
- (٧٤) - روح المعاني : ٩ / ١٥٨
- (٧٥) - ينظر : من بلاغة القرآن : ٩٠
- (٧٦) - ينظر : الكشاف : ٣ / ١٦١
- (٧٧) - ينظر : ارشاد العقل السليم : ٦ / ١١١
- (٧٨) - المصدر نفسه ، والصفحة نفسها
- (٧٩) - المصدر نفسه ، والصفحة نفسها
- (٨٠) - المصدر نفسه ، والصفحة نفسها
- (٨١) - ينظر : البحر المحيط : ٧ / ٥١٩ \_ ٥٢٠
- (٨٢) - الأحقاف : ١٨
- (٨٣) - ينظر : التحرير والتنوير : ٢٦ / ٣٩ \_ ٤٠
- (٨٤) - من بلاغة القرآن الكريم : ١٠٧
- (٨٥) - مفاتيح الغيب ، للرازي : ٢٨ / ٢٢
- (٨٦) - ينظر : التحرير والتنوير : ٢٦ / ٤٠
- (٨٧) - ينظر : نظم الدرر : ١٨ / ١٥٧ ، والتحرير والتنوير : ٢٦ / ٤٠
- (٨٨) - التحرير والتنوير : ٢٦ / ٤
- (٨٩) - ينظر : إرشاد العقل السليم : ٨ / ٨٤
- (٩٠) - الشعراء : ١١٢
- (٩١) - ينظر : نظم الدرر : ١٤ / ٦٤
- (٩٢) - ينظر : التحرير والتنوير : ١٩ / ١٦٠

- (٩٣) - ينظر : الدرر المصون : ٨ / ٥٣٧
- (٩٤) - ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٢٤
- (٩٥) - ينظر : من بلاغة القرآن الكريم : ١٠٨
- (٩٦) - ينظر : البحر المحيط : ٨ / ١٧٧
- (٩٧) - هود: ٤٢
- (٩٨) - نهاية الايجاز في دراية الاعجاز : ٨٠
- (٩٩) - البحر المحيط : ٦ / ١٥٦
- (١٠٠) - التحرير والتنوير : ٧ / ٥٠
- (١٠١) - ينظر : البحر المحيط : ٦ / ١٥٦
- (١٠٢) - ينظر : نظم الدرر : ٩ / ٢٨٨
- (١٠٣) - روح المعاني : ٦ / ٢٦٨
- (١٠٤) - العنكبوت: ١٤
- (١٠٥) - ينظر : نظم الدرر : ١٤ / ٤٠٤
- (١٠٦) - ينظر : نظم الدرر : ١٤ / ٤٠٣
- (١٠٧) - ينظر : إرشاد العقل السليم : ٧ / ٣٣
- (١٠٨) - الدر المصون : ٩ / ١٣
- (١٠٩) - ينظر : المصدر نفسه : ٩ / ١٣
- (١١٠) - نظم الدرر : ١٤ / ٤٠٤
- (١١١) - ينظر : التحرير والتنوير : ٢٠ / ٢٢٢
- (١١٢) - ينظر : روح المعاني : ١٠ / ٣٤٧
- (١١٣) - ينظر : الاعجاز اللغوي في القصة القرآنية : ٦٩
- (١١٤) - نوح: ١٣
- (١١٥) - التحرير والتنوير : ٢٩ / ١٩٩
- (١١٦) - ينظر : الكشاف : ٤ / ٦١٧\_٦١٨٧
- (١١٧) - ينظر: إرشاد العقل السليم : ٦ / ٢٠٤
- (١١٨) - الكشاف : ٤ / ٦١٧
- (١١٩) - مفاتيح الغيب : ٣٠ / ٦٥٣

- (١٢٠) - ينظر : المحرر الوجيز : ٣٧٤ / ٥  
 (١٢١) - المؤمنون: ٢٨  
 (١٢٢) - التبيان في إعراب القرآن : ١ / ٥  
 (١٢٣) - ينظر : نظم الدرر : ١٣ / ١٣٤ وينظر : التحرير والتنوير : ٤٧ / ١٨  
 (١٢٤) - ينظر : المجيد في إعراب القرآن المجيد : ٣٩  
 (١٢٥) - روح المعاني : ٩ / ٢٣٠  
 (١٢٦) - ينظر : الكشف : ٣ / ١٨٤ \_ ١٨٥  
 (١٢٧) - ينظر : التحرير والتنوير : ٤٧ / ١٨  
 (١٢٨) - ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٣ / ٢٧٣

## المصادر

١. معاني القرآن/ أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ) المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر الطبعة الأولى .
٢. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل / أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الثالثة - ١٤٠٧هـ - عدد الأجزاء: ٤ [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير] الكتاب مذيّل بحاشية (الاتصاف فيما تضمنه الكشف) لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣) وتخرّيج أحاديث الكشف للإمام الزيلعي .
٣. البحر المحيط في التفسير/أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر، بيروت الطبعة: ١٤٢٠هـ.
٤. تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي

- محمد، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٦. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب/محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية ٢٠٠٦
٧. معاني النحو/ د. فاضل صالح السامرائي ، مؤسسة التاريخ العربي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت \_ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨ هـ \_ ٢٠٠٧ م .
٨. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» / محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤
٩. معاني الابنية في العربية / فاضل صالح السامرائي ، الطبعة الأولى ، ١٣٠١ هـ \_ ١٩٨١ م ، جامعة الكويت ، كلية الآداب.
١٠. في ظلال القرآن / سيد قطب ، طبعة ٣٤ \_ ١٤٢٥ هـ \_ ٢٠٠٣ ، دار الشروق .
١١. معاني القرآن واعرابه لإبراهيم السري بن سهل / أبو اسحاق الزجاج ( ٥١١٣ ) ، المحقق : عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ \_ ١٩٨٨ م.
١٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة
١٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ .
١٤. مجمع البيان في تفسير القرآن / لأبي علي الفضل الحسن الطبرسي ، حققه لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت \_ لبنان ، ١٤٢٥ هـ \_ ٢٠٠٥ م.
١٥. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون/أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
١٦. مختصر تفسير البغوي/عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٧. من اسرار حروف العطف في الذكر الحكيم الفاء ، ثم ، محمد الأمين الخضري ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، الطبعة الأولى .
١٨. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة الطبعة: ١٤١٩هـ.
١٩. التضمين النحوي في القرآن الكريم / لمحمد نديم فاضل ، دار الزمان ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ( ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ) .
٢٠. مفاتيح الغيب للتفسير الكبير / أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الثالثة - ١٤٢٠هـ .
٢١. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز/للإمام فخر الدين محمد بن عمرو بن الحسن الرازي (٦٠٦هـ)، حققه وعلق عليه: د. نصر الله خاجي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
٢٢. من بلاغة القرآن / د. أحمد أحمد بدوي ، ٢٠٠٥ .
٢٣. الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية/لمحمود السيد حسن مصطفى، مؤسسة شباب الجامعة سنة ١٩٨١م، الطبعة الأولى.
٢٤. التبيان في إعراب القرآن / أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : ٦١٦هـ) المحقق : علي محمد الجاوي ، عيسى البابي الحلبي وشركاه
٢٥. المجيد في إعراب القرآن المجيد / إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القيسي السقافسي، أبو إسحاق: برهان الدين (المتوفى: ٧٤٢هـ) المحقق: حاتم صالح الضامن ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع الطبعة الأولى، ١٤٣٠

## انعكاس الاستيطان الفرنسي على المجتمع الجزائري (١٨٣٠-١٩١٢)

ا.د. أنور جاسب الطريف شهيد عبد الرضا العتابي

## المقدمة :

تعد دراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدينية في الجزائر، خلال فترة الحكم الفرنسي (١٨٣٠-١٩١٢)، من الدراسات المهمة، التي من خلالها سلطت الضوء على المجتمع في تلك الحقبة، فقد فرض الواقع السياسي الذي تمثل بالاحتلال الفرنسي، وضعية اقتصادية واجتماعية تتلاءم وطبيعة هذا الاحتلال، وانعكس الوضع السياسي على ملكية الاراضي التي استولى عليها الفرنسيون وتنازلوا عنها بالمجان إلى الاوربيين، الذين هم من حثالات المجتمع الأوربي.

تكون البحث الذي جاء تحت عنوان (انعكاس الاستيطان الفرنسي على المجتمع الجزائري)، من مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة، ضمت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، تطرق المبحث الأول إلى الأوضاع الاقتصادية في الجزائر أبان فترة الاحتلال الفرنسي، وانعكاس الاستيطان على تلك الأوضاع، وكيف تحولت الجزائر ذلك البلد الزراعي إلى أرض لزراعة المحاصيل التي يحتاجها السوق الفرنسي، مما أدى إلى حدوث المجاعات والأمراض نتيجة الفقر، وأهم المبحث الثاني بدراسة الأوضاع الاجتماعية، وما نتج عن الاستيطان من ظاهرة التسكع وشرب الخمر، والولادات غير الشرعية لدى المستوطنين، كما عالج المبحث الثالث الأوضاع الدينية والثقافية، وما قام به الفرنسيون من وضع الصليب على اعلى بناية في الجزائر، وما قاموا به من محاربة للدين الاسلامي واللغة العربية.

أسهمت عدد من المصادر والمراجع العربية والمترجمة بتزويد البحث بالمادة التاريخية الرصينة سيما كتاب حمدان بن عثمان خوجة(المرآة)، وكتاب صلاح العقاد(المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر)، وكتاب أبو القاسم سعد الله (الحركة الوطنية).

## أولاً: الأوضاع الاقتصادية:

يفتخر الفرنسيون بأنهم لم يقوموا بحملة عسكرية مجزية في أي مكان مثل حملة الجزائر، إذ أن الحملات الأخرى كانت تكلفهم، أموالاً طائلة وخسائر مالية ولو نجحوا فيها، بينما حملة الجزائر قد فاضت على تعويض التكاليف<sup>(١)</sup>.

على الرغم من أن البند الخامس من معاهدة الاستسلام التي وقعت في ٥ تموز ١٨٣٠ بين الكونت دي بورمون، قائد جيوش الاحتلال الفرنسي وحاكم الجزائر حينذاك الداوي حسين<sup>(٢)</sup>، نصت على عدم المساس بأموال الشعب الجزائري، ولا تجارتهم ولا بضاعتهم، إلا أن الممتلكات الخاصة للجزائريين تعرضت للسطو والنهب بمختلف الوسائل<sup>(٣)</sup>.

استمرت عمليات سرقة الأموال والحلي من المنازل، وكثير الاعتداء على الأشخاص والأعراض، وخلعت أبواب المحلات العامة، وزاد الأمر سوءاً أن القائد العام دي بورمون قد ترك (الحبل على الغارب)، ولم يعد يحكم فعلاً، بل ترك الأمور إلى قائد الأركان، وإلى مسؤول التموين، وكلاهما كان غير قادر على ممارسة أية سلطة، وكان بورمون متأثراً لوفاة ابنه، وقلقاً من الحالة السياسية في فرنسا، المتمثلة بثورة تموز ١٨٣٠<sup>(٤)</sup>.

اتخذت سلطات الاحتلال من سياسة السلب والتفجير أداة دائمة بين يديها لإرهاق الشعب والحط من شأنه والنزول به إلى أدنى مرتبة، لولا عقيدته وثقافته التي حمته من هذا المصير المؤلم، ولكي تُهيء السلطات الفرنسية الساحة التي أطلق عليها ساحة الحكومة (ساحة الشهداء حالياً)، هدمت خمسة أسواق عمومية منها، سوق القيصرية المختص بنسخ وبيع الكتب والسوق القابس وسوق الحدادة وسوق القماش ومصنع الحرير<sup>(٥)</sup>.

وضعت فرنسا موارد الجزائر واقتصاداتها تحت سيطرتها ونظمتها تنظيمياً يكفل لها الاستفادة منها ومن مجهود الجزائريين استفادة تامة، وهذا هو الهدف الأساسي

الذي ترمي اليه فرنسا والذي خلق من المواطنين أداة استغلال للمستوطنين الفرنسيين<sup>(٦)</sup>.

عملت فرنسا على التدخل في مجال الزراعة ضمن محاولات متعددة الجوانب لتفكيك المجتمع الجزائري، وتدمير اقتصاده، حيث كان هدفاً أساسياً شرعت فرنسا في تطبيقه منذ بداية الاحتلال، وحاولت الحكومة الفرنسية تبرير استعمارها للجزائر باتخاذها شعار نقل الحضارة الى الشعوب الأخرى<sup>(٧)</sup>.

أُسِّمت التربة في الجزائر التي لم تتدهور ولم تتخفف قيمتها عما كانت عليه في العصور القديمة، حيث اشتهرت بالخصب، وهي في بعض الجهات سوداء، وفي جهات أخرى حمراء، ولكنها في جميع الحالات، أرض خصبة ومشرية بالنترات<sup>(٨)</sup>. إن الزراعة هي النشاط الاقتصادي السائد في الجزائر بمختلف فروعها من زراعة الحبوب والأشجار المثمرة، وتربية المواشي، والصناعة التحويلية الناتجة عن الزراعة من طحن الحبوب، الدباغة، عصر الزيتون، والطرق الزراعية التي كانت متبعة في الجزائر، طرق تقليدية منذ القديم وأدواتها بسيطة تتمثل في المحراث المزود بالسكة المصنوعة من الحديد المحلي والذي تجره الحيوانات، وكان حصاد الحبوب أدواته المنجل، أما الأراضي الزراعية المروية فهي قليلة جداً، والفلاحون لا يزرعون إلا جزءاً من أراضيهم والباقي يترك بوراً<sup>(٩)</sup>.

خلقت الرأسمالية الفرنسية جملة من النشاطات الاقتصادية الموجهة بشكل عام نحو التصدير، ويقصد به القطاع الزراعي الحديث الذي ينتج الخمرة والحمضيات والخضار فضلاً.

عن الصناعات الاستخراجية، يساهم قطاع زراعة الاكتفاء الذاتي هو أيضاً في عملية التصدير بإنتاجه الحبوب ومنتجات تربية الماشية، لكن هذا لا يعني أن التصدير هو وظيفته الرئيسية، فالفلاح الذي يستثمر قطعة صغيرة من الأرض يبيع

قسماً قليلاً من منتوجه المخصص لاستهلاكه بهدف شراء بعض السلع الاستهلاكية الأخرى أو كي يدفع الضرائب المتوجبة عليه<sup>(١٠)</sup>.

تستعمل الجالية الفرنسية أحدث الآلات التي تستخدم في إصلاح الأراضي وريها كما أن السلطات تضع دائماً تحت تصرفها المصارف التي تنقل كاهل ميزانية البلاد وتُسخر هذه الجالية الأيدي العاملة من أهل الجزائر، فتمكنت بذلك من خلق طبقة من الكادحين من الرجال والنساء والصبية الذين ليس لهم أمل في المستقبل<sup>(١١)</sup>.

عمدت السلطات الفرنسية إلى زراعة بعض المنتوجات الزراعية التي لم يكن الفلاح الجزائري يزرعها مثل زراعة الكروم في المناطق الساحلية الخصبة، وبالخصوص بعد أن قامت فرنسا بنقل زراعة الكروم إلى الجزائر بعد تعرض كرومها إلى الآفات الزراعية سنة ١٨٨٠، وأصبحت الإدارة الفرنسية، تشجع المستوطنين على ضرورة زراعة الكروم بهدف سد حاجياتها من الخمر وأهملت زراعة الحبوب، التي تمثل الغذاء الأساسي للجزائريين، مما أدى إلى حدوث المجاعات<sup>(١٢)</sup>.

من جانب آخر تقوم شركات فرنسية بإنتاج الحلفاء، فتجني منه كل سنة ١٥٠ ألفاً من الأطنان، يصدر كله إلى الخارج أيضاً، كما اهتموا بزراعة الفواكه، فانتجوا قرابة ثمانية ملايين قنطار<sup>(١٣)</sup>، من البرتقال ومثلها من الليمون<sup>(١٤)</sup>.

كان الفلاح الجزائري ينتج بوسائل تقليدية زراعية التي كانت تكفي فقط حاجة العائلة فهو يفتقر إلى الأسمدة والامكانيات المادية والتقنية وهو كان يعي جيداً أن الأرض تحتاج إلى العناية والرعاية، لكن نتيجة التقدير والتجوع وسياسة الأرض المحروقة، دفعت الفلاح إلى الهجرة إلى المدينة<sup>(١٥)</sup>.

طال الاستغلال والنهب الاستعماري كل شيء حتى الغابات بحيث أصدرت الحكومة الفرنسية سلسلة قرارات وقوانين حاصرت بها الغابة، كما أن الحكومة المذكورة تدرك أن هناك شريحة من الفلاحين الجزائريين، ترتزق مما تدره الغابات،

لذلك أصدرت قوانين تعاقب الاهالي بالسجن وغرامات مالية تفوق ٢٠٠ ألف فرنك، منها قانون رقم (٤٨)، وقانون (٤٧٩)، وقانون (٤٨٠)، من اجل أن يبقى الشعب الجزائري في حالة من الفقر المستمر<sup>(١٦)</sup>.

إن أهم غلة تنتجها هذه الغابات هي الفلين، وقد سمحت حكومة الإمبراطورية الثانية، في عامي ١٨٦٢ و١٨٦٣ لعدد من المستوطنين الفرنسيين باستغلال جزء كبير من الغابات، وكانت السلطات قبل هذا التاريخ تتعاقد هي وبعض التجار لاستغلال هذه الغابات لمدة طويلة الأجل، بلغت بعضها التسعين عاماً، وترسل السلطات الفرنسية ٩٠% من إنتاج الفلين إلى فرنسا لتصنيعه حتى تنفادى انشاء مصانع خاصة به في الجزائر، وتنافس إسبانيا الجزائر في إنتاج الفلين وأن كانت لم تصل إلى مقدار ما تنتجه الجزائر منه<sup>(١٧)</sup>.

عانت الثروة الحيوانية، مشاكل عديدة في ظل السيطرة الفرنسية، كضيق الأراضي الرعوية التي استولى عليها المعمرون، ولم يترك لهم سوى الأراضي الجبلية الجذباء، ونقص المياه المخصصة لسقي المواشي خاصة في موسم الجفاف، وهو ما أدى إلى تراجع النشاط الرعوي بشكل كبير، بسبب نزوح الفلاحين إلى المدن الكبرى، بحثاً عن العمل<sup>(١٨)</sup>.

ساهم صدور قوانين نزع الملكية من الأراضي إلى هبوط في تربية الماشية بسبب الاستيلاء على الأراضي المخصصة للرعي، وتأثر بشكل مباشر هذا الوضع التقليدي لنشاط القبائل الاقتصادي، وتعطلت بل توقفت في أغلب الأحيان قطعان الماشية الموسمية من الجنوب إلى الشمال، وكان لذلك تأثير على النشاط التجاري المترتب على تربية وتجارة الماشية، إضافة إلى الآثار المترتبة على غذاء المواطنين<sup>(١٩)</sup>.

تعتبر الأغنام على وجه الخصوص، الإنتاج الحيواني الأساسي في الجزائر حيث قدرت السلطات الفرنسية ثروة الجزائر من الغنم عند الاحتلال، ما يقارب ثمانية

ملايين رأس، مضاف إليها ثروة هامة من الخيول والأبقار والجمال والماعز، بينما لا يتجاوز عدد السكان ثلاثة ملايين نسمة<sup>(٢٠)</sup>، ويخضع تعداد المواشي إلى تبدلات واسعة، فسنة جفاف يمكن أن تؤدي إلى فقدان نصفها<sup>(٢١)</sup>، وانخفاض عدد الأغنام من (٨) مليون عام ١٨٦٥، إلى (٧،٧) مليون عام ١٨٨٥، وإلى (٣،٦) مليون عام ١٩٠٠<sup>(٢٢)</sup>.

كانت الصناعة قبل الاحتلال أكثر تقدماً وأحسن تنظيماً، تشهد بذلك مختلف المصادر التي تجمع أن الحرفيين، في الجزائر، كانوا يجمعون في نقابات حسب التخصص بحيث تجد النجارين في شارع، والحدادين في آخر، والصباعين في ثالث، والدباغين في رابع وكانت كل نقابة تُسير من قبل أمين، ينتخب بديمقراطية ويختار لماله من خبرة وحكمة وحسن سلوك، وللأمناء مجتمعين مكانة مرموقة لدى الحكومة المركزية<sup>(٢٣)</sup>.

اتجهت فرنسا بعد احتلال الجزائر إلى الانتاج المعدني، وهم يعمدون إلى استخراج الحديد، والفوسفات، والفحم، والرصاص، والزنك، والزنبيق، ولا يستعملون منها شيئاً في التصنيع المحلي بل يصدر كله إلى الخارج خاماً، ولذا تمثل المعادن ١١% من جملة صادرات الجزائر التي تبلغ (١٥٤) مليار فرنك، يرسل منها إلى فرنسا ما قيمته (٦٠) مليار<sup>(٢٤)</sup>.

قامت فرنسا بمنع التصنيع في الجزائر بكل الوسائل، وهذا بهدف إبقائها سوقاً للسلع الصناعية الفرنسية الحديثة، وكان اهتمام الفرنسيين في قطاع الصناعة منصباً، على خدمة حاجات المستوطنين، ولذلك كانت سياستهم في هذا الجانب تتناسب مع تلك الحاجات<sup>(٢٥)</sup>.

عمدت السلطات الفرنسية على قتل الصناعة المحلية أو الوطنية التي كانت تزخر بها الجزائر قبل الاحتلال، فعمد الاستعمار الفرنسي على مضايقة الصناعات اليدوية وخاصة صناعة النحاس، الفضة، الذهب، الجلد، الحياكة، الصناعات الحربية

والبحرية، ولم تتقل الإدارة الفرنسية الثورة الصناعية التي عرفتها بعد منتصف القرن الثامن عشر، إلى الجزائر لأنها كانت ترى أن ذلك سيؤدي إلى إخراج المجتمع الجزائري من العصور الوسطى، لذلك حرم الجزائريين من كل صناعة<sup>(٢٦)</sup>. اقتصرت الصناعة الجزائرية على الصناعات الخفيفة للاستهلاك المحلي مثل تصنيع الاغذية وبعض الصناعات الآلية والكهربائية والمنسوجات، والجلود وقد تركزت الصناعات في المناطق التي كان عدد الأوربيين فيها يفوق عدد الجزائريين، وقد كانت لهم السيطرة على هذه الصناعات<sup>(٢٧)</sup>.

سيطرت قوات الاحتلال الفرنسي على السوق الداخلية، عن طريق الوحدة الجمركية مع الجزائر وعن طريق احتكار النقل البحري، وكانت النتيجة الحتمية لذلك تحطيم الصناعات الحرفية الوطنية، وتوجيه الانتاج الزراعي إلى تصدير المحصولات التجارية للسوق الفرنسية، أما تصدير رؤوس الأموال، فقد امتد إلى كل أنواع النشاط الاقتصادي، الزراعي والتجاري والنقل، فأنشئت المصارف، وعن طريق احتكار النقل البحري، بيعت المصنوعات الفرنسية في الجزائر بأسعار رخيصة، وعن طريق الاتحاد الجمركي حرمت الجزائر من إقامة حماية جمركية<sup>(٢٨)</sup>.

أصبح ميزان التجارة الخارجية الجزائرية خاسراً، لأن كل عمليات التصدير والتوريد صارت مقصورة على فرنسا، وفي بداية القرن العشرين، لم يعد في استطاعة أي عاقل الحديث عن تجارة الجزائر الخارجية، بل كل ما هناك عمليات احتكارية تقوم بها مجموعة من المستعمرين، يجمعون الأرباح لأنفسهم على حساب الجزائر<sup>(٢٩)</sup>.

كان الجزائريون محرومين من القروض، التي كانت تعطى بسخاء كبير للتجار والصناع الأوربيين، الذين سيطروا على التجارة الخارجية والداخلية معاً، وكونوا شبكات متداخلة مهيمنة على كل المرافق الاقتصادية في البلاد، حتى أصبحت

الجزائر سوقاً رئيسة للتجارة الفرنسية، مع جلب المواد الخام التي تحتاجها الصناعة الفرنسية<sup>(٣٠)</sup>.

وجهت للنظام الضريبي الاستعماري، انتقادات كثيرة، حتى من قبل الفرنسيين أنفسهم، وتمثل ذلك بالخصوص في تعداد مشاريع الإصلاح الناتجة عنه؛ وهذا نتيجة الآثار الباهظة التي خلفها على الجزائر، وانعكست على مختلف الأوضاع العامة للبلاد<sup>(٣١)</sup>.

أعفت الحكومة الفرنسية المستوطنين من ضرائب الدخل والتركات التي كانت قائمة حينذاك في فرنسا، وليس من المعقول أن تفرض عليهم أي نوع من الضرائب، وهي مازالت تقدم لهم المساعدات المالية<sup>(٣٢)</sup>.

أما الشعب الجزائري فقد كانوا ملزمين بأنواع مختلفة من الضرائب، فبالإضافة للضريبة المحددة حسب النظام الفرنسي، كان عليهم أن يدفعوا الزكاة والعشر التي كانت مفروضة من قبل أثناء الحكم العثماني، ولم يقتصر الأمر على هذين النوعين، فهناك الحراسة الليلية أو دفع بدل نقدي عنها، وكذلك السخرة لحراسة الغابات من الحرائق، ثم الضرائب التي يدفعها الرعاة إذا مروا عبر الغابات، كما فرض على الجزائريين أيضاً مبالغ من المال وبعض المواد الغذائية للقياد<sup>(٣٣)</sup>.

كان لزاماً على الجزائريين أن يدفعوا (١٤) مليون من الضرائب العربية، و(٢٣) مليون فرنك من الضرائب إجمالاً في عام ١٨٧٠، ودفعوا في أعوام (١٨٨٥-١٨٩٠)، (٤٠٨،٠٠٠) فرنكاً في السنة؛ منها (١٩) مليون فرنك، في باب الضرائب العربية، وفي مطلع القرن العشرين كان الجزائريون، الذين كانوا يدفعون من الضرائب المباشرة ضعف ما يدفعه الأوروبيون فبلغت نسبة ما يدفعون ٤٦% من الضرائب التي تجبى في الجزائر، وبوجه خاص كان مستوى عيشهم الفردي أدنى بكثير من مستوى عيش الأوروبيين<sup>(٣٤)</sup>.

هذه الجباية الضخمة من الضرائب والإتاوات التي تحصل عليها إدارة الاحتلال، كانت تشمل، كل شيء يملكه الجزائري، أو يصدر عنه حتى التلغظ بعبارات معادية لفرنسا، ورفض السخرة أو العمل في المزارع الأوروبية أثناء الحصاد، أو إحداث أي نوع من انواع الشغب<sup>(٣٥)</sup>، ومما يدل على فداحة هذه الضرائب بالنسبة للقيم المتعارف عليها في ذلك الوقت، أنه عندما تقرر إلغاء ضرائب العشور سنة ١٩١٨، وفرض ضريبة موحدة على المستوطنين والجزائريين هبطت قيمة ما كان يدفعه الجزائريون من (٩) مليون إلى (٢،٥) مليون فرنك سنوياً<sup>(٣٦)</sup>.

كانت الضرائب تجمع بواسطة القياد وشيوخ القبائل تحت رعاية المكاتب العربية في المناطق العسكرية، أما في المناطق المدنية، فكانت تحت أشرف مفتش، وكان محصول الضرائب وفيراً، وقد فرضت الضرائب أيضاً على القبائل والأفراد اللذين حملوا السلاح، ضد السلطة الفرنسية<sup>(٣٧)</sup>.

قامت الحكومة الفرنسية بإنشاء طرق المواصلات في الجزائر، منذ سنة ١٨٣٤ من اجل البدء بسياسة النهب الاستعماري الواسعة للثروات المعدنية والزراعية الجزائرية وتدعيم الاستيطان الفرنسي فيها، فقامت ادارة الاحتلال بتأسيس أول مصلحة للطرق والجسور في الجزائر، تتولى انشاء وصيانة الطرق البرية، وفي عام ١٨٦٠ أقرت الحكومة الفرنسية بمشروع ضخم، لمد سلك حديد يبدأ من موانئ الجزائر على ساحل البحر المتوسط وصولاً إلى العمق الجزائري<sup>(٣٨)</sup>.

كانت باكورة اعمال الشركات الفرنسية أن مدت خطأً يصل قسنطينة بالبحر، ثم بلغ امتداد الخطوط الحديدية في الجزائر سنة ١٩١٤ (٣٣٣٧) كيلو متراً، كما انها ربطت الجزائر بفرنسا عام ١٨٧٠ بالأسلاك البرقية، فضلاً عن المرافئ التي اهتمت بأنشائها، وأهمها مرافئ الجزائر ووهران وبونة وبوجي<sup>(٣٩)</sup>.

إن الخط الأساسي للسكك الحديدية هو الذي يمتد من تونس إلى أقصى بلاد مراكش، وتمتد منه فروع إلى عدد من الجهات الاستعمارية، أما الجهات التي ليست فيها منافع استعمارية، ولا مراكز عسكرية فهي لا تعرف السكة الحديدية<sup>(٤٠)</sup>.

### ثانياً: الأوضاع الاجتماعية:

أحدث احتلال الجزائر هزة شديدة في أوساط الحياة الاجتماعية الجزائرية، بسبب ما صاحبه من أعمال ضغط وإفسار، فبعد إخراج الداوي حسين جاء دور الترك الآخرين فكان ترحيلهم يوم ١١ تموز ١٨٣٠ بطريقة تثير الشفقة والحزن، حيث كان عدد الانكشارية في مدينة الجزائر عندئذ حوالي (٥،٠٩٢)، ومن بين هذا العدد متزوجون وعزاب<sup>(٤١)</sup>.

اعتبر العديد من الفرنسيين ترحيل الأتراك العثمانيين من الجزائر إلى القسطنطينية، وآسيا الصغرى، خطأ كبير ارتكبه قائد الحملة دي بورمون، ذلك أن العثمانيين ودهم، من كانوا يعرفون تسيير شؤون البلاد، مما استلزم على قائد الحملة الاحتفاظ بهم، بدلا من ترحيلهم<sup>(٤٢)</sup>.

كان المارشال دي بورمون يصرح للسكان ويوهمهم بأن الجيش الفرنسي لن يبقى في الجزائر أكثر من ستة أشهر، ويذكر أن تلك هي نية الحكومة، وعندما يشرع في الجلاء فإنه سوف يترك الجزائر بين يدي أعيانها، وتحت تصرفهم، وكان يقول بأن الجزائر من ممتلكات الباب العالي<sup>(٤٣)</sup>.

كانت دكاكين سكان مدينة الجزائر مغلقة الأبواب، وأصحابها يجلسون أمامها في انتظار الفرج، فخلت الشوارع من الحركة، وكانت نظرات الناس مليئة باللامبالاة، واصبح السكان على أنواع، فمنهم الخائف الممتعض من رؤية الجنود الفرنسيين، وهم ينهبون ويعربدون ويتلفون ويغتصبون، إذ المعروف أن بورمون قد كافأ جنوده بإباحة المدينة لهم والسكوت عن أفعالهم فيها، بينما كان يحصي نقود الخزينة، وهناك نوع آخر من الناس شعر أن الخطر محقق لا محالة فخرج من المدينة نحو

أقاربه أو نحو ما لديه من الأحواس الريفية، وهناك نوع ثالث من السكان، فضلوا الاعتكاف في المساجد داعين الله الخلاص والنجاة مما حل بالبلاد من لعنات<sup>(٤٤)</sup>. أما اليهود فقد أظهروا اغتباطاً بالاحتلال، واستغلوا ما تركه الباشا من أموال وممتلكات، وكانوا يجمعونها بجشع كبير، وقد ارتسمت علامات الفرح والسرور على وجوههم، وخرجوا يطوفون الشوارع، وارتدى بعضهم قلنسوات حمراً، بعد أن كان محرماً عليهم سابقاً ارتداء غير الثياب السود والزرق الغامقة، وما أن رأى اليهود أن الفرنسيين يفضلونهم على أبناء البلاد، حتى ركبوا رؤوسهم وتظاهروا بالشجاعة، واتسمت تصرفاتهم بالجرأة والوقاحة، فكانوا يعتدون على المسلمين، لاسيما الاطفال منهم<sup>(٤٥)</sup>.

أمام هذه الأحداث لم تحرك الدولة العثمانية ساكناً، ولم تلعب دوراً حاسماً لإنقاذ الجزائر، لذلك اعتقد القادة الفرنسيون أن الجزائر قد فتحت لهم ابوابها واسعة واغتر الجنرال دي بورمون، قائد الحملة فكتب يقول إلى حكومته: "ان العرب ينظرون الينا كمحررين لهم، وان الجزائر سوف تخضع لسلطاننا قبل خمسة عشر يوماً"<sup>(٤٦)</sup>، ثم جاءت بعض الاحداث، مؤكدة لهذا الاعتقاد، فقد أعلن حاكم تيطري اعترافه بالتبعية للفرنسيين، وكذلك أعلن حاكم وهران اعترافه بتغيير الحكومة<sup>(٤٧)</sup>.

نفى المارشال دي بورمون القاضي الحنفي، متهماً إياه بأنه جمع أعيان المدينة في أحد المساجد، لتدبير مؤامرة ضد الفرنسيين، واصبحت إدارة دي برمون عهد خوف ورعب تتهم فيها النوايا الحسنة بالإجرام، ويسير العدل وفقاً للأهواء والنميمة، اجبرت هذه الاساليب الاغنياء على مغادرة البلاد على الرغم من أنهم هم المورد الوحيد بالنسبة للطبقات الفقيرة ولذلك حدث سخط عام في أوساط الشعب، وبدأ الاحتراز من الفرنسيين الذين لا يوفون بعهدهم، ولم يحترم دي بورمون وثيقة الاستسلام التي وقع عليها بنفسه<sup>(٤٨)</sup>.

كُون قائد الحملة في يوم ٦ تموز ١٨٣٠ لجنة حكومية، أنيطت مهمتها في تسيير شؤون المدينة، وتوفير الحاجات للجيش والسكان، والمحافظة على الأمن، إضافة إلى البحث عن أسير السبل، الواجب إتباعها في الجزائر، والنظر في النظم التي كانت سائدة في العهد السابق مع إخضاع بعضها للتعديل<sup>(٤٩)</sup>.

أما اللجنة الثانية فهي للبلدية وكانت تتكون من اعيان الحضرة<sup>(٥٠)</sup>، ومن كبار اليهود وجعل رئاستها لأحد الفرنسيين، أصبحت اللجنة الجديدة خليطاً من الفئات الاجتماعية ويلعب فيها اليهود دوراً بارزاً عدداً ونفوذاً، مما جعل الجزائريين يبتعدون أكثر عن الفرنسيين ويشككون في نواياهم، وكان اعضاء اللجنة يتبدلون بين الحين والآخر<sup>(٥١)</sup>.

قام دي بورمون بتشكيل لجنة ثالثة مختصة بالشؤون الدينية والمالية سميت اللجنة الخيرية للقوات، مهمتها رعاية شؤون الأوقاف ومواردها، وقد تكونت من تسعة اشخاص، وكانت أيضاً لجنة مختلطة، ومما يلاحظ أن بعض اعضاء اللجنة كانوا أيضاً اعضاء في اللجنة البلدية وكلتا اللجنتين (البلدية والخيرية) تشرف عليهم اللجنة الحكومية<sup>(٥٢)</sup>.

أن حوالي (١٠) آلاف من سكان العاصمة تركوا ديارهم واملاكهم حتى لا يبقوا تحت سيطرة الفرنسيين، كما أن القبائل التي تعتبر ملجأ للروح والتقاليد الجزائرية، والتي حافظت بجميع تنظيماتها التقليدية، والادارية، والدينية، والاقتصادية، كانت مهذاً لعدة خلايا للمقاومة، ومنذ ٢٣ تموز ١٨٣٠، اجتمع ممثلو القبائل وقرروا شن المقاومة بعنف<sup>(٥٣)</sup>.

استمر الجيش الفرنسي في التوسع في ضواحي مدينة الجزائر، ولم يتوقف، إلى أن تغيرت مجريات الحوادث في فرنسا نفسها، ذلك أن ثورة تموز ١٨٣٠، اجبرت شارل العاشر، أكبر ملك رجعي في وقته على التنازل عن العرش وتولي لويس

فيليب، وسرعان ما عزل الملك الجديد، المارشال دي بورمون، وعين خلفاً له الجنرال كلوزيل لقيادة الجيش الذي كان يسمى (جيش أفريقيا)<sup>(٥٤)</sup>.

تولى كلوزيل الحكم في آب ١٨٣٠، وقد بدأ عملة بإنشاء فرقة مشاة من بعض الجزائريين المرتزقة سماها فرقة الزواف<sup>(٥٥)</sup>، وكان الهدف من تشكيل هذه الفرقة هو التخفيف عن فرنسا، والانتفاع من القبائل والمواطنين الذين يدخلون تحت طاعتهم خير بكثير من اراقة الدم الفرنسي الصرف، وهم أعلم بطبيعة بلادهم وأبلى بقتال مواطنيهم، وان انتصروا في الحرب كان النصر لفرنسا، وان قتلوا لم تخسر فرنسا عليهم أكثر من ثمن ألبستهم وطعامهم<sup>(٥٦)</sup>.

إن أعيان مدينة الجزائر وأعضاء الحاشية الذين لا يسكنون القصبية قد وضعوا مساكنهم تحت تصرف ضباط الجيش السامين ليسكنوها، فكان لكل ضابط حصته، وقد اعتمد الفرنسيين في حكمهم للجزائر على أبناء مهاجري الأندلس المشهورين بالنشاط التجاري وحب المغامرة، ثم اليهود بحكم معرفة بعضهم باللغة الفرنسية، فاستاءت الأسر الكبيرة في الجزائر ووهران وهجرت المدن المحتلة إلى الداخل<sup>(٥٧)</sup>.  
أن المجتمع الجزائري تغيرت طبيعته وتأثر الفرد الجزائري بمؤثرات جديدة، فالجزائري أصبح لا يخرج من داره إلا وهو ذليلاً منكسراً، ذلك أن الشارع فيه حضارة أخرى غريبة عن حضارته، وأصبح الجزائري غريباً في وطنه ومجتمعه فحوصر في الأحياء الشعبية الضيقة وحرّم عليه الاحتكاك بالمستوطنين، وصف احد الجزائريين تلك الظاهرة العنصرية التي سنها الاستعمار الفرنسي بقوله: "وقلما كان الجزائري أثناء تجواله داخل المدينة يتعدى بخطواته حداً معيناً"<sup>(٥٨)</sup>.

كانت الموجة الأولى من الأوربيين التي قدمت إلى الجزائر موجة مغامرة منحطة الاخلاق برجالها ونسائها، حيث مارست حياة اللهو والسكر علناً إلى درجة هددت تقاليد المجتمع الجزائري نفسه في المدن، ورغم اجتماع المسلمين والأوربيين

معاً في المدن فإن كل مجموعة ظلت تنظر إلى المجموعة الأخرى بحذر، ولم يحدث أي اختلاط فعلي وكامل بين المجموعتين<sup>(٥٩)</sup>.

تحطمت العائلات الجزائرية الكبرى التي كانت تمثل القيادات، للمجتمع الجزائري روحياً، ومادياً، بل وحتى إدارياً واجتماعياً، وسياسياً، ومزق المجتمع الجزائري شر ممزق وشرذم وأفقر، وتم تحطيم ما دعي بالبرجوازية الجزائرية في المدن الكبرى، وكانت تتألف من التجار، والحرفيين، والقضاة، والمتقنين، فشردوا كذلك وزاحموا في أعمالهم وأنشطتهم المختلفة من طرف الجالية الأوربية التي كانت تتصف بالشرهة في ميدان الاقتصاد، والغلظة والقسوة في ميدان السياسة والإدارة<sup>(٦٠)</sup>.

أصدر كلوزيل أمراً بمنع الجزائريين من حمل السلاح وحكم بعقوبة الموت حتى على من يحاول نقله، ونفس العقوبة انسحبت على من اعتدى على فرنسي، مدنياً كان أو عسكرياً، وكانت الأوامر تشمل أيضاً منع استيراد السلاح من الخارج حتى لا يتسلح به الجزائريون، ويستعينوا به على المقاومة، وأخضع بنادق الصيد لإجراءات معقدة<sup>(٦١)</sup>.

جعل الفشل العسكري الذي مني به كلوزيل حيثما حل، يفكر في مغامرة جديدة، يربح بها مالاً، ويخسر بها شجاعة، وهي بيع اقليمي وهران وقسنطينة إلى تونس والمغرب، إذا أمكن، أو إلى تونس فقط، في مقابل مليون فرنك لكل اقليم كجزية لفرنسا سنوياً، ونصت هذه الاتفاقية التي عقدت في ١٨ كانون الاول ١٨٣٠ على تعيين (سيد مصطفى)، شقيق باي تونس، باياً على قسنطينة<sup>(٦٢)</sup>.

وقع كلوزيل اتفاقية أخرى مماثلة يوم ٦ شباط ١٨٣١، تنص على تعيين (احمد)، أحد أقرباء باي تونس في منصب باي وهران وقد كانت شروط هذه الاتفاقية مشابهة للأخرى غير ان باي وهران كان موضوع تحت الوصاية بدرجة أكبر، وعندما عرضت الصفقة على الحكومة الفرنسية رفضتها، واتهم وزير الحربية الفرنسي،

الجنرال كلوزيل بالذاتية والاستقلالية وعدم الدبلوماسية، ووضع حداً لمهمته في الجزائر يوم ٢٠ شباط ١٨٣١<sup>(٦٣)</sup>.

بدأت أسماء الشوارع والأبواب تتغير، وذلك بإعطائها أسماء رومانية وأوربية، ودينية ومن هذه الاسماء التي أصبحت متداولة، خلال سنتي (١٨٣٢-١٨٣٣)، شارع يوبا، شارع شارل الخامس، شارع دوكين، شارع دوريا، شارع كليبر، وكذلك تسمية باب المرسى (باب الجهاد) باسم باب فرنسا، أو أسماء فرنسية مثل: شارع أورليان، وترواكولار (الألوان الثلاثة)، وكذلك أسماء أوربية مثل: سيدني سمث، وأخذ وجه المدينة يتحول من الطابع الشرقي إلى الطابع الغربي<sup>(٦٤)</sup>.

تفتت المجتمع الجزائري إلى ثلاثة أقسام؛ قسم أعلن صراحة عن موالاته لفرنسا، وقسم أعلن عن مقاومته لها، وقسم وهو قليل جداً ركن إلى الحياد، ولقد ساهم القسم الأول وبطريقة غير مباشرة في ترسيخ الوجود الفرنسي بالتراب الجزائري، طيلة خدمته ووفائه للفرنسيين وبعد أن تمكنت فرنسا من فرض وجودها تخلت عن تلك الفئة<sup>(٦٥)</sup>.

جمعت الجزائر على أرضها منذ ١٨٣٠، خليطاً بشرياً رهيباً تمثل في المتسولين والمتشردين والمغامرين والمجرمين والمحكوم عليهم بالسجن المؤبد وبالإعدام وغير المرغوب في بقائهم نهائياً في إحدى الأرياف أو المدن الأوربية، الأمر الذي تسبب في تشكيل مجموعة بشرية متميزة عن الشعبين الجزائري والفرنسي معاً وهم عبارة عن مركب من النزاعات السياسية والعقد النفسية والمطامع الاجتماعية والمذهبية، تجمع بينهم خصائص مشتركة مثل: الأنانية، الحقد، الكراهية، ضد جنس لا ينتمي إلى مجموعتهم<sup>(٦٦)</sup>.

وقعت في العهد الفرنسي عدة مجاعات حادة تركت آثارها السيئة في كل مكان حيث خلفت من ورائها نشر الأوبئة الفتاكة، وضياع الثروات المدخرة، وبيع العقارات والأراضي تحت الضغوط ومن بين هذه المجاعات نذكر:

مجاعة ١٨٣٨: وفيها وقع قحط شديد أضرب سكان قسنطينة وبناحية الجنوب وتعود أسبابها إلى حدوث جائحة لسنة ١٨٣٨، أصابت الزرع وكثرة الأمطار التي نزلت في هذه السنة وكثرة سقوط الثلوج على المنطقة طيلة فصل الشتاء، هذه الأسباب أدت إلى ارتفاع أسعار الحبوب فوصل الكيل من القمح إلى (١٠٠) فرنك، والشعير إلى (٤٠) فرنك<sup>(٦٧)</sup>.

مجاعة ١٨٤٧: دامت هذه المجاعة ثلاث سنوات متتالية، كان سببها الجراد الذي غزا مدينة قسنطينة، مما أدى إلى ارتفاع أسعار الحبوب، فتراوح كيل القمح بين (٦٠) و(٧٠) فرنك، وسعر كيل الشعير بين (٥) و(٣٠) فرنك، وقد استمرت المجاعة إلى عام ١٨٥٠، عانى فيها الجزائريون البؤس والحرمان<sup>(٦٨)</sup>.

مجاعة ١٨٦٦-١٨٦٨: وقعت فيها مجاعة رهيبة في سائر البلاد، واعتبرت من أعظم الكوارث طيلة القرن التاسع عشر، واعظمها بأساً عام ١٨٦٧، وكان سببها، الجفاف والجراد واشرف الناس فيها على الهلاك الأليم، والبلاء العظيم بحيث أنه لم يسمع في الزمان السابق بمثلها قط، فإن السكان صاروا يقتاتون ما لا يباح اقتيائه، فتراهم يزدحمون على الوصول إلى هر ودم وميتة وغير ذلك<sup>(٦٩)</sup>.

أعقب المجاعة الأمراض ففتكت بالذين أعقبتهم المجاعة فتكاً ذريعاً وتقدر السلطات الفرنسية، عدد العرب الذين اهلكم الداء ب(٢٠٠) ألف، وفي هذه الظروف ظهر الكاردينال لافيغري<sup>(٧٠)</sup> (Lavigerie)، أسقف الجزائر، فكان يطوف الانحاء التي فتكت بها المجاعة والأمراض، والصليب في يمينه، والخبز والدواء في شماله، وجمع طائفة عظيمة من الايتام واليتيمات يبلغ عددهم نحو (١٥٠٠) شخصاً، فرباهم في ظل الكنيسة وعلى دين المسيحية ولا تزال بقايا هؤلاء موجودة، وبعضهم بقي مسيحياً إلى اليوم<sup>(٧١)</sup>.

يبدو أن السلطات الفرنسية في الجزائر لم تكتفي بسلب الاراضي وجلب المستوطنين(الكولون)، من شتى بقاع أوربا، ووضعهم في الاراضي الخصبة، بل

ذهبت ابعده من ذلك حيث استغلت الجفاف، وغزو الجراد، والمجاعات، والابوئة، لترقص على جراحات الجزائريين وتحول عقيدتهم من الإسلام الذي كان يدفعهم إلى الصبر والتحمل والمقاومة، إلى المسيحية، لكي ينفصلوا عن انتمائهم العربي الاسلامي.

ظهر، وباء الطاعون في قسنطينة عام ١٨٣٥ وخلف (١٥٠٠) ضحية خلال ثلاثة أيام، كما اصبحت مدينة الجزائر بهذا الوباء في عام ١٨٥٢ وأنتشر وسط سكان دائرة مليانة، ثم انقطع ليعود إلى الظهور نهاية القرن التاسع عشر<sup>(٧٢)</sup>.

من جانب آخر انتشر مرض السل بين الجزائريين وراح ضحيته عدد كبير منهم، فنسبة المتوفين وصلت إلى ثلاثة اضعافها في أوروبا، وكان هذا المرض يصيب سكان البادية، والقرى والعمال في المدن بصفة مريعة، وبينما يوجد في فرنسا (٩٠٠) مستوصف صحي للأمراض السل، لا يوجد بأرض الجزائر إلا (٢٨) فقط، وفيما يخص أمراض العيون الفتاكة، فهي تذهب كل سنة بأبصار نحو الثمانين ألفاً من السكان المسلمين، ولا توجد في الجزائر إلا مصحة واحدة، وست سيارات كبيرة متجولة<sup>(٧٣)</sup>.

حدث زلزال في مدينة البليدة، والقرى القريبة منها عام ١٨٦٧ وانتشر وباء التيفوس (التيفوئيد) والكوليرا وكان سببه وصول المسافرين القادمين من الخارج، والحاملين للمرض، وزادت اعداد الموتى حيث كانت تزدهم بها الطرقات، وهي عرضة للحيوانات المفترسة، وزادت شدة وباء الكوليرا لعدم وجود وسائل صحية للوقاية منه، لذلك أرغمت السلطات الفرنسية السكان على حفر خنادق لدفن الموتى<sup>(٧٤)</sup> والجدول الآتي يوضح عدد وفيات الكوليرا بين اتموز إلى اكانون الثاني ١٨٦٨<sup>(٧٥)</sup>.

جدول رقم (٣)

المنطقة	عدد السكان	عدد الوفيات	النسبة المئوية
عنابة	١٥٠.٣٩٩	٦٨٨١	٤,٥%
قسنطينة	٣٩٩.٢٨٧	٩٦٦٣	٢,٥%
سطيف	٤١١.١٣٧	٨.٥٧	٢,٠%
باتنة	٢٤٠.٥٣٩	٩٦٧٠	٤,٠%

يتضح من الجدول أعلاه ارتفاع نسبة الوفيات بسبب الكوليرا في المدن الجزائرية وخاصة في مدينة عنابة، ويرجع السبب في ذلك إلى انعدام الوقاية الصحية، وسوء الحالة الاقتصادية والمعاشية.

عرفت بنية المجتمع الجزائري تغيرات جذرية، تمثلت في تفكير الآلاف من الجزائريين وتجهيلهم، وتعريضهم للدمار والقتل والتكيل والعبث بممتلكاتهم؛ فأصبحوا يعيشون بواقع يتم بحلين، أما محاربة العدو بكل الوسائل المتاحة، وإما الفرار نحو أماكن بعيدة عن نيران المستعمر، وهذا ما حدث بالفعل، بالتزامن مع اندلاع أكبر الثورات الشعبية بقيادة شيوخ القبائل والعشائر أمثال الامير عبد القادر، الشيخ الحداد، وغيرهم من القادة الذين تفتنوا لمحاولات المسخ الاستعماري، فحاربوها بقوة السلاح، بالموازاة مع ذلك عرفت البنية الاجتماعية، تحولات جديدة لم يعهدها الجزائريون وهي الهجرة إلى الخارج<sup>(٧٦)</sup>.

كان الجزائريون يرحلون إلى المشرق العربي لأداء فريضة الحج، أو لطلب العلم، أو للإتجار، أما بعد احتلال الجزائر فقد اتخذت هجرة الجزائريين إلى المشرق والمغرب العربي صبغة مغايرة تماماً لتلك التي اصطبغت بها قبل الاحتلال<sup>(٧٧)</sup>، وكانت هذه الهجرة رداً على المبالغة في الضرائب، إذ أن الأهالي ليسوا في حقيقة الأمر ملزمين فقط بتسديد الضرائب التي عليهم بل كذلك تسديد الضرائب المفروضة

على الخماسين الذين يستخدموهم في مواسم الحصاد<sup>(٧٨)</sup>، وكذلك رداً على قانون الأهالي وقانون الغابات وقانون الحالة المدنية، وقانون التجنيد الإجباري<sup>(٧٩)</sup>.  
تعد سنة ١٨٣٢ كبدية للهجرة الجزائرية نحو المغرب والمشرق العربيين، واستمرت طيلة القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين سواء من شرق الجزائر ووسطها، جنوبه أو غربه فقد استوطن الجزائريون من معسكر وتلمسان في البداية بالمغرب الأقصى في السنة نفسها، ولحققتهم قبائل من بني عامر ولهشم عام ١٨٣٥ أثناء مرحلة جهاد الامير عبد القادر كما شهد المشرق الجزائري عام ١٨٣٧ هجرة إلى تونس وسوريا بعد سقوط قسنطينة في يد الفرنسيين، وكذلك في عهد الامبراطورية الفرنسية الثانية بين المدة (١٨٥٤-١٨٧٠)، وكانت تونس وبلاد الشام أكثر جاذبية للجزائريين<sup>(٨٠)</sup>.

يبدو إن الهجرة الجزائرية للولايات العربية في المشرق والمغرب العربي لم تكن بمحض الصدفة أو املتها ظروف طارئة، بل جاءت بعد أن اختمرت أسبابها، من ظلم واضطهاد وتعسف في الضرائب وقوانين جائرة، وكانت هذه الهجرة مؤيدة من قبل رجال الدين ولاسيما أن مبادئ الدين الاسلامي ترفض إخضاع المسلمين كرها لأي قوة.

أما المرأة الجزائرية فقد ذكر الجنرال مونتانيك (Montanyak) في رسالة وجهها إلى أحد أصدقائه في فرنسا حيث قال: "تسألني ماذا نعمل بالنساء الجزائريات اللواتي نأسرهن أثناء المعارك؛ إننا نحتفظ ببعضهن كرهائن، ونبادل بعضهن بعدد من الخيل ثم نبيع الباقي بالمزاد العلني مثل الأمتعة والمواشي، وهذه هي الطريقة المثلى التي نحارب بها هؤلاء العرب... قتل جميع الرجال من سن الخامسة عشر فما فوق الاستيلاء على جميع الناس والأطفال ونفيهم والقضاء على كل من لا ينحي كالكلب تحت أقدامنا<sup>(٨١)</sup>".

تبنت إدارة الاحتلال الفرنسي، استراتيجية استهداف المرأة المسلمة، في إطار سعيها لتوغلها في المجتمع الجزائري، وبعد ذلك استدراجها ضمن ما يخطط له الاحتلال من مكائد لضرب الأسرة والمجتمع المسلم في الجزائر عامة، وضمن هذا التوجه يذكر الجنرال بيجو: "أفضل وسيلة لإركاك المتمردين هو ضرب مصالحهم، وأول مصالحهم، هي النساء"<sup>(٨٢)</sup>.

كانت المرأة الجزائرية مركز اهتمام المبشرين وعلى رأسهم لافيغري الذي أدرك بدوره مقام المرأة في الأسرة والمجتمع الجزائري، ومدى تأثيرها باعتبارها مدار الحياة الاجتماعية<sup>(٨٣)</sup>.

إن إبعاد الجزائريين عن الأرض، وعن الوظائف الحكومية والإدارية، وتكاثر عددهم في بعض السنوات، مع عدم توفر أسباب الحياة، أوجد بين أهل البلاد طبقة كثيفة من السكان العاطلين الذين يقضون حياتهم عبثاً، حيث يوجد في الجزائر مليون رجل عاطل<sup>(٨٤)</sup>، ولكن في الاتجاه المقابل نجد أن الأوربيين الذين لم يتجاوز عددهم (٨٥٠) ألف نسمة، كانوا يسيطرون على كافة الوظائف الحكومية، ولم يعرف الفرنسيون مصطلحاً اسمه البطالة<sup>(٨٥)</sup>، بينما كانت البطالة متفشية في المجتمع الجزائري<sup>(٨٦)</sup>.

كان المجتمع الجزائري يعيش وضعاً يتميز بالبؤس والفقير<sup>(٨٧)</sup>، فكان سكان الوسط والجنوب الجزائريين يسكنون في خيام من الصوف والوبر، أما أهل الشمال فكانوا يسكنون قرابي<sup>(٨٨)</sup>، وتجسدت الرجولة في شرب الخمر وقطع الطريق، وانتشار ظاهرة الزنا، بتشجيع من فرنسا، التي فتحت لها الأبواب، واعتبرت كل من يتصدى لها جانياً يحاكم أمام العدالة لأنه اعتدى على الحرية، ولم تكتفي الإدارة الفرنسية في دعم ظاهرة الدعارة بفتح لها بيوت وسط الأحياء الشعبية بل فتحت لهن الأبواب بجوار المساجد<sup>(٨٩)</sup>.

## ثالثاً: الأوضاع الدينية والثقافية:

الجزائر بسهلها وجبلها، بشمالها وجنوبها، عربية مسلمة، على المذهب المالكي، وان الطابع العام الظاهر لعامة الشعب الجزائري، هو التمسك بالدين والعقيدة الإسلامية، وقد صورت الإدارة الفرنسية، لرجال إدارتها ودهاقنة سياستها، بأن احتلالها للجزائر في عام ١٨٣٠، وما أعدته من مخططات في حملتها الصليبية ضد الاسلام والمسلمين، سيعطي لها فرصة إزالة الوجود العربي الاسلامي من جزائر المسلمين<sup>(٩٠)</sup>.

طبع الجنرال دي بورمون في أواخر شهر إيار ١٨٣٠ أي قبل الحملة الفرنسية منشوراً باللغة العربية، في ميناء تولون الفرنسي، ذكر فيه بأن الحملة تستهدف القضاء على الداوي، ووعد السكان بقوله "...سنضمن احترام أموالكم وكل أملاككم ودينكم المقدس"، وقد اعتبرت الصحف الفرنسية، قوله خطوه إلى الوراء، وتعجبت من جرأة بورمون الذي أعطى صفة القداسة للديانة الإسلامية، في الوقت الذي يجتمع فيه أساقفة فرنسا رغبة في إحياء حرب صليبية ضد الكفار<sup>(٩١)</sup>.

اعتبر الملك شارل العاشر بيان الجنرال دي بورمون يتعارض مع رغبته ومطامحة الدينية، مبدياً عدم رغبته في وصف الديانة الإسلامية بالقداسة، لذلك أمر رئيس حكومته، بأرسال برقية إلى عامل مدينة تولون يأمره بإيقاف طبع المنشور، وحجز ما طبع منه، كما يخبره بتحرير منشور جديد، وهكذا فإن وصف الديانة الإسلامية بالقداسة قد حذف لأنه مس شعور شارل العاشر<sup>(٩٢)</sup>.

حمل الجنرال الفرنسي دي بورمون مع الجنود ستة عشر قسيساً، وعندما سقطت مدينة الجزائر ودخلها الجنرال منتصراً صرح لهؤلاء القساوسة: "إنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا، ولنا أمل أن تينع قريباً الحضارة التي انطأ في هذه الربوع"، وبعد يومين فقط من إمضاء معاهدة القصبه بين قائد الحملة والداوي حسين،

إثر سقوط مدينة الجزائر، نصب الجنرال يوم ٦ تموز الصليب عل أعلى بناية في المدينة في حفل مهيب<sup>(٩٣)</sup>.

أعتبر الفرنسيون سقوط الجزائر سقوط قلعة اسلامية، وعودة المسيحية إلى ديارها، ويصف أحد الفرنسيين المعاصرين مشاعره قائلاً: "إن الاحتفال الضخم جرى في القصة التي بناها أبناء محمد لمواجهة أبناء عيسى، وقد رتلوا آيات الإنجيل بأصوات عالية أمام آيات القرآن التي أصبحت ميتة والتي كانت تغطي كل الجدران"، وكانوا يعتبرون الجنود الذين ماتوا في الجزائر شهداء المسيحية، وأن دمائهم قد وطدت دعائم الكنيسة المسيحية<sup>(٩٤)</sup>.

وضع المستعمرون الصليبيون نصب أعينهم المساجد؛ فهي مراكز الإشعاع الإسلامي، حيث يلتقي فيها المسلمون، ويؤدون عبادتهم، ويستمعون إلى خطب الجمعة التي تنير الدرب، وتزيد الوعي، وفيها يتعلم الناشئة القرآن ومبادئ الإسلام، فهي لذلك عدو النصرانية الأول، ويجب التخلص منها والقضاء عليها، فمنذ أن دخل الفرنسيون الجزائر بدأوا بهذه الخطة، حيث كان في مدينة الجزائر منذ إن دخلها الفرنسيون عام ١٨٣٠، (١٠٦) مسجد وعندما خرجوا منها كان عدد المساجد (٦)<sup>(٩٥)</sup>.

إن أول مسجد وقع عليه الاعتداء بالهدم الكامل هو جامع السيدة، وكان ذلك سنة ١٨٣٠ ثم تلاه توزيع المساجد على الجيش لربط خيوله ووضع عتاده ومراقده ومستشفياته، ثم بدأ تحويل بعض المساجد إلى الكنائس، وإلى مقرات للجمعيات الدينية الفرنسية، وفي أثناء ذلك كان المعول يستعمل لهدم المساجد الأخرى أو بيعها إلى الأوربيين ليهدموها، وبينوا عليها المنازل والحمامات، وقد استعمل بعض المساجد كمسارح وصيدليات ومخازن للحبوب<sup>(٩٦)</sup>.

ويعترف الفرنسيون بما قام به الجيش، عندما دخل مدينة الجزائر، فالجنرال لامورييسير Lamourciere، المعروف بتدينه يقول: "حللنا بمدينة الجزائر، فاتخذنا

من المدارس مخازن وثكنات واصطبلات، واستحوذنا على أملاك المساجد والمدارس، وكنا نظن أننا سنعلم الشعب العربي، مبادئ الثورة الفرنسية، ولكن مع الأسف أن المسلمين رأوا في ذلك ضربة للدين والعقيدة<sup>(٩٧)</sup>.

تعتمد المساجد بالدرجة الأولى في تأدية مهمتها، كنفقات الامام والخطيب، والمشرف والأثاث ونفقات طلاب العلم؛ على ما تملك من أوقاف، ويُعرف الجزائريون بكثرة ما يهبون من مال وأملاك إلى المساجد والزوايا<sup>(٩٨)</sup>، ولذلك كانت أولى المؤسسات الإسلامية الاجتماعية الخيرية، التي سعى الاستعمار للسيطرة عليها- بعد مؤسسة المسجد- مؤسسة الأوقاف وأملاكها، والتي كانت مصدر خير كبير ونفع عظيم، على مجموع الأئمة وعلمائها، وطلبة العلم<sup>(٩٩)</sup>.

لذلك أصدرت السلطات الفرنسية مرسوماً في ٨ أيلول ١٨٣٠ يقضي بالاستيلاء على الاوقاف الاسلامية في المناطق التي احتلوها، واتبعه بأمر آخر في تاريخ ٧ كانون الاول السنة نفسها، ينص بحق التصرف بالأملاك الدينية بالتأجير والكراء، على الرغم من أن معاهدة تسليم العاصمة التي أبرمها القائد دي بورمون مع الداي حسين في ٥ تموز ١٨٣٠ تقضي بحرية الشريعة الاسلامية واحترامها<sup>(١٠٠)</sup>.

إن الاستيلاء على الأوقاف الاسلامية إنما يعني الاستيلاء على الدين، لأن المساجد والشؤون الدينية الأخرى، وما يترتب لها من خدمات تمول كلها من الاوقاف<sup>(١٠١)</sup>.

أصبحت الإدارة الاستعمارية تسيطر على المساجد المتبقية في الجزائر، معينة أئمتها وغيرهم من الموظفين الدينيين الذي يتقاضون رواتبهم من عائدات الاوقاف، فقامت تلك السلطات بتطبيق سياسة للقضاء على الشخصية الدينية والثقافية للمجتمع الجزائري<sup>(١٠٢)</sup>.

احكم الفرنسيون قبضتهم على المساجد، حتى لا تبقى مراكز إشعاع، وجمع لشملة الأمة وتوجيه لها، ودفع لها لجهاد الكفار، ولم يكن في الغالب أن يحصل إمام

أو مدرس، أو خطيب على القيام بشؤون مسجد، وإمامة الناس فيه، وتعليمهم الاسلام ولغته، إلا إذا أظهر ولاء كبير، أو طاعة عمياء للإدارة الاستعمارية، وفي هذا الصدد يقول مدير مكتب الشؤون الإسلامية في الجزائر: "لقد أذلنا الدين الاسلامي، وبلغ الأمر أن لا يعين إمام أو فقيه إلا إذا شارك في أعمال الجاسوسية الإفريقية، ثم عليه كي يرتقي في الدرجة، أن يثبت قدراً كبيراً من الحماسة والإخلاص، للإدارة الفرنسية"<sup>(١٠٣)</sup>.

هاجم المستعمرون نظام الاوقاف في شمال إفريقية عامة، وقالوا إنه نظام رجعي، يمنع تداول الثروات، والقصد من ذلك حرمان المسلمين من أملاكهم، ونسبوا إليه أنه نوع من استغلال عمل الانسان لأنه يفرض الجبر وذلك عندما رأوا الطلبة يتلقون العلم في الزوايا والمدارس الإسلامية، ويعملون في زراعة الاراضي الملحقة بالمعاهد، وكان يطلق على هذا العمل الانساني المعونة<sup>(١٠٤)</sup>، كما قام المستعمرون بتأجير الاوقاف للمستوطنين بأسعار زهيدة دون بيعها لهم في الظاهر، خوفاً من ثورة الاهالي، وكان المستوطن الاوربي يكف عن دفع الإيجار بعد بضع سنوات، فلا تسأله الادارة الفرنسية عن استيفاء الإيجار، وبدلاً عن ذلك تمده بالمعونة<sup>(١٠٥)</sup>.

لم يراعي الغازي الفرنسي مشاعر المسلمين، ولا قواعد الدين فقام بتهريب عظام الموتى المسلمين من الجزائر إلى مرسيليا، لاستخدامها في فحم العظام لتبييض السكر، ولقد هزة هذه الفضيحة الرأي العام الجزائري والفرنسي<sup>(١٠٦)</sup>.

كانت فرنسا تخشى قوة الاسلام، لأن الاسلام القوي يهدد استعمارها، وفي هذا الصدد قال الكاردينال لافيجيري: "وبينما كان الإسلام على وشك أن ينهار في أوروبا مع عرش السلاطين، كان لايزال ناشطاً في تقدمه وفتوحه على أبواب مملكتنا الافريقية"، وأن الاسلام أشد الاديان مراساً في إباء الاستعباد، ولذلك يتمنى المبشرون أن ينصروا المسلمين جميعاً<sup>(١٠٧)</sup>، وبالإضافة الى التبشير الذي قامت به

فرنسا في البلاد العربية عملت الاخيرة على حث مفكريها وكتابها، بالطعن بالإسلام ومحاولة تشويه صورته لدى الاجيال المسلمة<sup>(١٠٨)</sup>.

تدهورت الاخلاق في الجزائر بعد الاحتلال ولاسيما لدى المستوطنين الذين كانوا من حثالات المجتمع الأوربي، فانتشرت الامراض والادمان والتسكع، وارتفع عدد المواليد غير الشرعيين بين المستوطنين في الجزائر إلى (٢٤٤) في الألف، بينما كان في فرنسا (٧٢) في الألف، وانعكس ذلك على الاهالي، فمنحرفو المسلمين لم يقلدوا المستوطنين في العلم والعمل ونحوهما، ولكن في الخمر والزنا والتسكع وكان دور الكنيسة هو محاربة هذه الآفات وتقويم الاخلاق لدى المستوطنين أما دورها بين المسلمين فكان العكس<sup>(١٠٩)</sup>.

نص الدستور الفرنسي، على فصل الدين عن الدولة، وطبق على النصارى واليهود، ما عدا الدين الاسلامي حيث بقيت السلطة المدنية النصرانية، أو العسكرية الصليبية تتحكم في امور المسلمين حتى التعبدية منها كإمامة الصلاة، وخطب الجمعة، وفي توجيه الخطباء فيما يقولون، وبما يوجهون<sup>(١١٠)</sup>، بدعوى انه لا يمكن الفصل بين الجانب الروحي والديني في الاسلام، والحقيقة أن هذا البقاء الرابط بين الإسلام والإدارة الفرنسية كان يفي المزيد من تكريس الهيمنة الفرنسية على الدين الاسلامي، والمؤسسات الدينية، وتجلّى ذلك من خلال الإعلان عن إجراءات منع الجزائريين من أداء مناسك الحج، خوفا من احتكاكهم بإخوانهم في المشرق العربي<sup>(١١١)</sup>.

أما الحياة الثقافية في الجزائر فقد ظلت تسير منذ بداية الاحتلال نحو الموت المؤكد خلال القرن التاسع عشر، نتيجة لسياسة الهدم التي انتهجتها سلطات الاحتلال منذ ١٨٣٠، ولكن مع مطلع القرن العشرين، بدأت تسير بخطوات وثيدة نحو الإحياء والبعث من جديد بفضل المجهودات المضنية التي بذلها بعض الجزائريين على مستويات لإخراج البلاد من ظلام الجهل والأمية والاقصاء والتهميش<sup>(١١٢)</sup>.

إن الاحتلال الفرنسي أساء كثيراً للثقافة الجزائرية، فاللغة العربية إما اختفت وإما اضطهدت<sup>(١١٣)</sup>، و دفع المستعمر اللغة العربية إلى المؤخرة، إلى الذاكرة الخلفية وإلى هوامش الحياة، فاسحاً المجال للغة المستعمرين<sup>(١١٤)</sup>، كما أن المتقنين الجزائريين قد فقدوا تدريجياً الاتصال بماضيهم نتيجة لفقدان الكتب والمدارس بلغتهم، وقد كانت اللغة العربية أكثر النظم الوطنية الجزائرية معاناة، فقد حاصرها الاحتلال الفرنسي ومنعها من حرية التعبير ومسايرة التطور العلمي<sup>(١١٥)</sup>.

صدرت التعليمات في أوائل أيام الاحتلال، عقب الشروع في تنظيم إدارة الجزائر وجاء فيها ما يلي: "إن إيالة الجزائر لن تصبح ممتلكة إفرنسية حقيقية إلا عندما تصبح لغتنا هناك قومية، والعمل الجبار الذي يترتب علينا إنجازاه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي بالتدرج إلى أن تقوم مقام اللغة العربية الدارجة بينهم الآن"<sup>(١١٦)</sup>.

أن الجزائريين لا يميزون بين تعليم القرآن واللغة العربية باعتبارها رموزاً حضارية وثقافية؛ هذا التشبث بالقيم هو في حد ذاته محرك للعواطف، كان المجتمع الجزائري يشعر عن وعي أو غير وعي أن وجوده مرهون بثقافته، لأن القرآن واللغة العربية شيان متلازمان وهذه القيم الراسخة كانت تمدّه بالعزيمة في مواصلة المقاومة ضد المستعمر وتمنحه القدرة في مواجهة الصعاب، فبفضل اللغة العربية حافظ الجزائريون على شعورهم بالانتماء إلى عالم أوسع يربطهم به التاريخ<sup>(١١٧)</sup>.

ذهب محمود إبراهيم في معرض حديثه عن اللغة العربية قائلاً: "أن اللغة العربية قد اصطفاه الله من بين سائر اللغات البشرية لتحمل أعظم رسالة سماوية للناس كافة والأمة العربية على وجه الخصوص فاستطاعت أن تكون في مستوى الرسالة المحمدية وأن تعبر بأسلوب إعجازي عنها وتمكنت وحفظت لهذه الأمة كيانها... إن اللغة العربية بما لها من ارتباط بالقرآن الكريم ومن تراث فكري وروحي هي أقدر شيء على حفظ الشخصية العربية وملاحم العروبة"<sup>(١١٨)</sup>.

واجه الفرنسيون في عام ١٨٣٠ ثقافة ولغة عربية في الجزائر استقرت منذ قرون طويلة في أنحاء البلاد ومع أنها كانت قليلة المؤلفات وقتذاك، إلا أنها كانت ثقافة وطنية أصيلة وكان التعليم الابتدائي منتشراً لدرجة أن أحد القادة العسكريين الفرنسيين قد أعترف قائلاً: "كل العرب يعرفون القراءة والكتابة باللغة العربية، وفي كل قرية جزائرية توجد مدرستان على الأقل" (١١٩).

لم تكتف فرنسا بتجريد الإنسان العربي، في الجزائر من أرضه، بل عملت جاهدة على إفساد العقول وإبقائها متخلفة، فقد بذلت جهودها للقضاء على الثقافة الوطنية بقطع الروافد التي كانت تغذيها وتنميتها ومنعتها من مواكبة حركة التاريخ، إضافة إلى الدور الرئيسي الذي كان يهدف إليه الاستعمار في نشر الجهل والتخلف حيث كان يهدف إلى تكوين نخبة متأثرة بالثقافة الغربية مفرنسة وتابعة فكرياً للغرب (١٢٠).

إن اللغة بمثابة القلب النابض والروح الحية من أي شعب، ووعاء أنشطته الثقافية والحضارية، وأحد أهم مقومات وحدته، وأن معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم كتاب عربي يقرؤه الناس ويستلهمونه إلى قيام الساعة، لذلك حرصت فرنسا على إقصاء وقتل اللغة العربية، وفرض لغتها على الشعب الجزائري لنسف وحدته واغتيال شخصيته وإخضاعه لنفوذها (١٢١).

كان المجتمع الجزائري، في مواجهته السلطة الاستعمارية، يشعر بأن التعليم الفرنسي يمس شخصيته، فرفض هذا التعليم حتى بعد أن أصبح إجبارياً (١٢٢)، فالذي يفهم من التقارير والمراسلات سواء التي كانت بين الجزائر وباريس من جهة، أو التي كانت بين رجال السلطة الفرنسية داخل الجزائر من جهة أخرى، أن رجال السلطة الفرنسية كانت تفضل حركة التعليم كوسيلة فعالة للتوسع أكثر من وسيلة السلاح (١٢٣).

ولما لم يبق له إلا المحافظة على وجوده اضطر إلى قبول هذا التعليم كوسيلة ضرورية لحل مشاكل الحياة الدنيا، دون أن يتخلى عن ثقافته الخاصة التي صارت تعتبر وسيلة للسمو بالنفس<sup>(١٢٤)</sup>، ويطلق على التعليم الذي تولته الإدارة الفرنسية اسم التعليم النظامي وهو نوعين؛ الأول من الدرجة الأولى، خاص بأبناء المستوطنين والثاني ضعيف من الدرج الثانية مخصص لأبناء الجزائريين باسم (التعليم الأهلي)<sup>(١٢٥)</sup> ويكمن الهدف من تنظيم هذا التعليم، تكوين مرشحين لمناصب دينية كالإفتاء والقضاء والصلاة وتكوين موظفين كمساعدين قضائيين، ومعلمين في المدارس<sup>(١٢٦)</sup>.

أما فيما يخص تعليم اللغة العربية فقد أهملته الإدارة الفرنسية بحيث اعتبرته دعماً وتطوراً للهوية الوطنية، وكان أغلبية الجزائريين يتوقفون عن الدراسة في سن (١٤) سنة، أي عندما يكملون المرحلة الابتدائية خاصة سكان الأرياف الذين لا يجدون ظروف الحياة الملائمة أمام هذه الوضعية المزرية التي يفرضها المستعمر، ونجد وتيرة التعليم في المدن أسرع منها في الأرياف<sup>(١٢٧)</sup>.

وعلى الرغم أن اللغة العربية فقدت مكانتها، فقد ظلت تدرس بحسب ما تسمح به الظروف، في كتاتيب<sup>(١٢٨)</sup> القرى، وفي بعض الزوايا التي آل أمرها إلى الانحطاط، وكان تعليمها محدوداً، وربما نزل إلى النصف أو أقل من النصف، ولكن المستوى بقي كما كان، والذي أضر بالعربية بعد الغزو الاستعماري ليس هو انخفاض المستوى، بل هو نوع العلاقات القائمة بين الغالب والمغلوب، وزوال مكانة اللغة، كأداة للتعبير الرسمي<sup>(١٢٩)</sup>.

إن الوضع الثقافي في الجزائر كان على شاکلة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، بسبب سياسة الحرمان واللامساواة التي طبقتها الإدارة الفرنسية، لمنع الجزائريين من التعليم، لاعتقادهم بأن التعليم يخلق الوعي واليقظة ومقاومة الاحتلال

والمطالبة بالحقوق، فقد ركزت على تعليم الجزائريين لتكوين مهني محدود وهذا لغايات استعمارية<sup>(١٣٠)</sup>.

قامت السلطات الفرنسية بنهب التراث العربي الاسلامي الذي عثر عليه جنود الاحتلال في المكتبات مثل المخطوطات والوثائق والكتب، وقاموا ببيعها لتجار الكتب الأوربيين الذين اخذوها إلى أوروبا، اضافة إلى قيامهم بإتلاف البعض منها أو بعثرته أو حرقه كما فعلوا مع مكتبة الامير عبد القادر<sup>(١٣١)</sup>.

تعرض قسم كبير من العلماء والفقهاء والمدرسين بفعل الحرب والارهاب إلى القتل وزج بالسجون بمن شاء، وهاجر قسم منهم إلى الأقطار الاسلامية حيث يجدون الحرية ويعيشون تحت راية المسلمين واحتفظت المناطق النائية بالبعض الآخر وهم قلة<sup>(١٣٢)</sup>، وكانت السلطات الفرنسية تسمح بافتتاح المقاهي أكثر مما تسمح بافتتاح المدارس<sup>(١٣٣)</sup>.

لجأت الإدارة الفرنسية إلى ضرب التعليم القرآني، خوفاً من عودة انتشاره، فأصدرت بتاريخ ١٨ تشرين الأول ١٨٩٢، مرسوماً يقضي بعدم فتح المدارس العربية، إلا برخصة من السلطات الحكومية، وكانت نتيجة هذا المرسوم أن تحول قسم كبير من هذه المدارس والكتاتيب إلى التعليم بالسر وبعيد عن أعين الإدارة<sup>(١٣٤)</sup>. وضعت السلطات الفرنسية في الجزائر بعد ذلك العراقيل أمام منح (رخصة التعليم)، فكان على المعلم أو الشيخ، التعرض لمواقف صعبة والرضوخ لشروط مهينة، يلتزم بتنفيذها نصاً وروحاً في مدرسته، من أجل الحصول على تلك الرخصة، ومن هذه الشروط، اقتصار التعليم على تحفيظ القرآن لا أكثر، عدم التعرض بأي وجه كان إلى تفسير الآيات القرآنية، وخاصة التي تحض على الجهاد في سبيل الله، استبعاد تدريس تاريخ الجزائر وتاريخ المسلمين وغيرها<sup>(١٣٥)</sup>.

يتضح من ذلك أن سلطات الاحتلال الفرنسي، كانت تستهدف محو الاسلام في الجزائر، وانتزاعه من أمة عاشت تقده مدة تزيد على ثلاثة عشر قرناً، كما أنها

استهدفت البناء الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، في محاولة منها لتفكيك المجتمع الجزائري، من خلال القوانين والمراسيم التي أصدرتها والتي لم يسلم منها الطفل الرضيع لا بل حتى الحيوان.

### الخاتمة:

في ضوء ما سبق توصل الباحث إلى جملة من الاستنتاجات وسوف نستعرضها على النحو التالي:-

- (١) إن الفرنسيين لم يقوموا بحملة، ناجحة ورابحة كحملة الجزائر.
- (٢) طرد الفرنسيين للأتراك بعد نجاح حملتهم على الجزائر، وكان ترحيلهم بطريقة مأساوية.
- (٣) عمدت السلطات الفرنسية على زراعة محاصيل لم يكن الفلاح الجزائري يزرعها من قبل كزراعة الكروم، على حساب زراعة الحبوب مما أدى إلى حدوث المجاعات.
- (٤) ساهم صدور قوانين الملكية إلى هبوط في تربية الماشية، بسبب الاستيلاء على الاراضي المخصص للرعي.
- (٥) اتجهت فرنسا بعد احتلالها للجزائر، إلى الانتاج المعدني، الذي كان مصمماً للتصدير إليها، ولا يستخدم منه شيء للتصنيع المحلي.
- (٦) وقوف اليهود إلى جانب الفرنسيين، وقيامهم بالاعتداء على المسلمين، ولاسيما الاطفال.
- (٧) استهدف الفرنسيون المساجد باعتبارها مركز الاشعاع الاسلامي.
- (٨) إهمال الفرنسيين للتعليم العربي، حيث اعتبره الفرنسيين دعماً للهوية الوطنية، وكان اغلب الجزائريين يتوقفون عن الدراسة في سن (١٤) سنة.

## الهوامش والمصادر:

- (١) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج١، ط١، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، ١٩٩٢)، ص٢٣.
- (٢) الداوي حسين: ولد في بلدة صغيرة في الأناضول، لوالد كان في الجيش العثماني، عمل فترة في اسطنبول ثم انتقل الى إيالة الجزائر، تولى الحكم عام ١٨١٨، وهو آخر الدايات، وكان رجلاً عالماً وشجاعاً، حكم الجزائر بعد وفاة الداوي علي خوجة، أكبر خطأ ارتكبه أثناء ولايته هو سماعه للواشين في قضية يحيى آغا الذي كان أكبر قائد عسكري عرفته الجزائر، في عهد الأغوات والدايات، فقام بعزلة وتعيين إبراهيم آغا الذي لم يكن له خبرة في إدارة المعارك، مما أدى احتلال الجزائر. للمزيد من التفاصيل ينظر: حمدان بن عثمان خوجة المرأة، تعريب: محمد العربي الزبيري، (الجزائر، ٢٠٠٦)، ص١٤٦..
- (٣) نور الدين بولحية، الاستعمار الكلاسيكي وجرائمه في حق الشعوب الاستعمار الفرنسي للجزائر نموذجاً، مجلة آفاق علمية، العدد ١، مجلد ١٠، (الجزائر، ٢٠١٨)، ص١٣.
- (٤) أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط٣، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (الجزائر، د.ت)، ص٥٧.
- (٥) جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، (الجزائر، د.ت)، ص١١٧.
- (٦) مسعود مجاهد، الجزائر عبر الأجيال، ط٢، دار الأيتام الإسلامي، (القدس، د.ت)، ص١٥٥.
- (٧) هدير ريجان ناصر الحمداني، أوضاع الجزائر الاقتصادية (١٩٦٢-١٩٧٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، (جامعة ذي قار، ٢٠١٧)، ص١٠.
- (٨) وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (١٨١٦-١٨٢٤)، تعريب: إسماعيل العربي، (الجزائر، ١٩٨٢)، ص٢٩.
- (٩) أكرم بو جمعة، أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والانسانية، العدد ٢٨، جامعة بابل (الجزائر، ٢٠١٦)، ص١٦٦.
- (١٠) عدي الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي ١٨٣٠-١٩٦٠، ط١، ترجمة: جوزيف عبد الله، (بيروت، ١٩٨٣)، ص١٥٦.
- (١١) مسعود مجاهد، الجزائر عبر الأجيال...، ص١٥٨.
- (١٢) أكرم جمعة، المصدر السابق، ص١٦٦.

- (١٣) القطار: وهو اسم لمعيار يوزن كالرطل والربع ومقدار القطار عند الحنفية ١٤٩,٧٦ كيلو غرام، ومقداره عند الجمهور ١٤٣,٨ كيلو غرام. أسامة صاحب منعم، الأوضاع الاقتصادية العامة للجزائر في ظل الادارة الفرنسية ١٨٣٠-١٩٦٢ ومحاولات البحث عن النفط قبل الاستقلال، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، العدد ٣، المجلد ٤، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية جامعة بابل، (د.ت)، ص ٢٤٢.
- (١٤) زاهر رياض، استعمار افريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٥٩)، ص ٢٤٥.
- (١٥) سعد طاعة، البيئة الاجتماعية والاقتصادية للريف الجزائري (١٩٣٠-١٩٥٤)، مجلة المصادر، العدد ١٧، المركز الوطني للدراسات، (الجزائر، ٢٠٠٨)، ص ٦٨.
- (١٦) المصدر نفسه، ص ٦٩.
- (١٧) مسعود مجاهد، الجزائر عبر الأجيال...، ص ١٦٣-١٦٤.
- (١٨) نور الدين بولحية، المصدر السابق، ص ١٥.
- (١٩) عبد المالك خلف التميمي، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، المغرب العربي، فلسطين، الخليج العربي، (الكويت، ١٩٨٣)، ص ٢٥.
- (٢٠) أكرم بو جمعة، المصدر السابق، ص ١٦٦.
- (٢١) سمير أمين، المغرب العربي الحديث، ط ٢، ترجمة: كميل. داغر، (بيروت، ١٩٨١)، ص ٤٢.
- (٢٢) يحي بو عزيز، سياسة التسلط الاستعمارية والحركة الوطنية ١٨٣٠-١٩٥٤، ديوان المطبوعات الجامعية، (الجزائر، ٢٠٠٧)، ص ٣٦.
- (٢٣) محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، مكتبة الأسد، (دمشق، ١٩٩٩)، ص ١٩.
- (٢٤) زاهر رياض، المصدر السابق، ص ٢٤٦.
- (٢٥) نور الدين بولحية، المصدر السابق، ص ١٥.
- (٢٦) أكرم بو جمعة، المصدر السابق، ص ١٦٧.
- (٢٧) مازن صلاح أحمد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (١٩٣١-١٩٣٩)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية (جامعة الملك عبد العزيز، ١٩٨٥)، ص ٢٨-٢٩.
- (٢٨) حمدي حافظ ومحمود الشرقاوي، الجزائر كفاح شعب ومستقبل أمة، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة، د.ت)، ص ٢٦.

- (٢٩) محمد العربي الزبيري، المصدر السابق، ص ٢٠ .
- (٣٠) نور الدين بولحية، المصدر السابق، ص ١٦ .
- (٣١) توفيق دحماني، الضرائب في الجزائر (١٧٩٢-١٨٦٥)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (جامعة بن يوسف بن خدة- الجزائر، ٢٠٠٨)، ص ٥٢٤.
- (٣٢) صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، (القاهرة، ١٩٩٣)، ص ١٥٦.
- (٣٣) مازن صلاح حامد مطبقاني، المصدر السابق، ص ٢٧-٢٨.
- (٣٤) عبد الرشيد رزوقة، جهاد أبين باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (١٩١٣-١٩٤٠)، ط١، دار الشهاب، (بيروت، ١٩٩٩)؛ شارل روبير اجيرون، المصدر السابق، ص ١١٠.
- (٣٥) عبد الرشيد رزوقة، المصدر السابق، ص ٢٤.
- (٣٦) صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر...، ص ١٥٦.
- (37) Charles. A. Julien, Histoire de l'Algeria contemporaine, la conquete et les debuts de la colonization(1827-1871), paris, 1964, p27.
- (٣٨) ثامر عزام حمد، نشأة التاريخية للسكك الحديدية الجزائرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، العدد ٢٩، مجلد ٩، (حزيران، ٢٠١٧)، ص ١٤٧-١٤٩.
- (٣٩) محمد جميل بيهم، قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، ج١، مطبعة الكشاف، (بيروت، ١٩٤٨)، ص ١٨٠ .
- (٤٠) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، د.ت)، ص ١٣٠ .
- (٤١) شمل الترحيل الاول (٢٠٠٠) من الانكشارية العزاب وذلك في شهر تموز عام ١٨٣٠، وبعد حوالي شهر اي في آب، سرى قرار الطرد على الاتراك المتزوجون، فكانت السفن تزدهم بالنساء والاطفال والجنود، وكان قرار طرد الاتراك المتزوجون قد جرى بوشاية من اليهود، بأن الاتراك فرحوا بهزيمة بورمون في البليدة. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية...، ص ٢٠؛ محمود إحسان الهندي، الحوليات الجزائرية تاريخ المؤسسات في الجزائر منا لعهد العثماني إلى عهد ثورة فالاستقلال، العربي للإعلان والنشر والتوزيع، (دمشق، ١٩٧٧)، ص ١٢٠.
- (٤٢) توفيق دحماني، النظام المالي الاستعماري في الجزائر خلال القرن التاسع عشر، مجلة عصور، العدد ٨، منشورات مخبر البحث التاريخي، (جامعة وهران، ٢٠١٧)، ص ١٩.

- (٤٣) شكل تصريح المارشال دي بورمون، إلى اندفاع كثير من السكان الطامعين في الحكم، إلى تشكيل حاشية محاطة بالمارشال وملازمة له، وابتعدوا عنه كل من كانت له كفاءة ومقدرة. حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص ١٨١.
- (٤٤) آمال معوشي، يهود الجزائر والاحتلال الفرنسي (١٨٣٠-١٨٧٠)، د.م، (الجزائر، ٢٠١٣)، ص ٢٧-٢٨؛ أبو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية...، ص ٢٦.
- (٤٥) سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تعريب: أبو العيد دودو، (الجزائر، ١٩٧٤)، ص ١٠٩؛ أبو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية...، ص ٢٦.
- (٤٦) نقلاً عن: إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري ١٨٨١-١٩١٢، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، (الجزائر، ١٩٩٦)، ص ٧٦.
- (٤٧) صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر...، ص ٩٥.
- (٤٨) حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص ١٩٧.
- (٤٩) توفيق دحماني، المصدر السابق، ص ١٩.
- (٥٠) الحضر: هم سكان البلاد الأصليين قبل وصول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، وقد سكنوا المدن التي تعود في أصولها إلى الفترة الإسلامية، كان لهذه الطبقة عادات وتقاليد اجتماعية خاصة بها، وكانت طبقة ميسورة الحال يعمل أبنائها في مختلف المهن الصناعية، وكانوا يتولون وظائف في السلك القضائي والتعليمي. للمزيد من التفاصيل ينظر: عقيل لطف الله نمير تاريخ الجزائر الحديث، د.م، (دمشق، ٢٠٠٨)، ص ٢٥٩-٢٦٠.
- (٥١) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ص ٢٩.
- (٥٢) توفيق دحماني، المصدر السابق، ص ٢٠؛ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ص ٢٩.
- (٥٣) وزارة الإعلام والثقافة الجزائرية، وقائع وأبعاد الثورة الجزائرية، ط ٢، (الجزائر، ١٩٧٢)، ص ١١.
- (٥٤) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج ٢، دار البصائر، (الجزائر، ٢٠٠٧)، ص ٩٣؛ احمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ص ٨٠.
- (٥٥) الزواف: نسبة إلى قبيلة الزواوا، وهؤلاء يدرّبون تدرّيباً جيداً وتدفع لهم مرتبات مشرفة، حتى يغرون رجال القبائل الأخرى، على الدخول في خدمة الفرنسيين، وتستطيع فرنسا استغلالهم كما استغلت روما قديماً رجال إمبراطوريتها، وبريطانيا في الوقت الحديث مجندي الهند، وكانوا يرتدون سترة تركية وسروالا يشبه سراويل المماليك، وكثر عدد الفارين منهم والعائدين لقراهم،

- ولم تستطع فرنسا ان تكون إلا كتيبتين، إحداهما تتألف من ٥٢٩ جندي والثانية من ٨٥٠. جلال يحيى، السياسة الفرنسية في الجزائر، (١٨٣٠-١٩٥٩)، ط١، دار المعرفة، (القاهرة، ١٩٥٩)، ص٨٧-٨٨؛ صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، ص٩٦.
- (٥٦) مسعود مجاهد، تاريخ الجزائر، ج١، دار الأيتام الإسلامية، (الجزائر، د.ت)، ص١٢٨؛ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ص٣٧.
- (٥٧) حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص١٨٥؛ صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، ص٩٦.
- (٥٨) نقلاً عن: أكرم بوجمعة، المصدر السابق، ص١٦٨.
- (٥٩) محمود إحسان الهندي، الحوليات الجزائرية تاريخ المؤسسات في الجزائر من العهد العثماني إلى عهد الثورة فلالاستقلال، العربي للإعلان والنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، ١٩٧٧، ص١٢٢.
- (٦٠) يحي بو عزيز، المصدر السابق، ص٣٥-٣٦.
- (٦١) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية...، ص٣٨.
- (٦٢) جلال يحيى، المصدر السابق، ص٨٩؛ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ص٤٤.
- (٦٣) حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص٢٢٥؛ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية...، ص٤٥-٤٦؛ جلال يحيى، المصدر السابق، ص٨٩.
- (٦٤) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ص٧٠-٧١ Francis Pulszky, Esq, Algeria and The French Conquest, New York, 2008. P: 10.
- (٦٥) عميرواي احميده وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (١٨٤٤-١٩١٦)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، (الجزائر، ٢٠٠٩)، ص١٤٥.
- (٦٦) آمال شلبي، التنظيم العسكري في الثورة التحريرية الجزائرية ١٩٥٤-١٩٥٦، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة العقيد الحاج لخضر، (د.ت)، ص٣٠٠.
- (٦٧) حليلة بن سعدية وسامية والي، الأوبئة والمجاعات والكوارث في الجزائر خلال القرن التاسع، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (جامعة محمد بوضياف-المسيلة، ٢٠١٧)، ص٤٥.
- (٦٨) صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (الجزائر، ١٩٧٤)، ص٥١.

(٦٩) عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر ١٨٣٠-١٩٠٠، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ٢٠٠٩، ص ١٠٤؛ صالح العنثري، المصدر السابق، ص ٥٤-٥٥. (٧٠) لافيغيري: هو شارل أنطوان مارسيل لافيغيري، ولد في ٣١ تشرين الأول ١٨٢٥ بمدينة وير قرب بايون على سفوح جبال البريني، اتجهت أمياله إلى الكهنوت، فدخل بمدرسة سان سوبليس، نال رتبة الدكتورية في اللاهوت، ثم عين أستاذاً للتاريخ الكنائسي في مدرسة السوربون، وأشتهر بفصاحة التعبير وحسن الإلقاء، وفي سنة ١٨٦٣ عين أسقفاً لمدينة نانسي، وبعد ذلك بأربع سنوات أنشئت لأجله وظيفة رئيس الأساقفة في مدينة الجزائر، توفي عام ١٨٩٢. للمزيد من التفاصيل ينظر: ليلي طيار، النشاط التصيري للكاردينال لافيغيري في الجزائر (١٨٦٨-١٨٩٢) منطقة القبائل نموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ٢٠١٣، ص ٢٩-٣١؛ أحمد شفيق، الرق في الإسلام رد مسلم على الكاردينال لافيغيري، ط ٢، ترجمة: احمد زكي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (الجزائر، ٢٠١٣)، ص ٩٨-١٠١.

(٧١) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، (الجزائر، د.ت)، ص ٦٢.

(٧٢) حليلة بن سعدية و سامية والي، المصدر السابق، ص ٣٧.

(٧٣) وفاء كاظم ماضي، الممارسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر جميلة بوحيرد نموذجاً، مجلة العلوم الانسانية، بلا عدد، كلية التربية- صفي الدين الحلي، (جامعة بابل، د.ت)، ١٦١؛ أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر...، ص ١٣٤.

(74) Labbe Burzet, Histoire, Le Desatres de Lagerie, 1866-1867-1868, Alger, 1869. P:55.

(٧٥) عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر...، ص ١١٨؛ حليلة بن سعدية و سامية والي، المصدر السابق، ص ٣٩.

(٧٦) هندا قديد، الحركة الطلابية الجزائرية في المدة (١٩٢٧-١٩٦٢) الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين نموذجاً دراسة لعينة من الأعضاء الفاعلين في الاتحاد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر ٢، ٢٠١٢، ص ٤٤.

(٧٧) عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (١٨٤٧-١٩١٨)، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص ١٢.

- (٧٨) نادية طرشون، الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام بين عامي ١٨٨٩ و١٨٩٩ من خلال التقارير الرسمية الفرنسية: تقرير محافظ المدينة وتقرير لوسيان، مجلة عصور، العدد ١، مخبر البحث التاريخي، (جامعة وهران، ٢٠٠٢)، ص ٣١
- (٧٩) محمد بليل، قانون التجنيد الإجباري لسنة ١٩١٢ وانعكاساته على الجزائريين القطاع الوهراني نموذجاً، العدد ٢٠، منشورات مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، ٢٠١٣، ص ٢٦٠.
- (٨٠) إبراهيم مهديد، مقاومة الجزائريين بالهجرة إلى الديار الإسلامية - عمالة وهران نموذجاً -، مجلة عصور، العدد ٤/٥، منشورات مخبر البحث التاريخي، (جامعة وهران، ٢٠٠٤)، ص ١٢٢؛ عمار هلال، المصدر السابق، ص ١٢.
- (٨١) نقلاً عن: أحمد محمد عاشور أكس، صفحات تاريخية خالدة من الكفاح الجزائري المسلح ضد جيروت الاستعمار الفرنسي الإستيطاني، ١٥٠٠-١٩٦٢، ط ١، المؤسسة العامة للثقافة (الجزائر، ٢٠٠٩)، ص ١٤٢؛ مارسيل أجريتوا، الوطن الجزائري، ترجمة: عبد الله نوار، (القاهرة، ١٩٥٦)، ص ٣٦.
- (٨٢) حياة حسني وسارة خرزوي، أساليب السياسة الإدارية الفرنسية في الجزائر (١٨٣٠-١٩١٤)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، ٢٠١٧)، ص ٤٧.
- (٨٣) المصدر نفسه، ص ٤٨.
- (٨٤) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر...، ص ١٣٢.
- (٨٥) وفاء كاظم ماضي، المصدر السابق، ص ١٦١.
- (٨٦) مازن صلاح حامد مطبقاني، المصدر السابق، ص ٣٠.
- (٨٧) فائزة رواجي وفيروز عطابيلية، التطور الثقافي في الجزائر ما بين ١٩٤٥-١٩٥٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالمه، ٢٠١٧)، بلا ص ٢٤.
- (٨٨) قرابي: جمع قرى وهو بيت صغير من قش وطنين فيه حياة السقم والكآبة. أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر...، ص ١٣٢-١٣٣.
- (٨٩) أكرم بوجمعة، المصدر السابق، ص ١٦٩.
- (٩٠) بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، ط ٢، دار النفاس، (الجزائر، ١٩٨٣)، ص ٥٧؛ جمال الدين الألووسي، المصدر السابق، ص ٨٩.

- (٩١) نقلاً عن: خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (١٨٣٠-١٨٧١)، د.م (الجزائر، ١٩٧٧)، ص ١٩.
- (٩٢) المصدر نفسه، ص ١٩-٢٠.
- (٩٣) شاوش حباسي، من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر ١٨٣٠-١٩٦٢، دار هومة، (الجزائر، د.ت)، ص ١٢.
- (٩٤) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية...، ص ٧٩-٨٠.
- (٩٥) محمود شاكر، التاريخ الاسلامي بلاد المغرب، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦، ص ٢٣٥.
- (٩٦) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ١٨٣٠-١٩٥٤، ج ٥، ط ١، دار الغرب الإسلامي، (الجزائر، ١٩٩٨)، ص ١٠-١١.
- (٩٧) خديجة بقطاش، المصدر السابق، ص ٢١.
- (٩٨) الزوايا: جمع زاوية، وسميت بهذا الاسم لانزوائها عن المدن، وهي كانت منتشرة في العهد العثماني بشكل كبير وقد اطلقت على المصلى أو المسجد الصغير في المشرق العربي، بينما في المغرب الاسلامي مصطلح الزاوية أكثر شمول من ذلك، إذ يطلق على بناء او مجموعة من الابنية ذات الطابع الديني، وهي تشبه المدرسة في تخطيطها وأجزائها ووظيفتها، وهي مخصص للطرق الصوفية. للمزيد من التفاصيل ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ١٥٠٠-١٨٣٠، ج ١، ط ١، دار الغرب الإسلامي، (الجزائر، ١٩٩٨)، ص ٢٦٢-٢٦٤.
- (٩٩) عبد الرشيد زروقة، المصدر السابق، ص ٢٦.
- (١٠٠) بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، ص ٦٤؛ محمود شاكر، المصدر السابق، ص ٢٣٦؛ عبد الرشيد زروقة، ص ٢٦.
- (١٠١) بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، ص ٦٤.
- (١٠٢) إبراهيم مهديد، القطاع الوهراني ما بين ١٨٥٠-١٩١٩ دراسة حول المجتمع الجزائري الثقافة والهوية الوطنية، منشورات دار الأديب، (الجزائر، ٢٠٠٦)، ص ١٨.
- (١٠٣) عبد الرشيد زروقة، المصدر السابق، ص ٢٧؛ احمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ص ١٤٨.
- (١٠٤) أحمد رمزي، الاستعمار الفرنسي في شمال أفريقية، المطبعة النموذجية، (القاهرة، ١٩٤٨)، ص ١٤٦.

- (١٠٥) صلاح العقاد، محاضرات عن تطور السياسة الفرنسية في الجزائر، دم، (القاهرة، ١٩٦٠)، ص ١٩.
- (١٠٦) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ص ٨٥-٨٦؛ خديجة بقطاش، المصدر السابق، ص ٢١.
- (١٠٧) مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى اخضاع الشرق للاستعمار الغربي، منشورات المكتبة العصرية، (بيروت، ١٩٥٣)، ص ٤٥.
- (١٠٨) مازن صلاح حامد مطبقاني، المصدر السابق، ص ٣٧.
- (١٠٩) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ص ٣٧٣-٣٧٤.
- (١١٠) بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، ص ٦٥؛ محمود شاكر، المصدر السابق، ص ٢٣٦-٢٣٧.
- (١١١) أكرم بو جمعة، المصدر السابق، ص ١٧٢.
- (١١٢) آمال شلبي، المصدر السابق، ص ٣٠٥.
- (١١٣) عز الدين معزة، فرحات عباس ودورة في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال ١٨٩٩-١٩٨٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠٠٥)، ص ٢٢.
- (١١٤) حاتم رشيد، الأزمة الجزائرية إلى أين، دار سندباد للنشر، (عمان، ١٩٩٩)، ص ٢٠.
- (١١٥) عز الدين معزة، المصدر السابق، ص ٢٢.
- (١١٦) نقلاً عن: نازلي معوض احمد، التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ١٩٨٦)، ص ٦٣.
- (١١٧) أحمد مهساس، الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة: مسعود مسعود ومحمد عباس، (الجزائر، ٢٠٠٢)، ص ٤١٧-٤١٨.
- (١١٨) عز الدين صحراوي، اللغة العربية في الجزائر التاريخ والهوية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد ٥ (جامعة محمد خيضر، ٢٠٠٩)، ص ١٩.
- (١١٩) نازلي معوض، المصدر السابق، ص ٦٣.
- (١٢٠) عبد المالك خلف التميمي، المصدر السابق، ص ٧٩.
- (١٢١) بشير بلح، تاريخ الجزائر المعاصر ١٨٣٠-١٩٨٩، ج ١، دار المعرفة، (الجزائر، ٢٠٠٦)، ص ٢٦٩.

- (١٢٢) أحمد مهساس، المصدر السابق، ص ٤١٨ .
- (١٢٣) عميراي احميده وآخرون ، المصدر السابق، ص ٤٣.
- (١٢٤) أحمد محساس، المصدر السابق، ص ٤١٨.
- (١٢٥) كوثر هاشم، الحياة الاجتماعية في الجزائر من خلال مجلة الشهاب الجزائرية (١٩٢٧-١٩٣٩)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، (جامعة الوادي، ٢٠١٤)، ص ٥٩.
- (١٢٦) إبراهيم مهديد، القطاع الوهراني ما بين ١٨٥٠-١٩١٩، ص ٢٠.
- (١٢٧) فتيحة سيفو، دور الريف في الغرب الجزائري في مسار الثورة التحريرية ١٩٥٤-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، (جامعة وهران، ٢٠١١)، ص ٤١.
- (١٢٨) الكتائب: جمع كُتَاب وهو عبارته عن غرفة في منزل أو عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد أو بعيدة عنه، وقد بينى الكُتَاب خصيصا لتعليم القرآن، بينيه صاحبه احتساباً لله وطلباً لأجر الآخرة، كما قد بينيه المعلم أو يكتريه على مالكة للتعليم فيه بأجرة يتقاضاها من أولياء التلاميذ. للمزيد من التفاصيل ينظر: أحمد بن داود، المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم (١٩٢٠-١٩٥٤)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، (جامعة أحمد بن بلة- وهران، ٢٠١٧)، ص ٩.
- (١٢٩) مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي عيسى، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ٤٢٩.
- (١٣٠) فتيحة سيفو، المصدر السابق، ص ٤٢ .
- (١٣١) أحمد بن داود، المصدر السابق، ص ٣٩ .
- (١٣٢) محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ص ٢٠؛ أحمد بن داود، المصدر السابق، ص ٣٨؛ إبراهيم مهديد، القطاع الوهراني ما بين ١٨٥٠-١٩١٩؛ ص ١٩.
- (١٣٣) فرحات عباس، الثورة الجزائرية أو ليل الاستعمار، ترجمة: وليم خوري، (الجزائر، د.ت)، ص ١٢٣.
- (١٣٤) إبراهيم مهديد، القطاع الوهراني ما بين ١٨٥٠-١٩١٩، ص ١٩.
- (١٣٥) بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، ص ٥٠.

## محمد خضير وتشبيد النص الثالث

أ. د. حسين عبود الهالبي

سجاد علي حسن

مقدمة:-

يستنطق البحث الجذور المعرفية لعملية تشبيد نص نقد النقد، ويحاول الإمساك بإجراءات المشتغلين على هذا الحقل، ضمن سيرورة الإنتاج الأدبي، التي يتموضع المشتغل فيها خارج أسوار النصين الإبداعي والنقدي، ويرصد آراء النقاد في هذا الشأن؛ كما انه يتابع الاسباب التي تدعو الباحث إلى نمذجة القاص محمد خضير، ويفرّع في وجوه اهتمام الدارسين لأدبه وفنه. ويأتي هذا البحث الذي يُعدّ تمهيداً لدراسة شاملة تشغل على رؤى النقاد والدارسين لأدب الكاتب محمد خضير، يأتينقسمين منفصلين، غير انهمايتعلقان ببعضهما: القسم الاولقارب مفهوم (النص الثالث) من جهته المنهجية، والاصطلاحية، والاجرائية، والابستمولوجية. أما القسم الثاني، فقد تكفل بإيضاحالدوافع التي تدعو البحث لعدّ أدب محمد خضير نموذجاً لدراسة شاملة ضمن مفهوم (النص الثالث)، وذلك لعدة اسباب بينها البحث من خلال عرض موقع الكاتب محمد خضير في المدونة النقدية.

## أولاً:- مفهوم النص الثالث

تبدأ حركة الادب مع الخلق الاول للنص الادبي، او ما يسمى بالنص الابداعي؛ إذ ان مهمة هذا النص غير المقصودة او المقصودة في بعض الاحيان، هي اجتراح عملية او عمليات كثيرة من الحراك الادبي (النقدي)، التي تعقب انتهاء النص (الاول) الابداعي، وافراغ المبدع من بث قواه الثقافية والمعرفية والايحائية والجمالية والتخييلية في هذا النص. فختم مهر النص الابداعي (الأول) او نهاية نتاجه، ماهي الا بداية لخلق نتاجات أدبية أخرى إزاء نصّه، وهذه النتاجات تتكئ في حقيقتها على تقييمومناقشة ورصد ومتابعة ومساءلة دقيقة،لمسار تكوّن ذلك النص

ومدى التزام صاحبه بمعايير الإبداع، ومراقبة حركة عناصره وانتظامها ضمن الحقل الاجناسي الذي ينتمي اليه النص.

إنّ هذه الحركة التي تتسع أو تضيق إزاء النصوص الابداعية بحسب قيمتها الادبية التي يقررها متلقي النص (الناقد)، هي في الحقيقة حركة نقدية تتمثل في نصوص تبني مجدها المعرفي على تخوم النص الابداعي. ذلك (إن هدف النقد هو المعرفة الفكرية)<sup>(1)</sup>، او (التوصل الى معرفة منظمة تخص الأدب)<sup>(2)</sup>، ولذلك فان أدوات دراسة النص الأدبي المنقود من مراقبة ومناقشة وملاحظة وتقييم، ستكون حاضرة لتشبيد فعالية الممارسة النقدية نظرياً واجرائياً، لأن (النقد كتابة عن الكتابة، ولكي تغوص الكتابة الناقدة في أحشاء الكتابة المنقودة، لابد لصاحبها أن يتذرع بكل ذريعة ممكنة، فلا يترك أداة صالحة إلا استخدمها)<sup>(3)</sup>. وعلى ذلك فإن الحراك النقدي والتنظيم الإجرائي، وما يستبطنه من أعمال للمراقبة، واكتناه للملفوظ الادبي على كافة المستويات الاسلوبية والتركيبية والدلالية، ورصد للبنية والوظيفة التي دارت عليها الفعالية الابداعية، يجعلنا امام عدد من النصوص النقدية اللاحقة للنص الادبي الابداعي، ما كانت لتكون موجودة لولا وجود ذلك النص الأدبي الأول.

وعلى ذلك يمكن أن نطلق على النص النقدي وسم (النص الثاني)؛ ولأن هذا النص ولد من رحم الخلق الادبي الاول (النص الابداعي)، فهو يمثل المخلوق الادبي الثاني من حيث الرتبة والوجود. لذلك فإن عملية إخصابه مرّت وعلى غرار تكوين جميع النصوص، بعدة مخاضات كتابية وابستمولوجية وفكرية قبل ان يُدْفَقَ دماء تولده. فتشبيد النص النقدي (الثاني) فعالية مرحلية تقتضي انتزاع المعرفة من النص الابداعي، لتوشجها في جهاز مفاهيمي وهندسي خاص بها، بهدف انتاج نص ثانٍ جديد ومختلف عن الاول في الهيئة والتكوين، وكاشف وموضح لمدلولاته الفنية والمضمونية التي غابت عن القارئ العادي او اختلطت عليه بفعل اللغة الادبية العالية او الغموض الذي يمارسه بعض كتاب الابداع، (ذلك ان على النقد ان يبعد

الفن عن الابهام والغموض ويعنى بالكيفية التي تعمل بها بعض النصوص الادبية فعلياً<sup>(٤)</sup>.

ورغم أن هذه المهمة، تخضع لقواعد ومعايير محددة في الفعل النقدي، إلا أن حتمية الذوق والوعي النقدي المتفاوت بين النقاد والدارسين، والمفروضة أحياناً جراء حاكمية النص الإبداعي المتعامل معه من قبل النقاد، يقودنا إلى فروقات الاختلاف والتفاوت أو حتى النكوص والارتفاع في تعامل هذا الناقد أو ذلك مع النص الإبداعي الواحد، أو النصوص المتعددة. كما أن ((بعض النقاد يتعمدون الغموض والتتُّح ويُتعبون القارئ ويؤزمونه))<sup>(٥)</sup>. وهذا بدوره ينعكس على شكل الممارسة النقدية وضبط أسسها المنهجية والاجرائية، والتي قد تنفلت في لحظة من لحظات الشرود النقدي وتوقع صاحبها في دهاليز العشوائية في ترتيب النظام المرهلي أو الاستيمولوجي الذي وضعه في التعامل مع النص المنقود، أضف إلى ذلك النزعة التطويرية للعملية الأدبية المستمدة من تعالق وحوار النصين الإبداعي والنقدي عبر التاريخ، والذي جرى ضمن حدود المساءلة التي يفرضها النقد على الإبداع. وإذا كان الإبداع (مستغنياً عن ذلك بحكم أن النقد يتولى نيابة عنه هذه المهمة، فإن النقد يظل في أمس الحاجة إلى إيجاد من يتولى طرح هذه المساءلة نيابة عنه)<sup>(٦)</sup>.

وتأسيساً على ذلك فإننا نكون أمام حاجة كبيرة، لمراقبة ومساءلة أخرى جديدة، تشبه إلى حد ما مراقبة ومساءلة النص النقدي (الثاني) للنص الإبداعي (الأول)، تستطيع أن تضبط مؤثر الالتزام بالمعايير الحاصل في النص النقدي من كافة جهات الضبط المنهجية والاجرائية والمرجعية، وترصد تحولات الممارسة النقدية، وتعي أصول هذه الممارسة ومرجعياتها الفكرية ومرآطها التنظيمية. وهنا نكون أمام نص جديد في الحركة النقدية، وهو نص نقد النقد كـ(نص ثالث) في تكامل عملية الكشف الأدبي.

إن نص نقد النقد، أو النص الثالث، يرتهن في وجوده الى النص النقدي (الثاني)، لان الأخير موضوعه ومجال اشتغاله، كما هو الحال مع النص النقدي، الذي يرتهن بدوره الى النص الابداعي (الاول)، ويدين له بالوجود بذات اللحاظ. الا ان هذا المستوى من الترتيب، لا يُنزل الى مرتبة متأخرة من جهة القيمة المعرفية او العلمية، فهو (نص يخضع في مساره التكويني الى الدرجة الثالثة (النص الثالث)، بوصفها درجة تميّز نوعي تكشفه صفات جوهرية خاصة، وليست درجة دالة على دونية او تفاضل مع باقي الأنواع الأخرى من النصوص)<sup>(١٠)</sup>. لكن الفهم المرتبك ازاء النص الثالث في الدرس النقدي العربي، انعكس على ممارسة هذا الكيان التي (ظلت مفتقرة الى الوعي بمفهومه، والتتظير بحدود مادته المعرفية)<sup>(١١)</sup>. فبينما يراه الدكتور جابر عصفور نشاطاً يرتبط بالهرمونيظيقيا، وانه لا يعدو كونه مراجعة للقول النقدي<sup>(١٢)</sup>، يعود في ذات الدراسة، ليكون مجبراً على توصيف شكل هذه المراجعة التي ستحتم على الباحث فيها، الدخول الى عرين التحليل والبناء من خلال كافة مستويات النص النقدي وعناصر تشكله، فيقول: (واعني مراجعة مصطلحات النقد، وبنيته المنطقية، ومبادئه الاساسية وفرضياته التفسيرية وأدواته الإجرائية)<sup>(١٣)</sup>. وهذا الفهم للمراجعة ما هو إلا قول شامل مكثف عن عناصر ومعايير تشكّل النص الثالث (نص نقد النقد)، وهو ذات القول الذي عرّفت به الدكتورة نجوى القسطنطيني نص نقد النقد على انه (خطاب يبحث في مبادئ النقد ولغته الاصطلاحية، والياتة الإجرائية، وأدواته التحليلية)<sup>(١٤)</sup>، ليكون مصطلح نقد النقد امام جدية التعامل معه على مستوى الفهم الحقيقي المستقل عن غيره، والقائم بذاته تنظيراً وتطبيقاً، عبر عدة دراسات جادة على مستوى الدرس الادبي العربي<sup>(١٥)</sup>، لعلّ اهمها الدراسة الرائدة للدكتور محمد الدغمومي في كتابه (نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر)، الذي عرّف من خلاله نقد النقد على (انه بناء معرفي وظيفي يعمل باستراتيجية واحدة وينتج معرفة تصب في مجرى المنهجيات وتعمل باستراتيجية ليست ابدا استراتيجية

التنظير او النظرية الادبية او النقد، وانما تستهدف من خلال معرفة طبيعة الممارسة النقدية (الياتها، مبادئها، غاياتها، معرفتها...)»<sup>(13)</sup>، ورغم أن الدكتور الدغمومي اقرّ بصعوبة الخوض في هذا المعترك<sup>(14)</sup>، لكن هذا الكتاب وضع مقاربة معرفية متقدمة لنص نقد النقد على مستوى الهندسة البنائية لهذا النص او على مستوى مساره التكويني.

وبرغم هذه الاستقلالية التي يحظى بها النص الثالث (نقد النقد)، يبقى تشكُّل خطاب هذا النص، يتواشج من حيث الانتماء الاجناسي مع النص النقدي (النص الثاني)، فكلاهما يندرجان ضمن اتجاه خطابي واحد وهو خطاب الكشف عن مدلولات النص الذي سبقه بطرق واليات تحليلية، الا ان نقطة الافتراق الجوهرية تكمن في الغائية الوظيفية بين النصين، والتي ترتبط هي الاخرى بالأدوات التي يشتغل بها كلا المشيدين، اذ تكون مختلفة بالنظر الى مجال وموضوع الاشتغال والوظيفة. فمساءلة الابداع تختلف عن مساءلة النقد اختلافاً كبيراً جداً، وكشوفات اي منهما تختلف جوهرياً عن كشوفات الآخر.

فضلا عن ذلك فان الضبط المنهجي، او اختيار المنهج الملائم للدراسة، هو الاخر نقطة افتراق جوهريه بالغة الأهمية بين النصين، فـ(من غير المناسب ان يتبنى ناقد النقد تلك المناهج التي يتبناها نقاد الابداع، لأنه في هذه الحالة سيكون موقفه محدد سلفاً)<sup>(15)</sup>، بخلاف نقاد النصوص الابداعية، الذين يختارون احد المناهج التي يرونها مناسبة لنقد النصوص المُتناولة، في حين يكون ناقد النقد امام توليفة تحليلية وصفية ثابتة، تمثل منهجه في التعامل مع النصوص النقدية، وعليه اقتحام كل مفاصلها والسير على خطاها هوناً ليتحقق مراده المعرفي من الدراسة، لان مهمته الأساسية لا تتحدد في معرفة الإبداع وإنما تتحدد في معرفة الإبداع، ومن ضمنها المنهج المتبع في معرفة الإبداع<sup>(16)</sup>.

ان تحقق هذه المعرفة الخاصة لنقد النقد، تتأتى من خلال مجموعة القواعد المستمدة من مرجعيات محددة لناقد النقد، وضمن ادوات اجرائية تختلف، في كثير منها عن تلك التي يعتمد عليها ناقد الابداع، وكذلك وضع استراتيجية هادفة الى تقديم بديل عن نص النقد الموجه الى نص الابداع، مع التوضع في اطار الاجابة عن سؤال محوري تفرضه الدراسة<sup>(18)</sup>.

غير ان نقاط الاشتراك بين النصين الثاني والثالث ستظل تفرض وجودها المحوري في دراسة نقد النقد من خلال عدة اتجاهات تتعلق بالنسق المفاهيمي المشترك، أو اللغة الاصطلاحية، والاستدلالية<sup>(18)</sup>. ويمكن لهذا الاشتراك والافتراق في الدراسة ان يحقق شحناً معرفياً كبيراً باتجاه مجموع الدراسة الادبية المنبثقة عن توالد النصوص النقدية ونقد النقدية من نص الابداع، تسهم الى حد كبير في تطور التنظير النقدي ورفد المعرفة الادبية بجرعات جديدة ازاء النصوص الابداعية، ورفع مستوى استجابة القارئ وتحويله من قارئ غير منتج او غير متفاعل إلى قارئ منتج متفاعل<sup>(19)</sup>.

إن الهدف هو تقديم المعرفة ومعرفة المعرفة، وبما ان اقطاب هذا التشكل المعرفي مشتركة، فان المعرفة العامة والاساسية ستكون متحققة لدى اقطابها جميعاً، مع النظر الى انفتاحات التأويل بالرجوع إلى قيمة القارئ المنتج، ورصد استجابته بما يضمن إثراء الدراسة الادبية. اذ يعد النقد اداة توضيح وتفسير بين النص الأدبي والقارئ (فتقريب الأدب إلى القارئ) (الجمهور هنا) لا يكون لصالح الأدب، ولا لصالح النقد ابداعاً، وانما من اجل اكتساب قدرة، يمكن اتخاذ الادب والنقد معا سلماً واداة لامتلاكها وهي قدرة الوعي<sup>(20)</sup>. والنقد هنا بشقيه التنظيري والتطبيقي سيما ذلك الذي ينبثق عن نص ابداعي ويكون نصاً ثالثاً.

نلاحظ أن النص الأول (الابداعي) هو النص الوحيد الذي قُرئ من قبل الجميع، حيثُ غدا هو النص المحوري في عملية القراءة، وتوجهت نحوه بؤر القراء جميعاً،

وهذا امر طبيعي بالنظر الى انه يمثل الخلق الادبي الاول الذي انطلقت بفعله كل العمليات القرائية بمختلف مستوياتها، لكن القراءة اختلفت من قارئ لآخر، فقرأه ناقد الابداع جاءت كدراسة محترفة لمجموع بنى النص التركيبية والأسلوبية والدلالية والفنية والمضمونية وغيرها، وهي تختلف عن قراءة ناقد النقد الذي قرأ النص الاول قراءة عاين فيها فقط مسار البنى العامة لذلك النص، دون سبر اغواره كما فعل ناقد الابداع الا ان معانيته معاينة واع بمسارات الابداع والنقد، بهدف الافادة في تشبيد نصه الثالث.

أما القارئ العادي فان قراءته تأتي لمقتضيات الهواية او المتعة او حتى الترفيه، الا انه قد يبدأ حركة من الانفعال تجاه النص ومضامينه المضمره فيسيل لعابه ازاء النص الثاني وهكذا باتجاه النص الثالث، او قد تتعكس العملية فيما لو بدأ بقراءة احد النصين الثالث او الثاني الذي يجره الى الاول، لتتبلور عنده رؤية شاملة عن طبقات تشكل النص الاول الدلالية السطحية منها والعميقة، التركيبية منها والأسلوبية وغيرها، بل انه قد يعاين مسار حركة النص من عين جديدة فتحها له مشيدا النصين الثاني والثالث، وهذه الحركة التي تابعها بعد قراءته لنص الابداع من نقد ونقد للنقد ستساهم من دون شك في خلق معرفة ادبية واعية للقراء، وهذا من شأنه ان يوسع دائرة الحراك الادبي في المجتمعات القارئة ويحولهم الى قراء ايجابيين متفاعلين منتجين.

إن السؤال الذي قد يظهر هنا، هو امكانية وجود نص رابع واخر خامس الى ما لانهاية من النصوص، التي قد ينتجها حراك الوعي النقدي تجاه النص الاول، وهنا تكون الاجابة بان عجلة النصوص ستتوقف عند هذه النصوص الثلاثة، لان اي نص سيأتي بعد النص الثالث ويكون هو موضوعه سيدخل هو الآخر في دائرة نص نقد النقد من حيث الرتبة الموضوعية، وذلك لان اصالة النصين الاول والثاني هما اللذان فتحا باب النص الثالث فكان الثاني موضوع الثالث واذا جاء الرابع فانه

سيدخل مضمار نقد النقد ايضا وان كان موضوعه النص الثالث، لأن هذا الاخير تشكل على اساس مناقشة النص الثاني وتحليله ومنها يكون على صاحب النص الرابع او الخامس او غيره، ان يعود ملزماً الى ذات الادوات الاجرائية، والمرجعية، والمنهجية، والوظيفية، التي اتخذها مشيد النص الثالث. وعليه ايضا ان يعود الى تفكيك النص الثاني ليرى مدى انسجام واتساق الرؤية التحليلية ومسارها لدى مشيد النص الثالث ازاء النص الثاني، وهنا يجد نفسه في ذات المكان الذي تموضع فيه منشئ النص الثالث دون تمتعه باي استقلالية تمكنه من القيام بذاته، او التنظير لنفسه امام واحد من هذه النصوص الثلاثة.

### ثانياً: - موقع الكاتب محمد خضير في المدونة النقدية

يجنح النقاد دائماً إلى اختيار النصوص التي يرونها سخية بالمعطيات الفنية والجمالية من جهتي الشكل والمضمون، وجريئة في كسر سبات الرتابة، ليجعلوا منها مادة تعكف اقلامهم في الاشتغال عليها. وذلك لان السخاء النصي الذي توفره هكذا انواع من النصوص تمكن الناقد من استعراض قدراته النقدية، وتُهيء له وسيلة فارهة لولوج اقصى اعماق النص، وتمنحه مساحة واسعة تتحرك فيها ادواته ببسر وسهولة. فضلا عن ذلك فإن كثيرا من النقاد يذهبون الى تلك النصوص التي تشكل تحدياً صعباً للاقتحام ويجعلون منها خصماً لذيذاً لصراع التحليل والاشتغال، بهدف تقديم الجديد. سيما اذا كانت هذه النصوص نصوصاً تتمرد على الفك وخصبة الدلالة فنياً ومضمونياً أي أنها تُتيح للناقد ان يتناولها من عدة جهات نقدية.

إن هذا التوجيه النصي الذي يظل حاكماً على أقلام النقاد وأفكارهم وتوجهاتهم النقدية، وجد ما يريد في نصوص الكاتب محمد خضير، التي احتاجت إلى اكثر من طبقة تفسيرية عند ناقد مثل ياسين النصير ليتيسر له الوصول الى دلالات نصوص الكاتب، فبعد ان اسهب الناقد في التفسير العام الذي وضعه كطبقة اولى او مهاد

لتفسيره الفرعي لهذه النصوص اعترف بأنه (كان لابد من هذه المقدمة التفسيرية للخطوط العريضة لفن محمد خضير القصصي، ذلك لأن مهمة الناقد ازاء مجموعة معقدة كهذه (المملكة السوداء) تتحدد بتفسير عام أولاً، ثم لقاء الضوء من داخل القصة على خطوط هذا التفسير ثانياً)<sup>(٣١)</sup>. وهذا القول او الاعتراف من قبل الناقد بصعوبة او تعقيد نصوص خضير، يشير الى قيمة مكتنزة بالثراء الذي يحتاجه مشيد النص الثاني ازاء الابداع، تجعل فيه النقد مشغلاً فاعلاً في الممارسة الدافعة لاستنطاق النصوص فنياً ودلالياً. ذلك أن القاص محمد خضير يرى القصة على أنها (تنظيم للوعي الداخلي وتشكيل لهذا التنظيم في موقف انساني كبير لا يعلن عن نفسه بسهولة ووضوح)<sup>(٣٢)</sup>. وهذه الرؤية هي المحرك الكبير الذي يدفع القاص، الى حفر الاعماق النصية، في اغلب كتاباته ونتاجه التي يرفد بها المكتبة الادبية، وهي ايضا التي تدفع النقود لتوجهها الى مثل هذه النصوص للبحث بين دهاليزها واعماقها عن هذا الإعلان الذي أخفاه الكاتب بين السطور.

ولعل مراقبة القاص محمد خضير لفنّه ومسيرة كتاباته، فضلاً عن الوعي النقدي الذي يحمله، هو الذي اوجد لديه هذا التميّز في الكتابة بنظر النقاد، وهو ما وقف عليه كثيرٌ منهم في فنّه ودفعهم إليه أيضاً، فقد عدّه الناقد سليم السامرائي (من افضل كتاب القصة في العراق واكثرهم وعياً نقدياً لمعمار القصة الفنية الحديثة واحرصهم على مراقبة هذا الوعي وتنظيمه)<sup>(٣٣)</sup>. بينما ذهب الدكتور حسين سرمك الى عدّه (من افضل كتاب القصة القصيرة في الأدب العالمي)<sup>(٣٤)</sup>. وذلك بسبب الفهم الواسع الذي يحمله القاص تجاه اسرار العملية الابداعية واصولها وكذلك ثقافته وموهبته الموسوعية، التي جعلت بحسب رأي الدكتور سرمك كل قصة من قصص محمد خضير درساً في كيفية كتابة القصة الحديثة، فكلُّ قراءة جديدة لهذه القصص التي كُتبت بتأنٍ وحرفية عالية تكشف للنقاد عن عوالم جديدة فيها ووجوه اخرى لتقصّي الدلالة، لان كلماتها جاءت بانتقاء فريد وكأن كل كلمة أُختيرت في مكانها لتترك

النقاد من خلفها ينظرونها على طريقة (أنام ملء جفوني) فيسهر النقاد جرّاًها ويختصمون على فكّ مغاليقها<sup>(٢٥)</sup>.

إن هذه المراقبة الحثيثة التي يعكف القاص فيها على متابعة نتاجه، ولدت عمقاً معرفياً ينبعث من جذر مرجعية فكرية رصينة قامت عليها فلسفة محمد خضير ونظرته الخاصة للأدب بشكل عام، وللنظرية الادبية بشكل خاص، وهي التي دعتة الى تلك الجرأة في ابتداع نظام خاص به في كتابة القصص يختلف عن ما هو سائد في الأنظمة الاجناسية للنوع الأدبي، يقوم على النوعية. فمن نظام الأحلام في "بصرياثة" و"أحلام باصورا" إلى نظام الحدائق في "حدائق الوجوه" حدث الجدل النقدي وحرار الدارسون في انتماءات هذه الكتب إجناسياً فذهبوا في أقوالهم شتّى<sup>(٢٦)</sup>. فبصرياثة هو (بحسب تعبير رولان بارت (نص مكتوب) يختلف جوهرياً عن النص الكلاسيكي وهو يقتضي تأويلاً مستمراً ومتغيراً عند كل قراءة... ومن صفات هذا النص انه يتجاوز الهرمية العرفية للنوع الادبي))<sup>(٢٧)</sup>. وهذا التجاوز العابر للعرفية المعيارية في كتابة النصوص الابداعية المنتمية الى جنس واحد، من شأنه خلق حراك نقدي وتجاذب كبير بين الدارسين حول حقيقة احتفاظ النص بانتمائه الاجناسي من خلال عدّ هذا التجاوز مجرد تجديد وتطوير لمقتضيات العمل الابداعي، ام انه خروج مخلّ عن القوانين التي تحكم كتابة النصوص الابداعية.

لقد عرف محمد خضير ان نصوصه ستواجه هذا الكم من الاحكام النقدية، والحراك بين الدارسين لها، لأنه وكما سلف يحمل وعياً نقدياً يؤهله لهذه المعرفة، لذلك كان مصراً على التنظير لهذا الطريق الذي اجتريه لنفسه في كتابة الادب القصصي، الامر الذي حدا به الى اصدار كتابين يقتربان من الحقل النقدي، او يحملان اضاءات نقدية لمسيرته النظرية في الكتابة، وهما كتابا "الحكاية الجديدة" و"السردي والكتاب" لينقل فيهما تصوراته ورؤاه حول السردي والقصّ والعملية الابداعية، رغم ان الدكتور ضياء خضير رأى ان كتابه (الحكاية الجديدة) يرقى الى

أن يكون نصاً آخر (يرتفع بنفسه إلى أن يشكل نموذجاً ابداعياً مستقلاً في لغته ومنهجه)<sup>(٣٨)</sup>. لكن الدكتور خضير اخرج بهذا الوصف، الذي قارب فيه الكتاب من جعل الابداعي اكثر من الاضاءة النقدية، اخرج قدرات الكاتب النقدية ورؤاه التي بثها في هذا الكتاب على شكل "سيرة نقدية" نظرية لمسيرة نتاجه الابداعي استلهمها من مكنون هذا النتاج. سيما اذا نظرنا الى تلك التقسيمات العلمية التي اجاب فيها محمد خضير عن اسئلة طرحت عليه حول القص وشكلت مادة لمحاضرات وحوارات نقدية قدمها لعدة ندوات اجراها في مجموعة من الاندية الثقافية والادبية العراقية، ومثلت موضوع هذا الكتاب كتقسيمه لعصور الحكاية التي قاربت تطور منحى القص وصولاً الى عصر الحداثة من وجهة نظره<sup>(٣٩)</sup>، وان كانت هذه الرؤى لا تمثل النقد الادبي (كما هو مدون في غلاف الكتاب) من جهة الضبط المنهجي واللغة الاصطلاحية والاستدلالية، إلا انها تبقى في اطار الرؤى والتصورات والاضاءات النقدية غير الابداعية لا النظريات والقواعد، حتى مع غلبة الاسلوب الابداعي للقصص على لغة الكتابة النقدية، وهو امر طبيعي لكاتب مثل محمد خضير الذي اعترف بذلك حين قال: (كنت امثل في هذه الأمكنة لأبني الدعوة فاعرض تجاربي الفنية في كتابة القصة القصيرة. فلم تدخل في حساب النقد الادبي ومنهجيته، ولا في مداخل النظرية الادبية ومصادرها، الا بما سمح المدخل المشترك بين التجربة الخاصة والمبدأ العام وما دامت حدود المقالات كذلك، فليقبلها القارئ على أنها (سيرة نظرية)...)<sup>(٤٠)</sup>. ولعلنا نكون في احوج ما نكون الى سيرة نظرية نقدية لكاتب يتأمل ويراقب نتاجه، لتتحقق الافادة للنقاد بشكل اكبر عند مقارنة نصوصه نقدياً، كما ذهب الى ذلك الناقد شكيب كاظم في حديثه عن هذا الكتاب عندما وجد ان محمد خضير قد (أحسن صنعاً إذ وضع بين ايدينا هذه الآراء النقدية الصائبة، وهذه التفسيرات الجديدة، لعالم الكتابة والكتابة الجديدة على وجه التحديد)<sup>(٤١)</sup>. ولا مشاحة

في ذلك لان الناقد يفيد كثيراً من رؤى وتعليقات مؤلف الابداع على نصه وان لم يلتزم بها.

غير اننا يجب ان نوّشر الى نقطة مهمة، وهي ان القاص محمد خضير، من الكتاب القلائل الذين يُراقبون مسيرتهم الابداعية بهذا الوعي النقدي، ولعله الوحيد عربياً، فهو هنا يقترب من الكاتب الفرنسي ذي الأصول التشيكية ميلان كونديرا الذي كان يُراقب مسيرته الكتابية على الدوام، واصر ثلاثيته الشهيرة على شكل سيرة نقدية لمجموع نتاجه الابداعي، وهي عبارة عن ثلاثة كتب منشورة بالفرنسية\* تمثل رؤى كونديرا للرواية وتطورها وقولها الفنية وهي: "فنالرواية" و"الوصايا المغدورة" و"الستار"، حيث يقول في كتابه الأول: (عالم النظريات ليس عالمي، وهذه التأمّلات هي تأمّلات حرفي. يتضمن مبدع كل روائي رؤية مضمرة لتأريخ الرواية، المحايثة لرواياتي، هي التي اجعلها تتكلم)<sup>(33)</sup>.

إن هذا الوعي الفني الكبير الذي اشار اليه اغلب النقاد والدارسين لأدب الكاتب محمد خضير، والذي يمنح الدارسين انفتاحاً نقدياً كبيراً من خلال الشحن الدلالي والمرجعي الذي يحمله النص الواحد عنده وأفق القراءة المتعدد، التي تتفتح بقراءة اخرى كلما نضبت القراءة السابقة له، هو الذي دعا اجيالاً نقدية الى اللهاث خلف نصوصه، وقيام حركة نقدية واسعة حول نتاجه الابداعي منذ بواكير كتاباته القصصية، حيث تم تناول كتابات القاص محمد خضير من عدة جهات شكّلت بعضها أسباباً لتناول هذا النتاج:-

**الجهة الاولى:** الريادة الفنية التي مثّلها محمد خضير في تحوّل القص العراقي الى مرحلة جديدة ومنتطورة بعد الريادة الخمسينية؛ وهذه الريادة وقف عليها وتحدث عنها الكثير من النقاد والدارسين والمتابعين للقص العراقي وتأريخه، كما ربطها بعض النقاد بما عدّوه أفضلية القاص محمد خضير على مجاليه. فالناقد الدكتور شجاع العاني (يعد ظهور (المملكة السوداء) حدثاً أدبياً خطيراً، له دلالاته الفنية

والتاريخية، فهي تشكّل بحق قفزة نوعية عالية في مجرى تطور القصة العراقية، وتقديم اضافات فنية على درجة كبيرة من الأهمية، ليس للقصة العراقية فحسب، بل وللقصة العربية أيضاً<sup>(٣٣)</sup>. هذه الاضافات التي تحدث عنها الدكتور العاني ونقاد اخرون هي التي دعت القاص والمتابع الشديد للقصة العراقية عبد الله نيازي ان يكون رأيه ذاهباً إلى (ان القاص محمد خضير مؤلف مجموعة المملكة السوداء، هو افضل من كتب القصة من شباب جيل الستينات.. بدليل ان الدكتور علي جواد الطاهر الذي يعنى بنتاجات الشباب، والأستاذ فؤاد التكرلي الذي نادرا ما يبدي رأيه في الاعمال الادبية اثنيا عليه ثناءً جميلاً واعتبراه افضل كتاب جيله..)<sup>(٣٤)</sup>. حديث نيازي هذا كان في السنوات الاولى من سبعينات القرن الماضي ما يشير الى اهتمام نقدي مبكر بأدب محمد خضير وقصصه، وقد تحدث عن المعيّته وندرته الناقد عبد الاله احمد في غضون هذه الفترة<sup>(٣٥)</sup>، سيما اذا عرفنا ان القاص وقتها لم يصدر الا مجموعة واحدة هي (المملكة السوداء)<sup>(٣٦)</sup>، سوى القصص المتناثرة في المجلات التي نشرها في الستينيات والتي لم تُضمّن اغلبها في مجموعته سالفة الذكر.

**الجهة الثانية:** الجدل الذي احده ارب الكاتب محمد خضير بين النقاد والذي قاد الى سجلات نقدية بين الدراسين ازاء أدبه، فتوافقوا حيناً واختلفوا حيناً اخر ازاء رؤية كل واحد منهم لهذا القاص وادبه؛ فغير الجدل الكبير الذي جرى ازاء نصوصه التي اختار لها نظاماً اجناسياً خاصاً به، فقد كتب باسم عبد الحميد حمودي نقاطاً<sup>(٣٧)</sup> وضّح فيها رؤيته لأدب محمد خضير وفنه في مجموعة المملكة السوداء، والتي يختلف في كثير من تفاصيلها عن رؤية الناقد شجاع العاني لهذه المجموعة ولمحمد خضير نفسه، ويبين حمودي بعض أسباب هذا الاختلاف أو الاتفاق في الرؤى بينه وبين الدكتور العاني. في حين تناول الاخير نصاً تطبيقياً<sup>(٣٨)</sup> للناقد مالك المطلبي في كتاب (مرآة السرد) حلل فيها الدكتور المطلبي مجموعة المملكة السوداء. وقد قارب الدكتور العاني وبشكل مفصّل مفهوم واشتغالات نقد النقد

الحديث خلال تصديه لتحليل ووصف نص المطلبي، فتعرض لمنهج الدكتور المطلبي وناقش رؤيته المنبثقة من رحم هذا المنهج، والتي استند عليها في تحليل ونقد المملكة السوداء، وتابع بتحرر الأدوات التي ادارت مشغله النقدي، ما افضى الى توصل الدكتور العاني الى عدة احكام نقدية في هذا الاتجاه<sup>(٣٩)</sup>.

**الجهة الثالثة:** تأثيره في النقاد الذين درسوا أدبه تأثيراً جعل بعضهم يُحيل اليه والى ادبه بعض الخصوصية النقدية التي تمتع بها؛ فالناقد ياسين النصير الذي عرّف باهتماماته بعنصر المكان، وكتب في ذلك كثيراً حتى عدّ ناقداً مكانياً يقول إنّ (القاص محمد خضير هو الذي منحني أفقاً حقيقياً لمفهوم المكان من خلال إمكانية "المملكة السوداء"، هذه الامكنة المظلمة فتحت لي الاهتمام بالمكان، ولذلك بقيت أتابعه مكانياً واسلوبياً ودلالياً، فكتبتُ عنه دراسات كثيرة لو جمعتها لصارت كتاباً مستقلاً عن هذا القاص... كما اعطاني محمد خضير مفهوماً نقدياً اقتطعته من كتابه "بصرياً" وهو مفهوم ومصطلح "حائك الكلام" هذا المفهوم الذي اورده هو بشكل عابر اعكف الان على اصدار كتاب حول هذا المصطلح الذي يقع بين "السارد" و"الراوي" لذلك يعد هذا منجزاً نقدياً لمحمد خضير بلوره عندي دون ان يدري<sup>(٤٠)</sup>. ويتجلى هنا التأثير الواضح لمحمد خضير في الناقد ياسين النصير، وهذا التأثير هو دافع للناقد نفسه من اجل ملاحقة نتاجات القاص ، وهو دافع لنقاد اخرين وجدد من اجل الوقوف على ادب هذا القاص الذي اثر في مثل هذا الناقد المعروف.

أما الناقد الدكتور شجاع العاني فإن أمر تأثير القاص بالناقد ربما يعنيه أكثر من غيره، فقد احوال الدكتور العاني ثقته النقدية بنفسه الى فنّ القاص محمد خضير حينما قال: (أنا اعترف بفضل محمد خضير عليّ. إذ شعرت أنني ناقد حقيقي بفعل فنه العالي، فالنص الجيد يخلق نقاده الجيدين أما الضعيف فلا)<sup>(٤١)</sup>. وهذه الرؤية تتعلق ببعدي نقدي تنظيري ذيّله الدكتور العاني في حديثه هذا عن جودة ادب خضير وانعكاسه على الناقد ورسالة اشتغاله وتطور النقد الادبي بشكل عام بحسب وجهة

نظر الناقد د. شجاع العاني الذي ظلّ وبفعل تأثير القاص عليه يدافع عن جودة ادب محمد خضير الى الحد الذي وجد (أن خضير قتل مواهب كثيرة كان لها أن تكون شيئاً في المستقبل، ظهوره جعل الكثير يتوقفون عن كتابة هذا الفن)<sup>(٤٣)</sup>. لكنّ ناقداً مثل الدكتور شجاع العاني لم يُخفِ أن تأثره كان في مجموعتي القاص السبعينيتين (المملكة السوداء) و(في درجة ٤٥ مؤوي)، إذ رأى أن القاص بعد هذه المرحلة (انغلق على نفسه بعد وصوله إلى مرحلة فقدان التجربة الذاتية لديه... وابتعد عن بداياته)<sup>(٤٤)</sup>. الأمر الذي يشير الى متابعة حثيثة من قبل الناقد للقاص حتى مع خبو أدبه كما يرى.

وذات الأمر ولكن بشكل يختلف قليلاً جرى مع الكاتب عبد الستار الناصر الذي رأى ان مجموعة القاص الثانية (في درجة ٤٥ مؤوي) حرقت الاولى وضيّعت بريق كاتبها وإبداعه في (المملكة السوداء) بسبب اتكائها على الشكل دون المضمون<sup>(٤٥)</sup>.

**الجهة الرابعة:** النمذجة التي حظيت بها نصوص الكاتب محمد خضير وجعلت منها اقتباساً على كل ناقد او كاتب يتعرض للكتابة عن السرد العراقي الحديث. فقد كتب جل ان لم يكن كل النقاد العراقيين، عن خضير وعن ادبه سواء كان ذلك بشكل مباشر او كانت النقود موجهة نحو تحليل عنصر سردي معين، او تكوين رؤية نقدية عن الادب القصصي؛ لتحضر نصوص الكاتب محمد خضير كنموذج لا بد منه للاستدلال لدى غالبية النقاد؛ وهذا الأمر افضى الى تلك السعة النقدية التي توفرت للكاتب محمد خضير وربما لم تتوفر لغيره من الكتاب العراقيين. مع ملاحظة مهمة وهي ان الكتابة عن محمد خضير لم تقتصر على اقلام النقد العراقي، بل تعدته الى اقلام نقدية عربية كبيرة<sup>(٤٦)</sup>، منذ بدء نشر نصوص الكاتب والى اليوم، فضلاً عن تداول بعض قصصه في مدونات أجنبية<sup>(٤٧)</sup>، سوى الترجمة التي حظيت بها بعض نتاجاته.

ويمكن أن تشكل هذه الجهات التي تزخر بها كتب النقد، حقلاً خصباً للدراسة، فهي تحمل اشكالاتاً متعددة من الدراسات النقدية المهمة عن السرد العراقي، ومنعرجاته التي مرّ بها، فضلاً عن مراحل تطوره، حيث يمكن متابعة هذه الدراسات لتشكيل وبلورة وتشبيد رؤية ثالثة عن مسار النقد من جهة الملاءمة المنهجية او من جهة المحمولات النقدية، او حتى الاشكالات التي تطرح عليها الدارسون، والتي تنطلق من خلال نظرهما لأدب الكاتب محمد خضير.

### نتائج:-

خلُصت الدراسة الى ان النص الثالث نص (نقد النقد) هو مولود مهم في عملية انتاج المعرفة الادبية، تأتي مرتبته من حيث الدراسة لا الأهمية في المرتبة الثالثة، إذا ما ذهبنا الى عد النص الادبي الاول هو النص الابداعي وهو المخلوق الاول الذي تنتج عنه كل الدراسات والنقود بمرتبتيها الثانية (النقدية) والثالثة (نقد النقدية)؛ ويشترك هذا النص الثالث مع سابقه الثاني وهو النص النقدي في بعض المشتركات ومن ابرزها انه يأتي ضمن ذات اللون الكتابي والاجرائي، الا انه يفترق جوهرياً في ابرز سمتين وهما: السمة المنهجية، وسمة الوظيفة الغائية؛ كما ان هذا النص له قواعده الخاصة، واستراتيجياته، ووظيفته، التي تجعل منه مالكاً للاستقلالية المعرفية والبنائية عن النص النقدي (الثاني).

وخلُصت الدراسة أيضاً؛ إلى أن أدب الكاتب محمد خضير هو نموذج بارز يشكّل دافعاً منطقيّاً لدراسة شاملة عن تشبيد نص ثالث ازاء الدراسات التي شيدت نصوصها النقدية على تخوم ادبه. والسبب هو تلك الوفرة من الدراسات النقدية التي جرت حول هذا الادب، ووفرتها وتنوعها المنهجي والمضموني والبنائي. لان اغلب النقاد عدّوا أدبه من الأدب العربي الرفيع، فضلاً عن كون هذا الادب محط جدل ومطارحات نقدية في كثير من زواياه؛ وكل هذه الأمور وفرت المادة الكافية واللازمة لإعداد هكذا نوع من الدراسات.

## الهوامش:-

- (١) مفاهيم نقدية، رينيه ويلك، ت: د. محمد عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، فبراير ١٩٨٧: ١٢.
- (٢) نفس المصدر والصفحة.
- (٣) في فلسفة النقد، زكي نجيب محمود، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٩٧٩: ١٢٠.
- (٤) نظرية الأدب، تيري ايغلتن، ت: ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٥: ١٢.
- (٥) التحولات الفكرية ترتبط بالمتغيرات، حوار مع د. شجاع العاني، منشور في جريدة الصباح، في يوم ٢٤/٩/٢٠١٤، اجراه صفاء ذياب.
- (٦) نقد النقد حدود المعرفة النقدية، د. عبد الحكيم الشندودي، إفريقيا الشرق، ط١، المغرب/الدار البيضاء، ٢٠١٦: ١٥.
- (٧) نقد النقد بين التصور المنهجي والانجاز النصي، الدكتور عبد الرحمن التمار، كنوز المعرفة، ط١، عمان - الأردن، ٢٠١٧: ١٣.
- (٨) الاسس النظرية لنقد النقد، رشيد هارون، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية مجلد: ٢، ع: ١، حزيران، ٢٠١٢: ١٢١.
- (٩) ينظر: قراءة في نقاد نجيب محفوظ ملاحظات اولية، جابر عصفور، فصول، مجلد: ١، ع: ٣، ابريل ١٩٨١: ١٦٤ و ١٧٧.
- (١٠) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٤.
- (١١) في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره، د.نجوى القسطنطيني، مجلة عالم الفكر، العدد ١، المجلد ٣٨ يوليو - سبتمبر ٢٠٠٩.
- (١٢) ينظر: الاسس النظرية لنقد النقد (مصدر سابق): ١٢٢-١٢٣.
- (١٣) نقد النقد وتطويع النقد العربي المعاصر، محمد الدغمومي، منشورات كلية الآداب، الرباط-المغرب، ١٩٩٩: ٥٢.
- (١٤) ينظر: المصدر نفسه: ١١٣.
- (١٥) سحر الموضوع، د.حميد لحداني، مطبعة أنفو برانت، فاس - المغرب، ط٢، ٩: ٢٠١٤.
- (١٦) ينظر: نفس المصدر: ١٠ - ١١. وكذلك: نقد النقد (حدود المعرفة النقدية): ٨٠-٨١.

- (١٧) ينظر: نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر: ص ١١ - ١٢.
- (١٨) ينظر: في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره (مصدر سابق): ٣٩.
- (١٩) ينظر: نقد النقد أم الميثاق، محاولة في تأصيل المفهوم، باقر جاسم محمد، مجلة عالم الفكر، العدد ٣، المجلد ٣٧ مارس ٢٠٠٩: ١١٣ - ١١٤.
- (٢٠) نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، محمد الدغمومي، ص ٢٣٠ .
- (٢١) القاص والواقع، ياسين النصير، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٥: ٥٩.
- (٢٢) قصاصون من العراق، سليم عبد القادر السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧: ٣٠.
- (٢٣) نفس المصدر: ٣٠.
- (٢٤) مملكة الحياة السوداء (في علم نفس الإبداع)، د.حسين سرمك حسن، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠١: ٨.
- (٢٥) ينظر: المصدر السابق: ٧.
- (٢٦) ينظر: القول وما إليه (دراسات نقدية)، د.ضياء الثامري، دار السياب، لندن: ٤١-٤٢.
- (٢٧) بصريًا لمحمد خضير، علي عبد الامير، مجلة نزوى، ع ٧٨، ١ ابريل ٢٠١٤: ٢٨٨.
- (٢٨) ثنائيات مقارنة، د.ضياء خضير، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤: ٥٤.
- (٢٩) ينظر: الحكاية الجديدة، محمد خضير، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، ١٩٩٥: ١٣.
- (٣٠) ينظر: المصدر السابق: ٩.
- \* تُرجمت الكتب إلى العربية بمجلد واحد من قبل الدكتور بدر الدين عردوكي تحت عنوان (ثلاثية حول الرواية) مع الاحتفاظ داخل المجلد باستقلالية كل كتاب بفصوله وتقسيماته بإذن المؤلف.
- (٣١) في النقد القصصي والروائي حرثًا في المعنى، شكيب كاظم، دار الشؤون الثقافية، بغداد ٢٠٠٦: ١٤١.
- (٣٢) ثلاثية حول الرواية، ميلان كونديرا، ت: بدر الدين عردوكي، المشروع القومي للترجمة، ط ١، ٢٠٠٧: ١٣.
- (٣٣) في أدبنا القصصي المعاصر، د. شجاع مسلم العاني، ط ١، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٩: ١٨٩.
- (٣٤) قراءات نقدية ومقالات أخرى، عبد الله نيازي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١، ط ١: ٨٥.

- (٣٥) ينظر: الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية، د. عبد الإله احمد، ج٢، منشورات وزارة الاعلام، بغداد ١٩٧٧: ٩.
- (٣٦) صدرت الطبعة الاولى لمجموعة المملكة السوداء القصصية لمحمد خضير في بغداد سنة ١٩٧٢ وطبعتها ونشرتها وزارة الاعلام العراقية.
- (٣٧) ينظر: رحلة مع القصة العراقية، باسم عبد الحميد حمودي، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد ١٥٥: ١٩٨٠ - ١٥٦.
- (٣٨) ينظر: مرآة السرد، د. مالك المطلبي وعبد الرحمن طهمازي، ط١، دار الخريف للطباعة والنشر، بغداد ٧: ١٩٩٠ وما بعدها.
- (٣٩) ينظر: قراءات في الأدب والنقد، د. شجاع مسلم العاني، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٩٩، ص: ٢٤٨ وما بعدها.
- (٤٠) مقابلة الباحث مع الناقد ياسين النصير على هامش مهرجان المرشد (٣٢) في ٨/ شباط/ ٢٠١٨م في فندق البصرة الدولي (شيرتون). وينظر: مدخل الى النقد المكاني ج١، ياسين النصير، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط١، ٢٠١٥: ٣٢٩.
- (٤١) ينظر: موقع (الحوار المتمدن)، العدد: ٣٢٢٢، الحوار اجراه الموقع مع الناقد د. شجاع مسلم العاني بتاريخ ٢١/١٢/٢٠١٠م، وحواره سعدون هليل، ونص الحوار منشورا على الرابط التالي: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=238866>
- (٤٢) ينظر: جريدة الصباح، حوار اجراه صفاء ذياب مع الناقد شجاع مسلم العاني في ٢٤/٩/٢٠١٤.
- (٤٣) نفس المصدر.
- (٤٤) ينظر: القاص محمد خضير في نار الشكل، عبد الستار الناصر، البيان - الكويتية، العدد: ١٦١، ١/ أغسطس/ ١٩٧٩: ٨٠ وما بعدها.
- (٤٥) ينظر: تقنيات السرد الروائي (في ضوء المنهج البنوي)، يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت، ط٣، ٢٠١٠: ٢٧٨. وكذلك: فصول في النقد، غالب هلسا، دار الحدائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٤: ١٥١.
- (٤٦) ينظر: قصة "ساعات كالخيول" في مدونات القراء الأجانب، نجاح الجبيلي، صحيفة المدى، العدد: ٣٧٨٤، السنة الرابعة عشرة، ١/ تشرين ١/ ٢٠١٦: ١٣.



## بلاغة التصوير صورة (الفتنة) في نهج البلاغة اختياراً

م.د.د. سعد عزيز شنو

م.د.د. موفق مجيد ليلو

## مقدمة

يمثل التصوير آلية فعالة لتوضيح الغامض وتقريب البعيد وصياغة المجردات في ظرف المحسوس، بحيث تغدو النفوس بها آنس والأرواح بها اعلق. والتصوير كان ولا يزال من أنجع الوسائل في بيان مراد المتكلم وتوضيحه. وقد وظفه القرآن الكريم في كثير من آياته لتصوير النعيم والجحيم، فضلاً عن الأمثال التي تمثل وسيلة من الوسائل المفضلة في النصوص وأعلاها القرآن الكريم. من هنا تحاول هذه القراءة الموجزة في كلمات الإمام علي (ع) الوقوف على صور الفتنة التي تصورها ككائن حي تدب فيه الكلمات بعد ان ينفخ فيه بروح التصوير فتغدو الكلمات كائنات ناطقة ومتحركة تتلبس بلباس الإنسان والحيوان والجمادات في أحيان أخرى.

يبين سيد البلغاء والمتكلمين صور الفتنة وأنماطها وأهلها وكيف يكون سبيل النجاة منها في عصر الفتن الذي تتلاطم فيه أمواجها يغرق في بحرها كثير بعد ان ماج غيبتها واشتد كلبها.

تقدم هذه القراءة مبشرين: الأول عن الصورة وأنماطها وتجلياتها ومفهومها عند القدماء والمحدثين. والثاني عن مفهوم الفتنة في اللغة والاصطلاح والقرآن الكريم، ثم في نهج البلاغة واهم التجليات التي تلبست الفتنة بها وظهرت في صورتها. ثم خاتمة تضم أهم النتائج التي أسفرت عنها.

### المبحث الأول: مفهوم الصورة الفنية وأنماطها

التصوير وسيلة فنية مهمة للتعبير عن المعاني والأفكار التي تختلج في نفس الأديب، وهو يسعى من خلال الصورة إلى نقل مشاعره وتجاربه وإشراك المتلقي فيها. وتشتق لفظة الصورة من الجذر اللغوي (صور أو صير)، وهما يأتيان للدلالة على عدة معان كالشكل والوجه والنوع والصفة والهيئة بثتى جوانبها<sup>(١)</sup>.

وقد ورد مصطلح التصوير في التراث النقدي والبلاغي، فنجد أولى إشارات عند الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في قوله: «فإنما الشعر صناعة، وضربٌ من النسيج، وجنسٌ من التصوير»<sup>(٢)</sup>. ونجد إشارات أخرى مستمدة من هذه المقولة عند قدامه بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) حين قال: «فالمعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعية، والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعة من أنه لابدٌ فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور فيها، مثل الخشب للنجارة والفضة للصياغة»<sup>(٣)</sup>. في حين بحث عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) هذا المفهوم بقوله: «ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وإن سبيل المعنى الذي يُعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يُصاغ منهما خاتم أو سوار، فكما أن محالاً إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل وردائه أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام، أن تنظر في مجرد معناه، وكما أن لو فضلنا خاتماً على خاتم بان تكون فضة هذا أجود أو فضته أنفس، لم يكن ذلك تفضيلاً من حيث هو شعر وكلام، وهذا قاطع فاعرفه»<sup>(٤)</sup>، إذ المعاني موجودة في

(١) ينظر: لسان العرب: ٤: ٤٧١ (صور).

(٢) الحيوان: ١٣٢.

(٣) نقد الشعر: ٦٥.

(٤) دلائل الإعجاز: ٢٥٥ - ٢٦٦.

الأذهان «يستوي الجاهل فيها والحاقد، ولكن العمل على جودة الألفاظ وحسن السبك وصحة التأليف، وبعضهم مثل المعنى بالصورة واللفظ بالكسوة، فإن لم تقابل الصورة الحسنة بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها وتضاءلت في عين مبصرها»<sup>(٥)</sup>.

وهو يجعل الصورة ركناً أساسياً وعنصراً مهماً من عناصر العمل الإبداعي، فالأمر لا يقتصر على الألفاظ والمعاني حسب، قائلاً: «إنهم لما جهلوا شأن الصورة، وضعوا لأنفسهم أساساً وبنوا على القاعدة، فقالوا: إنه ليس إلا المعنى واللفظ ولا ثالث»<sup>(٦)</sup>.

ويطالعنا القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) في منهاجه، فيجعل المعاني هي الصور بقوله: «إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذهن، فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبّر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة في الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في إفهام السامعين وأذهانهم»<sup>(٧)</sup>.

وأما لدى المحدثين فتستعمل كلمة الصورة «للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي وتُطلق أحياناً مرادفه للاستعمال الاستعاري للكلمات»<sup>(٨)</sup>، أو لتعبر عن «ما يتمثل بوساطة الكلام للمتلقي من مدركات حساً، ومعقولات فهماً، ومتخيلات تصوراً، وموهومات تخميناً، وأحاسيس وجداناً، وما إلى ذلك من الأشياء والأمور التي تفضي إليها هذه القوة أو تلك القوى المركبة في الإنسان وعياً أو من غير

(٥) العمدة في نقد الشعر وتمحيصه: ٢ : ١٠٦.

(٦) دلائل الإعجاز: ٣١١.

(٧) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٨-١٩.

(٨) الصورة الأدبية في الشعر: ٣.

وعى»<sup>(٩)</sup>. فهي بؤرة العمل الإبداعي ومركز الخيال في النص واليها يعود الفضل- غالباً- في التفاوت الجمالي بين النصوص حتى إن بعض النقاد يرى إن القصيدة، مجموعة من الصور.<sup>(١٠)</sup>

وقد يأتي مصطلح الصورة مشيراً إلى «قدرة اللغة على خلق الانطباعات من العالم من خلال ما تولده إمكاناتها في الذهن الذي يستقبل اللغة فهي استعادة ذهنية لإحساس أنتجه إدراك طبيعي»<sup>(١١)</sup>. وهي وسيلة مهمة للأديب لنقل أفكاره وعواطفه إلى المتلقي، وتقنيته التعبيرية التي يقرب بها الأبعد ويجعل المجرد محسوساً، والمحسوس مجرداً، وتكسو النص برونقها وتزيد في إيحائه، فهي «جوهر التكوين الأدبي والفاعلية الإبداعية ويشكل موقعها من النص البؤرة والقلب والمركز ومنها تنبثق خطوط التشكيل الفني الأدبي ولاسيما الشعري منه»<sup>(١٢)</sup>.

فهي وصف الشاعر المرثيات وصفاً يجعل قارئ شعره ما يدري أيقراً قصيدة مسطورة أم يشاهد منظراً من مناظر الوجود، وعلى ذلك ففضل الصورة الشعرية هو تمكين المعنى في نفس المتلقي، «إنها في أبسط معانيها رسم قوامه الكلمات، إن الوصف والمجاز والتشبيه يمكن أن تخلق صورة»<sup>(١٣)</sup>. فالصورة الفنية تعكس الصفات العامة للظواهر الأدبية، إذا كانت المفاهيم العلمية تعبر عن العام في صيغة مجردة، فإن الصورة الفنية تجسده في ظاهرة فريدة ذات بعد جمالي. فالصورة الفنية تعكس الواقع الموضوعي، ولكنها تعكسه من زاوية ذاتية فهي مرآة لذات الفنان التي تعبر عن سماته الفردية، عن شخصيته وفي الصورة الفنية تنعكس أفكار الفنان

(٩) بناء الصورة الفنية في البيان العربي: ٢٦٧

(١٠) ينظر: الأدب وفنونه: ١١٦.

(١١) الصورة الفنية: فريد مان، ترجمة: جابر عصفور، مجلة الأديب المعاصر، آذار ١٩٧٦، ص ٣٢.

(١٢) المفكرة النقدية: ٢٧.

(١٣) الصورة الشعرية: ٢١.

وعواطفه معاً. وتتضافر مع العناصر الأخرى لتحقيق وظيفتها في التوصيل والإبداع، فالنص يتألف من جملة عناصر منها داخلية كالفكرة والعاطفة والخيال والانفعال وأخرى خارجية كالألفاظ والموسيقى والإيقاع الذي ينبثق عن العاطفة وعنصر الصورة الفنية وهو أداة الخيال ولغة التخيل<sup>(١٤)</sup>.

والفنان خلاق بطبعه يجعل جمادات الطبيعة صوراً حياً، تحاكي الواقع وتستثير المتلقي فينقل العواطف الجياشة بكلمات موحية وصور مكثفة وجديدة، ولذا فان فاعلية الصورة وقدرتها وجمالها أو دقتها «يرجع إلى ما تحققه من تناسب بين حالة الفنان الداخلية وما يصوره في الخارج تصويراً دقيقاً خالياً من الجفوة والتعقيد، فيه روح الأديب وقلبه»<sup>(١٥)</sup>.

على أن ما يعطي للصورة فاعليتها ليس حيويتها بقدر ميزتها كحادثة ذهنية ترتبط نوعياً بالإحساس، كما تأتي من كونها (بقية) و(تمثيلاً) للإحساس فهي تقدم عقدة فكرية وعاطفية في برهة من الزمن<sup>(١٦)</sup>. والصورة «ليست من مخلفات الإبداع، ولكنها فجر الكلام، فالصورة تضعنا في جذر الكائن المتكلم، والقصيدة هي التي تلد الصورة، وبهذا فهي تضيف كائناً جديداً للغتنا تعبر عنه، وهي تجعلنا ما نعبر عنه»<sup>(١٧)</sup>. وهي بقدر ما تكون حية ناطقة فإنها ستكون أكثر فاعلية، ولكن هذا لا يعني ان حسية الصورة هي ما تجعلها ناطقة إذ «يمكن ان تفقد كل طبيعتها الحسية لدرجة أنها لا تبقى صورة إطلاقاً بل مجرد هيكل، ومع ذلك تمثل حساً

(١٤) ينظر: بناء الصورة الفنية: ٣٤٤.

(١٥) ينظر: أصول النقد الأدبي: ٢٤٢.

(١٦) ينظر: نظرية الأدب: ٢٤١.

(١٧) بلاغة الخطاب وعلم النص: ١٨٦.

متوهجاً بحيوية هذيانية... لا بد من الحرص على تجنب الميل العام لافتراض انه كلما كانت الصورة أوضح كانت فعاليتها اكبر»<sup>(١٨)</sup>.

### الصورة التشبيهية

يمثل التشبيه أول مستويات البيان، وهو وسيلة المتكلم لتقريب المعنى حيث «يزيد المعنى وضوحاً، ويكسبه تأكيداً، وهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ولم يستغن احد منهم عنه»<sup>(١٩)</sup>، ويعمل على إظهار المعنى وجلائه في صورة لطيفة.

ويرى ابن الأثير أن التشبيه «يجمع صفات ثلاث هي المبالغة والبيان والإيجاز... إلا أنه من بين أنواع علم البيان مستوعر المذاهب، وهو مقتل من مقاتل البلاغة وسبب ذلك أن حمل الشيء على الشيء بالمماثلة أما صورة وأما معنى يعز صوابه، وتعسر الإجابة فيه وقلما أكثر منه أحد إلا عثر كما فعل ابن المعتز»<sup>(٢٠)</sup>، ويذكر في فضله انه أتى لقصد «إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه، أو التغير عنه»<sup>(٢١)</sup>. والتشبيه يمكن أن يوظف كفن «من فنون التعليم وأسلوب من أساليب التفهيم ونقل المعاني العلمية والأدبية إلى الآخرين؛ كما يكون وسيلة لإثبات حقائق نظرية أو تجريبية»<sup>(٢٢)</sup>.

ويأتي التشبيه لأغراض كثيرة تتعلق بالمشبه كبيان حاله، أو مكان وجوده، أو تقويه شأنه في نفس السامع، أو زيادة تقريره، أو إبرازه إلى السامع في معرض التزيين، أو التشويه أو الاستطراف وما إلى ذلك، أو قد تتعلق بالمشبه به للإيهام

(١٨) مبادئ النقد الأدبي : ٢١.

(١٩) الصناعتين : ٢١٦.

(٢٠) المثل السائر: ١: ٣٧٧.

(٢١) المثل السائر: ١: ٣٨٧.

(٢٢) بلاغة التشبيه في القرآن الكريم: د. علي ميرلوحى، مجلة التراث العربي، العدد ٥٤، السنة ١٤، ١٩٩٤، ص ٤٥.

بكونه أتم من المشبه في وجه الشبه، أو يكون أهم عند المشبه<sup>(٢٣)</sup>. وتبدو أهمية التشبيه في اختيار المشبه به؛ لأنه ما يظهر جمال التشبيه ولطافته، وهو «صورة من الصور احتفظت بها النفس ووعتها، فإذا ما أثارها شيء استجابت ووثبت إلى اللسان والنفس لا تحتفظ إلا بما هو موضع اهتمام»<sup>(٢٤)</sup>.

ويرى عبد القاهر أن من المتفق عليه عند العقلاء «أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهةً، وكسبها منقبةً، ورفع من إقرارها وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ودعا القلوب إليها واستثار لها في أقاصي الأفئدة صبايةً وكلفاً، وقسر الطباع على أن تعطيها محبةً وشغفاً»<sup>(٢٥)</sup>. ويبدو أن حُسن التشبيه يرتبط عند البلاغيين «بطبيعة العلاقة بين طرفي التشبيه، فكلما طمسنا الالتقاء بين المشبه والمشبه به وباعدنا، كنا قريبين من الأثر الفني»<sup>(٢٦)</sup>، ذلك أن التباعد بين الشئيين كلما «كان أشدّ كانت النفوس أعجب، كانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب»<sup>(٢٧)</sup>. إن حُسن التشبيه لا يتجلى في ذلك حسب، وإنما هناك جوانب متعددة تظهر جمال التشبيه ورونقه تتجلى في التشبيهات التي تقرب بين الأشياء، وتجعل بعضها مرآة لبعض، ولاسيما في المعاني التي تحتاج إلى الغوص الذي يتطلب البيان والإقناع<sup>(٢٨)</sup>.

(٢٣) ينظر: مفتاح العلوم: ٤٤٨ - ٤٥٠.

(٢٤) التصوير البياني - دراسة تحليلية لمسائل البيان: ٢٨.

(٢٥) أسرار البلاغة: ١٢٨ - ١٢٩.

(٢٦) التصوير المجازي أنماطه ودلالاته في مشاهد القيامة في القرآن: ٢٧.

(٢٧) أسرار البلاغة: ١١٦.

(٢٨) ينظر: التصوير البياني: ١٢٣.

وللتشبيه أثره النفسي والعقلي على المتلقي، إذ تتلون الصور أمامه ويتجسد المجرد، وإذا كان القرآن الكريم ذلك النص العالي، استعمل التصوير في رسم مشاهدته، ولاسيما فيما يتعلق بالنعيم والشقاء ومواقف الحساب، فلا غرو أن يلتمس الشعراء هذه الأداة لتقريب المعاني وإضفاء الحركة والشعور عليها حتى لتبدو كأنها حياً تدب فيه الحياة.

### الصورة الاستعارية

نالت الصورة الاستعارية الحظ الأوفر لدى الدارسين، بل شكلت بؤرة العمل الإبداعي، وهي كما يعبر ابن رشيق: «أفضل المجاز، وأول أبواب البديع، وليس في حلي الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وضعت موضعها»<sup>(٢٩)</sup>، وفضلها عبد القاهر على التشبيه قائلاً: «ان للاستعارة مزيةً وفضلاً»<sup>(٣٠)</sup>، وهي تتكى على التشبيه، وترتبط به ارتباطاً ملحوظاً، يمكن ان نلمسه في أولى تعريفات البلاغيين، كقولهم: «إذا تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع ان تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه»<sup>(٣١)</sup>. فيما يرى السكاكي، والذي كان أكثر دقة في تحديد نوعها حيث يصرح قائلاً: «هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطرف الآخر، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به»<sup>(٣٢)</sup>. بينما أطلق ابن الأثير مصطلح التشبيه المحذوف على الاستعارة وهو ذكر المشبه دون المشبه به<sup>(٣٣)</sup>.

(٢٩) العمدة: ١ : ٢٢٥.

(٣٠) دلائل الإعجاز: ٥٥ ، ينظر: أسرار البلاغة: ٢٨.

(٣١) دلائل الإعجاز: ٦٧ ، ينظر: أسرار البلاغة: ٣٦٨ - ٣٧٢.

(٣٢) مفتاح العلوم: ٤٧٧.

(٣٣) المثل السائر: ١ : ٣٤٤.

ويكفي في فضل الاستعارة وجمالها «أنها تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدرة ونبلًا، وتوجب له بعد الفضل فضلاً، وانك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة، وخلابة موموقة، ومن خصائصها التي تذكر بها، وهي عنوان مناقبها، أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدد من الدرر، وتجنبي من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر»<sup>(٣٤)</sup>. إذ هي «تفعل في نفس السامع ما لا تفعل الحقيقة»<sup>(٣٥)</sup>.

ويتحدد مستوى الاستعارة وفقاً لطبيعة «الصلة بين اللغة المطابقة واللغة الإيحائية، فإذا ما كانت هذه الصلة ضعيفة، فسينعدم تحقق التوسع في اللغة ويتراجع الأثر الدلالي وتضعف التصويرية»<sup>(٣٦)</sup>. ويرى بعض البلاغيين أن حسن الاستعارة وقبحها موقوف على قوة التناسب بين المستعار منه والمستعار له أو بعده، فملاكها «بقرب التشبيه ومناسبة المستعار للمستعار له، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر... وقال قوم آخرون... خير الاستعارة ما بعد، وعلم في أول وصلته أنه مستعار فلم يدخله لبس... إلا أنه لا يجب للشاعر أن يبعد الاستعارة حتى ينافر ولا أن يقربها كثيراً حتى يحقق، ولكن خير الأمور أوسطها»<sup>(٣٧)</sup>. والاستعارة إذا توالفت في النص مع غموض المعاني وبعد التناسب بين الطرفين، قد تؤدي إلى اللبس، والتنافر في الكلام ولذلك نعى الأمدى على أبي تمام فحش استعاراته وغرابتها وتراكبها وجعلها سبباً من أسباب

(٣٤) أسرار البلاغة: ٤٩ - ٥٠.

(٣٥) الصناعتين: ٢٤٠-٢٤١.

(٣٦) التصوير المجازي في مشاهد القيامة: ٥٥.

(٣٧) العمدة: ١: ٢٢٧.

المعاظلة<sup>(٣٨)</sup>. الا أننا نجد القرآن الكريم والنصوص الشعرية أحياناً تجمع بين عدة استعارات في نص واحد، دون ان تخل بالمعنى أو تسقطه، بل تزيده شرفاً ورونقاً، ولذا فان عبد القاهر الجرجاني يرى ان مما «هو أصل في شرف الاستعارة، أن ترى الشاعر قد جمع بين عدة استعارات، قصداً إلى ان يلحق الشكل بالشكل، وان يتم المعنى والشبه فيما يريد»<sup>(٣٩)</sup>.

وتتعدد الاعتبارات التي تقسم في ضوئها الاستعارة، فتقسم باعتبار ذاتها على: حقيقية وخيالية وباعتبار لازمها على: مجردة ومرشحة، وباعتبار حكمها على: حسنة وقبيحة، وباعتبار كيفية استعمالها على استعارة محسوس المحسوس، أو معقول المعقول، وتصريحية ومكنية باعتبار الطرفين، إلى غير ذلك من أنواع التقسيمات<sup>(٤٠)</sup>.

ولأهمية الاستعارة في الدرس البلاغي والأسلوبي تعددت النظريات التي درستها، ومن تلك النظريات (الإبداعية والتفاعلية والعلاقية)، وهي نظريات حاولت تجاوز الحدود المنطقية والقيود التي كانت في الدراسات القديمة في مرحلة التأسيس، حيث كان الاهتمام منصباً على ضبط الحدود والتقسيمات وتأکید هوية البلاغة وفنونها، دون النظر إلى قيمتها الأدبية- هذا اذا استثنينا دراسة الجرجاني والقرطاجني. على ان بعض الدارسين حاول الخروج من بوتقة النظرية الواحدة، والدمج بين النظريات في نظريه متكاملة تحاول استثمار النظريات والاستفادة من تقنياتها<sup>(٤١)</sup>. فالاستعارة تمثل «الشكل البلاغي الأم التي تنفرع عنه وتقاس عليه بقية الأشكال حتى أطلق بعضهم على الاتجاه البنيوي في التحليل البلاغي للخطاب اسم

(٣٨) ينظر: الموازنة: ١٩٥.

(٣٩) دلائل الإعجاز : ٧٩.

(٤٠) ينظر: ينظر مفتاح العلوم: ٥٢٣ ، المثل السائر : ١ : ٣٥١ ، الطراز : ١١٠.

(٤١) تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص): ٨١ وما بعدها.

(البلاغة المقتصرة) لتركيزها واقتصارها على الاستعارة باعتبارها بؤرة المجاز<sup>(٤٢)</sup>. فالشعر كما يرى جان كوهن: «استعارة معمّقة (رأسياً) معمّمة (أفقياً)، بل ان الكوميديا الإلهية بمفهوم اليوت عبارة عن استعارة ضخمة»<sup>(٤٣)</sup>. والاستعارة هي «الصورة المركزية لكل البلاغة»<sup>(٤٤)</sup>.

ان العلاقة بين عناصر الاستعارة ارتباط من صنع الخيال تذوب فيه هذه العناصر لتخلق صورة جديدة، ولعل تلك هي مهمة الفنان التي تتجلى في «محاربة هذا الروتين الآلي بنزع الأشياء من إطارها المألوف وتجميع العناصر المختلفة على غير انتظار ولذلك فان الشاعر يعمد إلى كسر القوالب (الاكلشيهات) اللغوية ليجبرنا على تجديد تلقينا للأشياء من خلال التحول المجازي (الظاهرة الانزياحية) وهذه هي عملية التشويه الخلاقة التي تعيد لنا حدة التصور بعد ان تتلمها العادة ونكتشف كثافة العالم المحيط بنا بعد ان يفرغه الروتين»<sup>(٤٥)</sup>.

وليس المجاز المعروف وصور الكلام على أيّة حال أكثر من «أسماء للانحرافات عن المعنى الحرفي والممارسة التقليدية التي ظهرت دائماً في اللغة الشعرية»<sup>(٤٦)</sup>، والاستعارة تأتي لكي تقلل من «سعة المجاوزة الناتجة عن عدم الملاءمة، والعمليتان متكاملتان؛ لأنهما بالتحديد لا تتمان على نفس المستوى، فعدم الملائمة انتهاك لقانون الكلام، وهو إذن مصنف في المستوى التركيبي، والاستعارة انتهاك لقانون اللغة، وهو إذن مصنف في المستوى التصويري»<sup>(٤٧)</sup>. ففي الاستعارة

(٤٢) بلاغة الخطاب وعلم النص : ١٥٩ .

(٤٣) بناء لغة الشعر : ١٣٥ .

(٤٤) بلاغة الخطاب وعلم النص : ١٨١ .

(٤٥) نظريه البنائية في النقد الأدبي : ٨٢ .

(٤٦) بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٢٧ .

(٤٧) بناء لغة الشعر : ١٣٦ .

تتماهى العناصر وتمتزج في خليط متجانس، مع احتفاظ كل عنصر بشكله؛ وهي لا تقتصر «على الهدف الجمالي والقصد الشخصي، ولكنها أيضاً ذات قيمة عاطفية ووصفية ومعرفية، أو بتعبير شامل: نحيا بها»<sup>(٤٨)</sup>.

ولذا فقد كان أ.أ.ريتشارد شديد الاحتجاج على معاملة الاستعارة على أنها انحراف عن الممارسة اللغوية المألوفة بدلاً من النظر إليها كمصدر مميز ولا غنى عنه لتلك الممارسة، ويشير إلى ضرورة التمييز بين الاستعارة بوصفها مبدأ الوجود الشامل للغة، والاستعارة الشعرية النوعية، فالأولى من اختصاص النحويين، والثانية من اختصاص البلاغيين، فالنحوي يقدم الكلمات بحسب اشتقاقها، والبلاغي بحسب ما إذا كان لها مفعول على السامع به<sup>(٤٩)</sup>.

والاستعارة تأتي لإغراض كثيرة، كشرح المعنى والإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه... كما أن لها الفضل على التصريح بالحقيقة. والاستعارة ليست استعمالاً للألفاظ في غير مواضعها حسب، وإنما هي «تفاعل بين السياقات المختلفة، على أساس ان النغمة الواحدة في أية قطعة موسيقية لا تستمد شخصيتها ولا خاصيتها المميزة لها الا من النغمات المجاورة لها... كذلك الحال في الألفاظ، فمعنى أية كلمة لا يمكن ان يتحدد الا على أساس علاقتها بما يجاورها من الألفاظ»<sup>(٥٠)</sup>.

وهي فوق كل ذلك تمثل «وسيلة لتنظيم محيط الإنسان للعيش فيه والعمل عليه والتفاعل معه والتواصل بنجاح فيه، وهي أداة لإلحاق شيء بشيء أحياناً، وأداة لخلق واقع جديد أحياناً أخرى»<sup>(٥١)</sup>.

(٤٨) تحليل الخطاب الشعري: ٨٤.

(٤٩) ينظر: نظرية الأدب: ٢٥٣.

(٥٠) بلاغة الخطاب وعلم النص: ١٥٠ - ١٥١.

(٥١) تحليل الخطاب الشعري: ٨٤.

ويربط بعض الباحثين بين الاستعارة وتداعي المعاني، فيجعل التصريحية منها تتضمن عمليتين عقليتين: «الأولى: متمشية مع الحقيقة والواقع، قائمة على قاعدة تداعي المعاني وهي إدراك ما بين المشبه والمشبه به من تشابه، ولأن التشبيه هو أساس الاستعارة فأنهما يشتركان في هذه العملية. والثانية: تتحقق في الاستعارة دون التشبيه وتميزها منه وهي عملية خيالية غير واقعية تلك هي ادعاء ان المشبه والمشبّه به متحدان في الحقيقة فهما شخص واحد لا شخصان. أما المكنية: فنجد ثلاث عمليات عقلية هي: العمليتان السابقتان مضافاً إليهما عملية ثالثة متصلة هي تخيل اتصاف المشبه بما هو من خصائص المشبه به»<sup>(٥٢)</sup>.

ويبدو ان الأجدى في دراسة الاستعارة تقسيمها إلى تصريحية ومكنية- كما يرى الدكتور احمد مطلوب- لأن ذلك عمدتها ما دامت الاستعارة تقوم على التشبيه<sup>(٥٣)</sup>، تخلصاً من تلك التقسيمات المنطقية العقيمة التي ذهبت بروح البلاغة، وأفقدتها بريقها ، فأحالتها علماً خاضعاً لقواعد صارمة ومعجم خاص لا يحق للأديب ان يخالفه، بعد ان كانت فنا يعتمد الذائقة لاستكناه مواطن الجمال وأسراره في النص.

### الصورة الكنائية والرمزية

الكناية أسلوب غير مباشر من الكلام يستشف فيه المعنى من وراء الألفاظ الموضوعية في السياق، فالمعنى لا يتجلى مباشرة، وإنما يستدل عليه من خلال الغوص في بواطن الألفاظ ولوازم المعاني. والكناية هي «ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل إلى ما هو ملزومه»<sup>(٥٤)</sup>، وقد ذكرها المبرّد فجعلها ثلاثة اضرب وهي: الأول: للتغطية والتعمية، والثاني: هي بالرغبة عن اللفظ

(٥٢) فنون بلاغية: ١٦١ نقلا عن: دراسات في علم النفس الأدبي: حامد عبد القادر، القاهرة

١٩٤٩: ٤٣ - ٤٤.

(٥٣) ينظر: فنون بلاغية : ١٤٥.

(١) مفتاح العلوم: ١٧٠ .

الخسيس المفحش إلى ما يدلّ على معناه من غيره، والثالث: التفخيم والتعظيم، ومنه اشتقت الكنية وهو أن يُعظّم الرجل أن يُدعى باسمه، وقد وقعت في الكلام على ضربين: في الصبي على جهة التفاؤل بأن يكون له ولد ويُدعى بولده كناية عن اسمه، وفي الكبير ان يُنادى باسم ولده صيانة لاسمه<sup>(٥٥)</sup>.

وأشار إليها عبد القاهر الجرجاني قائلاً: «أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: (هو طويل النجاد)، فالمراد به: طويل القامة...»<sup>(٥٦)</sup>، ثم زادها إيضاحاً بقوله: «والكناية إذا نظرت إليها وجدت حقيقتها ومحصول أمرها أنها إثبات لمعنى، أنت تعرف ذلك المعنى من طريق المعقول دون طريق اللفظ»<sup>(٥٧)</sup>، وقال السكاكي في حدها: «وهي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك»<sup>(٥٨)</sup>. إذن فالكناية اشد تأثيراً وألطف تعبيراً، يترفع فيها المتكلم أحياناً عن اللفظ القبيح، ليجد في الكناية مخرجا ومُتنفساً، أو يلجأ إليها خشية لا ترفعاً فينال من خصمه بما لا يستطيعه بالتصريح.

فإذا كانت الاستعارة تفسر على أنها بنية استبدالية، فإن الكناية يمكن تفسيرها وفقاً لمبدأ التجاور وهي تحتل موقعاً وسطاً بين المجاز والحقيقة، أي ان المعنى الحقيقي يمكن ان يقصد مع ان المقصود هو المعنى الآخر والسياق هو من يتكفل بالكشف عنها لأنها تندمج في الكلام والتركيب اللغوي، ويبقى السياق هو المرجع الأساسي في صرف الذهن إلى المعنى المقصود وليس كالتشبيه الذي يبرز فيه

(٥٥) ينظر: الكامل: ٢: ٤٧٢-٤٧٤.

(٥٦) دلائل الإعجاز: ٦٦.

(٥٧) دلائل الإعجاز: ٣١٦.

(٥٨) مفتاح العلوم: ٦٣٧.

المعنى أو الاستعارة التي تفاجئ المتلقي. واختلف البلاغيون في تصنيف الكناية إلى ثلاثة مذاهب وهي باختصار:

١. الكناية وسط بين الحقيقة والمجاز، ويمثل هذا الرأي السكاكي والخطيب القزويني.

٢. أنها حقيقة، ويمثله السبكي في عروس الأفراح.

٣. أنها مجاز، ويمثله ابن الأثير والعلوي<sup>(٥٩)</sup>.

ويشير الجرجاني إلى ان «الكناية أبلغ من التصريح، وليس معنى هذا انك لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى انك زدت في إثباته، فجعلته ابلغ وأكد وأشد، فليست المزية في قولهم: (جم الرماد) انه دل على قرى أكثر، بل انك اثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ، وأوجبته إيجاباً هو اشد، وادعيته دعوى أنت بها انطق وبصحتها أوثق»<sup>(٦٠)</sup>، والكناية أصل من أصول الفصاحة وشرط من شروط البلاغة، ولا سيما في المواضع التي لا يحسن فيها التصريح ولا يليق بها<sup>(٦١)</sup>.

وأسلوب الكناية من أكثر الأساليب البيانية دقةً وخفاءً، يتوخاها المتكلم اختصاراً للألفاظ التي تؤدي المعاني المقصودة، محاولاً إخفاء المعنى الصريح، الذي يجنبه التصريح بما يخشاه، وبها يزين ضروب التعبير، وتتعدد الأوجه الدلالية، فهي من أساليب البيان التي لا يقوى عليها الا كل بليغ متمرس بفن القول، فهي تحتاج إلى الذكاء والفتنة واللمحة الإشارية، والغوص بحثاً عن المعاني، والإتيان بالألفاظ التي تدل عليها، دون تكلف. وهي تجمع بين الحقيقة والمجاز؛ لأنها تستند إلى ترك التصريح بالأمر، إلى ذكر ما لازمه، لينتقل الذهن من المذكور إلى المتروك، مع جواز إرادة المعنى الأصلي. أي يمكن أن يكون المعنى أو معنى المعنى هو

(٥٩) ينظر: الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي : ١٠٧ - ١١٢ .

(٦٠) دلائل الإعجاز: ٥٦ .

(٦١) ينظر: سر الفصاحة: ١٩٣ .

المقصود. فهي لفظ مقصود «بمعناه معنى ثان ملزوم له، بمعنى استعمال اللفظ في معناه الموضوع له لا ليتعلق به الإثبات والنفي، ويرجع إليه الصدق والكذب، بل لينتقل منه إلى ملزومه، فيكون هذا مناط الإثبات والنفي ومرجع الصدق والكذب، ليكون المعنى الحقيقي معبراً للانتقال منه إلى المعنى المجازي وهو الملزوم، وهذا من قبيل قصد النتيجة بعد إقامة الدليل»<sup>(٦٢)</sup>.

والمتكلم بهذا الأسلوب يعدل عن المباشرة والتصريح إلى الإشارة والتلميح، ويسوق تعبيراً ظليلاً مكثفاً يحرك الفكر ويدعو إلى التأمل، وهي سمة فنية تبتعد بالنص عن الرتابة التي تنشأ من استخدام الألفاظ في معان محدودة، لذلك تعد الكناية عند العرب من البراعة والبلاغة، وهي عندهم ابلغ من التصريح وأجمل<sup>(٦٣)</sup>.

ويذكر البلاغيون لعدول المتكلم إلى الكناية أغراضاً عدة منها: التنبيه على عظم القدرة، وفتنة المخاطب، ترك اللفظ إلى ما هو أجمل منه والكناية عما يستفحش ذكره، ولتحسين اللفظ أو لقصد المبالغة أو التشنيع أو التنبيه على مصيره أو الاختصار وغيرها<sup>(٦٤)</sup>.

ويوضح الجرجاني مزية الكناية على التصريح بقوله: «أما الكناية فان السبب في أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح، أن كل عاقل يعلم - إذا رجع إلى نفسه - إن أثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد في وجودها أكد وابلغ في الدعوى، من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجاً غفلاً، وذلك أنك لا تدعي شاهداً لصفة ودليلها، إلا والأمر ظاهر معروف بحيث لا يُشك فيه ولا يظن بالمُخبر التجوز والغلط»<sup>(٦٥)</sup>.

(٦٢) الكناية في ضوء التفكير الرمزي : ٢٤٧.

(٦٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣٩٨.

(٦٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣٩٩.

(٦٥) دلائل الإعجاز: ٧٢.

ولابد من الإشارة إلى أن ليس كل كناية يجوز أن يراد منها المعنى الحقيقي «فقد يتمتع المعنى الحقيقي لخصوص المادة، أو لأنه غير متحقق في الواقع، كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾<sup>(٦٦)</sup>، فالاستواء كناية عن الاستيلاء والسيطرة، فالمعنى الحقيقي هنا يتمتع، إذ يستحيل أن ينسب إلى الله تعالى الاستواء بمعناه الحقيقي وهو الجلوس... وهذا لا يمنع من عد مثل هذه الأساليب من الكناية؛ لأنه لولا خصوص المادة لجازت إرادة معانيها الحقيقية»<sup>(٦٧)</sup>. وقسمها السكاكي على ثلاثة أقسام، شملت كل ألوانها في كلام العرب والقرآن الكريم، وهي: الكناية عن موصوف، والكناية عن صفة، والكناية عن نسبة ويُراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه<sup>(٦٨)</sup>.

### المبحث الثاني: الفتنة صورها ودلائلها في نهج البلاغة

#### الفتنة لغة واصطلاحاً:

**الفتنة لغة:** يستبطن المعنى اللغوي لمادة (فتن) معنى الاختبار والابتلاء، جاء في مقاييس اللغة: «(فتن) الفاء والتاء والنون أصلٌ صحيح يدلُّ على ابتلاء واختبار. من ذلك الفِئْتَةُ. يقال: فَتَنْتُ أَفْتِنُ فِتْنًا. وَفَتَنْتُ الذَّهَبَ بِالنَّارِ، إِذَا امْتَحَنْتَهُ. وَهُوَ مَفْتُونٌ وَفَتَيْنٌ. وَالفَتَانُ: الشَّيْطَانُ. وَيُقَالُ: فَتَنَهُ وَأَفْتَنَهُ. وَأَنْكَرَ الْأَصْمَعِيُّ أَفْتَنًا»<sup>(٦٩)</sup>.

ويذكر صاحب القاموس مجموعة من المعاني لهذا الجذر منها: الفَنُّ والخُلُّ ومنه: العَيْشُ فَتْنَانٌ أَي: لَوْنَانِ حُلُوٌّ وَمُرٌّ وَإِحْرَاقٌ وَمِنْهُ: عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ. وَالفِتْنَةُ بالكسر: الخَبْرَةُ كالمَفْتُونِ وَمِنْهُ: "بَأْيَكُمُ الْمَفْتُونُ" وَإِعْجَابُكَ بِالشَّيْءِ وَفَتَنَهُ يَقْتِنُهُ فَتْنًا

(٦٦) طه: ٥.

(٦٧) البيان في ضوء أساليب القرآن: ٢٦٦.

(٦٨) ينظر: مفتاح العلوم: ١٩٠-١٩٣.

(٦٩) معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٤٧٢.

وَفُتُونًا وَأَفْتَنَهُ وَالضَّلَالُ وَالْإِثْمُ وَالْكَفْرُ وَالْفَضِيحَةُ وَالْعَذَابُ وَإِذَابَةُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْإِضْلَالُ وَالْجُنُونُ وَالْمِحْنَةُ وَالْمَالُ وَالْأَوْلَادُ وَاخْتِلَافُ النَّاسِ فِي الْآرَاءِ. وَفَتَنَهُ يَفْتِنُهُ: أَوْقَعَهُ فِي الْفِتْنَةِ كَفَتَنَهُ وَأَفْتَنَهُ فَهُوَ مُفْتَنٌ» (٧٠).

ويذكر ابن منظور معاني مقاربة لما ذكره أئمة اللغة، وهو ينقل كلام الأزهري وابن الأعرابي وغيرهما ذكرا من معاني الفتنة: الاختبار، المحنة، المال، الأولاد، الكفر، اختلاف الناس بالآراء، الإحراق بالنار، والفتنة في التأويل الظلم يقال فلان مَفْتُونٌ بطلب الدنيا قد غلا في طلبها (٧١).

وبهذا يتضح أن للفتنة معاني متعددة ذكرها أئمة اللغة تشترك أحيانا وتختلف أخرى إلا أن بعضها من باب المصداق لا المفهوم كما في المال والأولاد والإحراق، في ظلال لمعنى الاختبار والابتلاء المستفاد من المعنى اللغوي وهو فتنة الذهب والفضة وإذابتهما.

### الفتنة اصطلاحاً:

ثمة علاقة وثيقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، وقد أسس ابن جني وابن فارس لهذه الفكرة، وهي وإن كانت لا تسري في الألفاظ كلها، إلا أنها يمكن أن تعتمد في بعضها على الأقل. ومن ثم فإن التعريف الاصطلاحي كما ورد عند الشريف الجرجاني هو: «ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر، يقال: فتنت الذهب بالنار، إذا أحرقته بها لتعلم انه خالص أو مشوب، ومنه الفتان وهو الحجر الذي يجرب به الذهب والفضة» (٧٢).

وهو أقرب إلى التعريف اللغوي منه إلى الاصطلاحي، إلا أن ما يميز هذا التعريف هو الإشارة إلى احتمال كون الفتنة خيراً أو شراً، مع ما توحى به الكلمة

٧٠ القاموس المحيط: فتن

٧١ ينظر: لسان العرب: ١٣ / ٣١٧.

٧٢ التعريفات: ١٣٥. ونقل الكفوي التعريف نفسه مع ذكر معاني الفتنة في القرآن.

من الشر المحض، ولهذا نرى الراغب الأصفهاني إلى هذا المعنى قائلاً: «وجعلت الفتنة كالبلاء في إنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة أو رخاء، وهي في الشدة اظهر معنى وأكثر استعمالاً»<sup>(٧٣)</sup>.

والى مثل ذلك ذهب ابن معصوم المدني في رياض السالكين قائلاً: «وتستعمل الفتنة والبلاء فيما يدفع إليه الإنسان من شدة و رخاء، قال تعالى: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾<sup>(٧٤)</sup>، لأن بالشر يمتحن صبره، وبالخير يمتحن ويتعرف شكره، ثم كثر استعمال الفتنة في إيقاع الإنسان في بلية وشدة ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾<sup>(٧٥)</sup>، أي ليقوعوك في ضراء وشدة في صدهم إياك عما أوحى إليك»<sup>(٧٦)</sup>.

ولذا فإن الأقرب في التبادر إلى الذهن والأنسب من تلك المعاني هو الابتلاء والاختبار والمحنة، وهذا المعنى هو المقصود في هذه الدراسة .

ويفرق اللغويون بين الفتنة والاختبار في أن «الفتنة أشد الاختبار وابلغه... ويكون في الخير والشر، ألا تسمع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٧٧)</sup>. والله تعالى لا يختبر العبد لتغيير حاله في الخير والشر وإنما المراد بذلك شدة التكليف»<sup>(٧٨)</sup>.

وأما الفرق بين الابتلاء والاختبار، فإن الأول «لا يكون إلا بتحمل المكاره والمشاق، والاختبار يكون بذلك وبفعل المحبوب»<sup>(٧٩)</sup>.

٧٣ المفردات في غريب القرآن: ٣٧١-٣٧٢.

٧٤ الأنبياء: ٣٥.

٧٥ الإسراء: ٧٣.

٧٦ رياض السالكين: ٥/١٨٤.

٧٧ التغابن: ١٥.

٧٨ الفروق اللغوية: ٢٤٤.

٧٩ الفروق اللغوية: ٢٢٤، وينظر: أساس البلاغة: ٥٤٤.

والتطور الدلالي لهذه اللفظة (الفتنة) جعلها تتصرف إلى الفتنة في الدين أي «الضلال عنه، والخلاف المفضي إلى التقاتل والهرج والمرج فذاك هو الفتنة، وقيل: هي اسم يقع على كل شر وفساد»<sup>(٨٠)</sup>، ولذا عرفت الحوادث التي تجري في آخر الزمان وقبل قيام الساعة بالملاحم والفتن، التي يمر فيها الإنسان ويغربل، ولا يثبت إلا من ثبته الله تعالى في هذه المحن<sup>(٨١)</sup>.

### الفتنة ودلالاتها في القرآن الكريم

يأتي الجذر (فتن) ومشتقاته في القرآن في ستين موضعاً بتشكيلاتها وصيغها المختلفة وكما في الجدول الآتي:

ت	الكلمة	التكرار	السورة ورقم الآية
١	فتنا	٥	الأُنعام: ٥٣، طه: ٨٥، العنكبوت: ٣، ص: ٣٤، الدخان: ١٧
٢	فتاك	١	طه: ٤٠
٣	فتناه	١	ص: ٢٤
٤	فتنتم	١	الحديد: ١٤
٥	فتنوا	١	البروج: ١٠
٦	تفتني	١	التوبة: ٤٩
٧	لنفتنهم	٢	طه: ١٣١، الجن: ١٧
٨	يفتنكم	١	النساء: ١٠١
٩	يفتنكم	١	الأعراف: ٢٧
١٠	يفتنهم	١	يونس: ٨٣
١١	يفتنوك	١	المائدة: ٤٩
١٢	ليفتنوك	١	الإسراء: ٧٣
١٣	فتنتم	١	طه: ٩٠

٨٠ رياض السالكين: ٧/ ١٠٧.

٨١ من ذلك على سبيل المثال: الفتن لأبي نعيم، الملاحم والفتن لابن طاووس، وهي كتب مختصة بهذه الحوادث والفتن.

ت	الكلمة	التكرار	السورة ورقم الآية
١٤	فَتَنُوا	١	النحل: ١١٠
١٥	تُفْتَنُونَ	١	النمل: ٤٧
١٦	يُفْتَنُونَ	٣	التوبة: ١٢٦، العنكبوت: ٢، الذاريات: ١٣
١٧	فَتُونَا	١	طه: ٤٠
١٨	بِفَاتِنِينَ	١	الصفافات: ١٦٢
١٩	المفتون	١	القلم: ٦
٢٠	الفتنة	٣٠	البقرة: ١٠٢، ١٩١، ١٩٣، ٢١٧، آل عمران: ٣، النساء: ٩١، المائدة: ٧١، الأنفال: ٢٥، ٢٨، ٣٩، ٧٣، التوبة: ٤٧، ٤٨، ٤٩، يونس: ٨٥، الإسراء: ٦٠، الأنبياء: ٣٥، الحج: ١١، ٥٣، النور: ٦٣، الفرقان: ٢٠، العنكبوت: ١٠، الأحزاب: ١٤، الصفافات: ٦٣، الزمر: ٤٩، القمر: ٢٧، الممتحنة: ٥، التغابن: ١٥، المدثر: ٣١.
٢١	فَتَنَتَكَ	١	الأعراف: ١٥٥
٢٢	فَتَنَتَكُمْ	١	الذاريات: ١٤
٢٣	فَتَنَتَهُ	١	المائدة: ٤١
٢٤	فَتَنَتَهُمْ	١	الأنعام: ٢٣

تأتي الفتنة في القرآن الكريم للدلالة على معان مختلفة، وحسب قراءات المفسرين لها، والذي يقيد المعنى ويحدد الدلالة هو السياق، ويلخص الكفوي هذه المعاني بالآتي:

١. الشرك: كقوله تعالى: {حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً} (٨٢).

٢. الإضلال: كقوله تعالى: {الْبَغَاءُ الْفِتْنَةُ} (٨٣).

سورة البقرة: ٨٢١٩٣

آل عمران: ٨٣٧

٣. القتل: كقوله تعالى: {أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا} (٨٤).
٤. الصد: كقوله تعالى: {وَاحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ} (٨٥).
٥. الضلالة: كقوله تعالى: {وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ} (٨٦).
٦. القضاء: كقوله تعالى: {إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ} (٨٧).
٧. الإثم: كقوله تعالى: {أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا} (٨٨).
٨. المرض: كقوله تعالى: {يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ} (٨٩).
٩. العبرة: كقوله تعالى: {لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً} (٩٠).
١٠. العفو: كقوله تعالى: {أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ} (٩١)، او العقوبة.
١١. الاختبار: كقوله تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} (٩٢).
١٢. العذاب كقوله تعالى: {جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ} (٩٣).
١٣. الإحراق: كقوله تعالى: {هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ} (٩٤).
١٤. الجنون: كقوله تعالى: {بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ} (٩٥).

النساء: ٨٤١٠١

المائدة: ٨٥٤٩

المائدة: ٤١ ٨٦

الاعراف: ٨٧١٥٥

التوبة: ٨٨٤٩

التوبة: ٨٩١٢٦

يونس: ٩٠٨٥

النور: ٦٣ ٩١

العنكبوت: ٩٢٣

العنكبوت: ٩٣١٠

الذاريات: ٩٤ ١٣

١٥. النفي عن البلد: كقوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾<sup>٩٦</sup>.

وقد يعترض على بعض هذه المعاني في قبولها لدلالات أحر غير ما أشار إليه الكفوي، أو لانضمام بعضها تحت بعض، إلا ان ذلك لا يمنع من إيراد هذه المعاني أو ظلالها، لاحتمال السياق ذلك.

### صور (الفتنة) في نهج البلاغة

يأتي مصطلح (الفتنة) في نهج البلاغة للتعبير عن معان كثيرة أشير إليها في دلالة هذا المصطلح في القرآن الكريم، وهو يغدو «عند الإمام علي مصطلحاً سياسياً- تاريخياً ذا مدلولات متنوعة يتصل بالحركة التاريخية للمجتمعات في الحاضر وفي المستقبل، وهو ذو مدلول سلبي بالنسبة الى حركة التقدم النبوية»<sup>٩٧</sup>. ولا يعني ذلك ان ينحصر دور الفتنة في الوظيفة السلبية فقط، بحيث تدور في فلك الشرك والضلالة والإضلال والقتل والصد وما إلى ذلك من معان، بل هي «ذات وظيفة تربوية تعزز صلابة المؤمنين، وترفع درجة وعيهم، وتميز عنهم الدخلاء والمنافقين»<sup>٩٨</sup>. فالفتنة السلبية هي تلك الفتنة التي تضل الإنسان وتهوي به، ولذلك يوصي (ع) بالاستعاذة من (مضلات الفتن)، قال (ع): «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمَلٌ عَلَى فِتْنَةٍ وَلَكِنْ مِنْ اسْتِعَاذَ فَلَيْسَتْ عِزٌّ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ ((وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ)) (الأنفال: ٢٨)، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَالْأَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ السَّخَاطُ لِرِزْقِهِ وَالرَّاضِيَ بِقِسْمِهِ وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَكِنْ لِنَظَرِ الْأَفْعَالِ

القلم: ٦ ٩٥

٩٦ البقرة: ١٩١.

٩٧ حركة التاريخ عن الإمام علي (ع) دراسة في نهج البلاغة: ١٥٨ - ١٥٩.

٩٨ حركة التاريخ عن الإمام علي (ع) دراسة في نهج البلاغة: ١٥٨.

الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ لَأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ وَيَكْرَهُ الْإِنَاثَ وَبَعْضُهُمْ يُحِبُّ تَتْمِيرَ الْمَالِ وَيَكْرَهُ انْتِلَامَ الْحَالِ»<sup>٩٩</sup>.

وينضح من كلام الإمام (ع) ان الفتنة ليست شرا بقدر ما هي تمحيص وامتحان لإيمان المرء، ولا يخلو منها احد؛ لأن الدنيا هي دار البلاء فلا شك ان يمر الإنسان بتلك المحن والفتن التي ذكرها (ع)، والمؤمن الحق من يجتاز ذلك الاختبار. وأما مضلات الفتن فهي ما ينبغي على الإنسان ان يدعو الله مخلصا ليعيده منها؛ لأنها تشتهه على الخلق فتريهم الباطل حقا والحق باطلا وتزين الكفر والفساد بصورة الهدى والرشاد. يقول (ع): «وَالنَّاسُ فِي فِتْنٍ اِنْجَدَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ وَتَرَعَزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ وَتَشَتَّتَ الْأَمْرُ وَضَاقَ الْمَخْرَجُ وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ فَالْهُدَى خَامِلٌ وَالْعَمَى شَامِلٌ عَصِيَ الرَّحْمَنُ وَنَصَرَ الشَّيْطَانَ وَخَذَلَ الْإِيمَانَ فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ وَعَفَتْ شُرْكُهُ أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ وَقَامَ لَوَاؤُهُ فِي فِتْنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا وَوَطَّنَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ فِي خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ. نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وَحُلْمُهُمْ دُمُوعٌ بَارِضٌ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ»<sup>(١٠٠)</sup>.

فصورة الضياع والغربة التي يعيشها الإنسان في هكذا فتنة، تنقلب فيها المقاييس وينقطع فيها حبل الدين وتنزعزع الثوابت، فيغدو الإنسان تائها حائرا جاهلا مفتونا - وهي مراحل الضياع التي يعيشها من التيه أولا، ثم الحيرة والتردد والشك التي تتمخض عن الجهل، ثم الافتتان هي التي تتغير فيها معالم الشخصية وتتحدر في مهاوي الفتنة والفساد فلا ينجو الا من رحم الله.

٩٩ نهج البلاغة: ٦١٥.

١٠٠ نهج البلاغة: ٢٦.

وبداية ذلك كما يصوره (ع) في قوله: «إِنَّمَا بَدَأَ وَفُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تَتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبَدِّعُ يُخَالِفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخَفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِعْفٌ وَمِنْ هَذَا ضِعْفٌ فَيَمْرَجَانِ فَهَذَاكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى» (١٠١).

فثمة ركيزتان أساسيتان لظهور الفتنة هما: الأهواء المتبعة والأحكام المبتدعة، اي «سقوط المقياس الموضوعي في القيم على صعيد الأخلاق والعلاقات الاجتماعية والسياسية، وسقوط الشرعية القانونية على صعيد المؤسسات العامة والعلاقات والوضع السياسية والاقتصادية والاجتماعية» (١٠٢).

وصورة الحيرة والتردد التي يعيشها الإنسان في دار الفتنة لا تتجلي الا ببصيرة من الدين وقوة اليقين والشك بسفن النجاة، لأن «الفتن إذا أقبلت أشبهت وإذا أدبرت نبهت» (١٠٣)، فالإنسان يعيش فيها حالة من الغياب والسكر الذي لا ينكشف الا بعد ان تزول فيدرك ما كان عليه من الغي والضلالة.

وفي وصف دقيق مفصل له (ع) لبوادر الفتنة ومسيرتها ومن ثم سبيل النجاة منها ننقلها لأهميتها وصعوبة اقتطاع جزء منها لترابطها قوله (ع): «ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَضُ بَلَايَا قَدْ اقْتَرَبَتْ فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ وَاحْذَرُوا بَوَائِقِ النِّقْمَةِ وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ وَأَعْوَجَّاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا وَظُهُورِ كَمِينِهَا وَانْتِصَابِ قُطْبِهَا وَمَدَارِ رِحَاهَا تَبْدَأُ فِي مَدَارِجِ خَفِيَّةٍ وَتَنُوتُ إِلَى فِطَاعَةِ جَلِيَّةٍ شِبَابِهَا كَشِبَابِ الْغَلَامِ وَأَثَارُهَا كَأَثَارِ السَّلَامِ يَتَوَارِثُهَا الظُّلْمَةُ بِالْعُهُودِ أَوْلَهُمْ قَائِدٌ لِأَخْرِهِمْ

١٠١ نهج البلاغة: ٩٠.

١٠٢ حركة التاريخ عن الإمام علي (ع) دراسة في نهج البلاغة: ١٧٦.

١٠٣ نهج البلاغة: ١٧١.

وَأَخْرَهُمْ مُقْتَدِبًا بِأَوْلِهِمْ يَنْتَافِسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيْفَةٍ مُرِيحَةٍ وَعَنْ قَلِيلٍ يَنْبَرُّوا التَّابِعِ مِنَ الْمُنْبُوعِ وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ فَيَنْزِيلُونَ بِالْبَعْضَاءِ وَيَبْلَغُونَ عِنْدَ اللَّقَاءِ ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ وَالْقَاصِمَةِ الرَّحُوفِ فَتَزِيغُ قُلُوبًا بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ وَتَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا وَتَلْتَبِسُ الْأَرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قِصْمَتُهُ وَمَنْ سَعَى فِيهَا حِطْمَتُهُ يَتَكَادِمُونَ فِيهَا تَكَادِمَ الْحُمْرِ فِي الْعَانَةِ قَدْ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةَ وَتَنْطِقُ فِيهَا الظُّلْمَةَ وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمَسْحَلِهَا وَتَرْضَهُمْ بِكَلْكَلِهَا يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ تَرْدُ بِمَرِّ الْقِضَاءِ وَتَحْلُبُ عَيْبُ الدَّمَاءِ وَتَتَلَمُّ مَنَارَ الدِّينِ وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ يَهْرَبُ مِنْهَا الْكَيَّاسُ وَيُدْبِرُهَا الْأَرْجَاسُ مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ تَقْطَعُ فِيهَا الْأَرْحَامَ وَيُفَارِقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ بَرِيئُهَا سَقِيمٌ وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ.

منها: بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُوقٍ وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ يَخْتَلُونَ بِعَقْدِ الْإِيمَانِ وَبِغُرُورِ الْإِيمَانِ فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ وَأَعْلَامَ الْبِدْعِ وَالزَّمُوا مَا عَقَدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ وَأَقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لَعْقَ الْحَرَامِ فَإِنَّكُمْ بَعِينٌ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَعْصِيَةَ وَسَهَّلَ لَكُمْ سَبِيلَ الطَّاعَةِ» (١٠٤).

تتراحم الصور الفنية في هذا النص الطويل بين تشبيهات واستعارات تدب فيها الحياة وتشحن الألفاظ بطاقة إيحائية فوق المعاني الأول بحيث تثير المتلقي ويستشعر من خلالها حركية النص وتغدو اشبه بصور سينمائية تستحضر نماذج حسية لتصوير المجرد، مع نغمة موسيقية عالية تخلقها السجعات المتواليّة والفواصل المتناسبة التي تترنم في اذن المتلقي فتكون أشد وقعا. فتزيد من التهويل، وفي الوقت ذاته تختتم برجاء يخلق أملا واعدة في المتلقي للنجاة منها، ذلك ان الخواتيم آخر ما

يعلق في الذهن وهو قوله: «فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتْنِ وَأَعْلَامَ الْبِدْعِ وَالزُّمُومَا مَا عَقَدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ وَأَقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ وَلَا تَدْخُلُوا بُطُونَكُمْ لُعُقَ الْحَرَامِ فَإِنَّكُمْ بَعِينٌ مِنْ حَرَمٍ عَلَيْكُمْ الْمَعْصِيَةَ وَسَهْلٌ لَكُمْ سَبِيلَ الطَّاعَةِ»<sup>(١٠٥)</sup>.

### التصوير والأنسنة

ارتبط التصوير بالتجسيم والتشخيص ولاسيما في موضوع البحث، ولذا ينبغي التعريف بهذين المصطلحين، فالتشخيص «يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية»<sup>(١٠٦)</sup>، أو فهو خلع الصفات الإنسانية على المحسوسات والماديات، وأما التجسيم فهو «تجسيم المعنويات المجردة وإيرازها أجساماً أو محسوسات على العموم»<sup>(١٠٧)</sup>.

والتشخيص يرتقي بالأشياء إلى مصاف الإنسان ويدخلها في عالم المتحركات مسبغاً عليها من الصفات الإنسانية ولوازمها. وهو ما يؤنسها وينفخ فيها الأرواح. فالأنسنة إسباغ الصفات الإنسانية على الجمادات والمجردات، بحيث تلج الروح فيها وتدب الحياة فتصير كائنات حية تفيض بالحركة والحياة، ومن ذلك قوله: «فاني فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجتري عليها أحد غيري بعد ان ماج غيهبها واشتد كلبها»<sup>(١٠٨)</sup>.

يغلب على تصوير الفتنة في نهج البلاغة التشخيص والتجسيد بحيث تغدو الكلمات كائنات ذات أرواح، كالسبع والناقة وأحيانا البحر والليل والظلام، لذا

١٠٥ نهج البلاغة: ٢٦٣.

١٠٦ التصوير الفني في القرآن: ٧٣.

١٠٧ التصوير الفني في القرآن: ٧٢.

١٠٨ نهج البلاغة: ١٧٠.

سنحاول من خلال استقراء النصوص، بيان أنماط هذه الصور وتجلياتها في النص العلوي.

### - صورة الدواب

تتطوي تحت هذه الصورة استعارة لوازم الحيوانات ومتعلقاتها كالجمال والشاة والبقرة والحصان، بحيث ترى المعنوي في صورة المحسوس، ومن ذلك قوله (ع): «في فتن داستهم بأخفافها ووطئتهم بأظلافها، وقامت على سنانكها»<sup>(١٠٩)</sup>.

فالملاحظ على هذه الجمل الثلاثة، توالي الاستعارات المكنية التي يختفي فيها المشبه به وتبقى لوازمه الكاشفة عنه بلمحة بلاغية تشعرك بالمحذوف أو المقدر بحيث يتحدان في تشكيل استعاري جديد، تذوب فيه المكونات، ولكنها تشم من وراء النص، فالأخفاف للبعير، والأظلاف للبقر والشاة، والسنانك للخيل، وفي كل ذلك بيان لشدة وقع الفتنة، فهي تدوس بأرجلها الجميع وتعم بذلك حتى الصالحين، فهي ليست واعية بما تدوسه، غير مبالية به، لا تميز في ذلك بين الخلق. وهذا هو وجه الاشتراك بين الفتنة والدابة. وهو بذلك يعطي بعداً مادياً للمجردات ويشخصها ليكون وقعها على النفوس اشد وبالقلوب اعلق، لأنس السامع بالمرئيات أكثر من المجردات.

ومن ذلك أيضاً قوله (ع): «تأتيكم مزمومة مرحولة، يحفزها قائدها ويجهدا راكبها»<sup>(١١٠)</sup>، صورة أخرى من صور الفتنة متمثلة بالناقة أيضاً، التي تأتي بزمامها ورحالها يدفعها قائدها إلى السير ويحثها، وكذا ركبها يجهدا في السير بيانا لشدة سرعتها وحماسها في وقوعها.

١٠٩ نهج البلاغة: ٢٦.

١١٠ نهج البلاغة: ١٨٥.

## - صورة السبع

تتنامى الصورة الفنية للفتنة إلى مستوى أعمق وارفح بحيث تتجلى في صورة أكثر هولاً، واشد وقعا ورهبة في النفوس وهي صورة السبع أو الوحش الذي يفترس من أمامه دون رحمة، وهي- أي الفتنة- تعض أبناءها بأنيابها. يقول (ع): «عضت الفتنة أبناءها بأنيابها»<sup>(١١١)</sup>.

وهذه العبارة على وجازتها تحمل في طياتها أبعادا بلاغية عميقة، تتضح من خلال الاستعارات المكنية في قوله: (عضت، أنيابها)، والاستعارة التصريحية في (أبنائها)، فجعلت المفتونين بها بمنزلة الأبناء، وما أعجب ما تأكل الأم أبناءها؟ فهو تصوير يحيلنا إلى صورة الدنيا في قوله: «النَّاسُ أُنْبَاءُ الدُّنْيَا وَلَا يَلَامُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ»<sup>(١١٢)</sup>. وكذلك قوله: «أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَلِكُلِّ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أُنْبَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أُنْبَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ وَادٍ سَيُلْحَقُ بِأَبِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١١٣)</sup>.

والعلاقة بين الفتنة والدنيا واضحة لا تحتاج إلى تعليق، ففيها من مظاهر الفتنة ما يجعلها مصداقاً واضحاً لكل ما في الكلمة من معنى، وهي دار المحنة والابتلاء. فثمة علاقة جدلية بين حب الدنيا والفتنة؛ لأن الأول هي منبع الفتن ورأس كل خطيئة، وهي إحالة لطيفة له هذا المعنى، ولذا كثيراً ما تردد في كلماتهم (ع) هذا المعنى، وكان التوازي والترادف قائم بين الاثنين.

حب الدنيا = الفتنة

١١١ نهج البلاغة: ١٨٣

١١٢ نهج البلاغة: ٦٦٣.

١١٣ نهج البلاغة: ٨٤.

- صورة البحر:

تأتي هذه الصورة الاستعارية كمستوى أعمق من سابقه لسعته وشدة الضياع فيه، واستعارة البحر من الاستعارات المستلهمة من الطبيعة، وكثيراً ما وردت في التراث العربي للدلالة على الكرم وسعة العلم، إلا أن طرافة الاستعمال هنا تكمن في تصوير الفتنة بالبحر الذي تتلاطم أمواجه، ولا سبيل إلى النجاة منها إلا بسفن النجاة، وهم محمد وآله (ع)، كما ورد هذا الوصف بنصّه، فعنه (ص): «من أحب أن يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقى ويعتصم بحبل الله المتين فليوال عليا بعدي وليعاد عدوه وليأتم بالأئمة الهداة من ولده، فإنهم خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي، وسادة أمتي وقاده الأتقياء إلى الجنة، حزبهم حزبي وحزبي حزب الله، وحزب أعدائهم حزب الشيطان»<sup>(١١٤)</sup>، والنص العلوي استعار الأمواج وشدها للفتنة، ومن ثم جاء بما يناسبها وهو سفن النجاة. فشق الأمواج والنجاة من الفتنة لا يتسنى للمرء إلا بهذه السفن فإنها الصراط المستقيم إلى الله تعالى.

- صورة النار

من لوازم صورة الفتنة هي صورة النار المحرقة التي تفور، كقوله: «ولا تقتحموا ما استقبلتم من فور نار الفتنة وأميطوا عن سنها، واخلو قصد السبيل لها، فقد لعمرى يهلك في لهبها المؤمن، ويسلم فيها غير المسلم»<sup>(١١٥)</sup>، فالإقتحام رمي النفس في الأمر دون روية أو نظر، وفور النار الهيجان والغليان، وهي صورة مركبة استعارية تجعل للفتنة نارا تستعر وتهيج وتتحرك لتنال بألسنتها كل ما تصله، قال البحراني: «ولفظ النار مستعار لأحوال الفتنة من الحروب والقتل والظلم، ووجه المشابهة كونها مستلزمة للأذى كالنار. ووصف الاقتحام لمخالفته

بحار الأنوار: ٣٤ / ١١٤٩٢.

١١٥ نهج البلاغة: ٣٤٨.

والتفرق عنه ووجه الاستعارة إسراع تفرقهم عنه إلى الوقوع في الفتنة كإسراع المقتحم. ورشح باستعارة النار بالفور مبالغة في التفتير»<sup>(١١٦)</sup>.

وثمة صور أخر تكمن (أميطوا عن سننها، وخلو قصد السبيل لها، فقد لعمري يهلك في لهبها المؤمن) الميل عن طريقها وإخلاء السبيل لها كلها استعارات، والتحذير من اقتحام الفتن والسقوط بين أسننها، بل الابتعاد عنها قدر الاستطاعة عن طرقها والميل عنها؛ لأنها تأكل الجميع حتى من لم يشترك فيها، ما دام قائماً فيها غير معتزل لها. بل ربما هلك فيها المؤمن، وسلم منها غير المسلم، وثمة إشارة طريفة إلى هلاك المؤمن فيها في حين يسلم فيها (غير المسلم) وهو المنافق وغيره، أي ان الابتلاء فيها من نصيب المؤمنين فقط، إذ ينجو منها غير المسلم هو عنوان عام فضفاض يدخل تحته كل ما سوى المؤمن؛ لأن كثيراً ممن يصاب عند ظهور الفتن هو المؤمن لأنه يقف بوجه الفتنة، وأكثر من يسلم هو المنافق المداهن لها وفيه إشارة ضمنية الى الانزواء والاعتزال عنها، وليس المعنى هلاك جميع المؤمنين وإنما المراد الأكثر، وكذلك للمنافق<sup>(١١٧)</sup>.

### - صورة الليل

يحمل الليل خزينا رمزيا عاليا يجمع بين الخير والشر، فهو زمن السكون والراحة والتهدد والخلوة مع النفس، وطالما كان ملهما ومعينا لا ينضب للشعراء والأدباء، وفي الوجه الآخر نرى الليل بصورة الظلمات التي تغشى فتغيب فيها الحقائق.

من الطبيعي أن يكون الليل رمزا لكل الظلمات، وانعدام الرؤية والسير على غير هدى، فهو مظهر من مظاهر الطبيعة الذي يضرب فيه المثل للسواد والظلام، وهو من أجلى مظاهر الطبيعة وأقربها إلى الإنسان، ومن تشبيه الفتنة بالليل قوله

١١٦ شرح نهج البلاغة للبحراني: ٤/١٧٠.

١١٧ ينظر: شرح نهج البلاغة للبحراني: ٤/١٧١.

(ع): «فتن كقطع الليل المظلم، لا تقوم لها قائمة، ولا ترد لها راية»<sup>(١١٨)</sup>. ومثله قوله: «ترد عليكم فتنهم شوهاء مخشية، وقظفا جاهلية ليس فيها نار هدى ولا علم يرى»<sup>(١١٩)</sup>.

فالفتنة لشدة ظلمتها أشبهت قطع الليل المظلم والكاف توحد بين الطرفين فيتماهى الليل مع الفتنة بحيث تصبح النتيجة التساوي والتماثل بينهما، وملازمات هذه الفتنة ان لا تقوم بوجهها قائمة؛ لأنها شديدة الظلمة ومنكاثرة، ولا تجد مقاوما لها ولذا فلا ترد لها راية. وقد ورد وصف الفتنة بالليل او بعض ملازماته في أكثر من موضع ومنها قوله: «اغباش فتنة»<sup>(١٢٠)</sup>، والغباش ظلمة آخر الليل.

### الخاتمة

دأبت الدراسات على تلخيص ثمراتها في خواتيمها وقد آن لهذه القراءة ان تضع رحلها هنا لتقف على أهم ما أسفرت عنه ونلخصه بنقاط:

١. يعد التصوير من أهم الوسائل التي وردت في نهج البلاغة لتقريب المفاهيم المجردة مما يزيد من تأثيرها في المتلقي؛ لأن النفس تأنس بالمألوف وتأنف الغريب، والتجربة الحسية اشد وقعا واقرب الى النفس، وذلك من خلال تشخيصها وتجسيدها وإسباغ الحياة عليها.

٢. في نصوص نهج البلاغة ثمة وصف دقيق للفتنة وتجلياتها وبدائياتها وظروفها الملايسة وأهلها وطريق الخروج منها، فهو أشبه بالتقرير المتكامل المصور للفتنة ودبيبها وانكشافها وسبل النجاة، وهناك عناية خاصة، بل ثمة خطب

١١٨ نهج البلاغة: ١٨٥.

١١٩ نهج البلاغة: ١٧٢.

١٢٠ نهج البلاغة: ٤٦.

وكلمات كثيرة خصصت لها في طيات النهج، وهو ما يشعر بخطر هذا المفهوم تاريخياً وسياسياً ودوره في انحدار الأمم وانهارها.

٣. للفتنة في نهج البلاغة وجهان: أحدهما يمثل الصورة الإيجابية التي تمثل الابتلاء والامتحان للإنسان، وهي بذلك ضرورة ملحة لا يخلو منها شخص أو عصر؛ لأن الدنيا دار الابتلاء، وهذا النوع يزيد من تكامل المؤمن ويرسخ إيمانه ويرفع درجته.

في حين نجد الصور السلبية للفتنة والتي تمثل الضلال والضياع والسير على غير هدى، فضلاً عن كونها سبباً رئيساً لهلاك الأمم وفسادها، وهذه هي الفتنة التي يستعاذ منها وبعبارة النهج (مضلات الفتن).

٤. يغلب على تصوير الفتنة الصور الحية أو المتحركة أحياناً. فألفاظ الدواب والسبع والليل والبحر والنار، تحمل في بنيتها العميقة الحياة والحركة مما يشعر بديمومة الصورة وحيويتها، وهذا أمر بين في لوازم الصور المذكورة. والتشخيص هو المتكأ الرئيس في صورة الفتنة بحيث ينزع المجرى إلى الارتقاء إلى مستوى نوات الأرواح، بل والإنسان في أحيان كثيرة. فالفتنة مخلوق صوري ينمو ويكبر في أن وجد من يغذيه ويتكفله. ويموت في ظروف أخرى. فهي كائن حي ينبض بالحياة والصفات الإنسانية أحياناً.

يحدد (ع) سبيل النجاة من الفتنة بسفن النجاة وهي إحالة واضحة إلى الموروث الروائي الذي اثر عن النبي الأكرم (ص) من تمثيل أهل البيت (ع) وهم عدل القرآن بسفينة نوح (ع) التي لا ينجو الا من ركبها<sup>١٢١</sup>.

المصادر والمراجع

- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: احمد مصطفى المراغي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (د.ت).
- أصول النقد الأدبي: د.أحمد الشايب، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٠ م .
- الأدب وفنونه: د.محمد مندور، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٦٣م.
- بحار الأنوار: العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.
- بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني: د.توفيق الفيل، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩١م.
- بلاغة التشبيه في القرآن الكريم: د.علي ميرلوجي، مجلة التراث العربي، العدد ٥٤، السنة ١٤، ١٩٩٤.
- بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل، سلسلة كتب عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢م.
- بناء الصورة الفنية في البيان العربي: د.كامل حسن البصير، مطبعة المجمع العلمي العراقي (د.ط) ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- بناء لغة الشعر: جان كوهن، ترجمة: د. أحمد درويش، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٩٣م.
- البيان في ضوء أساليب القرآن: د.عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، مصر، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص): د.محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط٤، ٢٠٠٥م.
- التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان: د. محمد محمد أبو موسى، مطابع الشروق، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- التصوير المجازي أنماطه ودلالاته في مشاهد القيامة في القرآن الكريم: د.أياد عبد الودود، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط٤، ٢٠٠٤م.
- التعريفات: الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، مؤسسة التاريخ الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- حركة التاريخ عن الإمام علي (ع) دراسة في نهج البلاغة: الشيخ محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: المحامي: فوزي عطوي، ط ١، ١٩٦٨م.
- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، المؤسسة السعودية بمصر مطبعة المدني، ط ١٣١٣هـ، ١٩٩٢م.
- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين الإمام علي بن الحسين (ع): السيد علي خان الحسيني المدني (١١٢٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ط ٧، ١٤٣٢هـ.
- سر الفصاحة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، ب.ط، القاهرة، ١٣٧٠هـ-١٩٥٣م.
- الصناعتين: أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م.
- الصورة الشعرية: تأليف: سي- دي لويس، ترجمة: د. أحمد نصيف الجنابي، مالك ميري، سلمان حسن إبراهيم، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٢م.
- الصورة الفنية: فريد مان، ترجمة: جابر عصفور، مجلة الأديب المعاصر، آذار، ١٩٧٦.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩هـ)، مراجعة وضبط: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
- العمدة في نقد الشعر وتمحيصه: ابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ) شرح وضبط: د. عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٦م.
- الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، علق عليه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠١٠م.
- فنون بلاغية: د. احمد مطلوب، دار البحوث العلمية، الكويت، ط ١، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.
- القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، إعداد وتقديم: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٢م.
- الكامل: الإمام أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٥٢٨٥هـ)، تح: د. محمد الدالي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط ٢، ١٩٩٧م.

- الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي: محمد الحسن علي الأمين أحمد، أطروحة ماجستير، كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى، ١٩٨٤م.
- الكناية في ضوء التفكير الرمزي: نائلة قاسم لمغون، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية جامعة أم القرى، ١٩٨٤م.
- لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ١.
- مبادئ النقد الأدبي: أ. آ. ريتشاردز، ترجمة: إبراهيم الشهابي، دمشق، ٢٠٠١م.
- مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
- المثل السائر: أبو الفتح ضياء الدين بن الأثير الموصلي (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.
- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت .
- المفكرة النقدية: د. بشرى البستاني، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٨م.
- مقاييس اللغة: أبو الحسن محمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، مصر، ط ٢، ١٩٦٩م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء: أبو الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)، تقديم و تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ٢٠٠٧م.
- الموازنة بين أبي تمام والبحري: أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦م.
- نظرية الأدب: رينيه ويليك واوستن وارين، ترجمة: محي الدين صبحي، مراجعة: د. حسام الخطيب، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، مط. الطرابيشي، ١٩٧٢م.
- نظرية البنائية في النقد الأدبي: د. صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط ٣، ١٩٨٧م.
- نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- نهج البلاغة: مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، ضبط نصه وعلق وابتكر فهارسه: د. صبحي الصالح، انوار الهدى، مط: وفا، ط ٤، قم إيران، ١٤٣١هـ.

## الموروث الروائي أققاً تأويلياً

## دراسة في تأويل الحديث النبوي الشريف عند الأملي

م.د. موفق مجيد ليلو

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

الحديث النبوي الشريف هو المصدر الثاني بعد كلام الله تعالى، وقد تميز بأسلوبه السهل الممتنع، فهو دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، ومع ان نصوص الحديث النبوي بينة لا تحتاج الى تأويلات الا اننا نمر على قراءة بعض المفسرين والاعلام ممن يقرأ النص قراءات متعددة دون ان تتعارض، وهذا ما نجده في القراءة الأملية للنص الروائي.

ويمثل السيد حيدر الأملي<sup>1</sup> الحلقة المفقودة بين مدرستي ابن عربي وصدر الدين الشيرازي، فهو - أي الأملي - كان تلميذا لصدر الدين القونوي وعنه اخذ علومه وكان القونوي ربيبا وتلميذا لابن عربي، ومن ثم فان تأثير ابن عربي ونظرياته وبصماته تبدو جلية في كتابات الأملي. من هنا كانت تأويلات الأملي تمثل منعطفاً مهما في التأويل العرفاني فهي تركز على ابداعات ابن عربي وتضفي عليها شيئاً من عقيدة الأملي (الاثني عشرية).

تأتي هذه الدراسة لترصد بعض التأويلات للموروث الروائي عند السيد حيدر الأملي (٧٨٧هـ)، بعد ان توضح مفهوم التأويل في اللغة والاصطلاح، ثم مفهوم التأويل في القرآن الكريم، وتتجه بعد ذلك لبيان الأسس العامة للتأويل في الموروث الروائي انطلاقاً من رواية المعصوم، ثم أمثلة من التأويلات التي قدمها الأملي في تفسيره المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم. وهي تأويلات تحلق في عالم المعنى والرمز دون ان تتسلخ من بيئتها اللغوية. وهو

يختلف عن التأويل بالمفهوم القرآني أو العرفاني الذي يرى انه من مقولة الوجود الخارجي، إذ تستلهم أفكار ابن عربي. وكان الأملّي حلقة الوصل بين ابن عربي وصدر المتألهين، واستوت عند الأخير كنظرية متكاملة تنازع الاشرافية والمشائية، وقد جسدها نظرياً وعملياً في تفسيره.

من هنا استدعى الأمر ان تمهد هذه القراءة لمفهوم التأويل اللغوي والاصطلاحي والقرآني، ثم عرجت على تأويلات الموروث الروائي للأملّي وتوجيهها دون ان يخل بالقوانين اللغوية ودلالات الألفاظ.

### المبحث الأول: التأويل - دراسة في المفهوم

#### توطئة لغوية

تذكر المعجمات معانٍ متقاربة لمعنى التأويل تدور حول: «ابتداء الأمر، وانتهائه... ومن هذا الباب تأويل الكلام، وهو عاقبته وما يؤولُ إليه، وذلك قوله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ} [الأعراف: ٥٣]، يقول: ما يؤولُ إليه في وقت بعثهم ونشورهم»<sup>(٢)</sup>. ومن ذلك ما جاء في المفردات: «التأويل من الأوّل، أي: الرجوع إلى الأصل، ومنه: الموثل للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علماً كان أو فعلاً... قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: ٥٣] أي بيانه الذي غايته المقصودة منه. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، قيل أحسن معنى وترجمة، وقيل: أحسن ثواباً في الآخرة»<sup>(٣)</sup>. ومنهم من يجعله مرادفاً للتفسير<sup>(٤)</sup>، ويقترّب الفيروزآبادي من المعاني السابقة: «ألّ إليه أولاً ومآلاً: رجع، وعنه: ارتد... وأوّل الكلم تأويلاً وتأوله: دبره وقدره وفسره، والتأويل عبارة الرؤيا»<sup>(٥)</sup>. ويذكر الشيخ مصطفوي «أنّ الأصل الواحد في هذه المادة هو التقدم بحيث يترتب عليه آخر، والتأويل: جعل الشيء متقدماً حتى يترتب عليه غيره، وهو أعمّ من المادي والمعنوي، ويؤيد هذا المعنى

استعماله في قبال الأخر- هو الأول والآخر، وهذا المعنى منظور في جميع مشتقاتها- الأول، الأولى، الأولين، التأويل - في القرآن الكريم»<sup>(٦)</sup>.

### التأويل في المفهوم القرآني

وردت لفظة (تأويل) في القرآن الكريم في (سبعة عشر موضعاً)<sup>(٧)</sup>، وأهم معانيه في القرآن الكريم ثلاثة: (تأويل المتشابه، أي توجيهه بحيث يصح ويقبله العقل والنقل، وتعبير الرؤيا، ومآل الأمر وعاقبته)<sup>(٨)</sup>. ويرى بعضهم أنه يكون من قبيل (الأمور الخارجية) فهو «عبارة عن حقيقة خارجية لها واقع يستند إليها البيان القرآني سواء أكان حكماً أو موعظة وحكمة»<sup>(٩)</sup>. وكل ما جاء من لفظ التأويل في القرآن الكريم فهو من قبيل الحقيقة الخارجية، فقصة موسى والخضر (ع) وسورة يوسف (ع)<sup>(١٠)</sup> بمعنى رجوعها إلى حقائق خارجية مختزلة في عوالم الرؤى. ومثله يقال في آيات القيامة<sup>١١</sup>. فكلّ القرآن له تأويل، وليس المتشابه فقط، وهذا التأويل يعلمه الله ومن يأذن له الله سبحانه من المطهّرين. وهم غير الراسخين في العلم الذين ذكرتهم الآية وبين المفهومين عموم وخصوص، فكل مطهّر راسخ ولا عكس<sup>(١٢)</sup>. وأمّا التأويل بمعنى (صرف الكلام عن ظاهره) فلم يرد في القرآن، بل «لا يصح للمفسر أن يفسر القرآن به. ولم نجد في القرآن آية يلزمنا العقل والنقل إلى صرفها عن ظهورها المستقر الثابت، وأمّا الظهور البدائي فليس ظهوراً له قيمة حتى يعد العدول عنه صرفاً للظاهر عن ظاهره»<sup>(١٣)</sup>. وقد يأتي في مقابل التنزيل، أي «تحريّ المصداق المماثل للمصداق الموجود في عصر الوحي»<sup>(١٤)</sup>، وقد أشارت إليه الروايات فمن ذلك، قول الرسول (ص) لعلي (ع): «تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله». وقوله (ص): «أنا أقاتل على التنزيل، وعلي يقاتل على التأويل»<sup>(١٥)</sup>. وعن الصادق (ع) في تفسير البطن والظهر في القرآن: «ظهره

تنزيله، ويطنه تأويله، منه ما مضى، ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما تجري الشمس والقمر»<sup>(١٦)</sup>.

### التأويل عند المفسرين

اهتم المفسرون بمفهوم التأويل، لارتباطه بالنص القرآني الذي يتسم بأنه «حمّالٌ ذو وجوه»<sup>(١٧)</sup>، تدور معاني التأويل عندهم حول: بيان المعنى الباطن (المحتمل)، والتفسير. وإنّ أوّل أثرٍ تفسيري اشتمل على لفظ (التأويل) هو (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) للطبري (٣١٠هـ). إذ يرى أنّ التأويل: هو اجتهاد المفسر في ترجيح المقصود من المعاني المختلفة التي يحملها اللفظ فكان إخباراً عن حقيقة المراد<sup>(١٨)</sup>، والتأويل هو التفسير والمرجع والمصير عند الطوسي (٤٦٠هـ)<sup>(١٩)</sup>. أمّا البغوي (٥١٦هـ) فيرى أنّ التأويل: «هو صرف الآية إلى معنى محتمل موافق لما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط»<sup>(٢٠)</sup>. ووجد الطبرسي (٥٤٨هـ) يذكر أكثر من معنى للتأويل مميّزا بينه وبين التفسير، فالتأويل عنده: «ردُّ احد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر،... انتهاء الشيء ومصيره وما يؤول إليه أمره»<sup>(٢١)</sup>، في حين يرى ابن كثير (٧٧٤هـ) أنّ التأويل هو تفسير الكلام، وبيان معناه سواء أوافق ظاهره أم خالفه<sup>(٢٢)</sup>، وهذا هو المعنى اللغوي للفظ التأويل. ويقدم الثعالبي (٨٧٥هـ) مفهوماً أقرب إلى التأويل، ويجعله من الأمور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أم مستقبلية، فإذا قيل: طلعت الشمس، فتأويل هذا هو طلوعها نفسه، وينسبه إلى ابن تيمية<sup>(٢٣)</sup>. ويرى السيوطي (٩١١هـ) أنّ التأويل: «هو تركُّ ظاهرٍ لدليل»<sup>(٢٤)</sup>.

وقد مر بنا معنى التأويل عند الطباطبائي وهو «الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية من حكم أو موعظة أو حكمة، وأنّه موجود لجميع الآيات القرآنية محكمها ومتشابهها، وأنّه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ، بل هو من

الأمر العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ، وإنما قيدها الله سبحانه بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب فهي كالأمثال تهذب ليقرب بها المقاصد وتوضح بحسب ما يناسب فهم السامع، كما قال تعالى: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمَّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّيَّ حَكِيمٌ﴾

[الزخرف: ٢-٤]»<sup>(٢٥)</sup>

وهذا المعنى يفهم من قوله في موضع آخر: «إنَّ المراد بتأويل الآية ليس مفهوماً من المفاهيم تدل عليه الآية سواء كان مخالفاً لظاهرها أم موافقاً، بل هو من قبيل الأمور الخارجية، ولا كل أمر خارجي، حتى يكون المصداق الخارجي للخبر تأويلاً له، بل أمر خارجي مخصوص، نسبته إلى الكلام نسبة الممثل إلى المثل، والباطن إلى الظاهر»<sup>(٢٦)</sup>، ويشير إلى أنَّ التأويل «عبارة عن حقيقة خارجية لها واقع يستند إليها البيان القرآني سواء أكان حكماً أو موعظة وحكمة»<sup>(٢٧)</sup>. ولهذا نراه يصرِّح بأنَّ «وراء ما نقرؤه ونعقله من القرآن أمراً هو من القرآن بمنزلة الروح من الجسد والممثل من المثال - وهو الذي يسميه تعالى بالكتاب الحكيم - وهو الذي تعتمد وتتكى عليه معارف القرآن المنزل ومضامينه، وليس من سنخ الألفاظ المفردة المقطعة ولا المعاني المدلول عليها بها، وهذا بعينه هو التأويل المذكور في الآيات المشتمة عليه لانطباق أوصافه و نعوته عليه. وبذلك يظهر حقيقة معنى التأويل، ويظهر سبب امتناع التأويل عن أن تمسَّه الأفهام العادية والنفوس غير المطهرة»<sup>(٢٨)</sup>.

وعلة ذلك - كما يرى السيد مصطفى الخميني - «أنَّ بعد المسائل الربوبية واصطعاب فهم البحوث الإلهية والمطالب الراجعة إلى ما وراء الطبيعة على الأفهام السوقية والعقول العادية، وشدة البينونة بين نطاق فلك الإلهيات بالمعنى الأخص والأعم، ونطاق فلك اللغات والتبادرات، تقتضي كون الألفاظ قاصرة عن الدلالة الوضعية اللغوية على تلك المعاني الأفاقية، فلا بدَّ أن يتشبت بأذيال الاستعارات

والكنايات والمجازات، لإفهام تلك الخيالات الراقية والمدارك الروحانية»<sup>(٢٩)</sup>. وأما السيد محمد باقر الصدر (قدس) فالتأويل عنده يجيء في القرآن الكريم «بمعنى ما يؤول إليه، ولهذا أضيف التأويل إلى الرد إلى الله والرسول تارة، وإلى الكتاب أخرى، وإلى الرؤيا، وإلى الوزن بالقسطاس، فتأويل الآيات المتشابهة ليس بمعنى بيان مدلولها وتفسير معانيها اللغوية، بل هو ما تؤول إليه تلك المعاني؛ لأن كل معنى عام حين يريد العقل أن يحدده ويجسده ويصوره في صورة معينة، فهذه الصورة المعينة هي تأويل ذلك المعنى»<sup>(٣٠)</sup>، أو بعبارة أوضح هو: «تفسير معنى اللفظ والبحث عن استيعاب ما يؤول إليه المفهوم العام ويتجسد به من صورة»<sup>(٣١)</sup>.

ومن كل ذلك يتضح إنَّ التأويل «لا يختص في الآيات المتشابهة، وإنَّما كل القرآن له تأويل سواء في ذلك محكمه ومتشابهه، والتأويل بعد ذلك ليس من قبيل المفاهيم والمعاني اللفظية بحيث تدل الألفاظ عليه، وإنَّما هو أمور عينية وحقائق متعالية سامية لا تحيطها الألفاظ المطبوعة بها»<sup>(٣٢)</sup>.

ويذهب الشيخ مكارم الشيرازي إلى أنَّ «الأقرب إلى الحقيقة هو أنَّ (التأويل) من (الأول) أي الرجوع إلى الأصل، وهو إيصال العمل أو الكلام إلى الهدف النهائي المراد منه. فإذا أقدم أحد على عمل ولم يكن هدفه من هذا العلم واضحاً، ثمَّ يتوضَّح ذلك في النهاية، فهذا هو التأويل»<sup>(٣٣)</sup>. ويقول في موضع آخر: «التأويل في أصل اللغة بمعنى إرجاع الشيء وعلى هذا فإنَّ كل عمل أو قول يصل إلى هدفه النهائي نقول عنه: أنَّ تأويله قد حان وقته، ولهذا يطلق على بيان الهدف الأصلي من إقدام معين، أو التفسير الواقعي لكلمة ما، أو تفسير وإعطاء نتيجة الرؤيا، أو تحقق فرضية في أرض الواقع، اسم التأويل»<sup>(٣٤)</sup>. والخلاصة أن الوجود الخارجي هو أحد المعاني المرادة من التأويل في القرآن الكريم، وهو ما يراه الأملي، والذي يرجحه الباحث في معنى التأويل.

## التأويل عند الفلاسفة

يتحدد مفهوم التأويل عند علماء اللاهوت في: تفسير الكتب المقدسة تفسيراً رمزياً أو مجازياً يكشف عن معانيها الخفية<sup>(٣٥)</sup>. فالتأويل عند الغزالي (٥٠٥هـ) فهو «عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر، ويشبه أن يكون كل تأويل صرفاً للفظ عن الحقيقة والمجاز»<sup>(٣٦)</sup>. ويرى ابن رشد (٥٩٥هـ) أن التأويل: «إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشيئه أو سببه أو لاحقة أو مقارنة أو غير ذلك من الأشياء التي عودت في تعريف أصناف الكلام المجازي»<sup>(٣٧)</sup>.

## التأويل عند اللغويين والنحاة

يرى الخليل (١٧٠هـ) أن التأويل هو: «نقل ظاهر اللفظ من وصفه إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ»<sup>(٣٨)</sup>، ويطالعنا أبو عبيدة (٢١٠هـ) في كتاب (مجاز القرآن) وهو يشير فيه إلى مفهوم التفسير والشرح والتأويل وليس المجاز بمعناه البلاغي<sup>(٣٩)</sup>.

ويأتي ابن قتيبة (٢٧٦هـ) مستعملاً لفظة التأويل في كتابيه (تأويل مشكل القرآن وتأويل مختلف الحديث)، وهي محاولة للجمع بين المعاني، ورفع التناقضات الظاهرية، مشيراً إلى وقوع المجاز في القرآن الكريم<sup>(٤٠)</sup>.

ويشير السيوطي (٩١١هـ) قائلاً: «إنما يسوغ إذا كانت الجادة على شيء ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتأول»<sup>(٤١)</sup>.

وأما التأويل في فقه اللغة فهو: «حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتمال له بدليل يعضده»<sup>(٤٢)</sup>، ولم تكن دراسة النحاة ووضع القواعد مستندة إلى

النص القرآني، بل عملوا على استقراء كلام العرب، ثم عرضوا كلامهم على القرآن، فوجدوا ما يخالف ذلك في قواعدهم، فلجأوا إلى التأويل والتقدير.

وتشيع لفظة التأويل في مؤلفات النحو المختلفة، وهي تدور في فلك حمل النص على غيره ظاهره لتصحيح المعنى أو الأصل النحوي، ويرى بعضهم أن التأويل والرد مترادفان<sup>(٤٣)</sup>، وقيل في معناه: «الأساليب المختلفة التي تهدف إلى إشباع صفة الاتساق على العلاقة بين النصوص والقواعد»<sup>(٤٤)</sup>. فالتأويل في النحو: «ردُّ الفعل أو غيره مما يسبق بموصول حرفي إلى مصدر يكون مبتدأ، أو فعلاً أو مفعولاً بحسب ما يقتضيه موقعه في الجملة»<sup>(٤٥)</sup>.

أما أسباب التأويل عند النحاة فهي: (تصحيح المعنى، والتفنن بالأوجه الإعرابية، والقراءات القرآنية)<sup>(٤٦)</sup>.

ويلجأ النحاة إلى التأويل؛ لأنه «وسيلة يذللون بها كل صعب لينسجم النص المروي وقواعدهم المقررة»<sup>(٤٧)</sup>. وقد رفض الدكتور الجواري التأويل وكناه بالتقدير، الذي هو احد مسميات التأويل قائلاً: «قد يكون غرضهم في التقدير محض توجيه القاعدة النحوية ومحض التزام الصناعة الكلامية، إلا انه على كل حال عبث بالنص وخروج عن المعنى الذي أريد به، وهو بعد ذلك تضييع لفنية الأسلوب لا يفتقر فيه التدرج بالالتزام القاعدة التي لم تستكمل أسباب قياسها بالاستقراء الشامل»<sup>(٤٨)</sup>. فالغرض من التأويل في النحو هو صرف القاعدة أو توجيهها بما يتلاءم مع قواعد النحو، وهو معنى يقترب من مراد أكثر المفسرين من لفظة التأويل التي تعني صرف الكلام عن ظاهره المشكل.

## التأويل عند البلاغيين والنقاد

تشير المصادر البلاغية القديمة إلى وجود مصطلحين متقاربين دلالةً هما التأويل والتأويل، فالتأويل: «هو صرف المعنى عن لفظه الحقيقي وتوجيهه»<sup>(٤٩)</sup>، وهذا هو المعنى الذي يقترب من مفهوم التأويل، وهو يتفاوت بين النصوص، ولاسيما في الصورة البيانية بمستوياتها المختلفة. ولذا قال عنه الجرجاني في حديثه عن التشبيه: «فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إليه ويعطي القيادة طوعاً حتى انه يكاد يداخل الضرب الأول الذي ليس من التأويل في شيء ومنه ما يحتاج فيه إلى قدر من التأويل، ومنه ما يدق ويغمض حتى تحتاج في استخراجة إلى فضل رويّة ولطف فكرة»<sup>(٥٠)</sup>. وهنا تتفاوت الأساليب بين الأدباء.

وأما التأويل فهو احتمال الكلام لأكثر من وجه، وكان يُعدُّ عيباً من عيوب الكلام؛ لأن القدماء كانوا يرون أن البيان يتأتى من كون الكلام بريئاً من التعقيد، غنياً عن التأويل، فجماع البلاغة يكمن في معرفة السليم من المعتل، والفصل ما بين المضمن والمطلق، والفرق ما بين المشترك والمفرد، وما يحتمل التأويل من المنصوص المقيد<sup>(٥١)</sup>.

ويبدو أنّ المصطلح الأول يُعدُّ حقيقةً ممدوحةً للتشبيه في حين عدّ التأويل عيباً من عيوب البيان؛ لأنّ البيان وضوح وظهور، مع الإشارة إلى أنّ المصطلحين يكادان يتحدّان مفهوماً، والتأويل هو المقصود في الأدب، هو ما يسمى بـ(التأويل)، أمّا تعريف التأويل السابق، فهو تعريف للنصّ أو الخطاب المحتمل وليس للممارسة التأويلية، إذ هو احتمال الكلام لأكثر من وجه.

## التأويل عند الأصوليين

لم يكن اهتمام الأصوليين<sup>(٥٢)</sup> أقل شأنًا من غيرهم بالتأويل؛ لأنه الوسيلة الى بيان مراد الشارع من خلال صرف الكلام عن الظاهر إلى معنى محتمل آخر لدليل يرجح هذا المعنى المحتمل، وتجاوز ما ظاهره التناقض، ووضع القواعد لاستنباط الحكم الشرعي بعيدا عمّا يوهم به المجاز والكناية.

إلا أنّ مفهومه لديهم تركّز حول (صرف اللفظ عن ظاهره)، وسيشير البحث إلى أهم المعاني التي حملها مفهوم التأويل لديهم:

نجد ابن حزم (٤٥٦هـ) يفسره بأنّه: «نقل اللفظ عما اقتضاه، وبما وضع له في اللغة إلى معنى آخر»<sup>(٥٣)</sup>.

وعرّف السرخسي (٤٩٠هـ) المؤوّل قائلاً: «تبيين بعض ما يحتمل المشترك<sup>(٥٤)</sup> بغالب الرأي والاجتهاد»<sup>(٥٥)</sup>، ويشير الغزالي (٥٠٥هـ) إلى أنّ ليس «كل تأويل مقبولاً بوسيلة كل دليل بل ذلك يختلف ولا يدخل تحت ضابط»<sup>(٥٦)</sup>.

ويشير ابن الأثير الجزري (٦٠٦هـ) إلى أنّ التأويل هو: «نقل ظاهر اللفظ من وصفه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ»<sup>(٥٧)</sup>.

وعرّفه غيره باختلاف يسير بأنّه: «ما ترجح من المشترك بعض وجوهه بغالب الرأي»<sup>(٥٨)</sup>. في حين يفسر الآمدي (٦٣١هـ) التأويل على أنّه: «حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه في احتمال له بدليل يعضده»<sup>(٥٩)</sup>. ويرى العلامة الحلبي (٧٢٦هـ) أنّ التأويل هو «احتمال يعضده دليل يصير به اغلب على الظن من الذي دل عليه الظاهر»<sup>(٦٠)</sup>، ومع هذا الاختلاف في تحديد المفهوم إلا أنّهم اتفقوا على شروط لقبول التأويل وهي:

١. أن يكون التأويل موافقاً لوضع اللغة أو عرف الاستعمال ومقصد الشارع.
٢. أن يكون دليلاً على أنّ ما انصرف إليه اللفظ هو المعنى المراد مما يمكن حمله عليه.

٣. إذا كان التأويل بالقياس فلا بد أن يكون القياس جلياً لا خفياً<sup>(٦١)</sup>.  
وزبدة القول أن التأويل عند الأصوليين يقف في مقابل الحقيقة، فيدخل في ذلك  
المجاز- وهو أوضح مصاديقه- والمشترك اللفظي.

### ضوابط التأويل

أما التأويل بمعنى صرف النص عن ظاهره لقرينة فقد ذكر العلماء للتأويل  
الصحيح شروطاً وضوابط يجب مراعاتها لتعصم صاحبها عن الوقوع في مزالق  
التأويل، والابتعاد عن المقصود. ولذا فقد قيّدوا التأويل بضوابط أهمها:

١. موافقة المعهود من كلام العرب، يقول الشاطبي (٧٩٠هـ): «كل معنى مستتبط  
من القرآن غير جارٍ على اللسان العربي، فليس من علوم القرآن في شيء، لا  
مما يستفاد منه ولا مما يستفاد به، ومن ادعى فيه ذلك فهو في دعواه  
مبطل»<sup>(٦٢)</sup>.

٢. أهلية المتأول وامتلاكه لأدوات التأويل وتضلعه في العلوم التي تمكنه من  
استنتاج النص القرآني والوقوف على أسرارهِ.

٣. قوة الدليل المرجح، أي أن يقدم الدليل على ترجيح تأويلاته.

٤. وجود ضرورة تدعو إليه، وإلا يؤدي إلى مفسدة.

٥. أن يكون مجازه منضبطاً لا منفلتاً<sup>(٦٣)</sup>.

وهذه الضوابط هي للتأويل بمعناه الذي مر في التفسير وأصول الفقه والفلسفة  
والعقائد.

## المجاز وروح المعنى

يقصد بنظرية روح المعنى<sup>(١٤)</sup> أن اللفظ عندما وضع لمعنى، فإنه إما أن يراد منه خصوصية ما وضع له، فإذا نقل هذا الاستعمال إلى غيره فهو من المجاز، أو أن يكون الوضع على نحو الغرض الذي يتحقق منه لا على نحو الخصوصية لهذا الموجود الخارجي فقط، فلفظ (الميزان) مثلاً وضع لغرض الوزن وليس مخصوصاً بالماديات فقط، وإنما قد يستعمل في المجردات كما في ميزان الأعمال، أو يمكن القول أن ميزان كل شيء من جنسه، وهكذا في القلم واللوح والكرسي والكتاب والفرقان والعرش...

وفي ضوء تلك الرؤية تكون الألفاظ موضوعة لمفاهيم مجردة مشتركة، المناط والغاية فيها هو حقيقة المعنى وروحه، يقول الفيض الكاشاني: «إن لكل معنى من المعاني حقيقة وروحاً، وله صورة وقالب، وقد يتعدد الصور والقوالب لحقيقة واحدة، وإنما وضعت الألفاظ للحقائق والأرواح، ولوجودهما في القوالب تستعمل الألفاظ فيهما على الحقيقة لاتحاد ما بينهما»<sup>(١٥)</sup>.

ويشير صاحب الميزان إلى هذا المعنى قائلاً: «لما كان الاعتبار في استعمال الأسماء إنما هو بالأغراض التي وقعت التسمية لأجلها، أباح ذلك التوسع في إطلاق الأسماء على غير مسمياتها المعهودة في أوان الوضع»<sup>(١٦)</sup>.

وهذه الفكرة تتردد أيضاً عند الإمام الخميني الذي يرى: «إن الألفاظ موضوعة للمعاني العامة والحقائق المطلقة... بل يمكن أن يقال في بيان هذا المطلب: إن واضع اللغات، وإن لم يلاحظ في حين الوضع المعاني المطلقة المجردة، ولكن ما وضعت له الألفاظ في إزائه هو المعاني المجردة المطلقة»<sup>(١٧)</sup>.

ويؤكد ذلك أيضاً ما ذكره السيد كمال الحيدري من أن «اللفظ وإن كان موضوعاً في أصل اللغة لعام، لكنه قد يشتهر في بعض موارد ومصاديقه بحيث يصير حقيقة عرفية فيه، وسبب الأشتهار إما كثرة تداول ذلك الفرد، وإما عدم

الإطلاع على فرد آخر، فيستعمله أهل اللسان في ذلك الفرد حتى إذا استمر ولم يطلع على إطلاقه فرد آخر ظنَّ أنه موضوع لخصوص هذا الفرد دون غيره»<sup>(٦٨)</sup>.

ويؤكد أحد الباحثين على أهمية هذه النظرية في كونها تقدم مبادئ قيمة في التدبر القرآني وهي: «المبدأ الأول: ضرورة ابقاء الألفاظ على معانيها الظاهرية، وعدم اللجوء الى المجاز في كثير من الحالات، وان تحصيل الباطن يكون من خلال الظاهر، وعلى ضوء ذلك نتخلص من المجاز في مجالين أساسيين:

الأول: أسماء الله وصفاته. الثاني: تسبيح ونطق الموجودات...

المبدأ الثاني: ضرورة تخلص حقيقة المعاني من الأمور الزائدة، حتى لا ينصرف المعنى الى ما يستأنس به الذهن من الصور الحسية المألوفة، للوصول الى روح المعنى الحقيقي»<sup>(٦٩)</sup>.

وهذه النظرية لا تلغي القول بالمجاز، لأنها تنتظر الى وضع اللفظ للمعنى العام والحقيقة المطلقة، وكل ما يصح فيه هذا المعنى العام يمكن أن يُطلق عليه، فالكل من باب الحقائق، أما المجاز فهو يقوم على استعمال اللفظ في غير ما وضع له في اصل اللغة، أي أن هناك استعمالاً حقيقياً للفظ، واستعمالاً مجازياً، يقوم على نقل اللفظ عن حقيقته الى واستعماله في مورد آخر مع قرينة صارفة لهذا المعنى عن حقيقته، ولهذا يرى العرفاء أنَّ المجاز لا يُلجأ إليه إلا بعد استحالة حمل اللفظ على الحقيقة، يقول ابن عربي: «فإننا ننفي أن يكون في القرآن مجاز، بل في كلام العرب عند المحققين أهل الكشف والوجود، وأما من حيث النظر والاعتبار، فيجري مجرى العرب في كلامها من استعارات ومجاز بأدنى شبهة وأدنى صفة، ففي القرآن من هذا القليل كثير... وعلى هذا يفرق بين التفسير لأهل الكشف والوجود، فلا مجاز عندهم، وبين التفسير لأهل النظر والاعتبار بالأفكار، فهو على مجرى لسان العرب، فيكون فيه المجاز»<sup>(٧٠)</sup>، فابن عربي يؤمن بحقيقية المعنى ونفي المجاز عند أهل الحقيقة، وهو «يسلم بصحة كل مستويات المعنى في النص القرآني

على أساس أنها تنزلات مختلفة، أو مجالٍ لحقيقة واحدة هي الكلام الإلهي، في ظل هذه النظرة لابد أن تتعدد أبعاد المعنى في النص تبعاً لتعدد القراء ومستوياتهم في الفهم داخل إطار اللغة الواحدة»<sup>(٧١)</sup>.

### المبحث الثاني: قراءة تأويلية في بعض الأحاديث النبوية

#### اللغة والتأويل عند الأملي

توظف اللفظة عند الأملي بشكل يجعل منها علامة على معنى قد يبتعد بشكل كبير عن حقيقته اللغوية، وذلك أن اللغة عند العرفاء (تضييق) عن البوح بمكنونات عوالم (ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)، ولهذه فهي تقتقر إلى الرابطة بينهما، وتتبنى على القطيعة اللفظ والمعنى اللغوي.

فالعلاقة بينهما تقوم على تواضع العرفاء واصطلاحهم، وهي مختصة بهم، ولكن مع ذلك فإن العرفاء يوظفون اللغة بشكل رمزي، ويرى الدكتور نصر حامد أبو زيد أن تجربة العرفاء تشترك مع التجربة النبوية - حسب رؤية المتصوفة- وهو ما يفضي بطبيعة الحال إلى نوع من الموازة بين التجريبتين والتشابه في بعض الأوجه كالبنية اللغوية، «ويمثل التفسير الصوفي للقرآن الكريم مجال التقاء التجريبتين: فمهمة التفسير (كشف المعنى) الخفي الذي تمت صياغته في اللغة الإنسانية بكل ما تعانیه من قصور في التعبير عن المطلق والمتعالي... يسعى الصوفي في مجال تفسير القرآن إلى شرح الغامض وإظهار الباطن في حين يبدو في تعبيره عن تجربته العرفاء ساعياً إلى الستر والإخفاء والغموض»<sup>(٧٢)</sup>.

وإذا كانت اللغة تضييق عن حمل التجربة العرفاء؛ لأنه وعلى حد تعبير النَّفري: «كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة»<sup>(٧٣)</sup>، فإن العارف يعيش في تفسيره حالة من التضاد بين الظاهر والباطن، البوح بالمكنون والستر عن الخلائق، الكشف والستر فهو يغمض في العبارة لأسباب وقائية وأخرى لغوية، إذ أن «مأزق الصوفي أن

معرفته أوسع من لغته من جهة، وأنه من جهة أخرى لا يريد أن يصطدم بالعالم الذي ليس على استعداد لفهم الحقائق التي يعرفها هو»<sup>(٧٤)</sup>.

وهذه الرؤية العرفانية تتناسب مع الرؤية القرآنية التي استطاعت أن تنزل المجرّد من سمائه إلى أرض المحسوس، فاستعملت ألفاظاً مأنوسة للمخاطب لإيصال رسالتها. وقد سار العرفاء على هذا المنوال في التعبير عن أحوالهم ومواجدهم ومكاشفاتهم التي لا تتحملها الألفاظ ولا تحيط بها العبارات.

وعلى الرغم مما عُرف عن العرفاء من ضيق اللغة عن حمل التجربة العرفاء والمكاشفات الذوقية، إلا أنّ اللغة تبقى هي الميدان الفسيح لنقل تجاربهم وأفكارهم، وفي الوقت الذي يختفي فيه العارف وراء الألفاظ بغية الحفاظ على أسرارهِ كي لا ينالها غير أهلها، وحفاظاً على نفسه من جهة أخرى من أهل الظاهر وعلماء الرسوم، نجده يصرح أحياناً بما يطفح على هذه النفس من رشحات لا يتحملها فيبوح بها، وقد يباح دمه لأجلها<sup>(٧٥)</sup>، وليس غريباً أن يختفي العارف وراء نصّه، فهو يعيش حالة من الظهور الخفي، والخفاء الجلي، يسعى من خلالها إلى الانعزال وإيصال التجربة الذاتية في آن واحد. ونجد الأملي يوظف اللغة بكل إمكاناتها في تأويل النص منطلقاً من المعنى المعجمي للفظة، على الرغم من أن الاصطلاح الصوفي يقوم على علاقة التواضع والاصطلاح عند أرباب العرفاء بين اللغة والمعنى بحيث يصل أحياناً إلى حد القطيعة أو التضاد.

ولا تختلف نظرة الأملي كثيراً عن العرفاء في ذلك، فهو يتبنّى أفكار ابن عربي ومن سار على نهجه، إذ يرى أنّ المجاز من مقولة الظاهر وتفسيره، فهو تفسير ظاهر أيضاً، فهو لا ينكر الظاهر، ولكنه يؤمن بتعدد مراتب الحقيقة وكونها وجوهاً لحقيقة واحدة، فمثلاً (اليد) التي تدل على القدرة والسيطرة أو القوة هي تفسير ظاهر، لا يمتُّ إلى التأويل بصلة، بل هو المرتبة الظاهرة والوجود المفهوم من النص، في حين تدور فكرة التأويل حول التماثل والوجود الحقيقي والظلي، ولذا نراه

يشير إلى أن المجاز من مقولة الظاهر يؤتى به «تنزيهاً للحق من النقائص، وتقديساً له من العيوب اللازمة للإمكان والحدوث»<sup>(٧٦)</sup>. فالمقصود على سبيل المثال من قوله تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ} [الفجر: ٢٢]: «جاء أمر ربك، فيكون تقديره: وجاء ثواب ربك، والملائكة صفاً صفاً، والوجهان وجيهان، وليس فيهما شيء من المفساد، مع أن هذا على طريق أهل الظاهر وأرباب الأصول»<sup>(٧٧)</sup>.

فأكثر ما في القرآن - في ضوء هذه الرؤية - هو من باب الحقائق التي تتجلى بمراتب مختلفة تبعاً للقابل (المتلقي) الذي يتفاوت علماً وتقوى، أو قل: تنوع النص بتنوع القارئ في علاقة جدلية، مع بقاء باب التكامل والاستزادة مفتوحاً لكل من يريد أن يلج هذا الباب بشرط التقوى، ومعنى ذلك أن النص سيبقى مفتوحاً متلوناً بتلون منازل السالك وأحواله، فكل ما في القرآن حقائق، ولكن بدرجات متفاوتة، فهي حقائق على نحو التشكيك من جهة، وتجليات للحقيقة الكبرى (الذات الإلهية) من جهة أخرى، وليس هناك تنافٍ بين الفكرتين؛ لأن كل ما في الوجود هو انعكاس وتجلٍ لصورة الحق.

وفي ضوء هذا الفهم يقف الأملي من مفاهيم الشيطان والشر والسوء وامثالها بوصفها تجليات للأسماء الحسنى التي يدار الكون بها، وربما كان التجلي بالاسم الرحمن أو المنتقم أو الجبار أو الضار وغيرها، وما ذكر من الموجودات كالشيطان والشر وغيرها فهي تجليات لهذه الأسماء الجلالية فهو سبحانه المضل ومظهره الشيطان والشياطين، أي ان الله سبحانه يسلط الشيطان على المستحقين للضلال، وكذلك الضار والمميت والمنتقم ولها مظاهرها الخارجية ووجوداتها الحقيقية. يقول الأملي: «وأيضاً إذا تقرر أن العالم بأسره مظهر أسماء الله تعالى وصفاته، وكما كان آدم مظهر أسماء الهادي، يكون إبليس مظهر اسمه المضل، وكما كان موسى مظهر اسمه النافع يكون فرعون مظهر اسمه الضار وكذلك جميع الموجودات غيرهم من الحيوانات والنباتات والجمادات، حتى النملة والبقعة»<sup>(٧٨)</sup>. ويؤكد هذا

المعنى من خلال قوله في موضع آخر: «لأنَّ الاسماء الجلالية لابدَّ لها من مظاهر، والاسماء الجمالية كذلك، فهذان المظهران لابدَّ لهما من تقابل كآدم وابلis وموسى وفرعون وإبراهيم ونمرود ومحمد (ص) وأبي جهل وعلي (ع) ومعاوية والحسين (ع) ويزيد والمهدي والدجال»<sup>(٧٩)</sup>.

### تأويل الحديث النبوي عند الأملي

لا يقتصر التأويل على القرآن الكريم فقط<sup>(٨٠)</sup>، بل يشمل الموروث الروائي أيضاً، وهذا الأمر ليس من مختصات الأملي، فقد ألفت الكتب في هذا الموضوع- وإن اختلف التسميات- كالمجازات النبوية، وغريب الحديث، وتأويل مختلف الحديث وغيرها، إلا أنَّ الطابع العام لهذه الكتب كان البحث في غريب اللغة أو مجازاتها، دون الارتقاء بها إلى عوالم التأويل الأخرى التي أشار إليها العرفاء، ولذا فإنَّ الجديد في تأويلات الأملي انطلاقه من مسألة تعدد البطون للنص، وبالمعنى نفسه المقصود في المتشابه القرآني، وهي فكرة تتأسس على منطلقات وأسس في الموروث الروائي للإمامية، إذ ورد عن الأئمة (ع): «إنَّ في أخبارنا متشابهها كمتشابه القرآن، ومحكما كمحكم القرآن، فردُّوا متشابهها إلى محكمها، ولا تتبعوا متشابهها فتضلوا»<sup>(٨١)</sup>.

والأملي على الرغم من تأكيده بأنَّ القرآن الكريم هو ميدان التأويل الأوحد، إلا أنَّه يؤول كثيراً من الروايات في تفسيره، بل يؤول حتى الأحاديث غير المتفق عليها بين جمهور المسلمين، فهو يوسِّع دائرة التأويل ضمناً لتشمل الرواية، ومن صور تأويلاته للروايات:

١. الحديث عن النبي (ص): «إنَّ للقران ظهراً وبتناً، ولبتنه بتناً، إلى سبعة أبطن»<sup>(٨٢)</sup>.

يمثل هذا الحديث أساً من أسس النظرية العرفانية في التأويل؛ لأنّ تعدد المعاني الطولية في القرآن تحقق تعدد القراءات، وهي البطون المشار إليها في الرواية، ويشير الأملي إلى تأويلات المفسرين من أهل الظاهر والباطن، فمن تأويلات أهل الظاهر أنّ المراد من السبعة:

أ. القراءات السبع.

ب. العلوم السبع اللغة والنحو والصرف والمعاني والبيان والأصول والفروع.

ج. سبعة معان، أو سبعة علوم، وقالوا أيضاً: كما يمكن حصول هذه السبعة في آية واحدة من القرآن، يمكن حصول هذه السبعة من العلوم في شخص واحد من العلماء.

د. إنّ القرآن له بحسب الإجمال سبعة معان تطبيقاً بطبقات العالم والخلق، لكن بحسب التفصيل له معان غير متناهية، وهذا ليس ببعيد، فإنه قريب إلى الحق. وأما أهل الباطن وأرباب الطريقة المخصوصون بالتأويل:

١. أنّ لكل كلمة من كلمات القرآن سبعة معان على حسب استعداد كل طائفة من الطوائف السبع، ثلثاً يقع الإخلال بالواجب من الله تعالى بالنسبة إلى طائفة منهم.

٢. العلوم السبعة الإلهية المعلومة لأهلها التي هي: علم التوحيد والتجريد والفناء والبقاء، وعلم الذات والصفات والأفعال، وعلم النبوة والرسالة والولاية، وعلم الوحي والإلهام والكشف، وعلم المبدأ والمعاد والحشر والنشر، وعلم الأخلاق والسياسة والتهديب والتأديب، وعلم الآفاق والأنفس والتطبيق بينهما، فإنه أعظم العلوم وأشرفها، وهذا حظهم من القرآن ونصيبيهم منه، ونعم الحظ ونعم النصيب، ﴿وَمَا يُقَافَاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا، وَمَا يُقَافَاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

٣. الطوائف السبع المذكورة في القرآن: من المسلمين، والمؤمنين، والموقنين، وذوي العقول، وأولي الألباب، وأولى النهي، والراسخين في العلم، وإن كان هناك كل الطوائف المذكورة راجعة إلى هذه الطوائف السبع، وفي مقابلها سبعة أخر من الأشقياء.

ولابدّ من الإشارة إلى أن فهم كل طائفة لها ما للأدنى وزيادة، لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦]. ويرى الأملي أن ذلك هو السبب في كون أبواب الجحيم سبعة، والجنة ثمانية؛ لأنّ السبعة من السعداء بازاء سبعة من الأشقياء بحكم التطابق الأسمائي، والترتيب الوجودي، والمرتبة الثامنة تبقى للعارفين الراسخين الذين هم من أهل تلك الزيادة<sup>(٨٣)</sup>.

والملاحظ على هذا التقسيم أنه ادخل الراسخين أولاً ضمن الطوائف السبعة، ثم أخرجها وجعلها ثامنة، وهو خلل منهجي واضح في التقسيم، راعى فيه الأملي الأبواب الثمانية للجنة دون الالتفات إلى الأقسام السبعة السابقة.

والذي يفهم من الرواية أنّ للقرآن بطوناً، أي معاني كثيرة لا متناهية، لكنها غير متعارضة، بل طولية بعضها في باطن الأخر، وأمّا السبعة فإنّ لها سبعة أبطن إلى سبعين بطناً، وهو من باب المبالغة والكثرة لا من باب الحصر جرياً على عادة العرب في الكلام وسننهم في اللغة، وهو ما لا يرضاه الأملي، فالعدد مقصود بالتحديد عند الأملي وليس للمبالغة، وهو ما اتضح من خلال مطابقته بين الطوائف السبعة للسعداء والأخرى للأشقياء.

٢. الحديث الشريف: «اختلاف أمّي رحمة»<sup>(٨٤)</sup>.

ورد في معنى هذه الرواية أنّ المراد من الاختلاف (التردد على المساجد)، وقيل: الاختلاف على العلماء، وقد تناقلت بعض كتب الحديث هذه الرواية، وشكك بعضهم فيها، فعن عبد المؤمن الأنصاري قال: «قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إنّ قوماً يروون: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: اختلاف أمّي رحمة،

فقال: صدقوا، فقلت: إن كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب؟ قال: ليس حيث تذهب وذهبوا، إنما أراد قول الله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فيتعلموا، ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم، إنما أراد اختلافهم من البلدان، لا اختلافاً في دين الله، إنما الدين واحد، إنما الدين واحد»<sup>(٨٥)</sup>.

وأما الأملي فلدیه توجيه آخر للنص، إذ يرى أن الاختلاف هو بمعناه الحقيقي المتبادر إلى الذهن لأول وهلة، ولكنه اختلاف بناء وليس هدأما، أو على حد تعبيره: «اختلاف أمّي في القرآن من حيث استخراج المعاني والحقائق، واستنباط اللطائف والدقائق، وتطابق المتشابهات بالمحكمات، ورجوع التفسير إلى التأويل، والتأويل إلى التحقيق بالنسبة إلى كلّ زمان مشخّص وإلى كلّ رأي واعتقاد، رحمة نازلة من الله فيهم لقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ (بإنزال القرآن عليكم) ما زكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]»<sup>(٨٦)</sup>، فهو اختلاف في التأويل والفهم، لاختلاف الناس في درجاتهم ومراتبهم في الفهم، وهذا الاختلاف مظهر من مظاهر الرحمة، إلا أن الأملي حدّد مجالات هذا الاختلاف، ولم يجعله مطلقاً في جميع المواقف، فموارد الاختلاف عنده تنحصر بالقرآن فقط، وبوجوه مخصوصة هي:

١. استخراج المعاني والحقائق.
٢. استنباط اللطائف والدقائق.
٣. تطابق المتشابهات بالمحكمات.
٤. رجوع التفسير إلى التأويل.
٥. رجوع التأويل إلى التحقيق، بالنسبة إلى كلّ زمان مشخّص وإلى كلّ رأي واعتقاد.

والجامع بين كل هذه الوجوه هو التأويل، فالاختلاف المقصود من الرواية- كما يرى الأملّي- هو الاختلاف في التأويل؛ لأنّ ذلك مصدر للشراء والتعدد.

٣. في الحديث الشريف: «الفقر سوادُ الوجهِ في الدارينِ»<sup>(٨٧)</sup>.

كثيراً ما يشار إلى هذا الحديث من جهته الصورية أو المعنى الظاهر للنص، إلا أنّ للأملّي نظرةً مغايرةً وإيجابيةً في الوقت ذاته، إذ يرى أنّ المقصود من الفقر هنا من «فناؤه عن وجوده ورجوعها إلى عدمه الأصل، وسقوط وجوده عن درجة الاعتبار بالكلي؛ لأنّ الاحتياج من لوازم الوجود، وليس له وجود، فلا يحتاج إلى شيء، ولا يحتاج إليه شيء؛ لأنّه عدم صرف، ولا شيء محض، ولا يحتاج احد إلى العدم أصلاً... وإشارة سيد المرسلين (صلوات الله عليه واله وسلم) في قوله... كناية عن هذا المقام؛ لأنّ وجه الشيء ذاته ووجوده، وسواده عبارة عن فناؤه وزواله؛ لأنّ فناء وعدم يسمى ظلمة وسواداً، وكل وجود وبقاء يسمى نوراً وضياءً، فكمال الفقر لا يكون إلا في إفناء السالك والفقير نفسه ووجوده في الدارين، أي دار الدنيا ودار الآخرة، أو ظاهر العالم وباطنه، أو عالم الغيب والشهادة»<sup>(٨٨)</sup>.

ودليل ذلك عند الأملّي هو افتخار الرسول الأكرم (ص) بالفقر، وليس المراد منه الفقر الصوري، وإلا فإنّ هناك الكثير من الفقراء في مكة أو المدينة وغيرهما. وهذا الرأي لا يخلو من غرابة، إلا أنّ فيه قراءة جديدة للنص يمكن قبولها فيما لو نظرنا إلى الموروث الروائي عموماً، والذي يصف الفقراء بأنهم أهل الله أو أنّهم يدخلون الجنة بغير حساب، فكيف يمكن أن نتصور أنّ الفقر سواد للوجه في الدارين؟ يبدو أنّه خرج بالنص إلى مستوى أعلى من القراءة الظاهرة، فاستطاع من خلال توظيف الكناية في لفظتي (وجه، سواد) الوصول إلى معنى أعمق، وهو معنى يقرب القراءة الظاهرة ويعكسها، وينتقي التعارض المتوهم بين الأخبار التي تدم الفقر والتي تثني على الفقر وتمدحه<sup>(٨٩)</sup>.

٤. ومنه قوله (ص): «حُبَّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ: الطَّيِّبُ، وَالنِّسَاءُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»<sup>(٩٠)</sup>.

ليست تلك الخصال الثلاثة سوى رموز لرعاية الشريعة والطريقة والحقيقة مع إمكان إرادة المعنى الظاهر، ولكن المعنى الباطن أكثر قرباً كما يرى الآملي، بل هو المراد الحقيقي قال: «والمراد رعاية المراتب الثلاث؛ لأنَّ الأول: إشارة إلى القيام بالشريعة علماً وعملاً وطيب الأخلاق وتهذيبها قوةً وفعلاً، والثاني: القيام بالطريقة ذوقاً ووجداناً الذي هو إمّا محبة نساء النفس؛ لإخراج ذرية المعاني والحقايق عنها بالفعل... أو محبة النساء الخارجة؛ لإخراج الذرية الصورية الذي هو السعي والاجتهاد في إبراز المعدومات إلى الوجود، والثالث: القيام بالصلاة الحقيقية التي هي مشاهدة المحبوب وقرّة العين بها»<sup>(٩١)</sup>.

والذي يلفت الانتباه أنّ الآملي يستثمر كل تحوّل دلالي في المعنى، أو اتساع يمكن أن يوظف لخدمة الفكرة التي يعتقها، ليتخلّص بذلك من القطيعة بين المعنى الظاهر والباطن، فالطيب طيب الأخلاق، والتعامل قولاً وعملاً، ومحبة النساء ينسحب على الباطن أيضاً ليمثل نساء النفس التي (ينجب) منها المعاني والحقايق، أو يستخرج منها الأسرار والقدرات المكنونة فيها، والصلاة معراج المؤمن ولحظة اللقاء بالمحبوب وهي غاية المنى.

٥. رواية إنَّ الربَّ «يَتَجلَّى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنْ الَّتِي رَأَوْه فِيهَا»<sup>(٩٢)</sup>.

تشير الرواية إلى تجلي الذات الإلهية في صورة معروفة، وقد كانت منكرة لديهم وهو شبيه بادراك النائم في المنام، وهو إدراك بعين الخيال؛ لأنَّه سبحانه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، والإدراك المتحقق هنا هو الإدراك بعينه سبحانه فلا يدركه سواه وبعينه سبحانه يراه كما في خبر قرب النوافل.

٦. في الحديث الشريف: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ فِي ظِلْمَةٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نوره، فَمِنْ أَصَابِهِ ذَلِكَ النور اهتدى، وَمِنْ أخطأه ضل»<sup>(٩٣)</sup>.

يشير الأملي في تأويله لتلك الرواية إلى أن الظلمة هي ظلمة العدم لا ظلمة الليل أو المكان، وهي أعظم الظلمات، والنور هو الوجود، وهذا الوجود هو الحق سبحانه؛ لأنه لا موجود حقيقي سواه وما عداه فمحض افتقار وليس له وجود حقيقي، والظلمة عند العرفاء تطلق «على كل نقص بالنسبة إلى ما يعلوه مما هو كمال بالنسبة إليه، فالظلمة بالحقيقة على هذا إنما هي الكفر»<sup>(٩٤)</sup>.

٧. في الحديث الشريف: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»<sup>(٩٥)</sup>.

يفسر العلماء الحديث ظاهراً على أن الإنسان مسؤول عن رعيته، فالإمام والرجل والابن والمرأة كلهم رعاة ورعايا في الوقت نفسه كما يظهر من تتمّة الرواية إلا أن الأملي يقتطع هذا النص فقط من سياقه ليسبغ عليه معنى آخر تتحول فيه الجوارح إلى رعايا، يُسأل عنها الإنسان وهو المحاسب على قواه وحواسه، فيصف الحواس بأنها: «رعايا الشخص وأعوانه وأفعاله وأقواله وتحصيل كمالاته»<sup>(٩٦)</sup>، ورعايتها تكون باستعمالها في ما خلقت له في طاعة الله تعالى وهو عين العدل؛ لأنه وضع الشيء في موضعه والظلم عكسه، وهذا المعنى وإن كان وجيهاً لا يتعارض مع الظاهر إلا أنه يبدو غريباً عن سياقه، وهي سمة من سمات التأويل عند الأملي للنص القرآني والروائي. وهكذا في أكثر الروايات الواردة في تفسير الأملي، فإنها تخرج عن ظاهرها لتؤول تأويلاً باطنياً مقتطعاً من النص أو مستلباً من سياقه ليتفق مع تأويلاته<sup>(٩٧)</sup>.

٨. من ذلك الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق»<sup>(٩٨)</sup>.

يخصّص الأملي هذه الرواية في المحبين دون غيرهم وإن كان شاملاً للخلق اجمعهم؛ لأن الغاية من الخلق كما يرى العلماء أن يعرفوا الله وهذا ما تشير إليه

الآيات والروايات ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فالمعرفة هي علة الخلق، ولكن العلة عند الأملي أعمق من ذلك وهي تتعلق بالمحبين فقط، ومعنى الرواية «كنت مخفياً عن أعين المحبوبين، فأردت أن أظهر في أعين المحبين فافتحت عن بصيرتهم حتى شاهدوني على الوجه المذكور وظهر سر قلبي فيه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٤]»<sup>(٩٩)</sup>.

٩. ورد في الحديث القدسي: «جذبةٌ من جذباتِ الحقِّ توازي عملَ الثقلين»<sup>(١٠٠)</sup>.

يشير العرفاء إلى أن مصطلح الجذبة يعني «العناية الإلهية الجاذبة للعبد إلى عين القرب بتهيئته تعالى له كل ما يحتاج إليه في مجاوزته لمنازل السير إلى ربه ومقامات القرب منه من غير مشقة ومجاهدة... إنَّ الله تعالى عباداً يريهم في بداياتهم ما في نهايتهم»<sup>(١٠١)</sup>، ويتضح من هذا الحديث أن جذبة من الجذبات يمكن أن يحصل منها على ما لا يحصل من عبادة الثقلين وهي أربعة أنواع كما يحددها (مجنوب غير سالك، وسالك غير مجنوب، وسالك مجنوب، ومجنوب سالك)<sup>(١٠٢)</sup>، وهذا القسم الأول نوع من الهبة التي يمنحها الحق لمن يرى له استعداداً من عباده عن طريق جذبة بدعوة أو بإشارة أو بقهر أو بضرب مثل أو بقصة أو الهام.

١٠. في الحديث القدسي: «الصوم لي وأنا أجزي به»<sup>(١٠٣)</sup>.

ليس الجزاء - كما يرى الأملي - إلا رؤية الحق في مظاهر الآفاقية والأنفسية، وكأنَّ الأملي أعاد قراءة الرواية ببناء الفعل للمجهول (أجزي به) فجزاء الصائم في الحقيقة هو الله تعالى، وهذا لا يكون إلا لصاحب النفس المطمئنة<sup>(١٠٤)</sup>. وهو تأويل أعلى من المعنى الظاهر ووجه وجيه في مقامه؛ لأنَّ الصوم فيه من الإخلاص والخفاء ما لا يظهر للعيان.

## الخاتمة

- يمكن ان نجمل أهم النتائج التي قدمتها هذه الدراسة بالآتي:
١. ان مفهوم التأويل القرآني يختلف عن المفهوم المتداول للتأويل والذي يعني الوجوه المحتملة لقراءة النص او تعدد المعاني واحتمال النص لها فيما يأتي التأويل في القران الكريم للدلالة على التحقق والوقوع خارجا.
  ٢. الموروث الروائي يخضع لفكرة المحكم والمتشابه التي أشار إليها أهل البيت (ع) فهو يحتوي على روايات أصول وأخرى فروع يمكن الرجوع فيها إلى الأصول، وهذا يستدعي تأويلها وقراءتها قراءة صحيحة في ضوء المعايير التي ذكرت وأهما عدم التعارض مع النص القرآني واحتمال اللغة لها مع وجود مرجحات ومؤيدات لها.
  ٣. تبتتي تأويلات الأملي على رؤى وإشارات أهل العرفان وهو ما يتطلب المعرفة بمصطلحاتهم ومدارستها للوصول إلى مقصوده.
  ٤. كثيرا ما يحاول الأملي ان يطوع النصوص لمنهجه الاشاري الذي اختطه لنفسه متأثرا بابن عربي والقونوي وغيرهم، بل حتى النصوص الصريحة (المحكمة) كنص (كلكم راع) يقرأ قراءة رمزية ضمن سياقات إشارية.
  ٥. اعتماد الأملي على الجمع بين المجاز و ارواح المعنى في تأويله للنصوص فهو لا ينكر المجاز ولكنه يعتمد نظرية ارواح المعنى في كثير من تأويلاته.
  ٦. تعتمد قراءة الأملي على المعطيات اللغوية وبحمولات مجازية تتعدد في القراءات دون ان تتعارض، وهي في اكثرها من مقولة المعنى، بعيدا عن الفهم الظاهر (لأصحاب الرسوم). ولكنها مع ذلك قد تكون مقبولة او مستحسنة في أقل التوجيهات والتأويلات. فالنص يحتمل ذلك والتأويل توأم النص ان لم يكن الوجه الاخر له.

٧. تأتي بعض النصوص النبوية العامة أو الاحاديث القدسية المروية بلسان النبي عن الذات الالهية المقدسة - حسب قراءة الآملي لها- مخصوصة بالمحبين او المقربين او المخلصين، وبعبارة اوضح بالعارفين الذين اشخصوا أبدانهم وقلوبهم لمعرفة الحق.

٨. يستثمر الآملي كل تحول دلالي في المعنى، أو اتساع يمكن أن يوظف لخدمة الفكرة التي يعتقها، ليتخلص بذلك من القطيعة بين المعنى الظاهر والباطن، فالطيب طيب الأخلاق، والتعامل قولاً وعملاً، ومحبة النساء ينسحب على الباطن أيضاً ليمثل نساء النفس التي (ينجب) منها المعاني والحقائق، أو يستخرج منها الأسرار والقدرات المكونة فيها، والصلاة معراج المؤمن ولحظة اللقاء بالمحبوب وهي غاية المنى.

٩. يقرأ الآملي النصوص قراءة ايجابية حتى النصوص التي تدم الفقر وغيرها تتحول في يده الى ثناء ومديح من خلال توظيف التحول الدلالي للألفاظ ضمن المنظومة العرفانية التي لا ترى في الكون الا جميلاً، بل كال ما في الوجود هو مظهر وتجلي للحق، اذ ليس في الدار غيره ديار.

## الهوامش

١ الآملي: (٧١٩-٧٨٧هـ): هو ركن الدين حيدر بن علي ينتهي نسبه الى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، نشأ نشأة دينية، وكان من خواص الملك فخر الدولة، انتقل الى حياه التصوف، متوجهاً إلى زيارة الرسول (ص) والأئمة المعصومين (ع) للحج، تتلمذ على يد نور الدين الطهراني و(عبد الرحمن القدسي) وكان الاستاذ الأهم والأكثر أثراً في حياته، وفخر المحققين ابن العلامة الحلبي الذي أجازته في جميع العلوم بإجازة طويلة، توفي ٧٨٧هـ. ينظر: تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم: ٥٣٠/١.

٢ معجم مقاييس اللغة: ١٥٨-١٦٢ مادة أول.

٣ المفردات: ٣١ مادة أول.

- ٤ ينظر: لسان العرب: ١١/٣٢. مادة (أول)
- ٥ القاموس المحيط: ٨٨٦. مادة أول.
- ٦ التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١/١٩٠-١٩٢.
- ٧ المواضع هي: آل عمران: ٧ مرتين، النساء: ٥٩، الأعراف: ٥٣ مرتين، يونس: ٣٩، يوسف: ٦، ٢١، ٣٦، ٣٧، ٤٤، ٤٥، ١٠٠، ١٠١، الإسراء: ٣٥، الكهف: ٧٨، ٨٢.
- ٨ ينظر: التمهيد في علوم القرآن: ٩/٢٢-٢٣.
- ٩ مقالات تأسيسية: ٣٢٦، وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٣/٤٩، ومواهب الرحمن: ٥/٧٢.
- ١٠ ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٣/٣٣٤-٣٥٣ في تفسير الآيات من سورة الكهف: ٦٠-٨٢.
- ١١ كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣].
- ١٢ ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٣/٥٧-٦٥.
- ١٣ المناهج التفسيرية: ١٧٩.
- ١٤ م. ن: ١٨٦.
- ١٥ بحار الأنوار: ٤٠/١١، باب ٩١،
- ١٦ ينظر: بحار الأنوار: ٨٩/٩٧.
- ١٧ نهج البلاغة (الصالح): ٥٩٥.
- ١٨ ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١/١١.
- ١٩ التبيان: ٥/٣٨٠.
- ٢٠ تفسير البغوي: ١/١٨.
- ٢١ مجمع البيان: ١/٨٠.
- ٢٢ ينظر: تفسير ابن كثير: ١/١٥.
- ٢٣ ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٢/١٣٢.
- ٢٤ الإتقان: ٢/١٨٣.
- ٢٥ الميزان: ٣/٤٦.
- ٢٦ الميزان: ٣/٤٦، ٥١.

- ٢٧ مقالات تأسيسية: ٣٢٦، وينظر: الميزان: ٤٩/٣.
- ٢٨ الميزان: ٥٤/٣.
- ٢٩ تفسير القرآن الكريم- مصطفى الخميني: ٢٠٠/١.
- ٣٠ المدرسة القرآنية: ٣٠٤-٣٠٥.
- ٣١ المدرسة القرآنية: ٣٠٦.
- ٣٢ الميزان: ٤٩ / ٣، مقالات تأسيسية: ٣٢٧،
- ٣٣ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤٠٠/٢.
- ٣٤ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣٦٢/٦.
- ٣٥ ينظر: المعجم الفلسفي: ٢٣٤/١.
- ٣٦ المستصفي في علم الأصول: ٣٨٨/١.
- ٣٧ فصل المقال: ٨.
- ٣٨ العين: ٣٦٩/٨.
- ٣٩ مجاز القرآن: ٨٦/١.
- ٤٠ تأويل مشكل القرآن: ٢٤٧- ٢٨٦.
- ٤١ الاقتراح: ٤٧، المزهر: ٢٥٩/١.
- ٤٢ موسوعة علوم اللغة العربية: ٢٥٦/٤.
- ٤٣ ينظر: التأويل النحوي في القرآن الكريم: ١٣/١-٢٠.
- ٤٤ أصول التفكير النحوي: ٢٦٢.
- ٤٥ موسوعة علوم اللغة العربية: ٢٥٥-٢٥٦/٤.
- ٤٦ ينظر: التأويل النحوي عند الفخر الرازي: ١٧-٢٠.
- ٤٧ النحو العربي نقد وبناء: ٢١.
- ٤٨ نحو القرآن: ٢٦.
- ٤٩ معجم النقد العربي القديم: ٣٥.
- ٥٠ أسرار البلاغة: ٨٣.
- ٥١ ينظر: البيان والتبيين: ١٠٤/١.
- ٥٢ ينظر للتفصيل: التأويل عند الأصوليين: كنعان مصطفى سعيد، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا - جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين، ٢٠٠٧م.

- ٥٣ الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم: ٤٢/١.
- ٥٤ المشترك: هو لفظ وضع لمعان متعددة بأوضاع متعددة كلفظ العين للباصرة والجارية. ينظر: أصول السرخسي: ١٢٦/١.
- ٥٥ أصول السرخسي: ١/١٢٦.
- ٥٦ المستصفي في علم الأصول: ٣٨٦/١.
- ٥٧ النهاية في غريب الحديث: ١/١٨٠.
- ٥٨ كشف الأسرار شرح المصنف على المنار ومعه شرح نور الأنوار على المنار: ٢٠٤/١، وعرفه مثله تماماً النسفي (٧١٠هـ).
- ٥٩ الإحكام في أصول الأحكام (الأمدي): ٥/٣.
- ٦٠ مبادئ الوصول إلى علم الأصول: ١٥٥.
- ٦١ ينظر: الإحكام في أصول الأحكام (الأمدي): ٢/١٩٩.
- ٦٢ الموافقات في أصول الشريعة: ٢/٢٩٣.
- ٦٣ ينظر: منهج التأويل العقلي عند نصر حامد أبو زيد: ١١٢-١١٩.
- ٦٤ ينظر في هذه نظرية (روح المعنى): السياق وأثره في دلالة النص القرآني عند مفسري الإمامية في العصر الحديث: ١٥٢-١٩٠.
- ٦٥ تفسير الصافي: ٣١/١-٣٢.
- ٦٦ الميزان في تفسير القرآن: ٧/٢٦١.
- ٦٧ الآداب المعنوية للصلاة: ٤٠٢-٤٠٣.
- ٦٨ اللباب في تفسير الكتاب: ٢٤٦-٢٤٧.
- ٦٩ منهج الامام الخميني في التفسير: ٧٨-٧٩.
- ٧٠ رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن: ١/١٤.
- ٧١ فلسفة التأويل: ٢٨٨.
- ٧٢ هكذا تكلم ابن عربي: ٨٩.
- ٧٣ الأعمال العرفاء- كتاب المواقف: ١٠٥.
- ٧٤ هكذا تكلم ابن عربي: ٩٧.
- ٧٥ ديوان السهروردي المقتول: ٥٨-٥٩. كما يقول:
- بالسر إن باحوا تباحُ دماؤهم وكذا دماءُ العاشقين تباحُ

- إذا هم كتموا تحدّث عنهم  
وبدت شواهدُ للسقام عليهمُ  
عند الوشاة المدمع السخّاحُ  
فيها لمُشكل أمرهم إيضاحُ
- ٧٦ المحيط الأعظم: ٢٠٥/١.  
٧٧ المحيط الأعظم: ٢٠٥/١.  
٧٨ المحيط الأعظم: ٣٦٤/١.  
٧٩ المحيط الأعظم: ٢٠٥/١.
- ٨٠ ينظر: التّأويل عند السيد حيدر الأملي : اطروحة دكتوراه ، موفق مجيد ليلو - جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠١٥م.  
٨١ عيون أخبار الرضا: ٢٩٠/١.
- ٨٢ المحيط الأعظم: ٣٠٣-٣٠٦، والرواية مروية في كتب الفريقين مع اختلاف يسير في اللفظ: ينظر: البخاري: ٢٢٧/٤، مسلم: ٥٦١/١، تفسير الصافي: ١٨/١.  
٨٣ ينظر : المحيط الأعظم: ٣٠٣-٣٠٦.
- ٨٤ المحيط الأعظم: ٣٧٤/١ والرواية في: وسائل الشيعة: ٢٧/ ٤٢ و١٤٣، معاني الأخبار: ١٩٠/١.
- ٨٥ وسائل الشيعة: ٢٧/٤٢ و١٤٣، معاني الأخبار: ١٩٠/١.  
٨٦ المحيط الأعظم: ٣٧٤/١.
- ٨٧ ينظر: المحيط الأعظم: ٤٢٨/٢، وعوالي اللآلي: ٤٠/١، وبحار الأنوار: ٣٠/٦٩، ٣٠/٧٢.  
٨٨ المحيط الأعظم: ٤٢٨/٢-٤٣١.
- ٨٩ ينظر: سنن البيهقي: ١٢/٧، وسنن النسائي: ٤٠٠/١، ٤٥١/٤، ٤٥٦، ١٠/٦، ووسائل الشيعة: ٣١٤/١٣، وبحار الأنوار: ٣٠/٧٢، وأمالي الصدوق: ٢٤٣، وحلية الأولياء: ٥٣/٣، ١٠٩، ٢٥٣/٨.
- ٩٠ المحيط الأعظم: ١٦٦/٤، وخصال الصدوق: ١٦٥، ٢١٨.  
٩١ المحيط الأعظم: ١٦٦/٤.  
٩٢ المحيط الأعظم: ٤٧٣/٣.  
٩٣ المحيط الأعظم: ٤٨٠/٢، ٥٣٣، الرواية في: الخصال: ١٨٧، والبحار: ٦٨ / ٤٤.  
٩٤ لطائف الإعلام: ٢٨٩-٢٩٠.  
٩٥ الرواية في مسلم: ١٤٢٩/٣، بحار الأنوار: ٣٨ / ٧٥.

- ٩٦ المحيط الأعظم: ٢٠٥/٤.
- ٩٧ ينظر المحيط الأعظم: ٥٣١/٢ «اللهم اجعل لي نوراً...». ٣١٣/٣ «لا يسعني ارضي ولا سمائي...». ٤٠١/٣ «الجنة اشتاقت إلى سلمان...». ٢٥٧/٤ «رواية الخلق...». ٣٩١/٥ «من أراد أن ينحيه...». ٢٤٥/٦ «نزلت الفاتحة من كنز من العرش...».
- ٩٨ ينظر: بحار الأنوار: ٨٤ / ١٩٩ و٣٤٤، والمحيط الأعظم: ٥٢٧/٢.
- ٩٩ المحيط الأعظم: ٥٢٧/٢.
- ١٠٠ المحيط الأعظم: ٥٤٢/٢.
- ١٠١ لطائف الإعلام: ١٧١.
- ١٠٢ ينظر: المحيط الأعظم: ٢٦٦/١.
- ١٠٣ بحار الأنوار: ٢٥٩/٢٩، وعوالي اللآلي: ٤٦/٣.
- ١٠٤ ينظر: المحيط الأعظم: ٢١٤/٤.

### المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
١. الإقتان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧م.
٢. الاحتجاج: لأبي منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي (ت ق ٦هـ)، الأميرة للطباعة والنشر-بيروت، مكتبة دار المجتبى- النجف ٢٠٠٩م.
٣. الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الأمدي (٦٣١هـ) تح: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٤هـ.
٤. الإحكام في أصول الأحكام: علي بن احمد بن حزم، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٩٨٤م.
٥. الآداب المعنوية للصلاة: الامام روح الله الخميني، تعريب: أحمد الفهري، دار طلاس- دمشق.
٦. أسرار البلاغة: أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني (٤٧٦هـ) علق عليه: احمد مصطفى المراغي، مط: الاستقامة، القاهرة (د.ت).

٧. أصول التفكير النحوي: د.علي ابو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٦م.
٨. أصول السرخسي: ابو بكر بن احمد السرخسي(٥٤٩٠هـ)، تح: ابو الوفا الافغانى، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
٩. الأعمال الصوفية: محمد بن عبد الجبار النفري (ت بعد٣٥٤هـ) راجعه: سعيد الغانمي، منشورات الجمل- ألمانيا، ط١، ٢٠٠٧م.
١٠. الاقتراح في علم اصول النحو: للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي(٩١١هـ)، قدم له وشرحه ووضع حواشيه: د. صلاح الدين الهوارى، المكتبة العصرية بيروت -لبنان، ط١، ٢٠١١م.
١١. أمالي الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمى الصدوق (٣٨١هـ)، صححه وعلق عليه: على اكبر الغفارى، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ١٤٠٣هـ.
١٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل: العلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار الأميرة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .
١٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: الشيخ محمد باقر المجلسي(١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
١٤. البيان والتبيين: ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٨٤م.
١٥. التأويل النحوي عند الفخر الرازي: اكرم نعيم عطوان الحميداوي، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة - كلية الآداب، ٢٠٠٨م.
١٦. التأويل النحوي في القرآن الكريم: د. عبد الفتاح احمد الحموز، مكتبة الرشيد ، الرياض، ط١، ١٩٨٤م
١٧. التأويل عند الأصوليين: كنعان مصطفى سعيد، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا- جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين، ٢٠٠٧م.
١٨. التأويل عند السيد حيدر الأملي: اطروحة دكتوراه، موفق مجيد ليلو- جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠١٥م.

١٩. تأويل مشكل القرآن: ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) حققه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧م.
٢٠. التبيان في تفسير القرآن: شيخ الطائفة ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ)، تح: احمد حبيب قصير العاملي، مكتب الاعلام الإسلامي، ط ١، ١٤٠٩هـ.
٢١. التحقيق في كلمات القرآن الكريم: المحقق العلامة المصطفوي (١٤٢٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠١٠م.
٢٢. التعريفات: الشريف علي بن محمد الجرجاني (٨١٦هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م.
٢٣. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ) تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٤. تفسير البغوي: للبغوي، تح: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة بيروت، (د.ت).
٢٥. تفسير الثعالبي المسمى بـ(الجواهر الحسان في تفسير القرآن): للإمام عبد الرحمن بن محمد الثعالبي المالكي (٨٧٥هـ)، تح: الشيخ علي محمد معوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٦. التفسير الصافي: المولى محسن الفيض الكاشاني (قده) مط: مؤسسة الهادي- قم المقدسة، مكتبة الصدر- طهران، ط ٢، ١٤١٦هـ.
٢٧. تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة- الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٨. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ) تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٩. تفسير القرآن الكريم: السيد مصطفى الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث آثار الامام الخميني، مطبعة مؤسسة العروج، ط ١، ١٤١٨هـ.ق.
٣٠. تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: السيد حيدر الأملي (٧٨٧هـ) حققه وقدم له وعلق عليه: السيد محسن الموسوي التبريزي، ط ٥، مط: أسوة إيران، ١٤٣١هـ.

٣١. التمهيد في علوم القرآن: الشيخ محمد هادي معرفة، مؤسسة التمهيد، منشورات ذوي القربى - قم، مط: ستارة، ط١، ٢٠٠٧م.
٣٢. حلية الأولياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، مط السعادة - مصر مكتبة الخانجي ودار الفكر، ١٩٩٦ - ١٤١٦هـ.
٣٣. الخصال: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (٣٨١هـ)، صححه وعلق عليه: علي اكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ١٤٠٣هـ.
٣٤. ديوان السهروردي المقتول (ابو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك ت٥٨٦هـ): صنعه واصلحه وصححه: د. كامل مصطفى الشيبلي، مطبعة الرفاه، بغداد، ٢٠٠٥م.
٣٥. رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن من كلام الشيخ محي الدين بن عربي وبهامشه (إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن) للشيخ محي الدين بن عربي: جمع وتأليف: محمود محمود الغراب، مط: نضر - دمشق، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
٣٦. السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آباد - الهند، ط١، ١٣٤٤هـ.
٣٧. السنن الكبرى: تصنيف الإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي تح: دكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٣٨. السياق وأثره في دلالة النص القرآني عند مفسري الإمامية في العصر الحديث: اطروحة دكتوراه، جامعة البصرة كلية الآداب ٢٠١٥م.
٣٩. صحيح البخاري المسمى الجامع الصحيح الصغير: محمد بن إسماعيل البخاري، تح: مصطفى البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.
٤٠. صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٧٥هـ - ١٩٨٦م.
٤١. عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية: أبو جعفر محمد بن علي (ابن أبي جمهور الاحسائي) (٨٩٥هـ) تح: الشيخ مجتبي العراقي، انتشارات سيد الشهداء قم، ١٤٠٥هـ.
٤٢. العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، بغداد، ١٩٨٠ - ١٩٨٥م.

٤٣. عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، مط: امير، منشورات الشريف الرضي، ط١، ١٣٧٨هـ.
٤٤. فروع الكافي: ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني (٣٢٩هـ)، منشورات الفجر-بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٤٥. فصل المقال: ابن رشد، تحقيق: د. البير نصري نادر، دار المشرق-لبنان، ط٢، ١٩٨٦م.
٤٦. فلسفة التأويل: د. نصر حامد ابو زيد، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء-المغرب، بيروت-لبنان، ط٦، ٢٠٠٧.
٤٧. القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، إعداد وتقديم: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م.
٤٨. كشف الأسرار شرح المصنف على المنار ومعه شرح نور الأنوار على المنار: ابو البركات عبد الله بن احمد النسفي (٧١٠هـ) دار الكتب العلمية بيروت .
٤٩. اللباب في تفسير الكتاب: العلامة السيد كمال الحيدري، مط: ستارة، دار فراقده-ايران، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
٥٠. لسان العرب: العلامة أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري (٧١١هـ)، دار صادر-بيروت، ١٩٥٦م.
٥١. لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام: الشيخ عبد الرزاق القاشاني (٧٣٠هـ) ضبطه وصححه: د.عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
٥٢. مبادئ الوصول إلى علم الأصول: العلامة الحلبي ابو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف (٧٢٦هـ)، تح: عبد الحسين محمد علي البقال، دار الاضواء - بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
٥٣. مجاز القرآن: ابو عبيدة ممر بن المثنى التميمي (٢١٠هـ)، تح: محمد فؤاد سزكين، ط١، مط: السعادة، مصر، ١٩٥٤هـ.
٥٤. مجمع البيان: ابو الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ) مكتبة الحياة بيروت، ١٩٧٤م.
٥٥. المدرسة القرآنية: السيد الشهيد محمد باقر الصدر، تح: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العام للامام الشهيد الصدر، مط: شريعت، ط٤، ١٤٢٨هـ.
٥٦. المزهري في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل وآخرين، عيسى الحلبي.

٥٧. المستصفي في علم الأصول: ابو حامد الغزالي (٥٠٥هـ)، تح: الشيخ إبراهيم محمد رمضان، دار الارقم بن ابي الارقم، بيروت - لبنان.
٥٨. المصباح المنير: احمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (٧٧٠هـ) المكتبة العلمية- بيروت.
٥٩. معاني الأخبار: رئيس المحدثين محمد بن علي بن الحسين الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، ط٤، ١٤١٨هـ.
٦٠. المعجم الفلسفي: د. جميل صليبا، منشورات ذوي القربى، مطبعة سليمانزاده، قم، ط١، ١٣٨٥هـ.ش.
٦١. معجم النقد العربي القديم: د. احمد مطلوب، مكتبة لبنان - ناشرون، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
٦٢. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (٣٩٥هـ) وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٦٣. المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) تح: محمد سيد كيلاني دار المعرفة- بيروت.
٦٤. مقالات تأسيسية في الفكر الإسلامي: السيد محمد حسين الطباطبائي، تر: خالد توفيق، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، قم - إيران، ط١، ١٤١٥هـ.
٦٥. مناقب آل أبي طالب: الموفق بن احمد بن محمد المكي الخوارزمي (٥٦٨هـ)، تح: الشيخ مالك المحمودي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط٢.
٦٦. المناهج التفسيرية: الشيخ جعفر سبحاني، مؤسسة الإمام الصادق- إيران، ط٤، ١٤٣٢هـ.
٦٧. منهج الامام الخميني في التفسير: عبد السلام زين العابدين، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
٦٨. منهج التأويل العقلي عند نصر حامد أبو زيد- دراسة نقدية: د. عبد الله علي الحديدي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، من اصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، ط١، ٢٠١٣م.
٦٩. الموافقات في أصول الشريعة: ابو اسحق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي (٧٩٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٧٠. مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، دار التفسير- قم، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٧١. موسوعة علوم اللغة العربية: د. اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١، ٢٠٠٥م.
٧٢. الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط٣، ١٣٩١هـ.
٧٣. النحو العربي نقد وبناء: د. ابراهيم السامرائي، دار الصادق ، بيروت ، ١٩٦٧م.
٧٤. نحو القرآن: د. عبد الستار الجواري، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٧٤م.
٧٥. النهاية في غريب الحديث: ابو السعادات المبارك محمد الجزري المعروف بان الاثير، تح: طاهر احمد الزواوي ومحمود محمد الطناجي، القاهرة ، ١٩٦٣م.
٧٦. نهج البلاغة: مجموعة ما اختاره الشريف الرضي من كلمات الإمام علي (ع)، ضبط نصه وابنكر فهارسه العلمية: د.صبحي الصالح، انوار الهدى-قم، ط٤، ١٤٣١هـ.
٧٧. هكذا تكلم ابن عربي: د.نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط٣، ٢٠٠٦م.
٧٨. وسائل الشيعة: تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي(١١٠٤هـ)، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث-قم، ط٢، ١٤١٤هـ.



## التشوه المعرفي لدى طلبة المرحلة الاعدادية

م.م. لمياء خطاب رحيم

## مشكلة البحث:

يرى علماء النفس المعرفي الى ان الافكار السلبية والمعتقدات الامنطقية التي ينشأ بسببها التشوه المعرفي تعود اسبابها الى الاضطرابات النفسية التي تؤدي الى تكوين معاني غير متكيفة حول الذات والآخرين، ويعد حجر الزاوية في معظم الاضطرابات الانفعالية، ويؤدي التشوه المعرفي الى التشاؤم والسلبية، فيأخذ الفرد فكرة سلبية ويضخمها ويقوم بتصنيفها من كل الامور الايجابية المتعلقة بالحالة أو الموقف، ويركز على نواحي الفشل فقط ويتوقع الاسوء دائماً يشير "ليس" الى ان الفرد يكتسب الافكار اللاعقلانية منذ صغره، حيث يكون الطفل غير قادر على التفكير والادراك المنطقي، ويستمد الحقائق من تخيله للعديد من مخاوفه، ويعتمد في تخطيط حياته على الآخرين، وماتوارثوه من الخرافات مباشرة من الاسرة وتصبح فلسفة التي يعتمدها في المستقبل لتفسير الاحداث والمواقف المختلفة.

(Evans: 2004: P114)

وترى (هدية حسن، ٢٠١٢: ٥٢١) ان الطالب يستطيع ان يدرك سلوكه من خلال تصورات المعرفية بدرجة عالية من القلق، مما يؤدي الى ردود أفعال غير متوازنة وغير منطقية لا تتسجم مع مستوى ما يصادفه من تهديدات حقيقية في البيئة الخارجية وصراعاته الداخلية النفسية والتي تدفعه الى المزيد من الاخطاء والاستجابات غير الملائمة مع الموقف، ومن هنا يكون الموقف مقلقاً، وفي المقابل يحاول الطالب جاهداً حماية نفسه من خلال التصورات المعرفية المختلفة وميكانيزمات الدفاع النفسي، مما يزيد من درجة التشنن والارتباك وقلة الانتباه العقلي والفكري والغربة مع النفس.

ويشير بيك Beck الى أن التشوه المعرفي يترك آثاراً عميقة على تنظيم شخصية الفرد وقدرته على التفاعل الاجتماعي وتضعف اتزان الانفعالي وينتابه احساس بعدم الراحة والتهديد، وشكوى من الوسواس يرافق ذلك قلق واحساس بالعزلة اضافة الى تصلب وانغلاق المعتقدات وجمودها، ويتفق كل من بيك وأليس (Beck&Ellis) على ان المعرفة الخاطئة أو المشوهة تسبب الاضطرابات الانفعالية والسلوكية، وبما أن كل اسلوب مختلف عن الآخر الا انها يشتركان في وضع العلاج المعرفي السلوكي. (محمد، ٢٠٠٠: ٢٣).

وتشير نتائج الكثير من الدراسات الى ان التشوه المعرفي والافكار الاعقلانية تنتشر لدى المراهقين في مرحلة التعليم الثانوي بنسب مختلفة.

(ابو شعر ٢٠٠٧، حسن والجمالي ٢٠٠٣، العصار ٢٠١٥)

كما يؤكد أليس وبرنارد على أن التفكير الاعقلاني يسهم في نشوء عدد هائل من المشكلات الانفعالية والسلوكية والاكاديمية. (Ellis & Bernard,2006) وتشير دراسات بيك الى أن الافراد يستخدمون معالجة المعلومات Information Processing لفهم انفسهم والبيئة الخارجية المحيطة بهم، في بنى معرفية تنظيمية تعرف بالمخططات Schemas تلك المخططات تمثل معتقدات الافراد Individuals beliefs او افتراضاتهم assumptions وهي التي تنتج افكارهم الآلية (التلقائية) Automatic thoughts التي تتفاعل مع كل من السلوك والانفعالات ويمكن أن تتعرض هذه الافكار لتشوهات منظمة من البيئة مما يؤدي الى انحرافات وتشوهات في معالجة المعلومات. (سلامه، ٢٠٠٢: ٣٤)

وتشير الدراسات الى ان الافكار السلبية هي التي تسبب الاكتئاب والانفعال وهناك عدد من المظاهر المعرفية للأكتئاب يسببها التشوه المعرفي منها التقويم المنخفض للذات، وانتقاد الذات، والمشاعر السلبية، وتوقع المصائب وفقدان الامل

والتشاؤم والنظرة السلبية للذات ونقص الكفاءة الشخصية وهذه المظاهر تعوق نمو الفرد الانفعالي وتحد من تكيفه مع ذاته ومع المجتمع.

اما على المستوى الاكاديمي فقد قدم العلماء والباحثون العديد من الدراسات التجريبية والميدانية التي اسهمت في الحصول على مؤشرات للمشكلات التي يسببها التشوه المعرفي فقد قامت هامين وكرانتز Hammen & Krantz, 1979 بدراسة عن تاثير الافكار اللامنطقية في النجاح والفشل وتوصلت نتائج الدراسة الى ان الافراد الذين يؤمنون بهذه الافكار يواجهون صعوبة شديدة في التركيز على مثيرات البيئة، الخارجية مثل القراءة او الانشغال بالنشاطات الذهنية مثل التذكر وحل المشكلات ويعتبر التنظيم المعرفي الخاص بالمزاج ذاتي التحكم لا يستجيب للمدخلات المحيطة به. (ياسين، ٢٠١١، ٧٦)

ومن هنا تبرز مشكلة البحث الحالي من خلال الاجابة عن السؤال الاتي هل ان طلبة المرحلة الاعدادية يتصفون بالتشوه المعرفي؟

### اهمية البحث:

لقد اهتم علماء النفس في السنوات الاخيرة بالتركيز على الجانب المعرفي من شخصية الفرد لاهميته في تقدير انفعالاتهم وتكيفهم وتوافقهم النفسي والاجتماعي، كما انهم بينوا العلاقة الوثيقة بين المعرفة (التفكير) والانفعال والسلوك وبذلك فان الاضطراب الانفعالي لدى الفرد يتكون نتيجة لطريقة تفكيره، وادراكاته وتفسيره الخاطيء للاحداث والمواقف التي يتعرض لها في حياته. (حسين، ٢٠٠٧، ٨٤)

واشار بيك Beck, 1989 الى ان التفكير الجيد لما يواجهنا من احداث يعتمد بدرجة كبيرة على ما نملكه من أفكار منطقية وواقعية نستطيع في ضوئها تفسير البيئة والاحداث الخارجية بصورة معقولة وواقعية، فعندما تكون معتقداتنا معقولة ومنسجمة مع المواقف الحياتية فأن سلوكياتنا تكون على درجة عالية من الوعي

والحكمة والواقعية، وهذا ما يجعلنا قادرين على حل مشكلاتنا اليومية مع الآخرين وفي المدرسة والعمل، كما يجعلنا أشخاص فاعلين في البيئة. (بدر، ٢٠١٤: ٣).

فقد أجرى (Zhang, 2008) دراسة عن التشوهات المعرفية وعلاقتها بالحكم الذاتي لدى مجموعة من طلاب الجامعة وذلك على عينة بلغت (١٠٣) طالباً وطالبة واستخدم مقياس التشوهات المعرفية، وقائمة تقييم نفسي، ومقياس الحكم الذاتي، وتوصلت نتائج الدراسة الى ان التأثير السلبي للتشوهات المعرفية في شعور الطلاب للتحكم بالذات كما اكتشفت ان التشوهات المعرفية لها دور مهم في ميكانزمات الدفاع النفسي، وان هذه الدراسة تدعم فروض نظرية بيك في التشوهات المعرفية كما تدعم وتثبت ان التشوه المعرفي يؤثر سلباً في ميكانزمات الدفاع النفسي وتعتبر عوامل معرفية مشوهة تنذر بحدوث الامراض النفسية مما يدل على ارتباط الامراض النفسية بالتشوه المعرفي. (Zang, 2008: 279).

كما أجرى برون وسيلبرشاتز (Brown & Silberschartz, 1989) دراسة عن الإعتماذية ونقد الذات كعوامل معرفية مشوهة واساليب العزو الإكتئابية للعجز المتعلم - أي فحص الإرتباط بين متغيرات الدراسة الثلاثة (الإعتماذية - نقد الذات - واساليب العزو الإكتئابية للعجز المتعلم وعلاقة الإعتماذية ونقد الذات بأعراض الإكتئاب وذلك على عينة مكونة من (٦٩) فرداً منهم (٢٥) من الذكور و(٤٤) من الاناث والتشخيص المبدئ للعينة يشمل (٦٠%) إضطرابات اكتئابية و(١٥%) إضطرابات قلق و (٢٥%) إضطرابات أخرى، وتشير نتائج الدراسة الى وجود علاقات ارتباطية موجبة بين العوامل المعرفية المشوهة (الاعتمادية - ونقد الذات) وارتباطهما كل على حدة مع إبعاد العزو الإكتئابية للعجز المتعلم (الذاتية - الاستقرار - الشمولية)، كما تشير نتائج الدراسة الى إرتباط العوامل المعرفية المشوهة بأعراض الإكتئاب كما تقاس بأستبانه بيك للإكتئاب وارتباط أبعاد العزو الإكتئابية للعجز المتعلم (الذاتية - الإستقرار - الشمول) بأعراض الأكتئاب كما

تقاس بإستبانته (بيك) للأكتئاب، وأن هذه الدراسة تدعم فروض نظرية بيك في التشويه المعرفي كما تدعم وتثبت أن الاعتمادية ولوم الذات ونقدها يعتبران عوامل معرفية مشوهة تنذر بحدوث الاكتئاب إذا تعرض الفرد للأحداث غير القابلة للتحكم مما يدلنا على إرتباط التحليل العزوي للعجز المتعلم بأبعاد التشويه المعرفي.

(نظمي، ٢٠٠٩: ١٣٢)

وأشارت دراسة (عطية وعبد اللطيف، ٢٠٠٠) على طلبة الجامعة ان هناك علاقة ايجابية بين تدني التشوهات المعرفية والمرونة الادراكية في معالجة المواقف الضاغطة، كما أظهرت قدرة الطلبة عل تغيير خطتهم المعرفية في حل المواقف الجديدة وغير المتوقعة وفي ضوءها يستطيع الافراد القيام بعمليات معالجة وبحث معرفية جيدة وسريعة ليتمكنوا من حل مشكلاتهم أو تعديل الظروف البيئية لتلائم مع متطلباتهم ومتطلبات المهام الخارجية. (عبد اللطيف وعطية، ٢٠٠٠: ٩٥)

وأجرى جانيلين (Ganellen, 1998) دراسة ترمي الى فحص الإرتباط بين بعض جوانب التشويه المعرفي وأعراض الأكتئاب والقلق وذلك على عينة مكونة من (٦٨) فرداً تم تقسيمهم على مجموعتين إحداهما مجموعة الاكتئاب والآخرى مجموعة القلق وقد استعمل الباحث دليل التشخيص الاحصائي للأضطرابات النفسية وهو من إعداد الجمعية الأمريكية للطب النفسي، واطهرت نتائج الدراسة ان شدة اعراض الاكتئاب والقلق ترتبط إرتباطاً طردياً وموجباً بجوانب التشويه المعرفي (لوم الذات- التعميم الزائد - المبالغة في المعايير والمستويات) كما تقاس بأستبانته الاتجاه نحو الذات، وأيدت هذه الدراسة إتجاهين معرفيين في الاكتئاب الاتجاه الاول هو اتجاه بيك المعرفي في الاكتئاب، ويرجع بيك الاكتئاب الى المبالغة في تشويه ما يحدث للاكتئابي في مواقف من اتجاه لوم الذات وزيادة التعميم من مواقف نوعية للفشل في جميع المواقف الاخرى مما يؤثر في تقويمه لذاته، والاتجاه الثاني هو

اتجاه نموذج العجز المتعلم في الاكتئاب إذ يعزو الاكتئابى الاحداث السيئة الى اساليب (مستقرة - ذاتية - شاملة). (إبراهيم، ١٩٩٠: ١٩)

وأكد كل من مارتن وكوتشر (Martin & Kutcher, 1995) على ان التشوهات المعرفية تنتشر بنسبة ٤٧,٤% بين المراهقين المصابين بالاكتئاب، وقد اثبتت الكثير من الدراسات الميدانية ارتباط التشوهات المعرفية بصور مختلفة من المشكلات السلوكية والانفعالية منها الاكتئاب لدى المراهقين في دراسات كل من Smith, Peck and Freeman, Pretzer, Fleming, & Christense, Smith, Simon (2004) والضغوط لدى المراهقين في دراسة Coban (2013) ودراسة المخدرات في دراسة السندي (٢٠١٣) والاعتداء الجنسي في دراسة Ward (2000).

#### اهداف البحث:

يهدف البحث الحالي التعرف على:

١. التشوه المعرفي لدى طلبة المرحلة الاعدادية.
٢. التشوه المعرفي لدى طلبة المرحلة الاعدادية تبعا لمتغيري الجنس (ذكور - اناث) والتخصص (علمي - ادبي).

#### حدود البحث:

يتحدد البحث الحالي بطلبة المرحلة الاعدادية في محافظة البصرة، يشمل الجنس (ذكور - اناث) والتخصص (علمي، ادبي). للعام الدراسي (٢٠١٨-٢٠١٩).

**تحديد المصطلحات :****التشوه المعرفي**

عرفه كل من:

١-ارون بيك 1999:Beck:

أفكار مشوهة ومبالغ فيها، تجعل الفرد يفسر الاحداث بصورة غير منطقية وسلبية ولا تتسجم مع الواقع كما انها تتسم بالانتقائية والتضخيم والتعميم أو التهوين. (Beck, 1999: 327)

٢- بارلو 2002,Balrow:

هي تلك الافكار التي تعترض الاحداث الخارجية وردود فعل الفرد الانفعالية نحو هذه الاحداث وغالبا ماتمضي دون ان تلاحظ، لانها جزء من النمط الادراكي للتفكير،وانها تحدث دائما وبسرعة شديدة ونادرا ماتتوقف لتقييم مصداقيتها لانها شديدة القابلية للتصديق ومألوفة ومعتادة. (بارلو، ٢٠٠٢: ٥٨٣)

وقد تبنت الباحثة تعريف ارون بيك تعريفا نظريا كونها تبنت مقياسه للتشوه المعرفي.

التعريف الاجرائي للتشوه المعرفي [الدرجة التي يحصل عليها المستجيب على مقياس التشوه المعرفي الذي تبنته الباحثة]. لأرون بيك .

**الفصل الثاني: التشوه المعرفي: Cognitive Distortions****نظرية بيك في التشوهات المعرفية:**

يؤكد أليس Ellis الذي ينسب اليه العلاج العقلاني الانفعالي السلوكي، على ان طبيعة الانسان تتكون من جانبين اساسيين هما جانب عقلاي يكون لدى الفرد من خلاله القدرة على التفكير السليم المنطقي، والجانب الاخر لا عقلاي له دور في تشويه أفكار الانسان، وان دور الانسان لا يقتصر على ان يكون مستجيباً لما يحدث حوله، بل يفكر ويكون ادراكاته الخاصة أزاء كل ما يواجهه من مثيرات خارجية،

وأثناء عمليتي التفكير والادراك، فإن الانسان يعمم ويشوه ما يدركه لافكاره وادراكاته الخاطئة، مما يسبب له اضطرابات التعامل مع الاخرين والاضطرابات النفسية. (العصار، ٢٠١٥: ٨)

كما يتفق بيك "Beck, 1976" مع "اليس وسيلكمان وكيلى" في التأكيد على أن المعنى الذي يضفيه الفرد على الأحداث وكذلك إدراكه، وتفسيره لهذه الأحداث لا يؤثر في انفعاله وسلوكه فقط، ولكن أيضاً في نظرتة لذاته ومستقبله ولعالمه، وهي التي تحدد مدى صحته النفسية او مرضه النفسي ومن ثم أصبح بيك "Beck" مقتنعاً بالتحليل المعرفي Cognitive analysis لافكار المريض واتجاهاته وتوقعاته، ومايضيفه على هذه الاحداث من دلالات ومعاني. (ابراهيم، ١٩٩٠: ٢٢)

ويعتبر نموذج بيك (Beck, 1967) من اكثر النماذج المعرفية اصالة وتأثيراً، فهو يرى أن الاكتئاب هو اضطراب التفكير لا اضطراب انفعالي، فطريقة تفكير الفرد وكيفية إعماله (Processing) لما يدركه ويعتقده من معلومات وكيف يفسر الوقائع والاحداث من حوله تمثل كلها عوامل هامة تؤثر في إحداث الاضطرابات الوجدانية فهو يعطي التفكير والمعارف اسبقية لحدوث الاكتئاب، كما يرى أن ما يصاحب الاكتئاب من تغيرات انفعالية واعراض سلوكية او دافعية إنما تترتب على نمط من التشويه المعرفي والتفكير السلبي المميز للمكتئبين والذي يقوم على ثلاثية معرفية من الافكار السلبية عن الذات والمواقف والمستقبل.

(سلامة، ١٩٨٩: ٤٩)

فالشخص المكتئب تسيطر عليه تلقائياً افكار سلبية فهو يقوم بتضخيم السلبيات التي يتصورها عن نفسه والاخرين والتقليل من شأن الايجابيات التي يتمتع بها، ويعمم حالات الفشل التي التي تحدث له في مواقف معينة الى جميع المواقف ومجالات الحياة، وتعمل هذه الافكار كقوى داخلية تشوه وتحرف تفسيره لجوانب الخبرة في الاتجاه السلبي وغالباً ما تدفع هذه الافكار الفرد نحو التصادم مع الواقع

والشعور السريع بالفشل وعدم التوافق والانسجام مع الناس والواقع الخارجي إذ يصل الى استنتاجات خاطئة قائمة على مقدمات مشوهة، وتقوده بالتالي الى تبني أهدافاً غير واقعية ومستحيلة وغالباً ما تتصف بالكمال. (السيد، ١٩٩٣: ١٧)

يمتاز الافراد المشوهين معرفياً بمجموعة من الخصائص هي:

١. اختيار حلول غير منطقية وعقيمة وغير مناسبة في معالجة المشكلات والمواقف الحرجة التي تواجهه وغالباً ما يكون اسلوبه في التفكير تقليدي ومنغلق وغير قادر على التوافق مع مجريات الحياة الجديدة والمتنوعة.
٢. وجود انطباعات مبالغ فيها عن ذاته، فيحس انه شخص عبثي ولا يمكن أن يفشل في حياته ابدأً، أو تكون سلبية مثلاً انه شخص فاشل ولا يستطيع النجاح في الحياة اذا ما قارن نفسه بالاشخاص الآخرين.
٣. غالباً ما يقع أصحاب هذا التفكير في مواقف محرجة ومربكة ويضعون أنفسهم في مواقف يدعون أنهم على دراية وخبرة كبيرة بها، وخاصة عندما يدخلون في حوارات ونقاشات مع الآخرين في مواقف مختلفة. (Rush,1975,P.399)
٤. ضعف الاحساس الوجداني نحو الاخرين لانه يتصرف دون التعاطف مع الاخرين ولا يهتم مايقوهون به من الكلمات الجارحة أو ما يقومون به من أفعال غير مسؤولة ومؤذية. (Ryan & Eric, 2005, p.1250)
٥. ويتصف ايضاً الفرد ذو التفكير المشوه بالجمود الفكري وعدم التعاطي مع الرأي الآخر والمغالاة والحدية، وقد يتجه بعض الافراد نحو الطرف الآخر من هذه المعادلة. (ابو شعر، ٢٠٠٧: ٣٧)

## أنواع التشوهات المعرفية:

- يشير كل من كورين ٢٠٠٨، ومليكة ١٩٩٠، وكحلة ١٩٩٨ الى وجود أنواع عديدة للتشوهات المعرفية، وذكروا منها التقسيمات الآتية:
١. تفكير الكل أو اللاشيء (التفكير الثنائي): من خلال هذا التفكير يدرك الفرد نفسه والآخرين والعالم والمواقف وفقاً لفئات حادة متطرفة، ويميل هذا النوع من التفكير بكونه مطلقاً.
  ٢. الشخصية: يلوم هذا النوع من التفكير نفسه على كل الأخطاء التي تحدث ويربطها بعدم كفايته الشخصية وعجزه، وقد يقوم الفرد بألقاء اللوم على الآخرين نتيجة لما يعانيه من ظروف ومشكلات.
  ٣. الاستنتاج الانفعالي ويرسم هنا الافراد نهاية لحدث ما وفقاً لاحساسهم الداخلي ويتجاهلون اي دليل لامكانية حدوث العكس.
  ٤. التفكير الكوارثي(قراءة المستقبل): يتوقع الفرد هنا سلبية المستقبل وسوء الحظ، كما يعتقد أشياء ستعود عليه بالأمر السيئة.
  ٥. التقوية العقلية (التجريد الانتقائي): يوجه الفرد هنا اهتمامه وانتباهه بصورة خاصة لأحد التفاصيل السلبية وينشغل به، متجاهلاً التصورات الايجابية الاخرى فهو يجهل رؤية الصور بشكل كلي ويركز فقط على الجانب السيء.
  ٦. التعميم الزائد: يتكون هذا النوع من التفكير نتيجة الخبرة السيئة التي مر بها، ويقوم بتعميمها على جميع الخبرات التي يمر بها في جميع المواقف.
  ٧. التضخيم والتهوين: يتبنى الفرد هذا النوع من التفكير عندما يدرك نفسه والآخرين والمواقف ويميل الى التضخيم والمبالغة للمكونات السلبية ويقلل من الايجابيات ويسقطها من حساباته.
  ٨. العنونة: يرى الفرد نفسه والآخرين من خلال مصطلحات الكل أو اللاشيء فقط، ويذهب الى ابعد من ذلك.

٩. القفز الى النتائج: (الاستدلال الخرافي): ويتصف أصحاب هذا النوع من التفكير بأستنتاج النتائج التي ستكون سلبية من غير وجود دليل عليها.

(العصار، ٢٠١٥: ١٦-١٨)

أن نموذج بيك يفرق بين اثنين من المستويات المعرفية المشوهة:

المستوى الاول: يتكون من مجموعة من الاحكام التلقائية التي تتألف من افكار او صور سلبية اطلق عليها "بيك" الثالث المعرفي (Cognitive triad) تجاه الذات والعالم والمستقبل. (احمد، ١٩٩٥: ٦٥)

وبشكل اكثر تفصيلاً فالمكتئب يتسم نمط تفكيره بالتحريف والتشويه، فهو يحرف الوقائع لتتنفق مع إعتقاداته السلبية عن ذاته مما يجعله ينظر الى ذاته على انها تتسم بالفشل وعدم القيمة والكفاية ويسيطر عليها شعور بالنقص، وتمتد هذه النظرة لتشمل الحياة فهي عديمة المعنى كما ان العالم محزن ظالم مظلم (الشمري، ٢٠١٣). وأن هذا العالم يضع العقبات في سبيل الوصول للهدف ومن ثم فالفرد سوف يفشل وستستمر هذه الصعوبات في المستقبل لذلك الفشل الحالي، ومن ثم فهو معمم ولا امل فيه. (الشناوي، ١٩٩٦، ١٥٠)

ويتفق امرى "Emery" مع بيك في أن الافكار السلبية عن الذات والعالم والمستقبل تعمل كقوى داخلية تضخم من السلبيات ونواحي الفشل وتتغاضى عن الايجابيات وتقلل من شأنها وهذه الافكار السلبية تزيد من التشويه وتؤدي الى أن يتفاعل الفرد بطرق مبالغ فيها كما يؤكد (امرئ) أنه حين يصبح الفرد مكتئباً فعادة ما يشوه جميع خبراته في إتجاه سلبي ثم يصل الى استنتاجات خاطئة مبنية على مقدمات محرفة الامر الذي يدعم بدوره تقديره السلبي عن ذاته.

ويؤكد "بيك" على ان النظرة السلبية للذات والعالم والمستقبل تجعل الفرد اقل دافعية واكثر سلبية وتجنباً وهروباً وإحجاماً عن المشاركة في اي نشاط، مما يجعل الفرد يشعر بالعجز واليأس وتسلسل هذه الافكار إلى احلام المكتئب التي تتضمن

(ال فشل والرفض والحرمان والتوقعات السلبية واليأس) مما يزيد من اعراض الاكتئاب. (إبراهيم، ١٩٩٤: ٧٨)

وقد أيدت سلسلة دراسات (بيك) "Beck et al, 1987" وكلاارك وآخرون (Clark et al, 1989) وجرينبرج وبيك "Greanber, Beck, 1989" إذ اكدت هذه الدراسات على ان التكوين المعرفي يحدد طبيعة الاضطراب الانفعالي فاذا كان التكوين المعرفي يتضمن افكار الفقد والفشل والنظرة السلبية تجاه الذات والعالم والمستقبل والتركيز انتقائياً على الاحداث السلبية والتغاضى عن الجوانب الايجابية في الذات والمواقف فإن هذه الافكار ترتبط بالاكتئاب ويمكن ان تنتبأ من خلالها بالاكتئاب. (بحر العلوم، ٢٠٠٤: ٦٧)

**المستوى الثاني:** يتكون من تركيبات او مخططات "Schemata" معرفية اكثر عمقاً وتمثل نماذج معرفية ثابتة "Stable cognitive patterns" يعتنقها الفرد عن ذاته وتمثل الفاظاً مكررة تجعل الشخص يتحدث بها مع ذاته بعبارات اكتبائية مثل (انا غير محبوب) (انا فاشل) وإستمرار الاضطراب الاكتبائي نتيجة الألفاظ الذاتية او التحدث مع الذات Self- Verbalization لا يتقرر بالأحداث أو الظروف الخارجية بل بالمفاهيم والمعارف التي يتبناها الفرد نحو تلك الاحداث. (انطوني، ١٩٨٩: ٤٣)

أن الخبرات التي يمر بها الفرد تستمد دلالاتها اليائسة او الانهزامية او المحزنة من خلال إلتحامها بالاداء السلبي الذي يحمله الفرد عن نفسه وعن العالم وعن المستقبل فتبني مثل هذه الاعتقاد يؤدي الى تشويه الواقع بشكل سلبي ويصبح لدى الفرد نماذج معرفية ثابتة يعتنقها عن ذاته، وتمثل الفاظاً مكررة تجعل الشخص يتحدث بها مع ذاته بعبارات اكتبائية، وأن الافكار السلبية عن الذات والعالم والمستقبل تعمل كقوى داخلية تضخم من السلبيات ونواحي الفشل وتتغاضى عن الايجابيات وتقلل من شأنها وهذه الافكار السلبية تزيد من التشوه المعرفي وتؤدي الى تفاعل الفرد مع الاحداث بطرائق مبالغ فيها، كما أنه عندما يعاني الفرد من

الاكتئاب فإنه عادة ما يشوه جميع خبراته في اتجاه سلبي ثم يصل الى استنتاجات خاطئة مبنية على مقدمات محرفة الامر الذي يدعم تقديره السلبي عن ذاته، وهي تركيب معرفي لغربلة وتشفير وترميز وتصنيف وتقويم المثيرات التي ترتطم بالكائن الحي - أي ان الصيغة تكشف وتشكل المعطيات الخام الى معارف.

(بيك، ٢٠٠٠: ١٢٣)

الانموذج المعرفي الذي اقترحه ارون بيك للتشوهات المعرفية يتضمن أربعة مستويات وهي:

**المستوى الاول:** وهي المعتقدات المركزية (الجوهرية): Core Beliefs وهي معتقدات كلية مغلقة وجامدة عن الذات والآخرين، والمستقبل وهي (تصور نحو الذات سلبي - إيجابي)، وتفسير (سلبي - إيجابي) لخبرات الحياة، ونظرة (تفاؤل - عدم تفاؤل) للمستقبل، وهي التي تؤدي الى توقعات (سلبية - ايجابية) تؤثر بدورها من استجابة الفرد الانفعالية للحدث أو الموقف، والمعتقدات الجوهرية هي أكثر أفكار الإنسان مركزية وتنقسم على مجموعتين ترتبط بالاحساس بالعجز Helplessness، وبالاحساس بعدم الحب Unlivability، والتي تنشأ عنها الافكار التلقائية Thoughts Automatic.

**المستوى الثاني:** المعتقدات الوسيطة Intermediat belifs والتي تتكون من القواعد والاتجاهات والمواقف والافتراضات.

**اما المستوى الثالث:** وهي المخططات Schemata المعرفية والتي تشمل على المعلومات والمفاهيم والصيغ الأساسية والتي يكسبها الفرد خلال مراحل النمو ويرى بيك أن الناس تتفاعل بالأحداث وفقا لمفاهيم لديهم.

**أما المستوى الرابع:** الافكار التلقائية (الأوتوماتيكية) وتعد بمثابة افكار سلبية تؤثر سلباً في قدرة الفرد على مواجهة أحداث الحياة، ومن ثم في قدرته على التكيف مما

يؤدي إلى ردود افعال انفعالية زائدة لا تتلائم مع الموقف أو الحدث وقد لا يكون الفرد على وعي بهذه الافكار حتى يستطيع أن يحددها ومن ثم يمكنه التعامل معها. (الفرحاتي، ١٩٩٧: ٦٧)

### اولاً: المعتقدات المركزية (الجوهرية): Core Beliefs

إن المعتقدات المركزية هي الأفكار الأكثر مركزية عن الذات والناس الآخرين والعالم المحيط ، إنها المفاهيم العميقة التي لا يصل إليها الأشخاص غالباً حتى بأنفسهم وأن الشخص ينظر لهذه الافكار على إنها حقائق مطلقة، أي الأشياء على ما تكون، وبيك Beck يفترض أن المعتقدات المركزية السلبية تقع في قسمين كبيرين:-

\* المعتقدات المتعلقة بالإحساس بالعجز والضعف Helplessness: وتشمل بـ:

أ. ضعف في الضبط الذاتي.

ب. عجز في تحقيق الاهداف.

ج. الشعور بعدم الكفاية.

د. الإحساس بالفشل.

و. ضعف احترام الذات.

هـ. العجز واليأس

ز. توقعات مسبقة للفشل.

ي. فقدان الثقة بالنفس.

\* المعتقدات المتعلقة بالإحساس بالكراهية وعدم الحب unlovability وتتمثل بـ:

أ. الشخص غير ذي قيمة.

ب. الشخص غير مرغوب فيه.

ج. يعاني من نقص في حصوله على حب ورعاية الآخرين

د. شخص غير محبوب.

هـ. الإحساس بالوحدة.

و. الإحساس بالإهمال.

ز. منبوذ من قبل الآخرين.

إن هذه المعتقدات تنمو في الطفولة عندما ينشأ الطفل مع الآخرين ويواجه عدة مواقف مختلفة، وأن أغلب الناس يتبنون معتقدات مركزية ايجابية الى حد ما، اغلب مراحل حياتهم مثلاً (أنا أستطيع عمل كل شيء بكفاية) (أنا إنسان مهم وعامل) (أنا جدير بالحب) (أنا ذو شأن) وقد تطفو المعتقدات الجوهرية السلبية على السطح في اوقات الازمات النفسية (ولكن بعض مرضى الاضطرابات الشخصية يمكن أن يكون لديهم معتقدات سلبية ناشطة طول الوقت)، وعلى العكس من الافكار التلقائية فأن المعتقدات المركزية غالباً ما تكون خفية عن المضطرب لا يتم النطق بها إلا إذا أزال المعالج القشور باسئله المتواصلة عن معنى افكار الفرد (المضطرب)، وأن المعتقدات الجوهرية السلبية عادة ما تكون جامدة عامة وشاملة ومطلقة عن الذات والآخرين. (مي الرمح، ٢٠٠٢: ٥٦)

ويرى سافران "Safran, 1990" أن هناك العديد من الأمور التي يجب مراعاتها

عند تقويم الأبنية المعرفية للمعتقدات المركزية (الجوهرية) وهي:

١. إن الأبنية المعرفية للمعتقدات الجوهرية تنعكس في المعارف الذاتية للفرد.
٢. إن الابنية المعرفية للمعتقدات الجوهرية تبدو سائدة في العديد من تلك المواقف التي يتعرض الفرد لها.
٣. حينما تثار الأبنية المعرفية للمعتقدات الجوهرية ينتج عنها مستوى مرتفع من الانفعالات يؤثر في تصور الفرد لخبراته وتطويرها. (الشمري، ٢٠١٣: ٧٠)

**ثانياً: المعتقدات الوسيطة Intermediate Beliefs:**

إن المعتقدات المركزية تؤثر في نمو المعتقدات الوسطى والتي تتكون من المواقف، والقواعد والاتجاهات والافتراضات، ففي المثال السابق فأن القارئ لديه هذه المعتقدات الوسطى:

موقف: أنه شيء بشع أن أكون غير كفء.

قاعدة أو نوع: يجب أن اعمل بقوة طول الوقت.

افتراض: إذا عملت بقوة أكثر قد أستطيع إن افعل ما يؤديه الناس الآخرين بسهولة. إن هذه المعتقدات تؤثر من رؤيته للمواقف والتي تؤثر في طريقة تفكيره وكيف يشعر ويتصرف لذا فأن المعتقدات المركزية تؤثر في المعتقدات الوسطى والتي تؤثر في الأفكار الثقافية بالتبعية. (بيك، ٢٠٠٠: ١٣٦)

**ثالثاً: المخططات: Schemata**

نماذج داخلية لجوانب الذات والعالم التي يستعملها الأفراد لأدراك، وتتميز واسترجاع المعلومات، وتنمو المخططات عبر طريق من الخبرات المحددة الكثيرة، وهي متكيفة adaptive طالما تسهل عملية معالجة معلومات information processing أكثر كفاية فهي تمكن الفرد من ربط معلومات جديدة بمعلومات قديمة، وذلك حتى يمكن إدراكها واستعادتها بطريقة أكثر أمكانية، ويمكن أن يتخذ التصرف المناسب وقت الحاجة اليه.

إن المخططات تمثل المكونات البنائية الأساسية للتنظيم المعرفي والتي من خلالها يتعرف الكائن ويصنف ويفسر ويقوم بخبراته، وتتصف مخططات الفرد في بعض الاحيان بوجهات نظر سالبة: تتمثل برؤية الذات على إنها معيبة defective غير كفء، وغير مرغوب فيها، وروية العالم كمطالب demaunding محبط أو أنهزامي defeating والنظر إلى المستقبل على أنه عقيم ومليء باليأس.

ولقد افترض بيك إن المخططات السالبة يتم ظهورها بحدوث (أو إدراك حدث) إحداه حياة سالبة، ويتم المحافظة عليها بميل الفرد إلى تشويه المعلومات الواردة إليه بطريقة منظمة في أسلوب غير توافقي أو سلوك انهزامي.

وأشار بيك أيضاً إن المخططات السلبية لدى الأفراد الذين يمتلكون تشوهات معرفية تكون هي المسيطرة، مما ينتج عنه تحيز سلبي منظم في تفسير الخبرات واستدعائها وفي التوقعات القصيرة والبعيدة، بينما تصبح المخططات الإيجابية أقل أهمية، ومن السهل للفرد في هذه الحالة أن يلاحظ الجوانب السلبية، ولكن من الصعب عليه ملاحظة الجوانب الإيجابية، وهو قادر على تذكر الأحداث السلبية بقدر أفضل من قدرته على تذكر الأحداث الإيجابية، ويمنح الاحتمالات الخاصة بالنتائج غير المرغوبة وزناً أكثر من الاحتمالات الإيجابية.

ويفرق بيك بين المخططات والمعتقدات الجوهرية: فالمخططات هي تراكيب معرفية في عقل الإنسان وأن محتوى هذا التركيب هي المعتقدات الجوهرية.

إن النظريات المعرفية في الاضطرابات النفسية ترى إن الأفراد الذين يعانون من تشوهات معرفية لديهم مخططات معينة تدفعهم للتحيز نحو رؤية - إدراك - المواقف في عبارات: فقدان، أو الخطر، أو أنماط أخرى من التهديد للذات، وإن المخططات التي تنتظم حول الموضوعات ربما تكون عامة universal ذلك بسبب قيمتها التكميلية ومع ذلك لدى بعض الأفراد تكون نامية بشكل قوى بسبب خبراتهم الإنمائية المعينة، وعلى الرغم من إن هذه المخططات ربما تكون ساكنة dormxnt نسبياً في اغلب الأحيان فهي يمكن أن تصبح نشطة نتيجة حدوث إحداه حياتية ضاغطة محددة أو حالات مزاجية سالبة محددة وبمجرد ان تنشط فان المخططات ربما تسيطر على إدراك الفرد للمواقف الجديدة، ومن ثم الإبقاء على الحالة الانفعالية. (بيك، ٢٠٠٠: ١٨٧)

ويوجد لدى كل شخص مجموعة من المخططات، فالمخطط جهاز مهم لتشكيل معلوماتنا وإكسابها المعاني وما توحى به من توجهات. ويقتضي التفكير المنطقي بصورته السوية أن تتصف المخططات بدرجة من المرونة تسمح لها أن تؤسس نفسها على قدر معقول من الموضوعية في معالجة التنبيهات الواردة الى الفرد، أما لدى المكتئبين فإن هذه المخططات تكون على درجة عالية من التصلب أو الجمود وتكون عموماً ذات توجه سلبي ومن ثم فهي تشكل إدراكهم وتذكرهم وتقويمهم للأشياء والإحداث في الاتجاه السلبي.

وقد طور جيفري يونك Jeffery Young نموذجة للمخططات المعرفية المبكرة غير التوافقية early maladaptive Schemas، وبين أن الخبرات المضطربة التي تحدث بالتنشئة الاجتماعية المبكرة يمكن أن تؤدي الى تكوين مخططات معرفية مبكرة غير توافقية: وقد عرفها بأنها معتقدات ثابتة ومستمرة تتعلق بالفرد نفسه وبعلاقاته مع غيره تنمو خلال الطفولة وتتوسع خلال حياة الفرد وأنها مختلفة وظيفياً بدرجة دالة وتعمل تلك المخططات كقوالب لمعالجة الخبرات.

اساليب التشوهات المعرفية: **Cognitive distortions styles**

١. **المبالغة او التقليل: Magnification or minimization**

وتتمثل في الميل إلى المبالغة في إدراك الأشياء والخبرات الواقعية، وإضفاء دلالات مبالغ فيها كتصور الخطر والدمار والمبالغة في إدراك نتائج صفة من صفات الأشخاص المصابين بالقلق والتضخم والتقليل، بما يثير إلى خطأ واضح في التقويم يصل الى حد التشويه وهذا النوع من التشوهات يظهر عندما يقلل الفرد من أدائه او تحصيله أو قدراته ويضخم في الوقت ذاته من حجم مشكلاته ومهامه، فتفكير الشخص في حالات القلق يتميز بالمبالغة في تفسير الموقف، مما يؤدي الى إثارة مشاعر الخوف والتوتر فهو دائماً يتوقع الشر لنفسه ولأسرته او لممتلكاته، او يتوقع الخوف من فقدان مركزه او وظيفته والأشخاص المهمين في حياته وربما لا

توجد اسباب وجيهة او واقعية تيرر ذلك، والشخص القلق يبالغ في تصور خبرات (قد تكون محايدة) في علاقاته بأصدقائه، أو أقاربه أو رؤسائه فيدركها على إنها مهينة أو محبطة، ومن ثم ((استحقاق العقاب واللوم .. وهكذا)). (بيك، ٢٠٠٠: ٧٤)

## ٢. التعميم المفرط Overgeneralization

إن الميل إلى الأحكام المطلقة والتعميمات المتطرفة فيما لاحظته الفلاسفة منذ زمن بعيد يعد من الأشياء المعارضة للعقلانية والتفكير المنطقي، والتي ترتبط حتماً بإثارة الشقاء والاضطراب ويعد التعميم المبالغ من العوامل الحاسمة في كثير من الاضطرابات الاجتماعية مثل التعصب والعدوان، فكثير من الخصائص السلبية التي ننسبها لجماعة معينة لكي يبرر تعصباً نحوها قد يكون في الحقيقة تعميماً خاطئاً لخبرة سيئة مع فرد ينتسب لهذه الجماعة، ولهذا ليس نادراً أن نجد كثيراً من الذكور الذين مروا بخبرة سيئة مع واحدة من الجنس الآخر، غالباً ما يرددون: (لا تتق بالمرأة) والعكس صحيح، فكثيرات من النسوة يرددن: (الرجال جميعاً سواء)، ومثل هذه التعميمات تكون بداية لظهور بذور سوء التوافق او علامة له.

## ٣. تفكير الكل أو اللاشيء All or Nothing

يميل بعض الأشخاص إلى ادراك الأشياء على إنها إما بيضاء أو سوداء حسنة أو سيئة خبيثة أو طيبة صادقة أو خاطئة، دون أن يدركوا إن الشيء الواحد قد يبدو في ظاهر الأمر سيئاً ولكن ربما يحتمل أن تكون فيه أشياء ايجابية يؤدي مستقبلاً إلى نتائج ايجابية وقد كشفت بعض الدراسات من إن هذه الخاصية من التفكير، أو بعض الخصائص الشخصية الوثيقة الارتباط بها مثل التصلب وجود شخصية، ترتبط بسمات غير توافقيه كالتعصب والتسلط والتوتر والقلق. (نظمي، ٢٠١١: ٩٥)

## ٤. التجريد الانتقائي Selective Abstraction

هو ان يعزل الشخص خاصية معينة من سياقها العام ويؤكد لها في سياق آخر، فالشخص قد يعزف عن التقدم والتجريد الانتقائي من الاخطاء التي تشيع في أفكارنا،

وإن الفرد يركز على جزء من التفاصيل السلبية ويتجاهل الموقف كله ويقلل من قيمة الإيجابيات والوصول إلى صيغة للنتيجة بالنسبة لحدث معين أو ذكرى أو اثر ذلك على اساس من تفصيلات مستقلة على حين يكون هناك تجاهل للبراهين المتناقضة والأكثر دقة، وكأن الشخص قد وضع منظارا على عينيه لا يكشف له عن شيء طيب في حياته ولا يظهر له إلا ما هو معتم وظالم لنفسه.

### ٥. القفز إلى الاستنتاجات: Jumping to Conclusions

في أغلب الحالات يكون السلوك ناتجاً عن خطأ في تفسير الحادثة، بسبب عدم توافر معلومات معينة أو بسبب وجود سياق مختلف ومن أكثر أنواع هذا الخطأ ذلك الذي ينتهي بنا لمحاولة قراءة أفكار الآخرين Mind Reading في كل كبيرة وصغيرة، ولا تكفي بهذه القراءة السلبية لأفكارهم ولكننا نتصرف ونسلك تجاه ذاتنا وتجاه الآخرين والعالم، وفق هذه التصورات كما لو كانت حقيقة فنشعر أحياناً بأننا (مرفوضون) ونشعر أحياناً بأننا (مملون) وإننا (لا نحظى بالتقدير) و(الاحترام الكافي) بحسب ما توحى لنا به قراءتنا الخاطئة لأفكار الآخرين.

(سلامه، ١٩٨٧: ١١٣)

### ٦. التأويل الشخصي للأمور واللوم Personalization and Blame:

إن من أخطاء الاستنتاج ما يسميه (بيك) وعلماء النفس العلاجي التفسيرات الشخصية للأمور Personalization، وبمقتضى هذا الأسلوب يجنح الفرد إلى التورط في تحمل مسؤولية الأخطاء الخارجية، بعبارة أخرى تجده هنا ينسب إلى نفسه (دون وجود برهان) مسؤولية الخطأ والنتائج السلبية في المواقف التي يمر بها (أو حتى التي لا تتعلق به شخصياً) (ويتم تفسير المواقف والأحداث على انها مؤشرات لشيء سلبي خاص به بينما في الحقيقة لا تمت لحالته بصلة مثلاً مدير العمل صامت لأنني غير محبوب أو غير كفء أو لأنني أخطأت) ويكشف لنا هذا النوع من التفسيرات الشخصية السبب فيما يصيب المصابين بهذا النوع من

الاضطراب الوجداني من مشاعر عميقة بالذنب والندم الدائم على أشياء هي في واقع الأمر ليست من صناعتهم الشخصية ولكنهم يرون أنهم مسؤولون عنها.

(الشمري، ٢٠١٣: ٨١)

#### ٧. التفكير المأساوي توقع الكوارث: Catastrophizing Thinking

هو نوع من التعميم الزائد يتم فيه تضخيم تأثير حدث سلبي بشكل مبالغ فيه ومتطرف، ويبني هذا التفكير على توقعات سلبية للمستقبل بدون اعتبار لاحتمالات أكثر ايجابية، حيث لا يتوقع الفرد من نتائج افعاله الا الاسوأ ويرى أن أحداث المستقبل لا تحمل الا السوء الذي لا يستطيع تحمله، وأن تلك التوقعات لها دور كبير في زيادة عبء الضغوط على الفرد فالعامل الذي لا يتوقع لنتائج اعماله الا العقاب او التوبيخ او حتى الفصل وبصورة غير عقلانية يضع نفسه تحت مستوى مرتفع من الضغط المستمرة التي تنهك مصادره الوجدانية والانفعالية وتستنفذ طاقته النفسية، وتسهم بصورة مؤثرة في مروره بخبرة الاحتراق النفسي.

#### ٨. الاستنتاج الانفعالي: Emotional Reasoning

ويقدم الفرد هنا على تفسير الأحداث في ضوء مشاعره الشخصية، والتي قد لا تكون مرتبطة بالحدث مباشرة.

#### ٩. التفكير بلغة الينبغيات عبارات يجب ولا بد

#### Should or must Statements

وهنا يكثر استعمال الفرد لصيغة "ينبغي" لوجود مجموعة من الافكار لدى الفرد عن نفسه وما حوله من العالم ذات طبيعة ثابتة وجامدة ولا تتمتع بالمرونة المطلوبة للتوافق مع تغيرات الحدث وحينما يواجه الفرد بمواقف حياتيه يومية متغيرة يصعب عليه التأقلم معها وتصبح افكاره هذه مولدة لضغوط وكرب نفسي يعانیه الفرد ويمهد لاضطرابه النفسي والدراسات تدلنا على ان كثيراً من مصادر الضغوط تتمركز في مشكلات الحياة اليومية daily life problem ومسببي بيئة العمل فإن صادفت تلك المشكلات صيغة (ينبغي) جامدة لدى الفرد كان التوافق معها صعباً.

(مي الرمح، ٢٠٠٢: ١١٧)

تبنت الباحثة نظرية التشوهات المعرفية لـ(آرون بيك) أطراً مرجعياً في القياس وتفسير النتائج، إذ أنها النظرية التي نشأ مفهوم التشوهات المعرفية في كنفها، وأثبتت قدرتها على استيعاب كافة التطورات التي طرأت عليها، وظلت فعالة في إثارة بحوث أكثر تعقيداً وقيمتها الكشفية التي ظلت قادرة على إثارة دراسات جديدة حتى اليوم.

### الفصل الثالث: منهج البحث واجراءته :

يتضمن هذا الفصل عرضاً لمنهجية البحث واجراءته من حيث تحديد مجتمع البحث واختيار عينة ممثلة منه ووصف اداة البحث بخطواتها والوسائل الإحصائية المستخدمة فيه وعلى النحو الآتي:-

#### أولاً:- مجتمع البحث:-

يتحدد مجمع البحث الحالي من طلبة المرحلة الاعدادية من الذكور والاناث ومن التخصصين العلمي والادبي في المدارس الحكومية في مركز محافظة البصرة، للعام الدراسي ٢٠١٨-٢٠١٩ البالغ عددهم (١٠٠) مدرسة بواقع (٥٣) مدرسة من الذكور و(٤٧) مدرسة للاناث، وقد بلغ المجموع الكلي للطلبة (٤٦٠٧٠) بواقع (٢٦٥٢٧) طالباً و(١٩٥٤٣) طالبة، من كلا الاختصاصين العلمي والادبي.

#### الجدول (١)

أعداد طلبة مجتمع البحث في مديريات تربية بغداد / الرصافة

الجنس	عدد المدارس	عدد الطلبة
ذكور	٥٣	٢٦٥٢٧
اناث	٤٧	١٩٥٤٣
المجموع	١٠٠	٤٦٠٧٠

## ثانياً: عينة البحث:

بلغت عينة البحث الحالي (٤٠٠) طالباً وطالبة من طلبة الصف الخامس الإعدادي تم اختيارهم بطريقة عشوائية من (٤) مدارس إعدادية في المديرية العامة لتربية البصرة بواقع (٢٠٠) طالباً و(٢٠٠) طالبة، وقد بلغ عدد طلبة الفرع العلمي (٢٠٠) طالباً وطالبة، وعدد طلبة الفرع الأدبي (٢٠٠) طالباً وطالبة والجدول (٢) يوضح ذلك.

## جدول (٢)

يوضح عينة البحث بحسب متغير الجنس (ذكور - إناث)  
ومتغير التخصص (علمي - أدبي)

المجموع	الإناث		الذكور		المدارس
	ادبي	علمي	ادبي	علمي	
١٠٠	٥٠	٥٠			اعدادية العهد الزاهر للبنات
١٠٠	٥٠	٥٠			اعدادية الوثبة للبنات
١٠٠			٥٠	٥٠	اعدادية السبطين للبنين
١٠٠			٥٠	٥٠	اعدادية العباس للبنين
٤٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	المجموع

## ثالثاً: أداة البحث:

## ١. مقياس التشوهات المعرفية: Cognitive distortions scale

لغرض تحقيق أهداف البحث تطلب وجود مقياس للتشوه المعرفي وقد تبنت الباحثة مقياس أرون بيك Aaron beck والمقياس في صورته النهائية مكون من (٣٩) فقرة تغطي تسعة مجالات:

## وصف المقياس

يتكون المقياس من (٣٩) فقرة موزعة على المجالات الآتية:

اتبع ارون بيك تسعة مجالات لبناء مقياس التشوه المعرفي وهي:

١. الكل او لاشيء all or nothing: وهو ميل لنمط من التفكير يكون مطلقاً، ويدرك الفرد نفسه والعالم في فئات حادة متطرفة فالامور اما ان تكون جيدة جداً او سيئة جداً.

٢. الشخصية (واللوم) Personalization and Blame: وهو تشويه يعتقد فيه الفرد أن جميع المواقف والاحداث تدور من حوله وتتعلق بشخصيته إذ يلقي الفرد باللوم على نفسه في جميع المواقف التي يواجهها ويعتبر نفسه مسؤولاً عن جميع الاخطاء، او العكس.

٣. التفكير الكارثي Catastrophizing: وهو توقع الفرد من نتائج افعاله الاسوأ وينظر الى احداث المستقبل بأنها لاتحمل الا السوء الذي لا يستطيع تحمله.

٤. الاستنتاج الانفعالي Emotional Reasoning: والفرد هنا يقدم على تفسير الاحداث في ضوء مشاعره الشخصية والتي قد لا تكون مرتبطة بالحدث مباشرة.

٥. اليجبيات والحتميات Should or Most Statements: وهو كثرة استعمال الفرد لصيغة الينبغيات وذلك لوجود مجموعة من الافكار لدى الفرد عن نفسه وما حوله من العالم ذات طبيعة ثابتة وجامدة ولا تتمتع بالمرونة للتوافق مع تغيرات الحدث.

٦. التجريد الانتقائي Mental Folter Selective- abstraction: الانتقاء السلبي بعزل خاصية عن سياقها العام، مع تأكيدها في سياق آخر لاعلاقة له بالنتيجة السلبية السابقة (الفرد لا يرى من الموقف او الحدث الا عناصره السلبية متجاهلاً بصورة غير واعية العناصر الايجابية للموقف).

٧. التعميم الزائد Overgeneralization: تعميم خبر سلبية منعزلة على الذات ككل إذ يعمم الفرد من خبرته السلبية على كل المواقف الشبيهة ويتعامل معها مثل تعامله مع الخبرة السلبية.

٨. التضخيم والتهوين (التقليل) Magnification and minimization اضافة دلالات مبالغ فيها على موضوعات محايدة وادراك العناصر السلبية في الموقف بصورة مبالغ فيها وتصغير من قدر العناصر الايجابية.

٩. القفز الى الاستنتاجات Jumping to conclusion:

هو استنتاج الفرد للمواقف بصورة سلبية دونما وجود دليل عليها وله وجهان:

١. قراءة العقل mind reading: وهو اعتقاد الفرد أنه يعرف فيما يفكر فيه الأخرين.

٢. والتنبؤ بالمستقبل Futuretelling: وهو توقع الفرد ان المستقبل لا يعيبه خيراً له في اغلب الاحيان.

وقد صمم المقياس على وفق اسلوب ليكرت (Likert) وهو ذو ستة بدائل هي (موافق تماماً، موافق كثيراً، موافق قليلاً، ارفض قليلاً، ارفض كثيراً، ارفض تماماً)، اما اوزان البدائل اخذت الفقرات الدالة على التشوهات المعرفية (الموجبة) ترتيب اوزان البدائل من (٦-١) إذ أعطيت (٦) درجات للبدل (موافق تماماً)، و(٥) درجات للبدل (موافق كثيراً)، و(٤) درجات للبدل (موافق قليلاً)، (٣) درجات للبدل (ارفض قليلاً)، ودرجتان للبدل (ارفض كثيراً)، ودرجة واحدة للبدل (ارفض تماماً)، اما الفقرات الدالة على انخفاض تشوهات (السالبة) فأخذت الترتيب المعاكس لهذه الأوزان ويعني توزيع الأوزان بهذه الطريقة، ان ازدياد درجة المفحوص على المقياس يعني ازدياد التشوهات المعرفية لديه والعكس صحيح.

## التحليل المنطقي لل فقرات:

عرضت الباحثة فقرات المقياس على عدد من الخبراء المتخصصين في العلوم التربوية والنفسية (ملحق ١) وطلب منهم تحليل الفقرات منطقياً وتقدير مدى صلاحيتها وفي ضوء آرائهم ومقترحاتهم اتضح أن الفقرات جميعها كانت صالحة للمقياس وبنسبة اتفاق ١٠٠% فاصبح عدد الفقرات (٣٩) فقرة وهي التي ستحلل احصائياً لحساب بعض مؤشرات القياسية. (ملحق ٢)

## التجربة الاستطلاعية للمقياس:

إن الهدف من التجربة الاستطلاعية هو التعرف على وضوح تعليمات المقياس للطلبة وفهمهم لعباراته فضلاً عن أحساب الوقت المستغرق للإجابة، طبق المقياس على عينة مكونة من (٣٠) طالبا وطالبة، وقد تبين من هذه التجربة فهم المستجيبين لتعليمات المقياس ووضوح فقراته وقد استغرق وقت تطبيق المقياس ما بين (٢٠-٢٧) دقيقة.

## التحليل الاحصائي لفقرات مقياس التشوه المعرفي:

استخدمت الباحثة أسلوب المجموعتين الطرفيتين لمعرفة الفقرات المميزة بعد ان طبق المقياس على (٤٠٠) طالبا وطالبة تم ترتيب الاستمارات من اعلى درجة الى ادنى درجة ثم اخذ ٢٧% الحاصلة على اعلى الدرجات و ٢٧% الحاصلة على ادنى الدرجات تم تطبيق الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لاختبار دلالة الفرق بين المجموعتين العليا والدنيا فظهر ان جميع الفقرات مميزة بعد مقارنتها بالقيمة الجدولية البالغة (١,٩٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وبدرجة حرية (٢١٤) والجدول (٣) يبين ذلك.

جدول (٣)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري للمجموعتين  
العليا والدنيا لمقياس (التشوه المعرفي)

الدلالة الإحصائية	القيمة النائية المحسوبة	المجموعة الدنيا		المجموعة العليا		ت
		الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	
دالة	٦,٦٨٤	١,٩٤٣	٣,٢٣	١,٣٤١٧	٣,١٥٧	١
دالة	٩,٤٢٤	١,٤٠٦	٣,٦٤	١,٦٥٣	٤,٦٥٢	٢
دالة	٦,٦٤٥	١,٥٧٩	٣,١١٥	١,٠٣٢	٤,٧٣٢	٣
دالة	٧,٣٨٧	١,٩٠٦	٢,٥٧٤	١,٧٣٢٣	٣,٣٤٤	٤
دالة	٨,٥٤٧	١,١٧٥	٣,٢٤٣	١,٨٢٠١	٤,٧٩٦	٥
دالة	٥,٣٧١	١,٥٣	٣,٧٣١	١,٠٤٣٢	٣,١٠٤	٦
دالة	٣,٧٦٥	١,٤٣٢	٣,١٢٦	١,٨٤٩٦	٣,٣٧٠	٧
دالة	٧,٨٨٢	١,٧٩١	٣,٣٢٣	١,١٣٨٠	٤,١٥٩	٨
دالة	٤,٨٥٧	١,٥٦٠	٣,٤٥٢	١,٤٤٣٠	٤,٦٥٦	٩
دالة	٣,٥٧٧	١,٧٦٣	٣,٢٢٢	١,٣٢٢٠	٣,٠٤١	١٠
دالة	٤,٤٦٤	١,٥٣٥	٣,٥٤١	١,٨٤٣٧	٣,٤٧٦	١١
دالة	٤,٦٣٨	١,٦٢٦	٣,٣٣٣	١,٥٤٦	٤,٥٣٨	١٢
دالة	٥,١٩٠	١,٣٥٩	٣,٧٥٦	١,٤٣٤٧	٣,٢٠٤	١٣
دالة	٥,٣٠٤	١,٣٣٧	٣,٤٥٠	١,١٥٩	٣,٠٨٥	١٤
دالة	٣,٦٥٩	١,٠٢٩	٢,٤٦٣	٠,٧٢٣٢	٤,٢٣٧	١٥
دالة	٦,٦٦٥	١,٤٠٩	٣,٢٨٦	١,٨٥٣	٤,٢٦٥	١٦
دالة	٣,٩٨٦	١,١٤٧	٣,٥٣١	١,١٥٩٩	٣,٧٧٠	١٧
دالة	٣,٥٦٣	١,٣١٨	٣,٥٤٧	١,٣٦٠٧	٣,٧٣٧	١٨
دالة	٤,٩٦٩	١,٢٧٢	٣,٥٧٢	١,٤٤٢٤	٣,٢٢٢	١٩
دالة	٥,٧٣١	١,٠٦٦	٣,٣٤٢٦	١,٤٧٠٢	٤,٤٦٣	٢٠

الدلالة الاحصائية	القيمة الناتجة المحسوبة	المجموعة الدنيا		المجموعة العليا		ت
		الاتحراف المعياري	الوسط الحسابي	الاتحراف المعياري	الوسط الحسابي	
دالة	٣,٦٠٩	٠,٩١٨	٣,٣١٩	١,٤٤٨	٤,٧١٩	٢١
دالة	٩,٠١٥	٠,٩٠٧	٣,٣٢٧	٠,٩٢٦٣	٤,٤١٥	٢٢
دالة	٣,٢٦٦	١,١٢٨	٣,٤٤٢	١,٤٠٧٣	٤,٩٢٢	٢٣
دالة	٣,٧٦١	١,٠٤٤	٢,١٥	٠,٩٤٥٩٢	٤,٢٠٧	٢٤
دالة	٤,٦٢٥	٠,٩٨٢	٣,٢٩٦	١,٣٣٠٩	٣,٦٣٠	٢٥
دالة	٣,٣٨٥	١,٢٥١	٣,٣٢٦	١,٧٣٩١	٤,٣٦٦	٢٦
دالة	٤,٧٨٤	١,٣٢١	٣,٧٦٣	١,٧٩٦١	٤,١٤٤	٢٧
دالة	٣,٢٢١	١,١١٢	٣,٥٣٣	١,٦١٠٩	٤,٨٣٣	٢٨
دالة	٢,١٦٨	٠,٨٩٤	٤,٣٢١	١,٢٣٦	٤,٤٥٢	٢٩
دالة	٥,٢٤٨	١,١٤٠	٣,٥٩٦	٠,٧١٨	٤,٣٥٢	٣٠
دالة	٤,٥٤٣	١,٦١٦	٣,٤٤٥	٠,٠٧٩	٤,١٨١	٣١
دالة	٤,٦٢٣	١,٥١٢	٢,١٩٦	١,٣٨٧٥	٤,١٦٧	٣٢
دالة	٦,٣٧٢	١,٥١١	٣,٣٥٤	٠,٩٩٨٧	٣,٦٩٦	٣٣
دالة	٣,٣٨٧	٠,٩٦٧٢	٣,٧٦١	٠,٧١٥٨	٣,٣٨٩	٣٤
دالة	٧,٤٣٣	١,٣٠٧	٢,٣٦٦	١,٥٠٧١	٣,٧٦٥	٣٥
دالة	٤,٢٠٧	١,٥١٩٥	٣,٣٩٣	٠,٩٣٢	٣,٦٩٣	٣٦
دالة	٤,٤٥٧	٠,٩٤٣	٤,٩٨٩	١,٠٨٢	٤,٤٨٩	٣٧
دالة	٦,٥١٨	٠,٨٦٢	٣,٥٥٦	١,٢١٥	٤,٧٤٦	٣٨
دالة	٥,٧٩٨	٠,٩٣٨	٣,٣٤٥٩	٠,٩١٤	٤,٣٦١	٣٩

## علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس

اعتمدت هذه الطريقة كون الدرجة الكلية تمثل محكا داخليا يمكن من خلالها استخراج معامل صدق الفقرة، وذلك لعدم توافر محك خارجي، حيث استعمل لذلك معامل ارتباط بيرسون بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية لكل استمارة، ولحساب معامل الارتباط بين درجات أفراد العينة على كل فقرة من الفقرات ودرجاتهم الكلية على المقياس باستخدام معامل ارتباط بيرسون لـ (٤٠٠) استمارة أظهرت النتائج أن جميع معاملات الارتباط دالة إحصائيا عند مقارنتها بقيمة معامل الارتباط الجدولية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) كما موضح في الجدول (٤) وبذلك يصبح المقياس ذا صدق بنائي وفق هذا المؤشر.

## جدول (٤)

معاملات الارتباط لفقرات مقياس التشوه المعرفي مع الدرجة الكلية

معامل ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية	ت	معامل ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية	ت	معامل ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية	ت
٠,٣٥٩	٢٧	٠,٥٤١	١٤	٠,٤٢٠	١
٠,٤٦٣	٢٨	٠,٤٤٥	١٥	٠,٤١٣	٢
٠,٣٧٥	٢٩	٠,٦٤٢	١٦	٠,٥٢٠	٣
٠,٦٥٠	٣٠	٠,٤٥٨	١٧	٠,٥١٢	٤
٠,٥٤٢	٣١	٠,٦٣٥	١٨	٠,٦٣٤	٥
٠,٣٨٣	٣٢	٠,٤٢٠	١٩	٠,٥٩٣	٦
٠,٥٥١	٣٣	٠,٥٤٦	٢٠	٠,٣٩٧	٧
٠,٤٨٣	٣٤	٠,٥٨٣	٢١	٠,٥٣٧	٨
٠,٢٣٩	٣٥	٠,٤٩٥	٢٢	٠,٦٣٨	٩
٠,٤٧٤	٣٦	٠,٣١٠	٢٣	٠,٤٦٥	١٠
٠,٥٨٧	٣٧	٠,٦٢٩	٢٤	٠,٥٢٤	١١
٠,٤٣١	٣٨	٠,٥٤١	٢٥	٠,٤٥٠	١٢
٠,٥٦٩	٣٩	٠,٦٤٤	٢٦	٠,٤٥٧	١٣

**الخصائص القياسية (السيكومترية) للمقياس :**

تحققت الباحثة من الخصائص السيكومترية للمقياس كالاتي:

أ- **صدق المقياس:** اعتمدت الباحثة إلى نوعين من الصدق هما: الصدق الظاهري، وصدق البناء وكالاتي:

١- **الصدق الظاهري:** وقد تحققت الباحثة من الصدق الظاهري للمقياس بعد عرضه على السادة المحكمين.

٢- **صدق البناء:** يمكن أن تكون معاملات ارتباط الفقرات بالدرجة الكلية، والقدرة التمييزية للفقرات من مؤشرات صدق المقياس، ولما كانت معاملات ارتباط الفقرات بالدرجة الكلية للمقياس جميعها ذات دلالة إحصائية وأن الفقرات جميعها لها القدرة على التمييز بين المجيبين لذلك يعد مقياس البحث الحالي صادقاً في بنائه من خلال هذه المؤشرات.

ب- **ثبات المقياس:** تحققت الباحثة من ثبات المقياس بطريقتين هما:

١- **طريقة إعادة الاختبار:**

طبق المقياس الكلي مرة ثانية بعد (٢٠) يوماً على (٤٠) طالبا وطالبة، واستخدام معامل ارتباط (بيرسون) بين درجات التطبيقين فكان معامل الارتباط (٠,٨٦) الذي يمثل ثبات جيد للمقياس.

٢. **طريقة الفا كرونباخ للاتساق الداخلي:**

لحساب الثبات بهذه الطريقة، سحبت (١٠٠) استمارة بصورة عشوائية من عينة تحليل الفقرات. وبعد تطبيق معادلة الفا كرونباخ للاتساق الداخلي. وقد بلغ ثبات المقياس (٠,٨٥) وقد عدت هذه القيمة مؤشرا جيدا على ثبات المقياس.

**المقياس بصيغته النهائية:** يتألف المقياس بصيغته النهائية من (٣٩) فقرة، وبذلك تتراوح اعلى درجة كلية للمقياس (٢٣٤) درجة وادنى درجة للمقياس (٣٩) درجة وبمتوسط نظري مقداره (١٣٦,٥) درجة.

## الفصل الرابع: عرض النتائج وتفسيرها:

يتضمن هذا الفصل عرضاً للنتائج التي توصل إليها البحث الحالي على وفق أهدافه الموضوعية في الفصل الأول، وتفسير هذه النتائج على أساس نظري وعلمي والتوصل إلى استنتاجات نهائية ومن ثم الخروج بمجموعة من التوصيات والمقترحات، وكما يأتي:

## الهدف الاول: التعرف على التشوه المعرفي لدى طلبة المرحلة الإعدادية:

لتحقيق هذا الهدف تم تطبيق مقياس التشوه المعرفي على طلبة المرحلة الإعدادية والبالغ عددها (٤٠٠) طالبا وطالبة وهي عينة التحليل الاحصائي نفسها وقد اظهرت نتائج البحث ان متوسط درجاتهم على المقياس بلغ (١٩٢،٤) درجة وبانحراف معياري مقداره (٧،٧٠٢) درجة بينما كان المتوسط الفرضي للمقياس (١٣٦،٥) درجة وباستخدام الاختبار التائي لعينة واحدة ظهر ان القيمة التائية المحسوبة كانت (٣٢،٦٣) درجة وهي اعلى من القيمة الجدولية البالغة (١،٩٦) وهي دالة احصائيا عند مستوى دلالة (٠،٠٥) ودرجة حرية (٣٩٩)، وهذا يدل على ان طلبة المرحلة الإعدادية لديهم تشوه معرفي والجدول (٥) يوضح ذلك.

## جدول (٥)

القيمة التائية لدلالة التشوه المعرفي لدى طلبة المرحلة الإعدادية

العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة
٤٠٠	١٩٢،٤	٧،٧٠٢	١٣٦،٥	٣٢،٦٣	١،٩٦	٠،٠٥

وطبقاً لنظرية بيك Beck فإن مجموعة الاحكام التلقائية التي تتألف من افكار وصور سلبية اتجاه الذات والعالم والمستقبل تكون غير سليمة على ما يبدو من خلال هذه النتيجة ، وأيضاً اكدت النظرية ان الخبرات التي يمر بها الفرد تستمد دلالاتها اليأسة والانهازامية والمحنة من خلال التحامها بالاراء والتفسيرات السلبية التي

يحملها الفرد عن ذاته وعن العالم وعن المستقبل. وهذا بالفعل ما تؤكدُه الأحداث اليومية التي تعيشها العينة وهذه النتيجة اتفقت مع دراسة (الشمري ٢٠١٣) الهدف الثاني:- التعرف على التشوه المعرفي لدى طلبة المرحلة الإعدادية تبعا لمتغيري الجنس (ذكور اناث) والفرع (علمي - أدبي) لتحقيق هذا الهدف استعملت الباحثة تحليل التباين الثنائي للتعرف على دلالة الفروق في التشوه المعرفي بين افراد عينة البحث جدول (٦) وفقا لمتغيري الجنس والفرع وكالاتي :-

## جدول (٦)

تحليل التباين الثنائي لدلالة الفروق في التشوه المعرفي وفقا لمتغيري الجنس والفرع

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	القيمة الفائية المحسوبة	القيمة الفائية الجدولية	دلالة الفروق
بين المجموعات	٠،٩٩٥	٣	٠،٣٣٢	١،٣١١	٣،٨٤٢	غير دال
ضمن المجموعات	٤٩،٦٠٠	٣٩٦	٠،٢٥٣			
الجنس	٢٢،٤٧٦	١	٢٢،٤٧٦	٦،٨٢٣	٣،٨٤٢	دال
الفرع	٠،٠٠١	١	٠،٠٠١	٠،٠٠٢	٣،٨٤٢	غير دال
الكلي	٥٠،٥٩٥	٣٩٩				

## أ - الجنس

أظهرت النتائج ان القيمة الفائية المحسوبة لمتغير الجنس بلغت (٦،٨٢٣) وهي اعلى من القيمة الفائية الجدولية (٣،٨٤٢) عند مستوى دلالة (٠،٠٥) وبدرجتي حرية (٣٩٩-١) وهذه النتيجة تشير الى ان الفرق في اتشوه المعرفي تبعا لمتغير الجنس دال احصائيا ولصالح الذكور.

اتفقت هذه النتيجة مع نتيجة دراسة بيك Beck ودراسة برون وسيلبرشارتز Weems 200 Brown and Silberschartz 1989 وتشير هذه النتيجة على ان الذكور لديهم (تشوه معرفي) اكثر من الاناث، أن التشوه المعرفي تأتي نتيجة منطقية للظروف البيئية الضاغطة وان الاحداث البيئية السلبية والمؤلمة وطبيعة التنشئة الاجتماعية التي يتلقاها الابناء الذكور من خلال المؤسسات الاسرية والتعليمية والمهنية وتوجهات المجتمع اتجاه الذكور يكون اكثر عرضة لتلقي وتأسيس قواعد من المعتقدات والافكار المشوهة التي تؤدي الى ظهور العديد من المشكلات النفسية والاجتماعية والانفعالية وبما أن الجوانب المعرفية تحكم الانفعالات والمشاعر وهذا يبين العلاقة الدائرية بين الجوانب المعرفية والانفعالات فضلاً عن أن المشاعر والانفعالات غير الملائمة التي انتجتها الضغوط والاحداث واساليب التنشئة تكون افضل مؤشر لوجود تشوهات معرفية لدى الفرد ونتيجة للعديد من المشكلات التي يعيشها الشباب الذكور (وما يتعرضون له من خبرات بيئة سيئة تتكون لديهم معارف مشوهة وأكد بيك ان اعتناق الوالدين لبعض الافكار المشوهة يعمل على تفاقم المشكلات السلوكية والانفعالية لدى الابناء).

ب. الفرع: أظهرت النتائج ان القيمة الفائية المحسوبة لمتغير الفرع بلغت (٠,٠٠٢) وهي اصغر من القيمة الفائية الجدولية (٣,٨٤٢) عند مستوى دلالة (٠,٠٠٥) ودرجتي حرية (١ - ٣٩٩) وهذه النتيجة تشير الى ان الفرق في التشوه المعرفي تبعاً لمتغير الفرع غير دال احصائياً. إن التخصصات الانسانية ليس لها اثر في تكوين (تشوه معرفي) من التخصصات العلمية، وتشير هذه النتيجة الى ان ليس هناك فروق بين التخصصات العلمية والانسانية اي ان التخصص الانساني لديه تشوهات معرفية كما للتخصص العلمي وترى الباحثة ان السبب يعود الى ان افراد العينة لا يتأثرون بنوعية التخصص والبيئة المحيطة بهم وهذا دليل يؤكد على ان التخصصات العلمية والانسانية تتعرض لنفس الاحداث وتعيش نفس الظروف.

## التوصيات

- في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث الحالي توصي الباحثة بما يأتي:
١. في الكشف عن الطلبة الذين يعانون من تشوه معرفي مرتفعة واتخاذ الاجراءات اللازمة من خلال متخصصين في العلاج المعرفي السلوكي لتغيير نظرة الفرد السلبية اتجاه ذاته ومستقبله والأخرين.
  ٢. نظراً لأن الاستعداد المعرفي للاصابة بالتشوه المعرفي يبدأ في مرحلة مبكرة لذا يجب التصدي له بمرحلة مبكرة وذلك بأدخال البرامج العلاجية ك برنامج (العلاج المعرفي السلوكي لبيك) و(العلاج العقلاني الانفعالي السلوكي لـ إليس) في المدارس ضمن دورات تدريبية للتعرف والكشف عن التشوهات المعرفية وضرورة تنبيه الاباء والمعلمين لخطورة هذه المعتقدات المشوهة والعمل على تشخيصها وعلاجها.

## المقترحات

- استكمالاً لمتطلبات هذا البحث فقد اقترحت الباحثة عدد من الدراسات والبحوث العلمية الآتية:
١. اجراء دراسات اخرى تتناول التشوهات المعرفية لدى شرائح اجتماعية مختلفة ومراحل عمرية اخرى
  ٢. اجراء دراسات اخرى تتناول علاقة التشوه المعرفي بمتغيرات لم يتناولها البحث الحالي مثل:
    - أ- علاقة التشوه المعرفي بالضغط ما بعد الشدة الصدمية (PTSD).
    - ب- علاقة التشوه المعرفي بمهارات التجهيز المعرفي.
    - ج- علاقة التشوه المعرفي بالتفكير الاضطهادي.
    - د- علاقة التشوه المعرفي بالعجز المتعلم.

## المصادر العربية:

- إبراهيم، عبد الستار (١٩٩٤): العلاج النفسي السلوكي المعرفي الحديث: أساليبه وميادينه تطبيقه، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع.
- \_\_\_\_\_، عماد (١٩٩٠): دراسة التفكير الالاعقلاني من حيث علاقته بالقلق والتوجه الشخصي لدى عينة من الشباب الجامعي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق.
- أحمد، حمدان محمود (١٩٩٥): العلاج النفسي المتمركز حول الشخص ومدى فاعليته في تحسين القلق، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، بينها.
- ابو شعر، عبد الفتاح (٢٠٠٧): الافكار الالاعقلانية لدى طلبة الجامعة الفلسطينية وعلاقتها ببعض المتغيرات، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية.
- انطونيني، فواستو (١٩٨٩): عنف الإنسان أو العدوانية الجماعية، ترجمة نخلة فريفر، بيروت، معهد الإنماء العربي، سلسلة الكتب العلمية، مطابع تكنوبرس الحديثة.
- بارلو (٢٠٠٢): مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة سليمان الخضراوي وآخرون، ط٤، القاهرة، دار غريب.
- بحر العلوم، حسن السيد عز الدين (٢٠٠٤): مجمع الالاعنف، دراسة في واقع الأمة الإسلامية، الكويت، مؤسسة محمد رفيع الثقافة الخيرية.
- بيك، ارون (٢٠٠٠): العلاج المعرفي والاضطرابات الالاعقلانية، ترجمة عادل مصطفى، القاهرة، دار الافاق العربية.
- بدر، احمد (٢٠١٤): التفكير عند الاطفال، دار الفكر للنشر والتوزيع، الاردن.
- حسين، محمود عطا (٢٠٠٧): مفهوم الذات وعلاقته بمستويات الطمأنينة الالاعقلانية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ١٣، جامعة تكريت.
- سلامة، ممدوح محمد (١٩٨٧): الاكتئاب وجوانب التشويه المعرفي، مجلة الصحة النفسية، المجلد (٢٨) العدد السنوي.
- السيد، محمد (١٩٩٣): التشوه المعرفي لدى المكتئبين وغير المكتئبين، مجلة علم النفس، العدد ١١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الشناوي، زكريا (١٩٩٦): الافكار الالاعقلانية وبعض مصادر اكتسابها: دراسة على عينة من طالبات الجامعة، العدد ١٥، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.

- الشمري، محمد (٢٠١٣): مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط٤، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.
- عبد اللطيف، عبد الله (٢٠٠٠): العلاج المعرفي السلوكي، اسس وتطبيقات، ط١، القاهرة، دار الرشاد.
- العصار، محمد حسن، (٢٠١٥): الاكتئاب وجوانب التشويه المعرفي لدى المتقاعدين العاملين وغير العاملين، بحث مقدم إلى المؤتمر الاقليمي الاول لرعاية المسنين، مركز الرعاية الصحية والاجتماعية للمسنين، جامعة حلوان، ٣: ٥ اربيل.
- الفرحاتي، السيد محمود، (١٩٩٧): دراسة تنبؤية للعجز المتعلم والتشوهات المعرفية في ضوء بعض عوامل البيئة التعليمية المدركة لدى طلاب المرحلة الثانوية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة المنصورة.
- محمد، هشام (٢٠٠٠): الأفكار الاعقلانية المننة بالاكتئاب، دراسة على طلاب الثانوي العام بأسبوط، كلية الاداب، جامعة مينا.
- مي الرميح، احمد عبد الخالق، (٢٠٠٢): التمييز بين القلق والاكتئاب بأستعمال النموذجين المعرفي والوجداني، القاهرة، مجلة دراسة نفسية، ١٢، (٤)، (٥٧٨-٥٤١).
- نظمي، فارس كمال، (٢٠٠٩): الحرمان النسبي والهوية والاجتماعية وعلاقتها بسلوك الاحتجاج لدى العاطلين عن العمل، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب.
- نظمي، فارس كمال، (٢٠١١): قراءة سيكولوجية في أنماط الشخصية العراقية الحالية، مجلة العربي، العدد (٢٢).
- هدية، مصطفى عبد السلام، (١٩٨٥): القلق، دراسات في الأمراض النفسية الشائعة، ط٢، مكتبة النهضة للنشر، بغداد، العراق.
- Beck, A.T.(1999).prisoners of hate ;the cognitive basis of anger, hostility. And redolence. New york, Ny; Harper callins publishers.
- Rush, A; Khatami, M; Beck, A. (1975) cognitive and Behavior therapy in chronic Depression: Behavior The rapy 6(3); 398- 404.
- Ellis & Bernad ,R. (2006) Anew guide toratiolol living (rer .ed).Hollyowood, CA:Wilshire –Books.
- Evan, R.L. (2004). Essentials of Educational measurement. New Jersey, Prentice.
- Zang, A.T.(2008); Psychological testing, New york; Macmillan.

## الأحداث السياسية في بلاد فارس وانعكاساتها على الخليج العربي

### (البحرين) نهاية القرن الثامن عشر

م. د. مرتضى عبد الحسين مفتن

#### المقدمة

مرت بلاد فارس بأزمة سياسية واقتصادية وادارية كبيرة عقب مقتل نادر شاه الافشاري عام ١٧٤٧، إذ بدأت سلسلة من الحروب والتمردات الداخلية كان لها الاثر الكبير على استقرار البلاد بشكل كبير، اذ كثر من ادعى عرش بلاد فارس، وهذا ادى الى تصفية المتناحرين على العرش احدهم للأخر، وهذا ادى بطبيعة الحال الى اشتعال الحروب، مما انعكس سلباً على اركان الدولة والمناطق القريبة المجاورة لها، وخاصة المناطق المحاذية للخليج العربي، وليس هذا فحسب فقد ادت الاحداث داخل بلاد فارس الى خلق نوع من الاستقلال لدى المناطق التابعة لإيران في ساحل الخليج العربي ومنها البحرين التي ما ان رأّت الاحداث في بلاد فارس حتى تمكنت قبائلها من آل خليفة بالاستقلال عن ايران مستغلة الظروف التي تمر بها بلاد فارس.

#### الأحداث العامة في بلاد فارس نهاية القرن الثامن عشر:

مرت بلاد فارس في أتون الحرب طيلة حكم نادر شاه الافشاري الذي استمرت اكثر من عشرة اعوام، و لم ينته ذلك المسلسل المرير الا بمقتله في عام ١٧٤٧، فقد اصبحت البلاد ميدان للاقتتال والتناحر والتصفية الجسدية بين القوة المتنافسة على عرش بلاد فارس، ففي الوقت الذي توج فيه عي قلي خان نفسه شاهاً لبلاد فارس، وتذرع بنسبه لأسرة نادر شاه الافشارية، فأن منطقة شمالي بلاد فارس خضعت لسلطة (محمد حسن قاجار)، في حين وقع الجزء الجنوبي تحت سلطه كريم خان الزند، واستولى احمد خان ابدالي على هرات وقندهار ومد حكمه الى الهند، وانتخب شاهاً على الافغان عام ١٧٤٧، وفي جنوب غرب بلاد فارس سيطر خان البخيتاري

(علي مردان خان) على اصفهان ونصب على العرش اميراً صفوياً هو اسماعيل ميرزا ابن اخت الشاه الصفوي (سلطان حسين) باسم (اسماعيل الثالث)<sup>(٢)</sup>.

استمرت الحرب بين المطالبين بالسلطة عدة سنوات، اريقت خلالها دماء كثيرة من زعماء القبائل والقادة في كل مناطق بلاد فارس دون استثناء سواء في الشمال او الغرب او الوسط وانعدم الامن والاستقرار والطمأنينة. وكانت النتيجة النهائية انتصار الزنديين بقياده (كريم خان الزند) في العام ١٧٥٠<sup>(٣)</sup>، الذي اخضع جميع مناطق بلاد فارس بعد ان الحق الهزيمة بقيادة الجيش التابع الى اسماعيل الثالث، و اجبر اغا محمد قاجار على التراجع إلى مازندران حيث قتل هناك من قبل زعماء القاجار من اتباع الزنديين، في حين بقيت خراسان تحت حكم أحفاد نادرشاه من الذين بقوا على قيد الحياة<sup>(٤)</sup>.

أطلق كريم خان على نفسه عدد القاب منها (الوكيل، وكيل الخلائق) بدلا من لقب (شاه) متخفياً بذلك وراء اسم الشاه اسماعيل الثالث الذي كان سجيناً لديه، واتخذ من شيراز عاصمة له<sup>(٥)</sup>. واتبع سياسة داخلية متزنة فقد عمل على كسب القاجار ومساندتهم له بمعاملتهم بالحسنى والتودد لإدامة سيطرته على مقاطعتهم (مازندران)، واستتباب الأمن والسلام فيها، ولكن محاولاته ذهبت ادراج الرياح لانهم واصلوا سياستهم في الاحتفاظ باستقلالهم الذاتي عن جسم الدولة والاقاليم التابعة للزنديين، وظلوا حاقدين على قبيله الزند وقائدها كريم خان، ويتحنون الفرصة للإيقاع<sup>(٦)</sup>، ونعمت ايران بشيء من الاستقرار والامن النسبي خلال حكم كريم خان، فازدهرت بعض المدن في بلاد فارس، لاسيما مدينة (شيراز)، وقد ابدى كريم خان الزند اهتماما في تحسين اوضاع شعبه، ونجح في تنظيم امور الدولة وخاصة تنظيم الامور المالية فيها، وشجع الحرف والصناعات، وخفف من اعباء الضرائب عن الايرانيين، وخاصة الفلاحين والمزارعين، حيث قام بتحديد سلطات الجباة التعسفية التي كان يتمتع بها هؤلاء خدمة لأسيادهم ملك الأراضي<sup>(٧)</sup>، اما

بالنسبة للنشاط العسكري في زمن كريم خان فلم يكن واسع النطاق على غرار ما فعله سلفه نادر شاه الافشاري، الذي سخر كل موارد ايران ورجالها لحروبه الطويلة التي انهكت البلاد وكل ما قام به هو ارسال حملات بسيطة في فترة الصراع على السلطة ضد قبيله كعب العربية<sup>(٨)</sup>.

ولكن الذي يؤخذ عليه حملته الكبيرة على البصرة، اثر اغلاق شركة الهند الشرقية البريطانية لوكالتها في ميناء بوشهر (١٧٦٩-١٧٧٠) عندها توجهت التجارة التي كان يتمتع بها ميناء بوشهر الى البصرة حتى اصبحت المقر الرئيسي للتجارة الانجليزية في المنطقة، فقلت أهمية الميناء الفارسي بل كسرت التجارة فيه، وتجارة بلاد فارس عامة في منطقته الخليج وهذا ما دفع كريم خان الى احتلال البصرة في للقضاء على التجارة فيها ولتعود التجارة إلى سابق عهدها<sup>(٩)</sup>.

ويعود سبب إغلاق الشركة الانجليزية لوكالاتها في بوشهر الى عامل مهم جداً. وهو المنافسة التجارية الهولندية القوية لها والتي ادت الى تدمير التجارة الانجليزية، فأضطر الانجليز الى اتخاذ القرار بنقل مقر تجارتهم الى ميناء البصرة التي كانت اكثر اماناً من ميناء بوشهر<sup>(١٠)</sup>، والعامل الثاني وراء احتلال قوات كريم خان الزند البصرة، هو رفض العثمانيين والانجليز التعاون مع الحكومة الفارسية ضد امام عمان (احمد بن سعيد)\* الذي امتنع عن دفع الضرائب المستحقة عليه لإيران عام ١٧٦٩<sup>(١١)</sup>.

كانت هذه الضرائب مفروضة ايام حكم نادر شاه نظراً للخدمات التي قدمتها القوات الفارسية للبحرية\* آنذاك.

وهكذا استمر احتلال بلاد فارس للبصرة زهاء اربع سنوات بدءاً من عام ١٧٧٥ و حتى ١٧٧٩ وهي السنة التي توفي فيها كريم خان زند بمرض السل، عثت خلالها القوات الفارسية بالمدينة وقامت بأعمال السلب والنهب وقتل الاطفال

وسبي النساء، وبمجرد موت كريم خان الزند عمت الفوضى بلاد فارس وقامت حرب أهلية أنهكت البلاد، واثرت بشكل كبير على داخل إيران وخارجها<sup>(١٢)</sup>.

لقد اشتد الصراع بين الزندين والاقشار والقاجار بعد عام ١٧٧٩، ترك آثار على جميع الصعد في بلاد فارس، فقد قادة الدولة الفعليين انفسهم في الاحداث السياسية، وانجلى الصراع في نهاية الأمر لصالح القاجاريين، ويعود نسب القاجاريين الى قاجار نويان سرکش نويان احد جنود هولالكو حسبما يذكر بعض المؤرخين<sup>(١٣)</sup>. والقاجار قبيلة تركية الأصل شيعية المذهب، قطنت شمال أذربيجان ومازندران مقدمة مساعدات كبيرة للصفويين بحيث مكنتهم من فرض سيطرتهم على اذربيجان ثم على كل بلاد فارس في القرنين الخامس عشر والسادس عشر.

لقد نشبت عقب وفاة كريم خان حروب اشعلها الطامعون في عرش بلاد فارس بحيث دخلت البلاد في دوامة من العنف والتصفية الجسدية للأمراء والقادة وأخيراً، تربع على العرش زكي خان اخ كريم لأمه، وبدأ حكمه بقتل جميع الامراء الزندين عدا ابن واحد لكريم خان عينه حاكماً، وكناه (بابي الفتح) اتبع زكي خان سياسة تعسفية وفرط بأمور الدولة والذي تصدى له احد جنوده وقتله حيث كان متأهباً لقتال أغا محمد خان قاجار وهكذا لم يستمر في الحكم اكثر من ثلاثة اشهر<sup>(١٥)</sup>.

أما أبو الفتح ابن اخ كريم خان الزند، فانه غدا العوبة بيد مجموعة من القادة المتنفذين في الدولة وادى هذا الى اخفاق الدولة، كما انه اتبع سياسة سلفه في تصفية المناوئين لحكمه، وكانت مدة حكمه سبع سنوات، عانت البلاد ما عانت من الولايات، وكانت النهاية عزله من قبل عمه صادق خان، الذي قاد الحملة على البصرة عام ١٧٧٥، وعندما علم بقتل زكي خان جاء الى شيراز واطهر الطاعة لابي الفتح، حتى سنحت له الفرصة فقام بعزله، وتولى هو مكانه ولكن الامور لم تستتب لصادق خان فحين علم قائد الجيش (علي مراد خان) بالأمر تقدم بجيشه الى شيراز والقي القبض على صادق خان وابي الفتح وسمل عيونهما، وتبوأ العرش وظل على راس

السلطة حتى وفاته عام ١٧٨٥، ولم يعرف عنه اعمال تذكر في الادارة والاقتصاد والجيش، بعدها حكمت سلسلة من الحكام دون الاعتراف لاحد بالطاعة من قبل الجميع، ومن هؤلاء الحكام جعفر خان، وهو ابن صادق خان الذي تبوا العرش في ١٧٨٥، وكانت مدة حكمه اربع سنوات، وأخيراً تمكن (لطف علي خان) حاكم المنطقة الساحلية الشرقية المطلة على الخليج العربي من الوصول الى السلطة عام ١٧٨٩، بيد انه بات مقتولاً في عام ١٧٩٥ بعد ان غدر به احد أعوانه فأسره وسلمه إلى أغا محمد قاجار الذي فقأ عينه وعذبه عذاباً شديداً فأزهقت روحه ومات<sup>(١٦)</sup>.

وهكذا تعقدت الحياة في بلاد فارس في الفترة التي اعقبت وفاة كريم خان الزند عام ١٧٧٩. وذهبت ادراج الرياح جل اعماله من اصلاح ضريبي ومشاريع كل هذا دمرته الحرب الأهلية<sup>(١٧)</sup>.

وتغيير سلسلة الحكام في فترات قصيرة وتدخل المؤسسة الدينية في الاحداث السياسية، إذ حاولت الدولة القاجارية أن تسحب جزءاً من الشرعية المذهبية لهؤلاء القادة ويبدو ان المؤسسة الدينية طيل الحرب الاهلية كانت راغبة في ان ترى الدولة لسيطرتها السياسية، ولهذا زجت نفسها مع القوى الاخرى في الصراع على السلطة والنفوذ<sup>(١٨)</sup>.

استغل اغا محمد قاجار حالة التسيب والتفكك الشائعة في البلاد بسبب ضعف نفوذ الأسرة الزندية، فدخل في صراع مرير معهم استمر منذ اواسط العقد التاسع من القرن الثامن عشر وحتى اواخر عام ١٧٩٤، ليعلن عن سقوط الأسرة الزندية، وتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ إيران الحديث وهي حكم الأسرة القاجارية<sup>(١٩)</sup>. الذي استمر حتى عام ١٩٢٥.

عاش اغا محمد خان في بيت عمته وزوجها كريم خان الزند بأمن واطمئنان يسمح له بالدخول إلى حريم الشاه لان عمته من زوجات الشاه، ثم لأنه كان

خصي<sup>(٢٠)</sup>. لذلك لا غرابه ان تمكن من الوصول الى العرش لأنه كان على علم بكل نقاط الضعف والقوة في الأسرة الزندية.

دشن اغا محمد خان عهده بإقامة دم الزنديين وذلك نتيجة الحقد الشديد الذي كان يغمره اسم ايام ما كان من قبل تحت رحمة كريم خان الزند، والاخير كان قد جعله من اهم مستشارية حتى انه كان لا يرى في قومه من هو اهل للسلطة بقدر ما كان لاغا محمد في ذلك العهد من استعداد ورغبة<sup>(٢١)</sup>.

ظل اغا محمد قاجار يغمر الحقد للزنديين ومن كان يقدم الدعم لهم ولدى انتصاره عليهم في اخر معركة أصدر أوامر الى حاكم مدينة كرمان. وهي المدينة التي كانت اكثر المدن الموالية للزنديين من قبل، بأن يقتل أهلها على العموم<sup>(٢٢)</sup>. ويحضر ألف زوج من العيون امامه، كما أمر بقطع رؤوس ستة الألف من الأسرة الزندية، ولم يكتف بهذا بل قام بنقل جثمان كريم خان الزند ودفنه تحت قصره<sup>(٢٣)</sup>، نكاية واذلالاً للزنديين.

لم تكن الاحداث في ايران تميل الى الاستقرار فقد كانت التمردات تحدث دون اي رادع ضدهم، اذ حدثت تمردات لزعماء العشائر وغالبا بل ودائما ما يصاحب التمرد سلب ونهب، وكانت الارياف مدمرة وفقيرة الى ابعد الحدود بسبب غياب الرعاية وعدم الاهتمام<sup>(٢٤)</sup>، ولم تكن طرق التجارة في مأمن عن اللصوص فانهارت التجارة الخارجية حتى غدت محرقة وارتفعت الاسعار بشكل مخيف للغاية<sup>(٢٥)</sup>، فضلا عدد استقلال زعماء القبائل في الولايات عن جسم الدولة الام. فإقليم خراسان اعلن استقلاله تحت حكم شاهرخ، أما غرب ايران فكان مرتبطاً بباشوات العثمانيين في العراق، اما جهة بحر قزوين والساحل الفارسي من الخليج العربي، فاحتوت فيها المعارك الضروس بين القبائل على السلطة والنفوذ<sup>(٢٦)</sup>.

فضلاً عن ذلك فإن رجال الدين في زمن الدولة القاجارية كانوا يمثلون القادة الاساسيين لمعظم الشعب في بلاد فارس، فحاول محمد اغا خان ان ينسب جزء من

الشرعية الدينية التي كانت ممنوحة لهم، وبما ان الحكام القاجاريون كانوا يحكمون بمبدأ ظل الله في الارض ارادوا ان تتفاد المؤسسة الدينية لهم وذلك لدعم سلطانهم<sup>(٢٧)</sup>.

لقد عمل فتح علي شاه (١٧٩٧-١٨٣٤) مثل سابقه محمد آغا خان لذا كانت سطوة علماء الدين كبيرة بسبب الاوضاع الادارية المتردية آنذاك، فضلاً عن علاقتهم الكبيرة مع الشاه، من جانب اخر فقد حدث تمرد في كاشان قام به حسين علي خان حاكمها بالتعاون مع احد رجال الدين مطالباً بالاستيلاء على السلطة واسقاط فتح علي شاه<sup>(٢٨)</sup>، غير ان الامور لم تكن لصالحهما لان الحاكم اتخذ من مدينة قم ملاذاً وعامل زوار المدينة معاملة قاسية، واساء احترام رجال الدين، ولولا تدخل ميرزا عبد القادر كيلاني احد رجال الدين في طهران وشفاعته للحاكم، كمان مصيره القتل ولكنه اكتفى بسمل عينيه<sup>(٢٩)</sup>.

كان حكم كل من آغا محمد خان وفتح علي خان، حكماً ظالماً اذ كان اهتمام آغا محمد قاجار بالجيش وأشغاله وثقته به، هذا حرفة من الاهتمام بأمور الرعية واحوالها<sup>(٣٠)</sup>، كما ان قسوته الشديدة وتعطشه الدائم للقتل وراقه الدماء تعود الى ما عاناه وهو تحت حكم الزنديين، من ازمة نفسية واقصاء وتعذيب، وقد وصفته المصادر بأنه كان شخص قاسي القلب لئيم الطبع، ماهر السريرة، والاكثر وحشية من بين جميع شاهات ايران<sup>(٣١)</sup>.

#### \* تأثير الأحداث السياسية في بلاد فارس على البحرين:-

في ظل هذه الاحداث والفوضى كانت بلاد فارس تدعي السيادة على البحرين، وتبين جل الاحداث في البحرين على ان آل خليفة، كانوا قد استغلوا الاحداث في ايران بعد وفاة كريم خان الزند<sup>(٣٢)</sup>، ويرى الباحثون ان آل خليفة من العتوب والتي ضمت آل صباح والجلالمة<sup>(٣٣)</sup>، وآل خليفة كان موطنهم الاول اراض الهدار<sup>(٣٤)</sup>، ويؤكد معظم الباحثين أن العتوب ومن ضمنهم آل خليفة استقروا في الكويت وعقدت

الفروع الثلاثة (آل خليفة وآل صباح والجلاهمة) تحالف فيما بينهم أصبحت بموجبة السلطة السياسية بين آل صباح، بينما سيطر آل خليفة على التجارة<sup>(٣٥)</sup>، وآل الجلاهمة على الشؤون البحرية، ولكن آل صباح سرعان ما نقضوا العهد فيما بينهم حيث هاجر آل خليفة الى (الزبارة) في قطر مقابل جزء البحرين عام ١٧٦٦، واستقروا هناك حيث تتوفر مصائد اللؤلؤ والذي يعد عماد التجارة لآل خليفة في ذلك الوقت، بسيطرتهم السريعة على هذه التجارة ازدهرت مدينتهم<sup>(٣٦)</sup>.

لم يفكر آل خليفة بالتوسع في البر وذلك لوجود بني خالد والوهابيين إذ لم يكن من السهل ان يشنوا حرباً ضد جيرانهم، وقد صادف في هذه الفترة انه كلف كريم خان الزند شيخ بوشهر والبحرين ناصر آل مذكور بإخضاع الزبارة مقر آل خليفة وعمل على تحقيق هذه المهمة عام ١٧٧٨، ولكن المحاولة فشلت بسبب وفاة كريم خان، فاغتم آل خليفة الفرصة بعد ان عمت الفوضى إيران، ونقضت القبائل العربية في الساحل الايراني ولائها لسلطة بلاد فارس<sup>(٣٧)</sup>، من ناحية أخرى لاحظ عتوب الزبارة (آل خليفة) التوسع الوهابي في المنطقة وجعلهم هذا يفكرون في غزو البحرين، ومما شجعهم على ذلك ان الوهابيين كانوا لا يملكون اسطولاً من شأنه ان يهدد البحرين او انه يكون له السبق في احتلالها، لان ارتكاز الوهابيين في قوتهم كان يقوم على القوى البرية فقط<sup>(٣٨)</sup>.

وحسبما تذكر المصادر أن الشيخ خليفة بن محمد كان يكن عداوة للوهابيين وبناء على هذه العوامل، فان الظروف على الساحل الايراني حوالي عام ١٧٨٠ قد جعلت هجوم العتوب على البحرين امر تحتمه الظروف والضرورة، فقد ادى عدم اطلاع شاه فارسي قوي بأمور البلاد والحكم في بلاد فارس الى ان يتصرف العرب على الساحل المحاذي لبلاد فارس تصرفاً شبه مستقل، مستغلين بذلك ضعف الحكومة في ايران، وهكذا فان الهجوم الذي كان يتوقعه آل خليفة من العرب النازلين على الساحل الفارسي بدا قريباً، ومن ناحية أخرى أصبح إخضاع الزبارة

وسكانها من آل خليفة صار الشغل الشاغل للحكام الفرس الضعفاء وبسبب التحول الكبير من تجارة الهند إليها<sup>(٣٩)</sup> وفضلاً عن ذلك فإن البحرين نفسها كانت قد عانت كثيراً من الفوضى الداخلية، إذ جرت ودارت عده معارك طاحنة بين سكان البحرين وخاصة بين اتباع (احمد بن ماجد البلادي) كبير قرية (البلاد) القديم واتباع (محمد الحفصي) وكانت السلطة قد عقدت للأخير وظهر هذا الخلاف تحت واجهات دينية ومذهبية، وقد بعث اتباع محمد الحفصي وفداً إلى الزبارة للاستعانة بـ(آل خليفة)<sup>(٤٠)</sup>، وصادف أن أرسل آل خليفة خدمهم في عام ١٧٨٢ إلى منطقة (سترة) وهي واحدة من جزر البحرين لابتياح بعض جذوع النخيل لاستخدامها في الوقود لكل أهالي البحرين امتنعوا عن بيعها لهؤلاء<sup>(٤١)</sup>، وقاموا بالاعتداء على الخدم وعلى أثر ذلك حدث نزاع بين الطرفين راح ضحيته بعض الخدم، فانتقم سكان الزبارة من آل خليفة بعد بضعة أيام لخدمهم بهجوم شنوه على جزيرة (سترة) قتلوا فيها خمسة من سكانها<sup>(٤٢)</sup>.

وإذا ما علمنا بأن القبائل التي تقطن الجانب الفارسي كانت قد انضمت إلى آل مذكور، فهنا يتضح بأن سلطة ومرجعية تلك القبائل للحكومة الفارسية كان ضعيفاً جداً بدليل أنها أرسلت السفن والمقاتلين إلى البحرين ودون علم السلطات في بلاد فارس، سيما وأن مجمل الأحداث الداخلية في فارس انصببت على تصفي الأُمراء والقادة حوى العرش، لذا لا غرابة أن تتصرف تلك القبائل بما يحلو لها بمعزل عن توجيهات الحكومة في بلاد فارس<sup>(٤٣)</sup>. وبعد أن استكمل آل مذكور استعدادهم كان آل خليفة في الزبارة مستعدين، لذلك استطاعوا أن يردعوا الهجوم<sup>(٤٤)</sup>، وأن يهزموا تلك القوات التي كانت تحت قيادة الشيخ نصر آل مذكور، وفي خضم تلك الأحداث أرسل الشيخ رسالة إلى ابنه في البحرين يحثه فيها على المقاومة وتعزيز مركزه فيها، ولكن الشيخ نصر فوجئ بأسطول العتوب المقبل من الكويت والمؤلف من عدة سفن حربية، وقد الحق الهزيمة بأسطول الشيخ نصر واستولى على عدد كبير من أسلحته

وامواله كما وقعت رسائل الشيخ نصر بيد العتوب وعلى اثرها توجهوا الى البحرين ودخلوها واستولوا على حصونها وسرعان ما انظم ال خليفة من الزبارة وقوات اخرى من ال مسلم من (حويلة) في قصر وال بني (علي) من فويرط والسودان من الدوحة وغيرهم<sup>(٤٥)</sup>.

لقد فاق عدد المهاجمين عدد حراس القلاع في البحرين ويبدو انهم لم يجدوا صعوبة في احتلال قلعتي (المنامة والمحرق)، وهما المدينتان الكبيرتان في البحرين كما ان القوى الاخرى في البحرين لم تظهر اي علامة على المقاومة، لان القوى المقاتلة الوحيدة في البحرين كانت تتألف من حرس القلاع<sup>(٤٦)</sup>، فاستسلمت الحامية الفارسية في المنامة بعد ان حاصروها ونقل افرادها الى الجانب الفارسي في بوشهر<sup>(٤٧)</sup>.

على الرغم من ان الرواية المحلية لـ(ال خليفة) في البحرين تفيد بان فتح البحرين جاء على يد ال خليفة، وشيخهم (أحمد بن محمد بن خليفة)، ولكن الواقع يشهد بان عتوب الكويت هم أول من دخل البحرين ثم تبعهم ال خليفة<sup>(٤٨)</sup>، يبدو أن دخول العتوب في البحرين كان بعد مضي شهر واحد على رجوع نصر ال مذكور الى بوشهر في اليوم الثاني عشر من حزيران ١٧٨٢ اثر الهزيمة التي لحقت به في الزبارة من قبل ال خليفة، وان حاميات البحرين قد استسلمت لآل خليفة، في الثامن عشر من تموز في العام نفسه، وهكذا فان نهاية عام ١٧٨٢، قد شهدت تحول البحرين، من بلد تابع الى عرب بوشه، المرتبطين بدورهم بحكام الفرس الى جزء لا يتجزأ من امارات الخليج العربي تحت حكم العتوب<sup>(٤٩)</sup>.

وما أن اطل عام ١٧٨٣ حتى عدت البحرين دولة مستقلة تماما عن إيران، كان من الطبيعي ان لا يقبل الشيخ نصر ال مذكور او حكام ايران بخسارة البحرين، اذ اخذوا يضعون الخطط لاستعادة البحرين، غير ان ال خليفة على ما يبدو وكانوا

يتملكون في نهاية القرن الثامن عشر قوة بحرية كبيرة بمقدورها الصمود امام التهديدات والهجمات<sup>(٥٠)</sup>، مع ذلك لم يمه هذا النصر التدخلات الخارجية. ففي عام ١٧٨٥، تقدمت قوات الشيخ نصر ال مذكور عن طريق البحر إلى (كونجون) وأبحرت سفن بوشهر وبنديق إلى ذلك المكان حيث كان سينضم إليها شيوخ هرمز وشيخ راس الخيمة كما وصلت قوه عسكرية صغيرة من شيراز إلى (كونجون) لتنضم إلى هذه الحملة، غير ان وفاة مراد خان افشلت الخطة وهكذا زال الخطر الذي كام يهدد ال خليفة في البحرين، خلال السنوات التالية وبقي شيوخ ال خليفة في البحرين، خلال السنوات التالية وبقي شيوخ ال خليفة في البحرين يتمتعون بالسلام على خلاف الجانب الفارسي الذي كان يعيش في صراع داخلي على السلطة<sup>(٥١)</sup>.

كان الشيخ احمد بن محمد والملقب بـ(الفتاح) اول حاكم من ال خليفة في البحرين، والذي لم ينقل عاصمته من الزبارة الى البحرين في اعقاب الفتح مباشرة، ذلك انه قد عاد الى الزبارة تاركاً احد اقاربه على حكم البحرين من قلعة الديوان في جنوب المنامة ولكي يحرسها من اي تهديد فارسي قد تتعرض له<sup>(٥٢)</sup>.

اما بالنسبة الى بقية الاسر التي ساهمت في فتح البحرين مثل آل صباح من العتوب فانهم عادوا إلى الكويت بعد انتهاء العمليات العسكرية، اما الجلاهمة، فانهم كانوا يتوقعون ان يحصلوا على نصيب من الغنائم ولكن ال خليفة رفضوا ذلك فغادروا البحرين في حالة غضب وقد نزلوا في جزيره خرج وبوشهر على الساحل الفارسي، ثم عادوا الى قطر في خور (حسن) ليستقروا هناك<sup>(٥٣)</sup>.

## الخاتمة

دخلت إيران في الربع الأخير من القرن الثامن عشر مرحلة جديدة لم يشهدها من قبل حيث برزت فيها حالة الفوضى والتفكك والانحطاط الإداري والسياسي، ففي الوقت الذي تنفس فيه بلاد فارس الصعداء عقب مقتل نادر شاه وصعود كريم خان الزند إلى عرش بلاد فارس، دخلت عقب موت الأخير عام ١٧٧٩ في حالة من الفوضى والعنف من جديد بل أشد مما سبقها حيث تعطلت بل تعذرت الحياة في بلاد فارس، فعلى سبيل المثال فإن محمد أغا قاجار أول ملوك الدولة القاجارية قتل عشرات الآلاف من الزند ومن ناحية أخرى استغلت معظم القبائل العربية القاطنة في الجانب الفارسي والمالية للحكومة الفارسية حالة الانحلال التي عمت بلاد فارس في نهاية القرن الثامن عشر فأخذت تتصرف بما يحلو لها، فمرة تهاجم المشايخ في الخليج العربي ومرة تتحالف معهم، وهذا دفع العتوب ونجاح آل خليفة من استغلال هذا الوضع المتردي في بلاد فارس، وقاومت محاولات القبائل العربية في الساحل الفارسي في السيطرة على البحرين حتى تسنت الفرصة إلى آل خليفة الاستيلاء على البحرين عام ١٧٨٣، وإنهاء الحكم الفارسي للأرض العربية بصورة كاملة لذا أخذت إيران فيما بعد تدعي بملكية البحرين.

## الهوامش

١. على خضير عباس المشايخي، إيران في عهد ناصر الدين شاه ١٨٢٨-١٨٩٦، بغداد، ١٩٨٨، ص ٢٠، جوان ليمبرت، إيران حرب مع التاريخ، ترجمة عبد الزهرة مجيد، البصرة، ١٩٩٢، ص ٥٨.
٢. إبراهيم خليل أحمد (إيران وتركيا) دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر، الموصل، ١٩٩١، ص ٥٧.
٣. الزنديون عشيرة كردية كبيرة معروفة تسكن غرب إيران، للمزيد عن تلك العشيرة أنظر:

p.perry. Karim Kan zend, history. of lean, 1742-1779, London, 1979.

٤. علي أكبر بينا، تاريخ سياسي ودبلوماسي إيران ١١٣٤-١٢٤٣، تهران (ب. ت) ص ٣٠.

5. L. Lock hart, nadir Shah, London, 1938, p. 330

6. Perry, op, cit, p4.

٧. احمد، المصدر السابق، ص ٥٨.

٨. مصطفى عبد القادر الغني، امارة كعب العربية، البصرة، (ب-ت)، ص ١٦.

٩. محمد وصفي أبو مغلي، إيران دراسة عامة، البصرة، ١٩٨٥، ص ١٩٨، احمد المصدر السابق، ص ٥٨.

١٠. أبو مغلي، المصدر السابق، ص ٢٧٢.

١١. مديحة احمد درويش، سلطنة عمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، السعودية، ١٩٨٢، ص ٣٣.

١٢. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، بغداد، ١٩٨٥، ص ٣٣، بينا، المصدر السابق، ص ٣٤.

١٣. دونالد ولبر، إيران ماضيها وحاضرها (ب-ت)، ص ١٣٥.

١٤. بينا المصدر السابق، ص ٣٥، Lookhart, op, cit, p 335

١٥. ولبر، المصدر السابق، ص ١٣٧، صالح احمد العلي واخرون، إيران متطور تاريخي للشخصية الايرانية، بغداد، ١٩٨٣، ص ٦٦.

١٦. ابو مغلي، المصدر السابق ص ٢٧٥،

١٧. المصدر نفسه، ص ٢٧٦.

١٨. كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص ٢٤-٢٣.

19. j. Hmlom, History of Persia from The western -Arly period to present Time, vol, London. P274.

٢٠. ليمبرت، المصدر السابق، ص ١٠١، ابو مغلي، المصدر السابق، ص ٢٧٦.

٢١. باسم حمزة عباس، المؤسسة الدينية ودورها في السياسة الايرانية ١٨٤٨-١٩٠٩، رسالة ماجستير غير منشورة، البصرة، ١٩٩٨، ص ٣٢.

٢٢. المصدر نفسه، ص٣٩.
٢٣. بينا، المصدر السابق، ص٥٥
24. Sykes, Percy, Oh story of Percysia , vol2, Landdn, 1969, p241
25. Ibid, p.241
٢٦. احمد، الصدر السابق، ص٦٨
27. Sykes, op.cit, p.cit, p245
٢٨. ابو مغلي، المصدر السابق، ص٢٧٦.
29. LocLchart, op .cit, p. 338
٣٠. احمد، المصدر السابق، ص٧٠.
٣١. احمد محمود صبحي، البحرين ودعوى إيران، مطبعة عوف، الاسكندرية. ب-ت، ص٧٨.
٣٢. إبراهيم خلف العبيدي، الحركة وطنية في البحرين، ١٩١٤ - ١٩٧١، بغداد، ص٢٦.
٣٣. الهدار: ارض كثيره العشب والخضرة وجمعها هوادر.
٣٤. احمد مصطفى ابو حاكمه، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة، مصر، ١٩٦٨، ص١٠٦.
٣٥. العبيدي، المصدر السابق، ص٢٨.
٣٦. ابو حاكمه المصدر السابق، ص ١٠٧.
٣٧. علي زرين، سرزمين بحرين، طهران، ١٣٣٧، ص٥٨.
38. Oban fright the Bahrain island, 750 - 1951, New York , p53
٣٩. العبيدي، المصدر السابق، ص٢٩.
٤٠. ابو حاكمه، المصدر السابق، ص ١٠٧.
٤١. محمد بن خليفة النبهاني، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، القاهرة، ١٣٤٢هـ، ص١١٣.
٤٢. المصدر نفسه، ص١١٣-١١٤.
٤٣. أبو حاكمه، المصدر السابق، ص١٠٧. farughy, op, cit, p55
٤٤. صبحي، المصدر السابق، ص ٧٢.

٤٥. المصدر نفسه، ص ٧٢ - ٧٣.
٤٦. محمود بهجت سنان، البحرين درة الخليج العربي بغداد، ١٩٦٣، ص ١٢٩.
٤٧. العبيدي، المصدر السابق، ص ٣٠، ابو حاكمة، المصدر السابق، ص ١١٠.
٤٨. المصدر نفسه، ص ١١١
٤٩. النبهاني، المصدر السابق، ص ٧٤.
٥٠. صبحي، المصدر السابق، ص ٧٤.
٥١. ابو حاكمة، المصدر السابق، ص ١١١.
٥٢. العبيدي، المصدر السابق، ص ٣١، Farugha, op, cit, p55
٥٣. صبحي، المصدر السابق، ص ٧٥.
٥٤. سنان، المصدر السابق، ص ١٣٠، ابو حاكمة، المصدر السابق، ص ١١٢.
٥٥. المصدر نفسه، ص ١١٢ - ١١٣.



## تحولات صيغة (فَعِيل) ودلالاتها اللغوية

الباحث

م.م. مزهر حسن الكبجي

## المقدمة

في إثناء مطالعاتي استهوتني صيغة (فَعِيل) لما تتطوي عليه من تشعبات في الاستعمال اللغوي وحين ازددت عمقاً في البحث والاستقراء وظُفْتُ ما اطّلت عليه من كتب النحو والصرف والتفسير والمعجمات في إخراج هذا المجهود إلى النور إذ وجدت فيه ما يستحق الوقوف عنده فواصلت البحث، وإذا بي أجد نفسي وقد (استغرقتها) القراءة في أكثر من خمسين مصدراً ومرجعاً. اقتبست نصوصاً من خمسة وثلاثين منها وتركت لسائرها إغناء البحث دونما اقتباس وقد آثرت أن أشير إلى بعضها في المتن أثناء عرض بعض المباحث الفرعية منطلقاً من فهم راسخ في ذهني مفاده أن ليست العبرة إلا فيما نقدم من مادة علمية نحصر كل الحرص على الأمانة في نقلها ونجهد أذهاننا في تمحيصها دراسة وتحليلاً ونقداً وصولاً إلى استخلاص النتائج .. وكنت حريصاً على ألا أترك شاردة ولا واردة حول هذه الصيغة إلا وأخضعها للدراسة إذ إن الهدف من هذا البحث هو إخراج كل ما يتعلق بصيغة (فَعِيل) سيما أنها من الصيغ ذوات الاستعمال الواسع خاصة التحولات في استعمالاتها فمرة تستعمل محولة عن اسم الفاعل ومرة تستعمل في الصيغ البلاغية وتارة ترد محولة عن اسم المفعول وتأتي في حالة أخرى صيغة مشبهة من أبواب عديدة لا كما أوردتها بعض الكتب المدرسية محصورة في باب (فَعُل - يَفْعُل).

وقد تناولت في هذا المجال اشتقاق هذه الصيغة وبسطت آراء العلماء من الأقدمين والمحدثين في اشتقاقها مرجحاً رأياً على رأي بالبرهان اللغوي والدليل الثابت وقد وقفت عند استعمال هذه الصيغة مذكرة ومؤنثة ودلالاتها اللغوية في الاستعمال فالتاء (ت) مورفيم يحول الصيغة من الوصفية إلى الاسمية وقد اعتمدت

في هذا على عدد من الآي الكريم، بالدراسة والتحليل محددًا الفروق بين الصيغتين (فَعِيل) و(فَعِيلَة) ثم تناولت جموع القلة وجموع الكثرة في (فَعِيل) وأوزانها المتنوعة وكان لكل (شيء) قسط من بحثي في علاقتها بصيغة (فَعِيل) غير غافل عن اختلاف الدلالة في الاستعمالات اللغوية لهذه الصيغة وفي مجال اعتمادي على كتاب سيبويه استعملت طبعيتين: الأولى طبعة عالم الكتب للطباعة والنشر بيروت - بتحقيق عبد السلام هارون، والثانية طبعة منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان فأشرتُ إلى الأولى بـ(كتاب سيبويه تحقيق عبدالسلام هارون) وأشرتُ إلى الثانية بـ(كتاب سيبويه - منشورات الأعلمي) أسأل الله جل جلاله أن يوفقنا جميعاً في خدمة لغة التنزيل الكريم.

نوع الصيغة: هي صيغة اسمية لا فعلية تدخل في الاستعمال العام لكثير من الأبواب في علم التركيب كالمصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغة المبالغة، والصيغة المشبهة) وتقع في مواقع إعرابية متنوعة كالخبر ومن ذلك قوله تعالى (وهو بكل شيء عليم) الحديد - ٣ و(إنك أنت العليم الحكيم) البقرة - ٣٢ و(والله عليم بالظالمين) التوبة - ٤٧ و(والله بصير بما يعملون) البقرة - ٩٦ و(الله سميع عليم) النور - ٦٠ و(والله خبير بما تعملون) التوبة - ١٦ و(والله بما تعملون خبير) البقرة - ٢٣٤(١).

وقد تقع صفة كما وردت في البسمة (بسم الله الرحمن الرحيم) كما تقع بعد حرف جر. أو اسماً لـ(كان) أو اسماً لـ(إن) أو خبراً لهما... الخ. اشتقاق الصيغة: كل فعل ماضيه على وزن (فَعَلَ) بفتح العين فان النعت منه على وزن (فاعل) نحو ناصر - ضارب - مانع.. ويحيى أيضاً على (فَعِيل) نحو كفيل، نصيح، قصي، عصي.

وكل فعل ماضيه على (فَعَلَ) بكسر العين فان الفاعل منه يحيى على وجوه منها: أن يحيى على (فَعَلَ) اذا كان الفعل لازماً وهو القياس مثل حَزَنَ، بَطِرَ، فَرِحَ،

فهو حزنٌ، بطرٌ، فرحٌ. ويجيء على وزن (فَعِيل) نحو سمن - سمين، ومرِض - فهو مريض، و(فاعل) و(فَعِيل) مثل (سالم) و(سليم) و(باخل) و(بخيل) فأما إذا كان متعدياً فالنعت منه على (فاعل) نحو: (حمِد) فهو (حامد) و(كرِه) فهو (كاره) و(عمل) فهو (عامل) وربما جاء فعيل يشاركه نحو: (حافظ) و(حفيظ) و(عالم) و(عليم) و(سامع) و(سميع)<sup>(٢)</sup>.

وكلُّ فعل ماضيه على (فَعْل) بضم العين فإنَّ النعت يجيء منه على وزن (فَعِيل) وهو القياس نحو (ظرف) فهو (ظريف) و(حلم) فهو (حليم) و(ثمن) فهو (ثمين)... وربما اشترك (فاعل) و(فَعِيل) في بناء واحد نحو (ماجد) و(مجيد) و(مارد) و(مرید) و(نابه) و(نبيه) وغيرها<sup>(٣)</sup>.

وقد أوضح عبّاس حسن هذا الاشتراك بقوله (ليست الأوزان السابقة مقصورة على الصفة المشبهة المصوغة من مصدر (فَعْل) بضم العين بل بعضها مقصور عليها... وبعضها غير مقصور ولا مختص لأنه مشترك بين (فَعْل) بضم العين و(فَعْل) بكسرها، ومن هذا (فَعِيل) مثل (بخل) الوضيع فهو بخيلٌ، وكرمُ الماجد، فهو كريمٌ<sup>(٤)</sup> وتوضيحاً لما أورده عبّاس حسن فإنَّ الفعل (بخل) يرد من بابين (بخل - يبخل) على (فَعْل - يفعل) الباب الخامس، والأكثر وروده على (بخل - يبخل) على وزن (فَعْل - يفعل) من الباب الرابع<sup>(٥)</sup>، ومن هنا يقتضي التنويه إلى تداخل الصيغ بمشاركة (فاعل) و(فَعِيل) على وجه الخصوص في مسألة الاشتقاق لكن ثبت القياس محفوظ وكذا اشتراك الصيغ في مسألة اشتقاقها من أكثر من وزن على (فَعْل) و(فَعْل) و(فَعْل) بيد أن هناك رأي يقول باشتقاقه من الاسم ففي مجال الحديث عن تفسير (الرَّحْمَن الرَّحِيم) في آية البسمة قال الطوسي (هما اسمان مشتقان من (الرَّحْمَة) وهي النعمة التي يستحق بها العبادة)<sup>(٦)</sup>، ومفهوم أن اشتقاق (الرَّحْمَة) ينحو منحنيّاً بصرياً يقابل اتجاهها كوفياً يعدُّ الفعل أصل المشتقات في حين يقف الأصوليون من النحاة موقفاً يخالف البصريين والكوفيين.

في أصل الاشتقاق يوضحه النص الآتي: (في بحثهم في أصل الاشتقاق وإنكارهم على البصريين والكوفيين معاً أن يكون المصدر أو الفعل أصل المشتقات وذهابهم إلى أن المادة اللغوية السارية بين كل المشتقات هي الأصل وأن كل مشتق بماله من هيئة خاصة فرع قائم بذاته لا يمكن أن يكون أصلاً ولا فرعاً لمشتق آخر وهذا ما نهبت له بعض البحوث اللغوية الحديثة واعتبرته مهماً جديداً للاشتقاق)<sup>(٧)</sup>.

وهناك رأي لهنري فليش يقول ((صِيغتا (فَعُول و فَعِيل) هما النمو الطبيعي لصيغتي (فَعَل و فَعِل) مع مدّ المصوت الثاني<sup>(٨)</sup> وأرى أن رأي هنري فليش فيه من الوجاهة ما يعززه إذ أن إشباع المصوت القصير ليتحول إلى مصوت طويل شائع في كلام العرب.

قال الشاعر:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الذراهم تتقاذ الصياريف  
أراد (الذراهم) و(الصياريف) وأرى أن تحويل المصوت القصير (الكسرة) إلى مصوت طويل (الياء) واضح جداً ويعزز رأي هنري فليش ما أورده إبراهيم السيد بقوله<sup>(٩)</sup> (وربما مدوا مثل مساجد ومناير، فيقولون (مساجيد) و(منابير) شبهوه بما جمع على غير واحد في الكلام كما قال الفرزدق:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدنانير تتقاذ الصياريف  
وقد أورد هنري فليش بعض المفردات من حرف<sup>(١٠)</sup> (ف) لإثبات رأيه وهي

(فَرِدٌ و فَرِيدٌ)	(منعزل لا نظير له)
(فَسَلٌ و فَسِيلٌ)	(البليد الكسول الضعيف الواهن)
(فَطْنٌ و فَطِينٌ)	(ذكي ألمعي)
(فَقْرٌ - فَقِيرٌ)	(منكسر فقار الظهر)
(فَقَّةٌ و فَقِيَّةٌ)	(عالم في الفقه الإسلامي)
(فَنَعٌ و فَنِيْعٌ)	(الذي أصاب الغنى)

ويضاف إلى هذه الكلمات الستة كلمة سابعة هي: فهمٌ وفهيمٌ سريع الفهم) بيد أن كلمة (فَهِيمٌ) هي من إضافة الأستاذ بلو Belot<sup>(١١)</sup>.

وأشار هنري فليش إلى إمكانية تطور (فَعِل) إلى (فَاعِل) أيضاً بقوله (والكلمات التي جاءت بزنة (فَعِل) هي ذات علاقه بصيغة (فَاعِل) ترينا أن في (فَعِل) إمكانية التطور إلى (فَاعِل) وهذا يعتبر اتجاهاً آخر)<sup>(١٢)</sup>.

وإذا ما رجعنا إلى جذر هذه المفردات نجدها خارجة عن القياس لأنها لم تأت من باب (فَعُل - يَفْعُل) بضم العين في الماضي والمضارع، فلا بد أن تكون لما خرج عن القياس علّة وعلتها إشباع المصوت لفقير لتتحول الصيغة إلى وضعها الجديد بمصوت طويل. إنّ تناسل الصيغ له أثر كبير في تطور اللغة والارتقاء بها من خلال سعة الاستعمال المتأتي من إيجاد صيغ جديدة لاسيّما تلك التي تلبّي متطلبات العصر وهذا ما أكده د. مصطفى جواد إذ يقول (والاقتراح السادس هو اشتقاق صفة مشبهة على وزن (فَعِل) تارة ووزن (فَعِيل) تارة أخرى من الفعل الرباعي (فَاعِلٌ يَفَاعِلُ) أو قياسهما معاً مع ترشيحهما للاسميّة في ميدان المصطلحات العلمية الجديدة وإن كان ما ورد منها يفوق حدّ القياس، فإنّه ينبغي أن يهيمن مجمع اللغة العربيّة على الأقيسة الحديثة ومثال ما ذكرت في الصيغة (الأَكِيل) بمعنى (المؤاكل) من آكله يؤاكله والبغي من باغت\* تباغى والترب من تاربه وهو كالوكيل والجلس من جالسه والحبیب من حابّه والحسب من حاسبه والحفيظ من حافظه..)<sup>(١٣)</sup>.

إمّا في الدلالة على اسميّة الصّيغة (فَعِيل) فقد وردت الإشارة واضحة في نص د. مصطفى جواد إذ قال (مع ترشيحهما للاسميّة ..) وما يؤكد ذلك ما قاله ابن الأنباري في حديثه عن اسميّة (نعمَ وبئسَ) (ومنهم من يتمسك بأن قال: الدليل على أنّهما ليسا بفعلين أنّه قد جاء عن العرب (نعيمَ الرَّجُلُ زيدٌ) وليس في أمثلة الأفعال (فَعِيل البتة، فدَلَّ على أنّهما اسمان وليسا بفعلين)<sup>(١٤)</sup>.

صيغة (فَعِيل) ... مصدرًا

ترد صيغة (فَعِيل) مع عدد من صيغ القياس في مصادر الأفعال الثلاثية ومعلوم أن مصادر الأفعال الثلاثية هي مصادر سماعية (والمراد بالقياس - هنا - إذا ورد شيء يعلم كيف تكلموه بمصدر فإنك تقيسه على هذا لأنك تقيس مع وجود السماع فقد ورد مصادر عدة مخالفة لهذا القياس فلا يجوز العدول عنها كما ورد للفعل الواحد مصدران أو أكثر أحدهما قياسي مع وجود السماع<sup>(١٥)</sup>.

وقد حدّد ابن مالك في ألفيته المصادر التي تأتي على صيغة (فَعِيل) فقال:

لدا فُعالٌ أو لصوتٍ وشَمِلٌ سيراً وصوتاً الفَعيلُ كصَهْلٍ<sup>(١٦)</sup>

وما يهمننا من هذا: (وشمل سيراً وصوتاً الفَعيلُ كصَهْلٍ) ففَعِيلٌ يأتي مصدرًا لما يدلُّ على سير ولما يدلُّ على صوت فمثال الأوّل: ذَمَلٌ ذمِلاً ورحلٌ رحِلاً ومثال الثاني: دَبٌّ دَبِيباً ورسمٌ رسيماً ووخذٌ وخيداً ودلتٌ دليثاً وأزٌ القدر أزيماً وصهلت الخيلُ صهياً وهدلَ الحمام هديلاً ونهقَ نهيقاً وزفرَ زفيراً.

وقد وردت الإشارة إلى دلالة هذه الصيغة في كتب الصرف والنحو منها ما ورد في (فصل الخطاب) (وعلى سير فعلى (فَعِيل) كرحيل أو على صوت فعلى (فُعال) أو على (فَعِيل) كصُراخ وصريخ<sup>(١٧)</sup>).

وقد تناولها د. عبد الهادي الفضلي قال: (فَعِيل) (بفتح فكسر) ويأتي مصدرًا للفعل اللازم على وزن (فَعَل) الدال على صوت مثل هدير وصهيل والدال على سير مثل رسم وذميل<sup>(١٨)</sup>.

وقد أشار الشيخ الخطيب التبريزي إلى اشتراك صيغة (فُعال) مع (فَعِيل) للدلالة على الصوت فقال (يقال هو شحيج البغل والغراب وشحاج وهو النهيق والنهاق والسحيل والسُحال للنهيق ومنه قيل لعير الفلاة مسحل ولا يقال للأهلي مسحل<sup>(١٩)</sup>).

وللشيخ الغلابيني تفصيل أدق. قال (الزُحار والزحير التنفس بشدة واطلاق البطن بشدة وتقطع معه دم)<sup>(٢٠)</sup>.

وبعيداً عن التكرار والإطالة نستطيع القول أن المصدر الدال على مرض يأتي على وزن (فعل) و(فعليل) و(فعل) مثل زحرَ (زُحاراً) و(زحيراً) وعرَجَ عرجاً والوزن (فعل) هو الأكثر استعمالاً فضلاً على أن ما جاء على وزن (فعل) يدل على عيب دائم في الأغلب وهو خلط لا مسوغ له ورد ذكره في بعض المصادر الدراسية.

وإن ما جاء دالاً على صوت من المصادر يأتي على (فعليل) بالدرجة الأولى ثم (فعل) وإذا ما وزاناً بين صيغتي (فعل) و(فعليل) الدالتين على الصوت (فالذي يبدو أن (فعلالاً) أبلغ من (فعليل) وأقوى وذلك لان مدّة الألف أطول من مدّة الياء وأن فتح الفم بالألف أوسع من فتحه بالياء)<sup>(٢٢)</sup>.

### التحويل في صيغة (فعليل) ودلالاتها

لا شك أن في اللغة العربية كأي لغة حية تهتم غاية الاهتمام بمظاهر تطوير أدواتها في التعبير ومن أهم هذه المظاهر ظاهرة التحويل (والتحويل مسلك من مسالك الخفة والسهولة في اللغة ومظهر من مظاهر العدول فيها... والتحويل تراه يشمل كثيراً من الظواهر العربية كالتخفيف والتقديم والتأخير والتعويض والإعلال والإبدال والإدغام والسهولة والمخالفة إلى غير ذلك)<sup>(٢٣)</sup>.

ونجد اثر التحويل في الصيغ فهو يوجد فيها بزيادة أو نقص لغرض من الأغراض التي يتطلبها الاستعمال اللغوي كتحويل صيغة (فعليل) إلى (مفعل) أو تحويل صيغة (فاعل) من الفعل الثلاثي إلى أمثلة المبالغة أو تحويل صيغة (مفعول) إلى (فعليل).

وقد أشار سيبويه إلى أن صيغة (فعليل) هذه تقع في الأسماء والصفات بقوله (فيكون الحرف على (فعليل) في الاسم والصفة فالاسم بعيرٌ وقضيبٌ والصفة سعيدٌ وشديدٌ وظريفٌ وعريفٌ)<sup>(٢٤)</sup>.

ومنها مجيء (فَعِيل) في معنى مُفَعِّل موجود كثيراً يقال بصيرٌ في معنى مُبْصِر وعذاب اليم بمعنى مُؤَلَّم و داعٍ سميعٍ بمعنى مُسْمِع، كما قال عمرو بن معد يكرب: أمن ربحانة الواعي السَّمِيع أي: (المسمع)<sup>٢٥</sup> وقد تحوّلت صيغة (فاعل) للدلالة على الكثرة والمبالغة في الحدث إلى أوزان خمسة مشهورة تسمى صيغ المبالغة وهي: فَعَالٌ بتشديد العين، كأكَّال، وشرَّاب، ومِفْعَالٌ كمنحار، وفَعُولٌ كغفور، وفَعِيلٌ كسميع، وفَعَلٌ بفتح الفاء وكسر العين كحذِر. وقد سُمِّعت ألفاظ للمبالغة غير تلك الخمسة)<sup>٢٦</sup>.

إذن صيغة (فَعِيل) واحدة من صيغ المبالغة أمّا في الصِّفَةِ المشبهة بقياس بنائها من الفعل اللّازم، كبخيل من (بخل)، وهي من باب (فَرِحَ - يفرح)، وكريم من (كرم)، وهي من باب (كرم - يكرم)، للدلالة على الثبوت والدوام، أو الاتصاف بهما ومن هذا الاستعراض نستخلص أن صيغة (فَعِيل) تستعمل في المصدر، واسم الفاعل، وصيغ المبالغة، والصِّفَةِ المشبهة، كاسم وصفة وأشار بعضهم إلى عمل صيغ المبالغة عمل اسم الفاعل، وقسموها إلى قسمين: الأول ما يعمل بكثرة، وهو ثلاث صيغ هي: (فَعُول - فَعَال - مِفْعَال)، وما يعمل بقلة، وهما اثنان: (فَعَلٌ وفَعِيلٌ) قال ابن هشام: (ومنع أكثر البصريين إعمال هذين يقصد: (فَعَلٌ وفَعِيلٌ)، والجرمي، إعمال (فَعِيل)، والكوفيّين إعمال الجميع وزعموا أنّ ما بعدها منصوب بإضمار فعلٍ مدلول عليه)<sup>٢٧</sup>.

أما سيبويه فذكر أنّهما أجريا مجرى (فَعُول) و(فَعَال) و(مِفْعَال) واحتجّ المحتجون بأنّ (فَعَل) و(فَعِيل) قد اطّردّ فيهما أنّ يبنيا من الأفعال غير المتعدية كقولك: اشِر، فهو اشِرٌّ، وبطر فهو بطرٌّ، ونزق فهو نزقٌ وكذلك شرفٌ وظرفٌ وكرمٌ في شريف وظريف وكريم. ولكن سيبويه لم يجر ذلك في كلّ فعلٍ إنّما أجازَه في (فَعَلٌ وفَعِيلٌ) المبيينين في الأفعال المتعدية مثل (حذير) من (حذِر) و(رحيم) من

(رَحِمَ)، و(عَلِمَ) من (عَلِمَ) وذكر مع ذلك أنه قليل في الكلام وانشد سيبويه في تعدي فعليل) قول ساعدة بن جؤييه:

حتى شأها قليلٌ مؤهنا عمِلٌ      باتتُ طراباً، وباتَ الليلَ لم ينمِ

وقد علّق عليه الشنتمري بقوله: (وكذلك قليل في معنى مُكَلِّ، وإذا كان بمعناه عمل عمله، لأنه مُعَيَّرٌ منه للتكثير)<sup>٢٨</sup>. ويختلف حكم وزن (فعليل) مع الموصوف باختلاف معناه، فإذا جاء فعليل بمعنى اسم الفاعل يتبع الموصوف ظاهراً كان أو مستتراً في التذكير والتأنيث نحو: هذا شفيقٌ، وهذه شفيقةٌ، جاء شفيق، وشفيقة. وقد استعمل (فعليل) بمعنى فاعل في اللغة كثيراً ومنه:

أو كلما وردت عكاظ قبيلةً      بعثوا إليّ عريفهم يتوسم<sup>٢٩</sup>

وقد يؤتي ب فعليل بمعنى مفعول كجريح وقتيل وهو مما يستوي فيه المذكر والمؤنث فنقول: هذا رجلٌ جريحٌ وهذه امرأةٌ جريح<sup>٣٠</sup>.

وقد أشار المعلم رشيد الشرتوني إشارة بارعة في التفريق بين ما تلحقه التاء وما لا تلحقه فقال: (إذا جاء فعليل بمعنى اسم المفعول يبقى مذكراً (مع المذكر والمؤنث) إذا كان الموصوف ظاهراً نحو: جاء رجلٌ جريحٌ وامرأةٌ جريح، لكنه يتبع الموصوف في التذكير والتأنيث إذا كان الموصوف مستتراً نحو جاء جريحٌ وجريحة<sup>٣١</sup>).

إن صيغة (فعليل) الدالة على (مفعول) تشبه صيغة (فعليل) بمعنى (فاعل) في الصفة المشبهة فصيغة (فعليل) في الصفة المشبهة تدلُّ على أنّ الوصف ثابت في صاحبه، أو كالثابت طبيعيةً أو كالتبيعة وقد تناول د. احمد الجواري هذا المعنى بوضوح إذ قال: (أمّا معنى الثبوت والدوام فهو آتٍ من معنى ما اشتق منه اسم الفاعل لأنه حين يشتق مما يدلُّ على الوصف الثابت يقال له: صفة مشبهة، كظاهر القلب ونحو ذلك)<sup>٣٢</sup> فحين نقول: فلان قصير أو طويل أو جميل فهذه صفات ثابتة في من اتصف بها طبيعةً وحين نقول: فلان فقيه أو خطيب، فهي صفات وصف بها،

وصارت كالطبيعة، أو كالسجية إذ هي لا ترقى إلى درجة الثبوت فيما سبقها من صفات وأما (فَعِيل) بمعنى (مفعول) فيدلّ على أنّ الوصف الواقع على صاحبه صار سجية أو كالسجية ثابتاً أو كالثابت فنقول: (هو محمودٌ) ونقول: (هو حميد) فالفرق بين الصيغتين: إنّ (حميد) صارت كالصفة الثابتة له ونقول: (طرف كحيل) وطرف مكحول) فالفرق بين الصيغتين إنّ كحيل صارت كالصفة الثابتة أو القريبة من الثابتة في صاحبها بخلاف مكحول التي تدل على التجدد<sup>٣٣</sup>.

وقد وردت هذا الصفات في القرآن الكريم على هذا الوزن فاستعمل القرآن لفظة (عقيم) نعماً لمؤنث حقيقي قال تعالى (فأقبلت امرأته في صرّة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم) الذاريات/٢٩.

ولمؤنث غير حقيقي في قوله تعالى (وفي عاد أرسلنا عليهم الريح العقيم) الذاريات/٤١، وجاءت نعماً لمذكر غير حقيقي في قوله تعالى (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) الحج/٥٤، والقرآن الكريم في كلّ استعمالاته لم يؤنث لفظ (عقيم) مع استعمالها في الآيتين الأولى والثانية نعماً لمؤنث.. فما علة ذلك؟

بيّن أبو البركات بن الانباري سبب ذلك بالقول (لأنّ عقيم) (فَعِيل) بمعنى (مفعول) وفعيل اذا كانت بمعنى مفعول لا تثبت فيه الهاء كقولهم (عين كحيل) و(كفّ خضيب) و(لحية دھين) أي عين مكحولة وكفّ مخضوبة ولحية مدهونة) وإنما فعلوا ذلك فرقاً بين فعيلة بمعنى مفعول و(فعيلة) بمعنى فاعلة نحو شريفة وظيفة ولطيفة (وعقيم) فعيل بمعنى مفعولة لأنها بمعنى (مفعومة) لا بمعنى فاعلة فلذلك لم تثبت فيها الهاء)<sup>٣٤</sup> وقد أوضح صاحب (الكشاف) ذلك جلياً بقوله (إنّ فلفظة (عقيم) في تركيب الآية الكريمة تدلّ على وقوع النعت على المنعوت من غيره وهكذا ما تحمله عليه الآيتان الأخريان)<sup>٣٥</sup>.

ويقف أبو علي الفارسيّ عند هذا المعنى بقوله (وفعيل اذا كان بمعنى مفعول فالمؤنث والمذكر يستويان فيه)<sup>٣٦</sup>.

وإذا ما واصلنا تفحص الفرق بين صيغتي مفعول وفَعِيل نجد أنّ صيغة مفعول تحتل الحال والاستقبال وتحتل غيره ومنه قول عبدالله بن الزبير لأمه (اعلمي يا أمّاه أنّي مقتول من يومي هذا) وقول كعب بن زهير (انك يا بن أبي سلمى لمقتول) أمّا صيغة فَعِيل فلا تطلق إلا إذا اتصف صاحبها بها، فلا نقول قَتِيل) لمن لم يقتل ولا (جريح لمن لم يجرح ويصح قولها في صيغة مفعول<sup>٣٧</sup> وورد في أدب الكتاب. (شاة رمي إذا رميت)<sup>٣٨</sup>.

أما في دلالة الصيغتين على الشدة والمبالغة والضعف فصيغة مفعول تدلّ على الشدة والضعف أما صيغة فَعِيل فتدل على الشدة والمبالغة حسب فانت تقول لمن يجرح جرحاً صغيراً أو بالغاً (مجروح) ولا تقول (جريح) إلا لمن جرحه بالغ جاء في شذور الذهب في قوله تعالى (فجعلناه حصيداً كأنّ لم تغنّ بالأمس) يونس/٢٤. وأقيم (فَعِيل) مقام مفعول لأنه ابلغ منه، ولهذا لا يقال لمن جرح في أنملته جريح ويُقال له مجروح<sup>٣٩</sup>.

ومما تقدم نستخلص أنّ (فَعِيلاً) بمعنى (مفعول) يختلف عن (مفعول) فيما يأتي من الأمور:

١. دلالة فَعِيل على وجه الثبوت أو قريب من الثبوت (فكحيل) في الموصوف بها اثبت من (مكحول - وكأنها طبيع فيه وهي على هذا ابلغ).

٢. يطلق وصف (فَعِيل) على المتصف به فعلاً فلا يُقال أسير إلا لمن أُسرَ فعلاً أمّا (مأسور) فيمكن أن يطلق على من لم يؤسر أي بمعنى أنه سيؤسر وكذا في قَتِيل و(مقتول) وجريح ومجروح ومنه قوله تعالى (وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً) الاسراء/ ١٠٢، أي مستثبراً.

٣. الوصف بـ(فَعِيل) اشدّ وابلغ من الوصف بـ(مفعول) مثل كسير ومكسور. فقد تخصصه صيغة (فَعِيل) بالشده فقط.

(فَعِيل) بمعنى مفاعل

مما يجدر ذكره أنّ (فَعِيلاً) يأتي بمعنى (مُفَاعِل) كالعضيد والحليف والجليس والاكيل فهي تعني المعاضد والمحالِف والمجالِس والمأكِل وبمعنى (مُفَعَّل) كالحكيم بمعنى (المُحَكَّم) كقوله تعالى في سورة آل عمران/٥٨، (ذَكَ نَتَلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ)<sup>٤٠</sup>.

تحويل (فَعِيل) الى (فَعِيلَة)

إذا ألحقت صيغة (فَعِيل) التاء - التي هي للتأنيث حوّلتها من الوصفية إلى الاسمية كالذبيح والذبيحة فالذبيح ما ذبحَ والذبيحة ما يصلح للذبح قال سيبويه (وتقول شاة ذبيح كما تقول ناقة كسير وتقول هذه ذبيحة فلان وذبيحتك وذلك أنّك لم ترد أن تخبر أنها قد ذُبِحَت ألا ترى أنّك تقول ذلك وهي حيّة؟ فإنما هي بمنزلة ضحية وتقول شاة رمي، إذا أردت أن تخبر أنّها قد رُميت، وقالوا (بئس الرميّة الأرنب).

إنما تريد بئس الشّيء مما يرمي فهذه بمنزلة الذبيحة. وأمّا الذبيحة بمنزلة القتوبة والخلوبة وإنما تريد هذه مما يقتبون، وهذه مما يطلبون فيجوز أن تقول قتوبة ولم تقتب وركوبة ولم تركب وكذلك فريسة الأسد بمنزلة الضحية وكذلك أكيلة السبع)<sup>٤١</sup>.

وجاء في المخصص ما نصّه: (اعلم أنهم يدخلون في (فَعِيل) الذي يعني (مفعول) الهاء على غير القصد إلى وقوع الفعل به ووقوعه فيه ومذهبهم في ذلك الإخبار عن الشيء المتخذ لذلك الفعل والذي يصلح له كقولهم (ضحية) للذكر والأنثى ويجوز أن يقال ذلك قبل أن يُضحى بها وذبيحة فلان لما قد أُتخذ للذبح وقولهم بئس الرميّة الأرنب أي الشيء الذي يُرمى سواء رُمِيَ ام لم يرم)<sup>٤٢</sup>.

وفي ضوء هذا نخلص الى القول بأنّ الفرق بين (فَعِيل) و(فَعِيلَة) في أمرين هما

١. تدلّ صيغة (فَعِيل) على الوصفية بينما تدلّ صيغة (فَعِيلَة) على الاسمية.
٢. ان صيغة (فَعِيل) تطلق لتدلّ على ما اتصف به صاحبه، في حين تطلق صيغة (فَعِيلَة) على ما أُتخذ لذلك.

جموع القلّة وجموع الكثرة المسموعة في (فعليل) جموع القلة التي سمعت في (فعليل) هي:

١. أفعلة: صفة من المضاعف نحو شحيح - اشحة.

٢. فعلة: ولا يأتي هذا الباب إلا سماعياً في (فعليل) نحو صبي - صبية استغنوا بها عن أصبية، وذهب السراج إلى أنّ هذا الباب اسم جمع لا جمع (٤٣).

أما جموع الكثرة التي سمعت في (فعليل) فهي:

١. فعيل: وهو سماعي فيما ورد عليه وذلك في (فعل) نحو كلب - كليب

٢. فعلان: وفي (فعليل) نحو ظليم - ظلّمان وعريض - عرضان وقضيب - قضبان وفعليل - فعلان وحزير - حزّان وصبي - صبيان.

٣. فعل: وفي (فعليل) من الصفات نحو: نذير - نذرٌ وجديد - جدّد وسديس - سدّس وصديق - صدّق وفصيح - فصّح. وفيما كان بمعنى فاعل من فعليل نحو: عقيم - عقم.

٤. فعائل: وقد سمع من الأسماء التي على وزن فعيل نحو افيل - افائل وسمع في (فصيلا) من الصفات نحو صبيحة - صبائح وصحيحة - صحائح وطبيب - طبائب.

وجاء في الإيضاح العضدي (وإذا ألحقت الهاء فعيلاً للتأنيث وافق المذكر في الجميع وذلك صبيحة و صياح و ظريفة و ظراف وقد يكسر على فعائل وذلك صبائح وصحائح<sup>٤٤</sup>).

بيد أنّي وجدت عند الخليل رأياً آخر في جمع (افيل) قال (والأفيل: الفصيل والجمع (الإفال) قال: وجاء قريع الثول قبل إفالها<sup>٤٥</sup>).

والثول (الذكر من النحل ويقال الثول جماعة النحل لا واحد له)<sup>٤٦</sup>.

وفي فعليل صفة خالية من هاء التأنيث نحو هجين - هجائن.

١. فَعْلَاء: وهو مقيس في (فَعِيل) بمعنى فاعل صفة لمذكر عاقل غير مضاعف ولا معتل نحو ظريف وظرفاء وكريم وكرماء وبخيل وبخلاء<sup>٧</sup>.
٢. أَفْعَاء: بفتح فسكون فكسر ويطرّد في مفرد (فَعِيل) ولكن بشرط أن يكون معتل اللام أو مُضَعَفًا كغنيّ وأغنياء ونبيّ وأنبياء وشديد وأشداء وعزيز وأعزاء وهو لازم فيها وشذّ في نصيب وانصباء وفي صديق وأصدقاء وفي هينّ وهوناء لأنها ليست معتلة اللام ولا مصنعة<sup>٨</sup>.
٣. فَعَالَى: سمع في (فَعِيل) صفة نحو يتيم يتامى.
٤. فَعَلَى: سمع في فَعِيل بمعنى فاعل نحو مريض - مَرَضَى وكسير كسرى ورهيص رهصى وحسير حسرى<sup>٩</sup>.

### فَعِيل في اللغات

وردَ ان في (فَعِيل) لغتين هما فَعِيل وفَعِيل الأولى بفتح الفاء وكسر العين والثانية بكسر الفاء والعين، مثل لَنِيم وشَهِيد وسَعِيد وتَخْفِيف ورَغِيف، وما جاء بكسر الفاء لغة لتميم وترد في صيغة (فَعِيل) أيضاً بكسر الفاء فيقولون (لعب) و(ضحك) والذي استنتجتُه أن اللغة التي جاءت بفتح العين هي لغة الجمهور<sup>٥</sup>.

كلمة شيء ... أصلاً وجمعاً وعلاقتها بفَعِيل:

ورد في جمع كلمة (شيء) أكثر من رأي وأولها رأي الفراء، إذ ذهب إلى أن (شيء) مأخوذ من (شيء) كما يقولون (هين) في (هين) وجعها أهوناء وكذلك جمعت (شيء) على (أشياء) فحذفت اللام فكانت أشياء وقد جاء في (شذا العرف في فن الصرف) (أصل (أشياء) (شياء) على وزن (فَعْلًا) قُدِّمَت الهمزة التي هي اللام في موضع الفاء فصار (أشياء) على وزن (لَفْعَاء) ولاشكَّ أن (فَعْلَاء) من موازين ألف التأنيث المحدودة فهو ممنوع من الصرف لذلك وهو المختار<sup>٥</sup>.

وللدكتور مصطفى جواد رأي مفاده أنّ (أشياء) أصلها (أشياء) جمع (شييء) على وزن (فَعِيل) مثل (شَتَيْت) و(أَسِير) ثمّ حذفوا المد للتخفيف. وقيل أنّ جمعها على (أشياء) بياءين متحركتين<sup>٥٢</sup>. والذي أُرجه هو رأي الدكتور مصطفى جواد لموافقته الاشتقاق أولاً وليسره وسهولته وعدم تقعره ثانياً وهو ما يحقق الهدف من تدريس اللغة العربية وإيصالها لغة رشيقة بعيدة عن التعقيد. اختلاف الدلالة في الصيغ المتشابهة:

بعض الصيغ ذوات العلاقة بصيغة فعيل ك (العديل) و(العدل) فالعديل ما عاد لك من الناس... والعدل لا يكون إلا للمناع ولكنهم فيما أزعم فرقوا بين البناء ليفصلوا بين المتاع وغيره ومثل ذلك بناء (حصين) وامرأة (حصان) ففرقوا بين البناء والمرأة فإنما أرادوا أنْ يخبروا أنّ البناء محرز لمن يلجأ إليه والمرأة محرزة لشرفها.

ومثل ذلك (الرّزين) في الحديد والحجارة والمرأة (رزان) فرقوا بين ما يحمل وما ثقل في مجلسه فلم يخف وهذا كثير في كلام العرب فقد يكون الاسمان مشتقين من شيء والمعنى فيهما واحد وبنائهما مختلف فيكون أحد البنائين مختصاً به شيء دون شيء ليفرقوا بينهما<sup>٥٣</sup>.

### نتائج البحث

١. إثبات أنّ مورفيم (التاء) إذا ما لحق صيغة (فَعِيل) حولها من الوصفية إلى الاسمية فضلاً على تغيير بناء الصيغة.
٢. الغور عميقاً في علاقة صيغة (فَعِيل) بغيرها من الصيغ وإبراز الدلالات للصيغ المحولة من (فَعِيل) إليها والإشارة إلى أنّ تناسل الصيغ له أثر كبير في تطوير

اللغة والارتقاء بها من خلال الاستعمال المتأني من إيجاد صيغ جديدة كمسلك من مسالك الخفة والسهولة في اللغة.

٣. توصل البحث إلى أنّ القرآن الكريم لم يؤنث لفظة (عقيم) على وزن (فَعِيل) في كل استعمالاته اللغوية حتى مع استعمالها نعتاً لمؤنث... وقد ورد في السور: الحج/٥٥ الذاريات/٢٩ - الشورى/٥٠ - الذاريات/٤١ - ٥٤.

٤. ترجيح رأي (هنري فليش) القائل إنّ صيغة (فَعِيل) هي النمو الطبيعي لصيغة (فَعِل) مع مدّ المصوت القصير ليتحوّل إلى صوت طويل.

فَعِل = ص ع ص ع ص

فَعِيل = ص ع ص ع ص ص

٥. إثبات أنّ صيغة (فُعَال) أبلغ من صيغة (فَعِيل) وأقوى لأنّ صوت الألف أطول من مدة الياء . ولأن فتح الفم بالألف أوسع من فتحه بالياء.

٦. تحديد الدلالة الزمنية للصيغ ذات العلاقة والمحوّلة من صيغة (فَعِيل) كما في صيغة (مفعول) التي تحتمل الدلالة على الحال والاستقبال وتحتمل غيرها أمّا صيغة (فَعِيل) فلا تطلق إلا إذا اتصف صاحبها بها.

٧. الكشف عن قصور الكتب المدرسيّة (حتّى في طبعاتها الأخيرة) والتي تناولت بالدراسة صيغة (فَعِيل) وحصرتها مجيئها من باب (فَعْل - يَفْعُل) فقط وقد أثبت البحث أنّها يمكن أن تجيء من أبواب أخر بالدليل القاطع.

## هوامش البحث

١. أنظر: المبتدأ والخبر في القرآن الكريم ص ٢٢١
٢. أنظر: كتاب الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل ص ٢٢١
٣. أنظر: كتاب نزهة الطرف في علم الصرف ص ٢٣-٢٤
٤. النحو الوافي ٢٨٨/٣
٥. أنظر: (العين) للفراهيدي ص ٥٩، وكتاب (الأفعال) لابن القوطية ص ١٣١، و(مختار الصحاح) للرازي ص ٤٢، و(لسان العرب) لابن منظور ص ٤٧ (حرف اللام)، و(الرائد) لنجيب مسعد ص ٣٠٩، و(المتقن. معجم الأضداد) لميشال مراد وأنطوان فيقانو، ص ٤٣.
٦. التبيان في تفسير القرآن ٢٨/٤.
٧. البحث النحوي عند الأصوليين ص ٥٤.
٨. العربية الفصحى - نحو بناء لغوي جديد ص ٨٠ تراجع.
٩. الإنصاف في مسائل الخلاف ص ١٠٤-١٢١.
١٠. الضرورة الشعرية- دراسة أسلوبية ص ١٢.
١١. العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد ص ٨١. أنظر: العين للفراهيدي ٧٣٥-٧٤٤-٧٤٨-٧٥٦-٧٥٧. ومختار الصحاح للرازي ٥٠٨.
- \* (الستة) هكذا وردت في نص هنري فليش.
١٢. المصدر نفسه، ٨٢.
١٣. دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة والرسم ص ١٩٠.
- \* أظنها (باغي) وليس (باغت) كما وردت في النص.
١٤. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ص ١٠٤.
١٥. جامع الدروس العربية ١/١٦٦.
١٦. شرح ابن عقيل على ألفيه ابن مالك ١٢٤/٢.

١٧. فصل الخطاب في أصول لغة الأعراب ص ٢٥-٢٦. وينظر: المرجع في اللغة العربية نحوها وصرفها ١٨/٣. وفي علم النحو ٣٢/٢.
١٨. مختصر الصِّرف ص ٥٤.
١٩. تهذيب إصلاح المنطق ص ٢٨٧. وينظر العين للفراهيدي ص ٤١٣. ولسان العرب ٣٢٩/١٣ حرف الميم.
٢٠. جامع الدروس العربية ص ١٦٦.
٢١. أنظر معجم الرائد ٧٧٠-٧٧١. وقواعد اللغة العربية للمرحلة الثالثة ط ٦لسنه ٢٠١٦ ص ٣٤. ومنجد الطلاب ٢٧٨. وقواعد اللغة العربية للمرحلة الثالثة ط ١لسنه ٢٠١٨ ص ٣٢.
٢٢. معاني الأبنية في العربية ص ٢٨.
٢٣. المجلة العربية للعلوم الإنسانية/التحويل في صيغ المضعف وحروفه ص ١٢٩.
٢٤. كتاب سيبويه تح. عبد السلام هارون ٤/٢٦٧. وينظر مختصر الصرف، ص ٤٤.
٢٥. تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب ص ٧٥.
٢٦. كتاب شذا العرف في فن الصرف ص ٧٨. ويُنظر: دراسات في علم النحو ص ٣٤٥.
٢٧. شرح اللمحة البدرية - علم اللغة العربية ٨٠/٢.
٢٨. أنظر كتاب سيبويه - منشورات الاعلمي للمطبوعات ٧٤-٧٥، وكتاب الحل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل ٢٢٠-٢٢١. وتحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب ٧٥/١.
٢٩. أنظر: اسم الفاعل في القرآن الكريم - دراسة نحوية ص ٩.
٣٠. أنظر في علم النحو ٤٠/٢.
٣١. مباهي العربية في الصِّرف والنحو ص ٨٩. وانظر: كتاب الأنموذج في النحو ص ٨٩. واللغة العربية - مبناها ومعناها ص ٢٣٨.

٣٢. نحو القرآن ص ٨٣.
٣٣. أنظر في علم النحو ٤/٢.
٣٤. البيان في غريب إعراب القرآن ٢-٣٩١.
٣٥. الكشف ٤/١.
٣٦. التكملة - الإيضاح العضدي ١٨٧/٢.
٣٧. انظر كتاب معاني الأبنية في العربية ص ٦١-٦٢.
٣٨. أدب الكاتب ٢٢٨.
٣٩. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ص ١٤٤.
٤٠. كتاب الأصول في النحو ١٤٦/١.
٤١. الكتاب سيبويه ٢١٣/٢.
٤٢. المخصص لابن سيدة ١٥٥/١٦.
٤٣. الأصول في النحو ٤٥٥/٢. وينظر أبنية الصّرف في كتاب سيبويه.
٤٤. الإيضاح العضدي ١٨٥/٢.
٤٥. العين للخليل ٣١.
٤٦. المصدر السابق ١٢١.
٤٧. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٤٦٧/٢-٤٦٨.
٤٨. أنظر شذا العرف في فن الصرف ١١٤.
٤٩. أنظر أبنية الصّرف من كتاب سيبويه ٣١٨-٣٢٨. وشرح التصريح على التوضيح لألفية ابن مالك في النحو ٣٠٧/٢.
٥٠. أنظر كتاب سيبويه تح. عبد السلام هارون ١٠٧/٤. وكتاب سيبويه. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ٣٠٥/٢.
٥١. شذا العرف في فن الصرف ٢٤-٢٥.
٥٢. أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو ٢٢٤.

٥٣. أنظر كتاب المقتضب ٣٨٢.

٥٤. انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٤٦٩.

### المصادر والمراجع

١. أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصِّرف والنحو - رشيد عبدالرحمن العبيدي - مطبعة: سلمان الأعظمي ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
٢. أبنية الصرف في كتاب سيبويه - د. خديجة الحديثي - منشورات مكتبة النهضة - بغداد ط ١ - ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
٣. أدب الكاتب - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) حققه محمد بن محيي الدين عبد الحميد ط ١٤ مطبعة السعادة مصر ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.
٤. أسرار النحو - شمس الدين أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا - تح: الدكتور أحمد حسن حامد - منشورات دار الفكر - عمان (د.ت).
٥. اسم الفاعل في القرآن الكريم - دراسة نحوية - رسالة ماجستير - حريبة كامل مهدي - جامعة بغداد - بإشراف د. خديجة الحديثي ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٦. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين للإمام كمال الدين بن البركات الانباري النحوي المجلد الأول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د.ت).
٧. الأتمودج في النحو الإيضاح العضدي ابو علي الحسين بن احمد الفارسي تح: د حسن شاذلي فراهود، الرياض الزمخشري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٨. البحث النحوي عند الاصوليين، د.مصطفى جمال الدين - دار الرشيد ١٩٨٠ - سلسلة دراسات (٢٢٨) بغداد.
٩. البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات بن الانباري، تحقيق د. طه عبدالحميد طه - مراجعة: مصطفى السقا دار الكتاب العربي القاهرة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
١٠. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي. المجلد الأول، المطبعة العلمية في النجف الاشرف ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

١١. تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب - لمولى الأنام يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري، على هامش كتاب سيبويه، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان ٣، ١٤١٠هـ - ١٩٦٠م.
١٢. تهذيب إصلاح المنطق، الشيخ أبو زكريا يحيى بن علي بن الخطيب التبريزي ط١ طبع بمطبعة السعادة (د.ت).
١٣. جامع الدروس العربية - الشيخ مصطفى الغلاييني، الطبعة التاسعة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م المطبعة العصرية، صيدا، لبنان.
١٤. دراسات في علم النحو، د. أمين علي السيد، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٦٧م.
١٥. دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة والرسم د. مصطفى جواد، مطبعة أسعد، بغداد ١٩٦٨.
١٦. الرائد (معجم) - جبران مسعود - دار العلم للملايين ط١ - بيروت ١٩٦٤.
١٧. شرح ابن عقيل، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري على ألفية الإمام الحجّة الثبت أبي عبد الله محمد جمال الدين بن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد ط١٤، مطبعة السعادة مصر ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
١٨. شرح التصريح على التوضيح لألفية ابن مالك في النحو - خالد عبد الله الأزهرى - ط٢ - المطبعة الأزهرية المصرية ١٣٢٥هـ.
١٩. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب - وضعه جمال الدين عبد الله بن هشام الانصاري (٧٦١هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط٢-١٤١٩هـ - ١٩٩٨م بيروت لبنان.
٢٠. شرح الشيخ عبد المنعم عوض الجرجاني على شواهد ابن عقيل لألفية ابن مالك ط٢ - مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٧م.
٢١. شرح اللمحة البدرية، علم اللغة العربية، ابن هشام الانصاري المصري، دراسة وتحقيق د.هادي نهر، طبع بمطبعة الجامعة بغداد، ١٩٧٧م ١٣٩٧هـ.
٢٢. الضرورة الشعرية - دراسة أسلوبيّة - إبراهيم السيد (مترجم).
٢٣. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٥هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م. مرتبة وفقاً للترتيب الهجائي.

٢٤. العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، تأليف هنري فليش، تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين ط٢- دار المشرق ش.م.م، بيروت، ١٩٨٣م.
٢٥. فصل الخطاب في أصول لغة الإعراب - الشيخ ناصيف اليازجي - تقديم ومراجعة جميل إبراهيم حبيب- الطبعة ١. مطبعة منير بغداد (د.ت).
٢٦. في علم النحو، د. أمين علي السيد ط٣- دار المعارف بمصر (د.ت).
٢٧. قواعد اللغة العربية للصف الثالث المتوسط تأليف: د. مجيد نوط وآخرون، ط٦- سنة ٢٠١٦م.
٢٨. قواعد اللغة العربية للصف الثالث المتوسط تأليف د. فاطمة ناظم العتابي وآخرون، ط١ لسنة ٢٠١٨ جمهورية العراق - وزارة التربية - المديرية العامة للمناهج.
٢٩. كتاب الأصول في النحو أبو بكر بن السراج النحوي البغدادي تح. د. عبد الحسين الفضلي - مطبعة النعمان في النجف الاشراف ١٩٧٣م - ١٣٩٣هـ.
٣٠. كتاب الأفعال - ابن القوطية (ت٣٦٧هـ) إشراف وتوجيه السيد علي راتب - تح. علي فوده ط١- مطبعة مصر ١٩٥٢م.
٣١. كتاب الحل في إصلاح الخلل، من كتاب الجمل، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (٤٤٤-٥٢١هـ) تحقيق: سعيد عبدالكريم مسعودي، دار الرشيد للنشر ١٩٨٠ بغداد.
٣٢. كتاب سيبويه تح. عبد السلام محمد هارون - عالم الكتب للطباعة والنشر بيروت - ط٢ لسنة ١٩٨٢م.
٣٣. كتاب سيبويه - أبو بشر عمر الملقب ب(سيبويه) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان ط٣- ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٣٤. كتاب شذا العرف في فن الصرف، الشيخ أحمد الحملاوي ط١٦، لسنة ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م. ملتزم الطبع والمشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر.
٣٥. كتاب المقتضب - أبو العباس محمد بن يزيد بتحقيق - محمد عبد الخالق عزيمة - القاهرة ١٣٨٦هـ.
٣٦. كتاب الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الإمام محمد بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨) رتبه وصححه مصطفى حسين أحمد، الطبعة/٢، مطبعة الاستقامة، بالقاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٥٣م.

٣٧. كتاب نزهة الطرف في علم الصرف، أحمد بن محمد الميداني ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٣٨. لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصرية - دار صادر - دار بيروت - بيروت (د.ت).
٣٩. اللغة العربية مبناها ومعناها د.تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣م.
٤٠. مباديء العربية في الصرف والنحو - المعلم رشيد الشرتوني - المطبعة الكاثوليكية بيروت (د.ت).
٤١. المبتدأ والخبر في القرآن الكريم، د. عبدالفتاح المحمود ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م - دار عمان للنشر والتوزيع - عمان.
٤٢. المتقن، معجم الأضداد في اللغة العربية، ميشال مراد، انطوان قيقانو دار الراتب الجامعية بيروت - ط٢ - ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥م.
٤٣. المجلة العربية للعلوم الإنسانية - من موضوع التحويل في صيغ المضعف وحروفه بقلم - عبد الرحمن محمد إسماعيل. مجلد ٩/ - العدد ٤، ٣ السنة ١٩٨٧م.
٤٤. المرجع في اللغة العربية - نحوها وصرفها - علي رضا المطبعة السورية - حلب ١٩٦١-١٩٦٢ كلية الآداب.
٤٥. معاني الأبنية في العربية د- فاضل صالح السامرائي - ساعدت جامعة بغداد على نشره - تسلسل التعضيد (٢٠) لسنة ١٩٨٠-١٩٨١.
٤٦. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبدالباقي - مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٦٤.
٤٧. منجد الطالب نظر فيه ووقف على ضبطه فؤاد إفرام البستاني طه منقحة - المطبعة الكاثوليكية - بيروت (د.ت).
٤٨. نحو القرآن د. أحمد عبدالستار الجوارى - مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
٤٩. النحو الوافي - عباس حس - ط٦ - ٣٨٠ش - انتشارات ناصر خسرو - طهران.



## أنساق بناء الحدث في أعمال محمود عبدالوهاب السردية

م. ميعاد زعيم حنون العبادي

### الحدث

هو ((اقتران فعل بزمن، وهو لازم في القصة لأنها لا تقوم الا به))<sup>(١)</sup>. ويتكون من ((مجموعة وقائع منتظمة او متناثرة في الزمان، وتكتسب تلك الوقائع خصوصيتها وتميزها من خلال تواليها على نحو معين))<sup>(٢)</sup>. ويعد عنصراً رئيساً في العمل القصصي، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعناصر الأخرى وهي، الشخصية والزمان والمكان فلا ((قصة بدون حدث لانه شكل تنتظم فيه الصراعات والمشاعر في نسيج متوافق))<sup>(٣)</sup>.

### انساق بناء الحدث

النسق هو ((عملية ترتيب أحداث القصة... بطريقة او نظام معين ليمنح العمل تفرداً و جمالية خاصة به))<sup>(٤)</sup>. لان السرد لا يقدم لنا أحداث الرواية حسب تسلسلها الزمني الذي وردت فيه في الواقع، إنما يعمل على ترتيب هذه الأحداث بطريقة تتوخى الجمال<sup>(٥)</sup>، وقد بدأت دراسة انساق بناء الحدث مع دراسات الشكلانيين الروس، وقسمها النقاد والباحثون كل حسب دراسته على أقسام عدة: قال شكولوفسكي إنها أربعة انساق هي نسق التأيير، نسق البناء ذي المراقبي، نسق التضمين، نسق التنضيد<sup>(٦)</sup>. بينما قسمها الناقد سعيد يقطين على ثلاثة انساق وهي ((التتابع، التضمين، التناوب))<sup>(٧)</sup>. وأضاف إليها الدكتور عبد الله إبراهيم نسقاً رابعاً هو نسق التكرار<sup>(٨)</sup>. أما أهم الأنساق البنائية التي وجدت في مادة البحث فهي:

١. نسق التتابع

٢. نسق التضمين

٣. نسق التوازي

٤. النسق الدائري.

### أولاً: نسق التتابع

يعد هذا النسق من أقدم الانساق البنائية وأكثرها شيوعاً في تاريخ الفن القصصي، ويقوم على ((أساس رواية أحداث القصة جزءاً بعد آخر دون ان يكون بين هذه الأجزاء شئ من قصة أخرى))<sup>(٩)</sup>. وهو يعني ((تتابع مكونات المتن في الرواية... على نحو متعاقب دون قطع أو استرجاع أو استباق))<sup>(١٠)</sup>. أي انه يأتي على شكل أحداث متتابعة يبدأ من نقطة محددة ويتتابع وصولاً الى نقطة النهاية، من دون ان يسترجع الأحداث او يسبقها.

((واغلب الظن ان طريقة تقسيم أحداث القصة إلى أقسام، نشأ في الرواية العربية في العراق بتأثير من الرواية المصرية التي شهدت بعض نماذجها وخاصة النماذج الروائية التي قدمها جيل الستينات محاولات تجريبية في بنائها الفني))<sup>(١١)</sup>. ومن خصائص هذا النسق انه يعمل على ((جمع الأحداث القصيرة وترتيبها بشكل منظم لتؤلف حدثاً متكاملأ موحداً))<sup>(١٢)</sup> يقوم بسرد ((الأحداث الواحد تلو الآخر مع وجود خيط رابط بينها))<sup>(١٣)</sup>. ويميل الى ((اعتماد منطقي السببية والزمنية))<sup>(١٤)</sup>.

عندما تفحصنا مادة البحث. وجدنا هيمنة لهذا النسق، وربما يعود ذلك الى طبيعة الأحداث المسرودة، وتسلسلها بانتظام دقيق، ففي قصة الملاعق بدأ الحدث من لحظة دخول رجل غريب الأطوار إلى المطعم، وصفه الراوي فقال إن ((مخلوقاً غريباً دخل مطعمنا، لم اشهد زبونا بتعاسته))<sup>(١٥)</sup> وقبل ان يجتازه توقف قليلاً والتفت نحوه ثم غمغم وواصل سيره فجلس على المائدة و نشر نقوده ليتأكد من كفايتها، ثم تطور الحدث بعد ذلك فطلب طبق حساء ((كان بخار الحساء يتلوى بين عينيه خيوطاً سائبة تتماس وتتداخل وتتشابك))<sup>(١٦)</sup> اخذ جسده ينشد وأطبق على الملعقة ينظر الى طبق الحساء، ثم بدأ يلتهم طعامه، يضع الملعقة داخل الحساء وببطء يدفع الملعقة في فمه ويلتهم ما فيها دفعة واحدة، ثم تسارعت حركة الملعقة حتى تخاطفت أعضاء وجهه وارتجت حركتها، وكان بخار الحساء يندفع بقوة ليشطر وجهه الى

نصفين وقد تجمع على وجهه، ثم يبدأ الحدث بالنزول تدريجياً ليصل الى نهايته ومثل عجينة رخوة أخذت أعضاء وجهه تفقد تماسكها وتتفصل عن بعضها وتتطاير في الهواء على شكل فقاعات تنفجر في صوت مكتوم وتتساقط في قعر الطبق الى الدرجة التي يسقط فيها انفه، اذناه، ذقنه، وبعد ذلك وصل الحدث الى ذروته حيث تحول الرجل الى سائل لزج يتساقط في قعر الطبق قطرة قطرة ويندلق السائل اللزج على غطاء المائدة ويسيل على أرضية المطعم، يتشعب الى فروع ويسد الثقوب ويجري تحت الموائد وبين أرجل الزبائن في مهمة وصوت مكتوم<sup>(١٧)</sup>.

لو تأملنا تلك الأحداث لوجدناها مترابطة مع بعضها، منتظمة بشكل متتابع، فقد بدأت من نقطة معينة ثم تطورت شيئاً فشيئاً حتى وصلت الى نهايتها.

قد تجلى هذا النسق ايضاً في رغبة السحاب، وهيمن فيها هيمنة مطلقة ففي الهاتف رقم (٠٠٠٠٥) بدأ الحدث في نقطة محددة، وهي لحظة استيقاظ الراوي في ساعة متأخرة من الليل- ولفترة طويلة- على رنين جرس الهاتف، وتوقعه وصول أخبار غير سارة من ذلك الهاتف، ثم تصاعد الحدث بعد ان عرف الراوي ان الصوت الذي وصله عبر الهاتف لم يكن يحمل اخباراً سيئة بل هو صوت لشخص غريب لا يعرفه، شعر بالقلق والوحشة وحاول الاتصال بأي شخص ليلاً ليبدد عنه ذلك القلق ((لم يكن المتكلم شخصاً اعرفه، لكن لصوته نبرة حميمة ومطمئنة جعلتني اتغاضى عن فعلته، فالقلق والعزلة والوحشة تنتابه في مثل هذه الساعة دائماً ولا خلاص له إلا بالالتجاء إلى صوت بشري))<sup>(١٨)</sup> بعد ذلك حاول الراوي ان يحصل على رقم هاتف ذلك الشخص الغريب لكنه لم يستطع لان المتحدث معه اخبره بأنه لا يعرفه شخصياً بل هو اتصال غير مقصود، مجرد عبث بأرقام الهواتف.

ثم تطور الحدث بعد ذلك، إذ اتصل ذلك الشخص في الليلة التالية و كلم الراوي عن كتاب قرأه ونصحه بقراءته، واستمر الحوار بينهما لفترة من الزمن، وتكررت

تلك الاتصالات ولكن بعد ذلك انقطعت ثم عادت مرة أخرى وقد اعتذر الشخص عن عدم الاتصال لانشغاله بوقائع عدة.

ثم بدأ الحدث بالنزول تدريجياً ليصل الى النهاية المقررة له، وهي المكالمة الأخيرة لذلك الشخص فقد استأنف هوايته القديمة- الرسم- وعاد لممارستها مرة أخرى، فهي متعة حقيقية، قد شغلته عن المكالمات الليلية، بل كانت سبب انقطاعها، ويبدو ان الراوي اعتاد سماع تلك المكالمات، وكان ينهض من فراشه مسرعاً في منتصف الليل عندما يسمع رنين الهاتف، لكن عندما يرفع السماعه لا يجد احداً ((كلما سمعت رنين الهاتف في منتصف الليل انهض من سريري البس خفي، اجتاز الصالة نصف المضاعة، وبارتعاشة، لا ادري بسبب نسائم الليل الباردة أم التوق إلى سماع صوته، ارفع سماعة الهاتف، ولكن لا أحد))<sup>(١٩)</sup>. ثم انتهى الحدث ووصل الى لحظة التتوير عندما فكر الراوي العبث بأرقام الهواتف بطريقة اعتباطية ليبدأ بمكالمات ليلية مع أي مجهول في الطرف الآخر<sup>(٢٠)</sup>.

لو تأملنا تلك الأحداث لوجدناها احداثاً مترابطة مع بعضها متسلسلة زمنياً وليس فيها أي تقديم أو تأخير في سردها بل ابتدأت من نقطة محددة ثم تصاعدت ثم بدأت بالنزول لتصل إلى النهاية المقررة لها، في الهاتف (١) بدأ الحدث بنزول الجندي الى المدينة بعد ان اجتاز النهر واشتد هطول المطر فقرر ان يقضي ليلته في فندق لكي يواصل سفره في اليوم التالي- الى محافظته المجاورة، ثم تطور الحدث وازداد هطول المطر وبدأ ينهمر بغزارة، فأستظل الجندي بجوار المقهى لكي يتقي رذاذ المطر ((كان باب المقهى واطناً، حتى جذعه ودخل إلى صالة مترامية سيئة الإضاءة، المصباح الوحيد الذي كان في الزاوية البعيدة، يرقد تحت ضوءه الشاحب ثلاثة أشباح ورابع كان متحياً عنهم شبه مضطجع. أشار الرجل المتحى للجندي إلى كرسي ومنضدة بجوار النافذة))<sup>(٢١)</sup>. ثم لمح الجندي- وهو جالس في المقهى- لوحة من الورق أعلن فيها عن وجود غرفة للمبيت... واستمر الحدث بالتتابع إذ قرر

الجندي ان يعبر الشارع المؤدي الى الفندق لكي يستأجر غرفة لقضاء ليلته، لكن تفاجأ بعدم وجود غرفة للنوم لانه ليس فندقاً بالمعنى الصحيح، إذ خاطبه صاحب الفندق قائلاً ((زيائننا نزلنا ثابتون هنا))<sup>(٢٢)</sup>. ((لكل نزيل غرفته الخاصة))<sup>(٢٣)</sup>.

لكن لم يبق الحدث ساكناً بل تطور ليصل الى ذروته في النهاية، فعندما علم صاحب الفندق أن هذا النزيل هو جندي عائد من الجبهة، تذكر ولده المقاتل في الجبهة، فرق لحاله وأجلسه عنده ودار بينهما حوار طويل عن جبهات القتال، كانت نتيجته موافقة صاحب الفندق على تسليم غرفته لذلك الجندي لكي يقضي ليلته ويغادر في الصباح إلى مدينته<sup>(٢٤)</sup>.

بعد متابعة النص السردى وجدنا الأحداث قد انتظمت وتتابع وتراپطت مع بعضها منذ البداية وحتى النهاية على نحو سببي وزمني.

### ثانياً: نسق التضمين<sup>(\*)</sup>

هو شكل من أشكال السرد القصصي يقوم على أساس رواية أكثر من حكاية داخل القصة الواحدة أي ((نشوء قصص قصيرة كثيرة في إطار قصة واحدة))<sup>(٢٥)</sup>. أو هو ((إدخال قصة في قصة أخرى))<sup>(٢٦)</sup> أو ((السرد داخل السرد أو تسلسل سرود صغيرة داخل إطار سردي عام))<sup>(٢٧)</sup>. ((ويعد هذا النسق من اقدم الانساق البنائية في الأدب القصصي))<sup>(٢٨)</sup> وقد شاع استعماله في القص الشفاهي، وفي كتب التاريخ والأدب والحكايات الخرافية وتعد حكاية (ألف ليلة و ليلة) مثلاً لهذا النسق<sup>(٢٩)</sup>، ولم يقتصر هذا النسق على السرد القديم على الرغم من انه اقدم الانساق البنائية، إنما تداخل في الرواية والرواية الجديدة، وقد أشار الباحث نهاد التكرلي الى ذلك قائلاً ((نستطيع العثور على هذا التضمين في روايات سابقة على الرواية الجديدة، لكن استعمال هذه الطريقة بصورة منهجية جعلها إحدى الخصائص المميزة للرواية العربية))<sup>(٣٠)</sup>.

يمتاز هذا النسق بوظائف عدة منها:

١. إملاء الفراغ
٢. إضفاء الحيوية على السرد
٣. بناء المنظور الأيديولوجي<sup>(٣١)</sup>
٤. جذب الانتباه
٥. تأجيل السرد<sup>(٣٢)</sup>

عندما تأملنا مادة البحث وجدنا أن رواية (رغوة السحاب) قد انفردت بهذا النسق، فالبناء الفني للرواية يتكون من مجموعة تقنيات أو تأطيرات بحيث تجد وحدات النص فيه كأن كل وحدة تسلم للتي بعدها في نوع من التضمين أي إدخال قصة داخل قصة، يجمعها إطار واحد مشترك، تبدأ الحكاية الاطارية الأولى بالدليل إذ تظهر من خلاله حكايات أو قصص دفتر أرقام الهواتف الذي يضم (١٦) حكاية أو قصة تنطوي تحت عنوان (مكالمات في الليل) وتنتهي بخاتمة عنوانها (في الصباح) ((أراد من خلالها النص الإفضاء بإيقاف السرد، وتنامي الحكي، عبر الحكايات الست عشرة))<sup>(٣٣)</sup>.

الملاحظ أن شكل الرواية فرض من خلال دفتر أرقام الهواتف أي ان الأحداث وأنماط الكتابة ابتكرت صيغة جديدة قدمت من خلالها أحداث الرواية... ألا وهي أرقام الهواتف وحكايات الليل. ففي الدليل يضمّن الراوي المؤطر قصة بقصة قصيرة بعنوان (الصوت البشري) وفيها ((يعاني بطل القصة العزلة القاتلة، ولم يجد ما يبده عنه وحدته إلا أن يلجأ الى الهاتف، يدير قرصه، في سأم متراخ، ليتدفق الصوت البشري في اذنيه، يخفف ما به من عناء الروح ويوصل جزيرته النائبة بجزر الآخرين، في تلك اللحظة، تجد الروح خلاصتها في متاهة العزلة ودهاليزها وطلاسمها و مغاليقها))<sup>(٣٤)</sup>

والجدير بالذكر أن هذه القصة التي سردها الراوي الممسرح هي للقصص الفرنسي (جان كوكتو) أشار فيها إلى أهمية الهاتف فالبطل - هنا - يلجأ إلى التخلص من العزلة والوحدة الموحشة من خلال اتصاله بالآخرين عبر الهاتف حيث ((تتجمع الجبال والمحيطات و آلاف المدن النائبة و العواصم الكبيرة في ذراع الهاتف، الذي في قبضتك، حالما ترفع سماعته وتخطب شخصاً... تلتهم المسافات الجليدية، في جزء من ثانية من الوقت لتتحشر تضاريسها بين فوهتي الإرسال والاستقبال من هاتف بيتك))<sup>(٣٥)</sup>

فحالما يتدفق صوت الآخرين إلى أذنيه فإنه يحس بالراحة و الطمأنينة لان الإنسان بطبيعته اجتماعي فهو لا ينفرد بوحده ((إلا في حالتي الولادة أو الموت، وإلا فهو - في غيرهما - يشتد افتقاره إلى الآخر، ولن يحيا إلا في أشواق الآخرين و دفنهم، ولا سبيل إلى الاتصال بهم إلا بالصوت))<sup>(٣٦)</sup>.

مادامت أنساق بناء الحدث قد فرضت علينا معالجة نسق التضمين، فلا بأس من الحديث عن إشكالية الجنس الأدبي في رغبة السحاب، فالنص (رغبة السحاب) كما نرى نقدياً رواية بنيت على أساس نسقي التضمين والتضيد، فهناك حكاية أو قصة اطارية احتوت او تضمنت مجموعة قصص متتابعة منضدة.

فما أن تفتح رغبة السحاب، الكتاب الذي أشار مؤلفه إلى انه (رواية) تجد سعي الابتكار و البحث عن الصيغة التي تمر من خلالها القصص أو الحكايات وقد شرعت بقصدية واضحة من قبله، فالابتكار أو الاتصال الهاتفي أعلن باستهلال ضمنه الكاتب بابتكار الإنسان منذ القديم و عبر مراحل وجوده الأول وجد اللغة كأداة اتصال، ومن قبلها الصفير الذي ابتدعه سكان جزر كاناري ((و حدات صوتية ذات دلالة موجهة إلى مخاطب مقصود))<sup>(٣٧)</sup>. ففي البدء نلاحظ الكاتب بحث عبر أدوات فنية متعددة عن ابتكار الاتصال بينه وبين القارئ أو بينه وبين مشروعه بعد ان فكر بامتحان الذاكرة كيومييات أو أحداث تمر أو مرت على الجميع غير إنها تمر

على قدرة مالك تفنن في طرق الكتابة إذ لا يمكن الافتراض لكتاب هبط بعنوان وغلاف احكم ببناء فني شرح في اجناسيته (رواية) من قبل القارئ الذي يفترض إنها رواية أو قصص بينما الكاتب اختار هذا الجنس ليس لامر يسير او مسكوت عن معرفته لا سيما من كاتب مثل (محمود عبد الوهاب) العارف بكل حرف ذكره وبحث في أصوله واختار بناء كتابته غير ان المثار هو التشابه في الاجناسية القصصية والروائية او اليوميات التي ترابطت عن استخدام الهاتف كوحدة لازمة تجمع هذه القصص لتكون نسيجاً موحداً وزمناً قصصياً واقعياً معيشاً عبر الذاكرة.

فالرواية أو ((النص الخارجي أو المتوازي- بتعبير جينيت- يشير الى العمل رواية وليس مجموعة قصص قصيرة))<sup>(٣٨)</sup> بينما برأى الكاتب الذي ينوه الى أنها (الرواية) أقاصيص او تخطيطات دفتر أرقام الهواتف فهي ((ذات نهج سردي يجمعها إطار محوري تتضوي تحته حكايات من احتوى الدفتر أرقام هواتفهم))<sup>(٣٩)</sup> راجباً من ذلك إثارة إشكاليات منهجية في مقدمته (اقاصيص، حكايات) فهو في البدء يسمى كتابه رواية وهو ابتكار ((نظام خاص به لانتاج آليات جديدة تتبع عن هذه الكتابة الروائية والخطوب بها باتجاه ما هو منفتح على اجناس، ربما، غامضة، ومشوبة بالشكوك، كما لو أن القاص يعمد إلى تحطيم الأعمدة الصلبة للثوابت الكتابية))<sup>(٤٠)</sup>.

فالبناء الروائي يعد دليله الهاتف او انه اللازمة لتصوير مرحلة عاشها البطل عبر واقعه وعبر ذاكرته، فالحاضر يستعيد مشهده كذكرى، والذاكرة عبر نقلها كحكاية متصلة مع الشخصية الواحدة التي تصور هذه التخطيطات و المنفصلة كوحدات صغيرة ينظر من خلالها إلى نقطتي الزمن القديمة التي وقعت فيها الأحداث والحديثة التي رواها بها، ولهذه النقطة المتشظية على مدار ما هو مسرود في ليالي الهاتف. وهذا التضيد الذي ارتفع في بناء العمل الروائي عبر فصول تذكيرية تأملت الواقع المعيش... كما تأملت الذات، كما يقول الدكتور شجاع العاني.

فالحكاية بإطارها دفعت البطل المتذكر ((للبرهنة على فكرة كما تستعمل الحكاية الجديدة كاعتراض على سابقتها))<sup>(٤١)</sup> كما يقول شيلوفسكي وهذا الاشتغال الذي دفع العمل بين ثنائية الحياة والموت مهيم على العمل الروائي. إذ كانت الحرب وصورها المعيشة في الواقع الحقيقي والواقع القصصي الذي اعتمده كذكرى أفاصيص ومشاهد و حكايات جمعت المناخ السردى بشكل اقتصادي كعادة القاص في الكتابة التي لم تقبل عنده الترهل أو الإفاضة في كل كلمة ومشهد. وحتى العنوان (رغوة السحاب) مثلاً الرغوة، السحاب ((نجدهما يمزجان مكونين حسيين، رغوة، هشة، بيضاء، زائلة... الخ))<sup>(٤٢)</sup> و((سحاب، علو، زرقة، بياض، تلبد، ... الخ))<sup>(٤٣)</sup>. وهذا يعكس انتصار أو ثبوت السماء الزرقاء الحقيقية التي تمر عليها الزرقة التي خلفتها طائرات الأعداء وهذه دلالة رمزية و حافظ دلالي يضبط المنظور أو الفعل الحقيقي لساعات الحرب التي استثارها لعبة الأرقام بحكايات استتارت افتراضاتها عبر شخصيات لعبت بفضاء ((تغريبي سعى فيه النص إلى المروق عن المباشرة))<sup>(٤٤)</sup>.

لقد انتفع القاص بتقنيات متعددة فالرواية بشكلها العام تدخل في إطار الكتابة القديمة كما تدخل في الكتابة الحديثة، أي الاشتغال على التجريب. فدليل الهاتف هو نموذج لهذا النمط الفني الحديث، وقبل ان نحله نلاحظ النمط القديم (فن المقامة) إذ ((لا يعد البطل وحده هو ما يربط بين مقامات الهمذاني أو الحريري بل ويتضافر معه رابط آخر وهو الراوي))<sup>(٤٥)</sup>.

فرؤية الأديب المبدع (محمود عبد الوهاب) راصدة لهذه الأنماط جاعلة الهاتف هو الرابط بين الراوي الذي يهبط في كل حالة ارتسمت في دفتر دليله المتكون من أرقام وقصص وحكايات، إذ يتأمل الكاتب بالذاكرة مرويه في الفصل الأول وهو الدليل الذي يدخل في نسق آخر غير التنضيد إلا وهو التأطير الذي يجمع القصص إلى بعضها كوحدة، وان كان الراوي في الدليل ((ينأى عن راوٍ مثل شهرزاد))<sup>(٤٦)</sup>.

إذا ما نظرنا الى القديم ((الذي يعد وسيطاً بين راوٍ كلي العلم ورواة آخرين مشاركين في الأحداث))<sup>(٤٧)</sup>. بينما الحكايات في رغبة السحاب ((لا تتشأ بشكل مباشر وواضح من الحكاية الإطارية الصغرى (الدليل))<sup>(٤٨)</sup> وبين هذا التضمين والتأطير المعروف في ألف ليلة وليلة وكليمة ودمنه ... مع نسق التنضيد المعروف في المقامة العربية ايضاً تتخلق رواية رغبة السحاب، التي اخبرنا من قبل كاتبها و هو يتأمل حكايات مرويه في فصل الدليل ((ما يمكن ان يقال عن الشكل الذي اتخذه أفاصيص دفتر أرقام الهواتف وهو تخطيطات ذات نهج سردي يجمعها إطار محوري))<sup>(٤٩)</sup>. فالانتقال الى الكتابة الحديثة التي حولت الراوي المتقل الى هاتف ينتقل عبر حكايات تجري مكالماتها في الليل بينما تحدث في النهار إذ العد التنازلي لدليل الأرقام المثبتة أصفارها لتحمل أرقامها المتبقية على أن الهاتف الحالي هو ما تضمنته ستة أرقام استخدم الرقمين من اليمين فبدأ بالرقم الذي افترضه (16) لينزل الى الرقم (1) لكي يجد رابطاً - على رأي شجاع العاني - بين هذه القصص يختتم مرويه بفصل أخير يضع، في الصباح عنوانا له رابطاً إياه غير متناس ((الفصل (3) وجاعلاً منه مكملاً لهذا الفصل))<sup>(٥٠)</sup>.

فالراوي يختلف من حكاية الى أخرى أي من رقم الى آخر نجده يعيش الأحداث مرة يكون جزءاً منها، ومرة هو الراوي العليم الذي يشاهد الموت او يدركه بصورة لا تجارى عند أي كاتب، كما يصور الحياة التي تتقاسم الرواية بين هذه الثنائية (الحياة / الموت) فهي ((أناشيد للحياة والخير والجمال... وتعاضد الموت والظلام والقبح والألم))<sup>(٥١)</sup>.

بهذه الأرقام تقدم الحكايات مبتعدة عن المذكرات او اليوميات آخذاً بها اسلوباً سردياً اعتمد الاسترجاع الذي أثار الذاكرة بصوره وقضاياها و أحداث عاشها صاحب الرقم فهي ((تخطيطات ذات نهج سردي))<sup>(٥٢)</sup>. اذ اتخذت شكلاً سردياً في القص الذي استدعته طرائق السرد أو الطريقة المثلى للتأطير الفني للعمل كاملاً سواء كان

على المستوى الزماني أو المكاني، فالزمن ليس وحدة أساسية جمعت الرواية كاملة فهناك أزمان متعددة جمعتها الحكايات والقصص التي إقامتها الذاكرة، إذ هي تنتمي إلى الماضي.

كما نجد المكان كذلك يختلف بين حكاية وأخرى ويتباعد حسب تباعد الأحداث والذاكرة الحافظة عبر دليلها الرقمي غير ان- المكان- لم يبتعد إلا ضمناً داخل المكان المتشطي الا هو المدينة- البصرة- التي تحمل الأحداث بإطارها العام. وهذه الحالات تتعدد مع تعدد الأحداث ووقوعها في السماء التي تضمنها ومنها ابتدع الكاتب اسم روايته لما تحمل من سحابة ملتفة كرجوة في سماء المدينة ((طائرة تبدو بحجم الإصبع تزحف ببطء و بلا صوت في رجوة الغيوم البيض))<sup>(٥٣)</sup>.

إذن ((هناك تعدد أزمنة و امكنة، لكنها بمثابة تعدد زماني وتشطي مكاني))<sup>(٥٤)</sup>. وبين هذين النسيجين الزماني والمكاني المفترضين في موضوعة الحرب بكل مخاوفها ورعبها، قلقها و طائراتها ((إصرار مسبق على تداخل المشاهد مرة ثم قطع العلاقة العضوية مرة أخرى))<sup>(٥٥)</sup>. وهذا ما يستدعي العمل الى تساؤلات تدخل في حيز الاجناسية هل هي رواية؟ وكما يسأل عبد الجبار الحلبي ليجيب نفسه ((هل هناك اشتراطات ثابتة ومحددة ومتفق عليها بين الكتاب والنقاد حول هيكل النص الروائي؟... ان الرواية كجنس أدبي تستمد هويتها وقوتها من حريتها المطلقة في استثمار تقنيات الكتابة الأدبية وغير الأدبية الموجودة عبر التاريخ))<sup>(٥٦)</sup>.

فالأحكام السردية الذي جاور به الكاتب قصصه التي تضمنت فضاءً واحداً مشحوناً بحالات متشابهة في الحرب لكنها مختلفة في علاقتها الاجتماعية و طرائق تعلقاتها. فضاءً ارتفعت حدته أثناء المحنة فشقت عصا الذاكرة مما حدا بالدليل ان يفتح تحت قدرة كاتبه الذي كشف عن الواقع من خلال أدوات سردية جديدة شكلت من قصصه عملاً روائياً واحداً جديداً.

لكي يتبدى البناء السردى متماسكاً متجانساً موحداً بعناصره المختلفة وعلى وفق حبكة مبتكرة، ذهب الكاتب إلى ((إدماج العناصر السردية المتعددة من أحداث و شخصيات وحركات في حركة تتابع وتشاكل... سواء على المستوى المعرفي أو اللغوي أو الدلالي))<sup>(٥٧)</sup>.

وما ذلك إلا مفتاح موجه لما أثير عن الكتاب بأنه (قصص) اجتمعت بين دفتي كتاب إلا أنها في الواقع رواية ((أنتجت بوصفها نصاً جاهزاً يفتح على قراءات متعددة و يحمل توصيفات شتى))<sup>(٥٨)</sup>. بيد أن الكاتب ابتعد بقصدية عن القوانين الجاهزة للعمل الروائي و ذلك بإقصاء علاقات الاتصال بين القصص تاركاً ارتباطها بأرقام تسرد الأحداث القائمة في الماضي على طاولة الحاضر وعلى واجهات متعددة واتجاهات شتى. ومن هذه الاتصالات الرقمية والقصص المنفصلة عن بعضها أوجدت قوانين حملت المتن الروائي المتقطع بشكل حكائي فني مؤكدة على قدرة روائية غير مستغربة من مبدع كمحمود عبد الوهاب الذي جمع القصص والحكايات واليوميات في مشهد روائي واحد.

نخلص مما تقدم أن (رغوة السحاب) رواية بنيت على أساس نسق التضمين الذي يعني- كما قلنا- نشوء قصص قصيرة كثيرة في إطار قصة واحدة، على ان محمود عبد الوهاب استعمل هذا النسق بطريقة مبتكرة مبدعة وتفرد في ذلك من بين الكتاب العرب على حد ما نعلم.

### ثالثاً- نسق التوازي

يعد هذا النسق من الانساق الحديثة وهو يقوم على أساس ((سرد حكايتين مترامنتين، وذلك بقطع الأولى مرة، والثانية مرة، وأستئنافهما بصورة متناوبة، و هو ما يسمى في السينما ب ((المونتاغ المتوازي))... أي أن الأحداث تجري بصورة مترامنة أو تعرض جنباً الى جنب أو تقاطع احياناً ثم تنفصل من جديد))<sup>(٥٩)</sup> وان الحدث فيها ينقسم على ((عدة محاور تتوازي في زمن وقوعها، ولكن أماكن وقوعها

تكون متباعدة نسبياً، وتظل تلك المحاور بشخصياتها الخاصة بها، تنمو وتتطور إلى أن تلتقي في خاتمة الرواية<sup>(٦٠)</sup>. ويعد هذا النسق من أكثر الأنساق البنائية رقياً وجمالاً<sup>(٦١)</sup>، وقد ظهر مرتبطاً بالإنتاج السينمائي و((دخل الرواية بتأثير السينما والسرد الفيلمي، إذ المعروف في فن السينما انه لا يمكن ان يستمر المشهد نفسه لفترة طويلة... بل يقوم السرد الفيلمي على (التوليف) بين لقطات مختلفة من مشاهد مختلفة))<sup>(٦٢)</sup> وذلك لدفع الملل عن المتلقي، وبث عنصر التشويق لديه. ومن خصائصه:

١. تزامن الوقائع: إذ تقدم الوقائع التي تكوّن حدث الرواية متزامنة فيما بينها.
  ٢. تعدد الأمكنة و تباعدها: إذ تحدث الوقائع في أمكنة متعددة و متباعدة<sup>(٦٣)</sup>.
- عند متابعة مادة البحث تبين إن قصة (توليف) انفردت بهذا النسق وقد عرض الراوي فيها مشهدين متوازيين، تجري فيهما الأحداث بصورة متزامنة فتارة يقطع المشهد الأول وتارة المشهد الثاني، وكل مشهد يمثل حكاية مستقلة عن الأخرى.
- في المشهد الأول عرض الراوي صورة امرأة تمسك بمقود سيارتها و تجتاز وحدها طريقاً وسط الريف، وفجأة تعطل محرك السيارة، فحاولت إصلاحه ((كانت تمسك بمقود سيارتها المتعجلة تجتاز وحدها طريقاً بهيجاً وسط الريف... فجأة ينقطع ضجيج المحرك ويتوقف تماماً ويسود الصمت تنزلق السيارة بعجلاتها الطليقة منحدره الى حافة الطريق ... تنزل الشابة من السيارة وترفع غطاء المحرك فيفلت منه خيط من الدخان تتجنبه وهي ممتعضة، تسمع ضجيج محرك سيارة قادمة فتهرع الى الطريق حيث تمرق سيارة قديمة من أمامها من دون ان تتوقف، تجلس. في سيارتها منهكة ... يعلو فجأة صوت محرك))<sup>(٦٤)</sup>
- ثم ينقل الراوي الى المشهد الاخر، ويعرض من خلاله صورة امرأة أخرى تنظر الى الساعة المعلقة على الحائط وقد دقت ((الواحدة بعد منتصف الليل فترمقها المرأة من مكانها بنظرة متبرمة))<sup>(٦٥)</sup>.

بعد ذلك يعود الى المشهد الأول الذي تمثل بامرأة السيارة التي تجري نحو ((السائق الذي يخرج من سيارته... يجلس السائق في سيارتها محاولاً اصلاح العطل وهي تتطلع إليه قلقة... يخرج السائق من السيارة ويهز رأسه في يأس ظاهر))<sup>(٦٦)</sup> ثم يقطع الراوي هذا المشهد لينتقل الى المشهد الآخر الذي تمثل بامرأة الغرفة فـ((تسحب... ستارة النافذة التي بجوارها من دون ان تغير من جلستها فتشدد العتمة في الزاوية المحصورة بين نهاية الأريكة. وباب غرفة الطعام))<sup>(٦٧)</sup> أخيراً يختم الراوي نهاية المشهد الأول، حيث يدعو السائق المرأة الى الصعود الى سيارته، فيصعدان معاً ((يقود سيارته وهي الى جانبه، يبتعدان تاركين خلفهما سيارتها مفتوحة البابين))<sup>(٦٨)</sup>

في الوقت نفسه يصل الى نهاية المشهد الآخر حيث تنهض المرأة من الأريكة و تطفئ الضوء بعد ان تقفل جهاز التلفزيون وتريح عن طريقها ((صينية صفت عليها ثلاثة صحون وقدحان وسكين ذو مقبض عاجي متوهج))<sup>(٦٩)</sup>. وتصعد السلم و تتوجه الى غرفتها ((في حين تبدأ الأشياء، من حولها، تفقد الفتها))<sup>(٧٠)</sup>. بعد انتظار طويل لم يثمر عن شيء، وهذا يدل على تواجدها لوحدها، حيث الوحدة القاتلة التي تعيشها، وحاجتها الى الرجل الذي يبدد عليها تلك الوحشة والعزلة بدليل ما تركته على المائدة من أقذاح و صحون تكفي إلى أكثر من شخص واحد، على العكس من المرأة التي كانت في السيارة، فقد استأنست بمصاحبة الرجل.

على الرغم من ان القصة تروي حدثين مختلفين لكن الذي يبدو هو أن المرأة واحدة فيهما. وعندما تأملنا هذين الأنموذجين وجدنا: أن الأحداث فيها سردت بالتناوب من لحظة البداية إلى النهاية.

وقد أشار الدكتور شجاع مسلم العاني الى هذه القصة قائلاً: ((في قصة توليف يعمد القاص الى التوليف بين مشهدين، بأن يركب كما يحدث في اللغة السينمائية بين لقطات بعضها يجري على شاشة التلفزيون وبعضها الآخر في الغرفة التي وضع

فيها: ان ثمة سيدة ترقب فلماً يجري عرضه، فجأة تتوقف سيارتها في طريق ريفي، ينقذها شاب بأن ينقلها معه في سيارته، بعد أن تترك سيارتها المعطلة، عندئذ تنهض المرأة من الأريكة تطفئ الضوء و تقفل جهاز التلفزيون، وتزيج عن طريقها صينية، وضعت عليها ثلاثة صحون، وقدحان وسكين ذات مقبض عاجي متوهج، تصعد السلم الداخلي متجهة الى غرفتها في حين بدأت الأشياء (من حولها) تفقد (الفتها))<sup>(٧١)</sup>.

#### رابعاً - النسق الدائري

ويعني ((أن الأحداث تبدأ من نقطة ما ثم تعود في النهاية الى النقطة نفسها التي بدأت منها، وقد تبدأ هذه الأحداث من نهايتها لتعود الى البداية فيكون البناء الدائري عندئذ معكوساً))<sup>(٧٢)</sup>. ((وقد شاع هذا النسق في الرواية العربية في العراق مع شيوع فكرة دائرية الزمن))<sup>(٧٣)</sup>.

عند متابعتنا مادة البحث وجدنا ان قصة (يوم في مدينة أخرى) قد انفردت بهذا النسق، وقد بنيت على أربعة مشاهد، فكل مشهد يحمل حالة لها همومها المستقلة غير أنها ترتبط بشكل فني بوصفها قصة واحدة ففي المشهد الأول يقول الراوي: ((دخلت المرأة حين ضغط الرجل بطرف إصبعيه على حافة الباب الزجاجي الدوار... دخلت هي أمامه، ودخل هو وراءها بتأن، وحين لامس ذقنه هواء الصالة المحصور المشبع برائحة الأثاث وأخشاب الجدران و رطوبة الجو المعتم المكيف، حك ذقنه بسبابته و ابتسم متوسطاً صالة المطعم تحت عنقود من المصابيح الكرسنال اللامعة يسبقهما نادل طويل أعجم يتمم بعبارات الترحيب التقليدية))<sup>(٧٤)</sup>. فالرجل والمرأة في هذا المشهد دخلا الى داخل المطعم وتبادلا الحديث بينهما، الصديقان في المشهد الثاني تحدثا عن المحقق الذي تابع أحدهما من اجل كبح جماحه المعرفي ((يدعي لو ان الإنسان ترك نفسه من دون تصنع لتسربت سريرته الى تحت جلده.

- كيف،

- سألته، هل تحرز مهنتي؟ وبلا تردد قال انك معلم<sup>(٧٥)</sup>.  
في المشهد الثالث يصور حالة الجوع والتهام الآكل وعدم خلو المطعم نتيجة  
حتمية لمثل هذه الحالة ((يقضم صمونته ويمضغ عجنتها بين أسنانه كان الزبائن  
يتقاطرون داخل المطعم. أصوات الملاعق والصحون وأكواب الشاي تختلط مع  
ضجيج الزبائن ونداءاتهم. والى جانب الحاجز الخشبي جلس رجل يمضغ طعامه  
بصبر نافذ. انتفخ جانباً فمه بالطعام ثم تلوى كقطة مطاط حتى بلع لقمته ومدّ شفثيه  
و ضيقهما ومص، بصوت مسموع، عظمة صغيرة ظلت تتحرك داخل فتحة فمه.  
المكان يضيق بالزبائن))<sup>(٧٦)</sup>

ثم انتقل إلى المشهد الرابع لينهي أحد الزبائن وقته في المطعم ومتابعته  
للجريدة. وبهذه المشاهد الأربعة تبنى القصة وتؤطر في زمان واحد ومكان واحد  
وهو المطعم الذي دارت فيه الأحداث بالظاهر على العاشقين وهما يتحدثان عن الحر  
في الخارج و عن الصديقين وحديثهما والأحداث التي مرت بأحدهما، والأمر نفسه  
في المشهد الثالث والرابع.

غير ان المعالجة الباطنية (التأويل) تأخذ انحداراً مختلفاً يكشف عن خفايا  
الأمر والألم في شارع المدينة كالألم والرعب السياسي الذي لازم إحدى  
الشخصيات وهي تستمع ((ضحك من كلام صاحبه، واهتز ثدياه المكتئزان، وألقى  
برأسه الى الوراء على لوحة جدارية كبيرة: عقاب ضخم، في وضع مائل، منقض  
على ثلاث طيور صغيرة مذعورة وعيناه جاحظتان تتقدمان لوناً احمر غاضباً و  
جناحاه قائما السواد، بينما استقامت ريشة ذيله مع جسمه المائل المنقض، ارتجف  
حين وقع رأسه في منقار العقاب، وعندما رفعه من على اللوحة انبسطت أساريه  
بينما كان لون العقاب يزداد قتامة<sup>(٧٧)</sup>)).

فالرمز في هذه اللوحة يأخذ بعداً تأويلياً في باطن القصة غير أن التجريب في  
هذه القصة- التي كتبت في عام ١٩٧٠ أي نهاية العقد الستيني- يمثل قدرة نادرة

في بنائها الفني، فالمشهد الأول- فيها- يمثل الإطار لتداخل بقية المشاهد، إذ يدخل الرجل والمرأة بمشهد يستهله.

((دخلت هي أمامه ودخل هو وراءها بتأن، وحين لامس ذقنه هواء الصالة المحصور المشبع برائحة الأثاث و أخشاب الجدران ورطوبة الجو المعتم المكيف. حك ذقنه بسبابته وابتسم)).<sup>(٧٨)</sup> وبعدهما ينتهي المشهد الثاني-عندما ينهيان الرجل وصاحبه - حديثهما الذي لا علاقة له بدخول الرجل والمرأة. ثم ينهضان عندما يدخل الرجل مع المرأة لينكرر المشهد نفسه ((دخلت المرأة أمامه ودخل هو وراءها بتأن...)) وهذه اللعبة الزمنية تدخل في المشهد الثاني والثالث، فيعود الراوي من حيث بدأ في نهاية كل مشهد حتى يصل إلى نهاية القصة، يخرج الرجل مع المرأة ويطوي جريدته وينادي نادل المطعم... وهكذا فاللعبة الزمنية التي تفنن إزاءها المؤلف تدخل في قدرته التجريبية. وهذا اللون قد ينظر إليه على انه بسيط غير انه صعب المراس أثناء الكتابة مما يدل على أن مثل هذه الأعمال هي من السهل الممتع، أي سهل في الظاهر، وقد يلاحظها القارئ على إنها بسيطة الكتابة غير إن المحاولة فيها ستكون حتماً صعبة ومنيعه.

### الخاتمة

بعد استقرار أنساق بناء الحدث توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١. هيمن نسق التتابع في المادة المدروسة، وربما يعود ذلك إلى رغبة الروائي - وبالإيحاء إلى مؤلفه الضمني - بسرد أحداث بسيطة - متتابعة لا تعقيد فيها، وهو أمر شائع في الفترة التي كُتب فيها تلك الأعمال.
٢. انفرادات رواية رائحة الشتاء بنسق التضمين، لان بناءها الفني تكون من مجموعة تقنيات حديثة.
٣. وفي نسق التوازي لم يجد البحث إلا في المجموعة القصصية، فقد اعتمدت على التوليف بين مشهدين، كما يجري في الأفلام السينمائية.

٤. وانفرد كذلك النسق الدائري في المجموعة القصصية.

### هوامش البحث

- (١) القصة في الأدب السوداني الحديث: د. محمد زغول سلام، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٠، ١٠.
- (٢) البناء الفني لرواية الحرب، دراسة لنظم السرد و البناء في الرواية العراقية المعاصرة: عبد الله إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٨، ٧.
- (٣) قصص الحرب للأطفال في العراق، ١٩٨٠، ١٩٨٨: هاتو حميد حسن الازيرجاوي، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، كلية التربية، جامعة البصرة، ١٩٩٦، ٨٧.
- (٤) الرحلة الخيالية في الأدب العربي، دراسة في بنيتها السردية من خلال قصص ألف ليلة وليلة: مصعب عبد اللطيف عبد القادر الانصاري، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠١، ٧٥.
- (٥) البناء الفني في الرواية العربية في العراق، ج ١ بناء السرد: شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٩٤، ٨.
- (٦) ينظر نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، ت. إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية والشركة المغربية للنشر المتحددين، بيروت، لبنان، ١٠٩٨: ١٢٣، ١٣٠، ١٤٢، ١٤٦، والبناء الفني في الرواية العربية في العراق، ج ١، ١١.
- (٧) تحليل الخطاب الروائي، الزمن، السرد، التبئير: سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ١٩٨٩: ٢٥٧-٢٥٨.
- (٨) ينظر البناء الفني لرواية الحرب، ٢٧.
- (٩) البناء الفني في الرواية العربية في العراق، ج ١، ١٣.
- (١٠) بنية الرواية و الفيلم، د. عبد الله إبراهيم، آفاق عربية، بغداد، عدد ٤٤، ١٩٩٤، ١١٧، وينظر السرد الروائي و السرد الفيلمي و ضرورات المعالجة الفلمية، فراس عبد الجليل، الموقف الثقافي، بغداد، عدد ٣٢، سنة ٢٠٠١، ٩.
- (١١) البناء الفني في الرواية العربية في العراق ج ١، ١٤.

- (١٢) أدب يعرب السعيد القصصي، دراسة في البنية السردية: نجوى محمد جمعة البياتي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠١، ٦٥.
- (١٣) بناء السرد التراثي، قصة بياض ورياض لمؤلف مجهول أنموذجاً: محمد الشوابكة وفايز القيسي، مجلة أبحاث اليرموك، منشورات جامعة اليرموك، اربد، الاردن. مج ١٦. ٢٤، ١٩٩٨، ١٠٠.
- (١٤) المكان نفسه.
- (١٥) رائحة الشتاء، مجموعة قصصية، محمود عبد الوهاب، دار الشؤون العامة، بغداد، ١٩٩٧، ٦٢.
- (١٦) نفسه، ٦٣.
- (١٧) ينظر نفسه ٦٢، ٦٣، ٦٤.
- (١٨) رغبة السحاب، رواية محمود عبد الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠، ٩٧.
- (١٩) نفسه، ١٠٠.
- (٢٠) ينظر نفسه، ٩٧ - ١٠١.
- (٢١) نفسه، ١٣١.
- (٢٢) نفسه، ١٣٦.
- (٢٣) نفسه، ١٣٧.
- (٢٤) ينظر نفسه، ١٣١ - ١٣٧.
- (\*) ويسمى التأطير، التأجيل، الترجيح، تداخل النص، التناص. وان كان مفهوم التناص اوسع من ذلك.
- (٢٥) البناء الفني في الرواية العربية في العراق، ج ١، ١٥.
- (٢٦) المنزلات منزلة الحداثة، ج ٢: طراد الكبسي. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٧، ٧٩.
- (٢٧) البناء الفني في الرواية العربية في العراق، ج ١، ٧.
- (٢٨) المكان نفسه.
- (٢٩) ينظر بناء الرواية العربية في الكويت، مهدي جبر، رسالة ماجستير مطبوعة على الالة الكاتبة، مركز دراسات الخليج، جامعة البصرة، ١٩٨٩، ٦٣.

- (٣٠) الرواية الفرنسية الجديدة: نهاد التكرلي، الموسوعة الصغيرة، عدد ١٦٧، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، ١٩٨٥، ٢٥.
- (٣١) ينظر البناء الفني في الرواية العربية في العراق، ١٦، ١٧
- (٣٢) السردية العربية، بحث في البنية السردية في الموروث الحكائي العربي، د. عبدالله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٢، ٩٧.
- (٣٣) سرد و رؤى: د. بشرى موسى صالح، الأعلام، عدد ١، ٢٠٠٢، ٢٤
- (٣٤) رغبة السحاب، ٩
- (٣٥) نفسه، ٧.
- (٣٦) المكان نفسه
- (٣٧) نفسه، ٨.
- (٣٨) روايات عراقية في الميزان النقدي، رغبة السحاب للقااص محمود عبد الوهاب، د. شجاع العاني، جريدة الزمن، ع ٥١، ٢٠٠١، ١١.
- (٣٩) عندما يكون الهاتف سارداً، محمود عبد الوهاب في (رغبة السحاب): وارد بدر سالم، جريدة العراق، العدد ٢٠٠١، ٤.
- (٤٠) المكان نفسه.
- (٤١) روايات عراقية في الميزان النقدي، ١١.
- (٤٢) سرد ورؤى، ٢٣.
- (٤٣) نفسه.
- (٤٤) نفسه.
- (٤٥) روايات عراقية في الميزان النقدي (رغبة السحاب) للقااص محمود عبد الوهاب، ١١
- (٤٦) المكان نفسه .
- (٤٧) المكان نفسه.
- (٤٨) المكان نفسه.
- (٤٩) رغبة السحاب، ١٣.
- (٥٠) روايات عراقية في الميزان النقدي رغبة السحاب للقااص محمود عبد الوهاب، ١١.
- (٥١) المكان نفسه.
- (٥٢) رغبة السحاب، ١٣

- (٥٣) نفسه، ٥٥
- (٥٤) حكايات أرقام الهواتف قراءة في (رغوة السحاب) القاص محمود عبد الوهاب، طراد الكبيسي، مجلة عمان، ع ٧٢، ٢٠٠٤، ٥١.
- (٥٥) تأطير الرواية (رغوة السحاب) اتمونجاً، ٩٧ عبد الجبار الحلفي، مجلة اقلام، ع ٤، السنة السادسة والثلاثون، ٢٠٠١، ٩٧.
- (٥٦) المكان نفسه .
- (٥٧) حكايات أرقام الهواتف، قراءة في رواية (رغوة السحاب)، ٧٢.
- (٥٨) عندما يكون الهاتف سارداً محمود عبد الوهاب في رغوة السحاب، ٤.
- (٥٩) عالم الرواية : رولال بورنوف، ريال اونيليه، ت. نهاد التكرلي، مراجعة فؤاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩١، ٦٦.
- (٦٠) البناء الفني لرواية الحرب، ٥٤
- (٦١) ينظر البناء الفني في الرواية العربية في العراق، ج ١، ٣٤.
- (٦٢) نفسه، ٣٥
- (٦٣) البناء الفني لرواية الحرب، ٥٨ - ٥٩.
- (٦٤) رائحة الشتاء، ٢٣
- (٦٥) المكان نفسه.
- (٦٦) نفسه، ٢٣.
- (٦٧) نفسه، ٢٣ - ٢٤.
- (٦٨) رائحة الشتاء، ٢٤.
- (٦٩) المكان نفسه.
- (٧٠) المكان نفسه.
- (٧١) الحركة الأدبية الحديثة في البصرة: د. شجاع مسلم العاني، موسوعة البصرة الحضارية ١٩٢٠ - ١٩٨٠، جامعة البصرة المركز الثقافي، ١٩٩٠، ٦٤٢ - ٦٤٣.
- (٧٢) البناء الفني في الرواية العربية في العراق، ٤٣.
- (٧٣) المكان نفسه.
- (٧٤) رائحة الشتاء، ١٥.
- (٧٥) نفسه، ١٧.

(٧٦) نفسه، ١٨.

(٧٧) نفسه، ١٩.

(٧٨) نفسه، ١٥.

### المصادر والمراجع

- أدب يعرب السعيد القصصي، دراسة في البنية السردية: نجوى محمد جمعة البياتي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠١م .
- بناء السرد التراثي قصة بياض ورياض لمؤلف مجهول أنموذجاً، محمد الشرابكة، فايز القيسي، مجلة أبحاث اليرموك، منشورات جامعة اليرموك، اردب، الأردن، مج١٦، عدد٢، ١٩٩٨م.
- بناء الرواية العربية في الكويت، مهدي جبر، رسالة ماجستير، مركز دراسات الخليج، جامعة البصرة، ١٩٨٩م.
- البناء الفني في الرواية العربية في العراق ج١ بناء السرد: شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٤م .
- البناء الفني لرواية الحرب، دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة: عبدالله ابراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٨م .
- بنية الرواية والقلم. د. عبدالله ابراهيم، آفاق عربية، بغداد، عدد٤، ١٩٩٣م .
- تأطير الرواية (رغوة السحاب) أنموذجاً، عبدالحبار الحلفي، مجلة الأفلام، العدد٤، السنة السادسة والثلاثون، ٢٠٠١م .
- تحليل الخطاب الروائي، الزمن، السرد، التبئير: سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٨٩م.
- الحركة الأدبية الحديثة في البصرة: شجاع مسلم العاني، موسوعة البصرة الحضارية ، ١٩٢٠-١٩٨٠م، جامعة البصرة، المركز الثقافي ١٩٩٠م .
- حكايات أرقام الهواتف، قراء في رواية (رغوة السحاب) القاص محمد عبدالوهاب، طراد الكبيسي، مجلة عمان، عدد٧٢، ١٩٩٨م .

- رائحة الشتاء، مجموعة قصصية، محمود عبد الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٧م.
- الرحلة الخيالية في الأدب العربي دراسة في بنيتها السردية من خلال قصص ألف ليلة وليلة: مصعب عبداللطيف عبدالقادر الانصاري، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة ٢٠٠١م .
- رغبة السحاب، رواية محمود عبد الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠م .
- سرد روائي: د. بشرى موسى صالح ، الأقلام ، عدد ١ ، ٢٠٠٢م
- السرد الروائي والسرد الفيلمي وضرورات المعالجة الفلمية، فراس عبدالجليل، الموقف الثقافي، بغداد، عدد ٣٢، سنة ٢٠٠١م .
- السردية العربية، بحث في البنية السردية في الموروث الحكائي العربي: د. عبدالله ابراهيم، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ١٩٩٢م .
- قصص الحرب للأطفال في العراق ، ١٩٨٠ ، ١٩٨٨ : هاتو حميد حسن الأزيرجاوي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، ٢٠٠١م .
- القصة في الأدب السوداني الحديث: د. محمد زغلول سلام، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٠م .
- عالم الرواية: رولان بورنوف ، ريال اوتبليه ، ت. نهار النكرلي مراجعة ، فؤاد النكرلي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٩١م .
- عندما يكون الهاتف سارداً، محمود عبد الوهاب في (رغبة السحاب) وارد بدر سالم، جريدة العراق، ٢٠٠١م .
- المنزلات منزلة الحداثة، ج ٢ : طراد الكبيسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٧م .
- نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلايين الروس، ت. ابراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية والشركة المغربية للنشر المتحدين، بيروت - لبنان، ١٩٩٨م .

